بسم الله الرحمن الرحيم

/ سورة الصف[1] و تسمى الحواريين /٣١٦

مقصودها الحث[2] على الاجتهاد التام فى[3] الاجتماع على قلب[4] واحد فى جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم، بحملهم على الدين الحق، أو محقهم عن جديد الأرض أقصى المحق، تنزيها للملك[5] الأعلى عن الشرك، و صيانة لجنابه الأقدس عن الإفك، و دلالة على الصدق فى البراءة منهم ٥ و العداوة لهم، فهى[6] نتيجة سورة التوبة، و أدل ما فيها على هذا المقصد الصف بتأمل آيته، و تدبر ما له[7] من جليل النفـــع فى أوله و أثنائه [و غايته -[8]]، و كذا الحواريون ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى له الأمر كله لأنه لا كفوء له ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة[9] البيان عما يرضيه ممن شاقه، فقد شرع لكل أحد أن يرده أو يقبله ﴿ الرحيم ه ﴾ ١٠ الذى خص[10] بإتمام الإنعام الموصل إلى دار السلام من شاء من عباده فهيأه لذلك و أهله .

---

(١) الحادية والستون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آيها ١٤ .
(٢) زيد فى الأصل : التام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل : على (٤) زيد فى الأصل : رجل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الملك (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فهو (٧) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٨) زيد من ظ و م . (٩) من ظ و م، و فى الأصل : بنعمته (١٠) من م، و فى الأصل وظ : خلق .

لما ختمت الممتحنة بالأمر بتنزيهه سبحانه عن[1] تولى من يخالف أمره بالتولي عنهم و البراءة منهم اتباعا لأهل الصافات المتجردين عن كل ما سوى الله لاسيما عمن[2] كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿ سبح لله ﴾ أى أوقع التنزيه الأعظم للملك الأعظم الذى له ﴿ ما فى السموٰت ﴾ من جميع الأشياء التى لا يغفل من أفلاكها و نجومها و غير ذلك من [3]جواهرها و أعراضها[3] فى طلوعها و أفولها و سيرها فى ذهابها و رجوعها و إنشاء السحاب و إنزال المياه و غير ذلك . و لما كان الخطاب مع غير الخلص أكده فقال: ﴿ و ما فى الارضج ﴾ أى بامتثال جميع ما يراد منه مما هو كالمأمور بالنسبة إلى أفعال العقلاء من نزول المياه و إخراج النبات من النجم و الشجر و إنضاج الحبوب و الثمار و غير ذلك من الأمور الصغار و الكبار .

و لما كان امتثال غير العاقل و عصيان العاقل ربما[4] اوهم نقصا قال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده لا شريك له ﴿ العزيز ﴾ أى العظيم النفع الذى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء و يعسر الوصول [إليه[5]] ﴿ الحكيم ۝ ﴾ أى الذى يضع الأشياء فى اتقن مواضعها، فما مكّن العاقل من المعصية إلا لإظهار صفات الكمال من العلم و القدرة و الحلم[6] و الكرم و الرحمة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : عمن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : من . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اعراضها وجواهرها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : وبما (٥) زيد من ظ م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الحكم .

و الغضب

و الغضب و غير ذلك، و قد علم بهذا التنزيه و ختم آيته بهاتين الصفتين
أنه تعالى منزه عما تضمنه يأس الكفار المذكور [من ـ[1]] أنه لا بعث
وعن [2]أن يجعل سبحانه لهم[2] حظا فى الآخرة لأن كلا من عدم البعث
والتسوية بين المسيء و المحسن نقص[3]/ . /٢١٧

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت بالتسبيح لما ختمت ٥
به سورة الممتحنة من قوله " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم "
و هم اليهود، [4]و قد تقدم[4] الإيماء إلى ما استوجبوا به هذا فأتبع
بالتنزيه لما تقدم بيانه فانه مما تعقب به ذكر جرائم المرتكبات و لا يرد فى
غير ذلك، ثم أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء و هو الذى حد لهم[5] فى الممتحنة
ليتنزهوا عن حال مستوجبى الغضب بنقيض الوفاء و المخالفة بالقلوب ١٠
[و الألسنة ـ[6]] " يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم" "ليا بالسنتهم و طعنا
فى الدين" من "الذين قالوا [آمنا ـ[1]] بافواههم و لم تؤمن قلوبهم" " و يقولون
آمنا بالله و الرسول و اطعنا ثم يتولى فريق منهم" و بمجموع هذا
استجمعوا[7] اللعنة و الغضب فقيل للمؤمنين: " يايها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون" احذروا ان تشبه أحوالكم حال من استحق المقت و اللعنة ١٥
و الغضب، ثم أتبع بحسن الجزاء لمن[8] وفى قولا و عقدا لسانا و ضميرا،
و ثبت على [ما ـ[1]] أمر به فقال: " إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: انه يعجل لهم سبحانه.
(٣) من ظ وم، وفى الأصل: انتهى (٤-٤) من ظ وم، و فى الأصل: قدم.
(٥) من ظ وم، و فى الأصل: بهم (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: استحقوا.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: لم.

صفا" ـ الآية ثم تناسج ما بعد. و لما كان الوارد من هذا الغرض فى سورة الممتحنة قد جاء على طريق[1] الوصية و سبيل النصح و الإشفاق، أتبع فى سورة الصف بصريح العتب فى ذلك و الإنكار ليكون بعد [ما-[2]] تمهد فى السورة قبل أوقع فى الزجر، و تأمل كم بين قوله سبحانه ٥ "يا يها الذين امنوا لاتتخذوا عدوى و عدوكم اولياء[3]" و ما تضمنته من اللطف[4] و بين قوله "لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون" ـ انتهى .

و لما تقدمت فى الممتحنة قصه الفتح الأعظم فى شأن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه و جعل منابذة الكفار بكل اعتبار علما على صحة ١٠ الهجرة و ادعى التجرد لجهاد أعداء الله ؛ و قصة الفتح السببى من تحريم المؤمنات على المشركين و تحريم المشركين على المؤمنات فى غزوة الحديبية، و أبدى سبحانه فى ذلك من الصنائع التى تعجز قوى الخلق عنها أن رتب ما فى الفتح السببى على ما فى الفتح الفعلى الحقيقى، فجعل الأول فى الزمان آخر فى الرتبة و الآخر فى الزمان أولا فى الرتبة مع شدة ١٥ الإحكام فى ترصيف النظام و البلوغ فى الرشاقة و الانسجام[5] إلى حد لايطيقه نوافذ الأفهام مع بداعة المعانى و متانة المبانى، و كان فعل من ناصح[6] الكفار ممن امن بلسانه و أذعن[7] بجنانه و هاجر بأركانه نوع منا صحة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: سبيل (٢) زيد من ظ و م (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) فى م : التلطف (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الانسجاه (٦) من ظ و م و فى الأصل : صالح (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ادعى .

فعل من يقول ما لايفعل [فى منابذتهم و التجرد بعداوتهم، فذكر أول هذه السورة من تنزيهه بألسنة أحوال ما لايعقل -[1]] ما يخجل المسلم بشيء من ذلك تأديبا لأمثاله، و تدريبا لمن يلم بشيء من المخالفة بباله، و كان العاقل أولى[2] من غيره بتنزيه جناب القدس بالطاعة، فكيف [إذا -[1]] كان ممن أقر بالإيمان و تقلد عهدة[3] الإذعان، و كان من عصى ٥
/ منهم مناديا على نفسه بمخالفة[4] قوله لفعله، و من نزهه حق تنزيهه لم يقصر /٣١٨
فى حق من حقوقه بتضييع شيء من أوامره كما أن تنزيه ما لا يعقل بأن لا يخالف[5] شيئا من مراده، قال مرهبا بنداء البعد و التوبيخ الذى من مبادئ الغضب و الإنكار بالاستفهام و التعبير بما يفهم أدنى مراتب الإيمان: ﴿يٰأيها الذين 'امنوا﴾ أى ادعوا الإيمان ﴿لم﴾ قال فى الكشاف: هى ١٠
لام الإضافة داخلة على "ما" الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى بم و فيم و مم و عم و إلام و علام، و إنما حذفت الألف لأن[6] "ما" و الحرف كشيء واحد. و وقع استعمالها بزيادة هاء السكت أو الإسكان، و من أسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه أربعه بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة، و قال الرضى فى الموصول: إنها ١٥
حذفت لأن[7] لها صدر الكلام و لم يمكن تأخير الجار عنها فقدم و ركب

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: والى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: جهده (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بمحالة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لايخالفه (٦) زيد فى الأصل: صدر الكلام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م، و فى الأصل و ظ: لانها.

معها [حتى -[1]] يصير المجموع موضوعة للاستفهام ، فلا يسقط الاستفهام
عن مرتبة الصدر ، و جعل حذف الألف [2]دليل التركيب[2] ﴿ تقولون ﴾
أى من دعوى الإيمان التى مقتضاها إلزام الإخلاص فى جميع الأحوال
﴿ما لاتفعلون ۝ ﴾ أى ما لاتصدقونه بالفعل الذى يكون بغاية الرغبة
٥ و القوة فتتخذوا العدو وليا بالإقبال عليه و إرسال التنصح إليه و قد تلفظتم
بالإيمان الذى يستلزم المعاداة لكل من كفر ، و خلف الوعد فى نفسه
[قبيح -[1]] و مع الخالق أقبح .

و لما كان ذلك مهلكا ، رحم المخاطبين بتعظيمه لينجوا [أنفسهم -[3]]
بالكف عنه فقال : ﴿ كبر ﴾ فقصد به التعجيب[4] و هو تعظيم الأمر فى
١٠ قلوب السامعين لأن التعجب[5] لايكون إلا فى أمر خارج عن نظائره
و أشكاله ، و فسر ما قصد منه للدلالة على خلوصه فى المقت بقوله :
﴿ مقتا ﴾ أى عظم جدا و ما أعظمه من بغض هو أشد البغض ، و زاد
فى تبشيعه[6] زيادة فى التنفير منه بقوله : ﴿ عند الله ﴾ أى الملك الأعظم
الذى يحقر عنده كل متعاظم . و لما أبلغ فى تبشيعه تشوفت النفس
١٥ إلى المسند إليه ذلك قال : ﴿ ان تقولوا ﴾ أى عظم[7] من تلك الجهة

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : دليلا للتركيب .
(٣) زيد من ظ (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : التعجب (٥) من ظ و م ،
و فى الأصل : التعجيب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تشنيعه (٧) من ظ
و م ، و فى الأصل : اعظم .

أن

أن[1] يقع فى وقت من الأوقات أو حال من الأحوال قولكم ﴿ما لا تفعلون ه﴾ و قال القشيرى: [و يقال -[2]]: لم يتوعد الله على زلة بمثل ما توعد على هذا - انتهى . وكل ما ذكروه فى سببها صالح للسببية قول[3] بعضهم "لو ندرى أحب الأعمال إلى الله لا جتهدنا فيه" ثم ولوا يوم أحد، و توانى بعضهم فى الجهاد، وكون صهيب رضى الله عنه قتل يوم بدر رجلا آذى ٥ المسلمين و أنكى فيهم و ادعى غيره أنه قتله فأعجب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال عمر / و عبد الرحمن بن عوف لصهيب [رضى الله عنهم -[4]]: /٣١٩ أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم أنك قتلته، فقال صهيب رضى الله عنه: إنما قتلته لله و لرسوله، فأخبر عمر و عبد الرحمن رضى الله عنهما النبى صلى الله عليه و سلم فقال: أكذلك أبا يحيى، فقال: نعم يا رسول الله، ١٠ و التزام[5] المنافقين أحكام الإسلام، و تخلفهم[6] إخلافا فى الأمور العظام، و كذا قصة حاطب رضى الله عنه .

و لما عظم ما يكرهه بعد ما ألهب به من تنزيه غير العاقل، فكان العاقل جديرا بأن يسأل عما يحبه لينزهه به، قال [7]ذاكرا الغاية[7] التى هى أم[8] جامعة [لكل -[4]] ما قبلها من المحاسن، مؤكدا لأن الخطاب مع من قصر أو [هو -[4]] فى حكمه: ﴿ان الله﴾ أى الذى له جميع صفات ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: او (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الزام. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: خطمهم (٧-٧) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر للغاية (٨) من ظ و م، و فى الأصل: امر.

الكمال ﴿ يحب ﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿ الذين يقاتلون ﴾ أى[1] يوقعون القتال ﴿ فى سبيله ﴾ أى بسبب تسهيل طريقه الموصلة إلى رضاه إيقاعا مظروفا للسبيل، لا يكون شىء منه كشىء[2] خارج عنه، فيقاتلون أعداء الدين من الشيطان بالذكر القلبى و اللسان، و الإنسان بالسيف و السنان ٥ ﴿ صفا ﴾ أى مصطفين حتى كأنهم فى اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا فى التساوى فى الاصطفاف كالبدن الواحد.

و لما كان الاصطفاف يصدق مع التقدم و التأخر اليسير نفى ذلك بقوله حالا بعد حال: ﴿ كأنهم ﴾ أى من شدة التراص[3] و المساواة بالصدور و المناكب و الثبات فى[4] المراكز ﴿ بنيان ﴾ و زاد فى التأكيد ١٠ بقوله: ﴿ مرصوص ٥ ﴾ أى عظيم الاتصال شديد الاستحكام كأنما رص بالرصاص فلا فرجة فيه و لا خلل، فان من كان هكذا كان جديرا بأن لا يخالف شىء من أفعاله شيئا من أقواله. فالرص إشارة إلى اتحاد القلوب و النيات [5]فى موالاة[5] الله و [6]معاداة من[6] عاداه المنتج لتسوية الصفوف فى الصلاة التى هى محاربة الشيطان، و الحرب [7]التى هى[7] مقارعة حزبه أولى ١٥ الطغيان، و الأفعال التى هى ثمرات الأبدان.

---

(١) زيد فى الأصل: الذين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بشى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المراض (٤) من ظ و م، و فى الأصل: و (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: الموالاة الله. (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعاداة لمن (٧-٧) من م، و فى الأصل و ظ: الذى هو.

و لما كان التخلف عن أمر الله تعالى و الغفلة عن شيء يؤدى تركه إلى التهاون به و الإخلال بأدب من آدابه موجبا للكون فى صف الشيطان و مفارقة حزب الرحمن، فيكون أذى الرسول صلى الله عليه و سلم، فيوجب ذلك الشقاء كله لأنه جدير بأن يجر إلى أكبر منه إلى أن تحيط الخطايا فتبيح[1] الرزايا، و كان للتذكير بالمشاهدات و الأمور الواقعات ما ٥ ليس لغيره فى التأديب[2] و مرجع الترهيب، ذكر بما كان لبنى إسراءيل ترهيبا من مثل[3] حالهم، لئلا يوقع فى نكالهم، حين تقاعسوا عما أمروا به من فتح بيت المقدس من الله تعالى غضب من فعلهم ذلك فسماهم فاسقين و ضربهم بالتيه أربعين سنة، و أمات فى تلك الاربعين كل من توانى منهم فى ذلك، فلم يدخل إلى بيت المقدس منهم أحد، فحرموا[4] البلاد التى[5] ١٠ تقاعدوا / عن فتحها، و هى بعد مكة و المدينة خير بلاد الله تعالى و مهاجر ٣٢٠ / أبيهم إبراهيم عليه الصلاة و السلام و مواطن أبويهما[6] إسحاق و يعقوب عليهما الصلاة و السلام و أنزه الأرض، و أكثرها خيرا و أبركها، مع ما كانوا فيه من الضيق و النكد من التيه الذى هو طرد عن جناب الله بما أراد - بما أشار إليه التعبير عن زمنه بالسنين - إلى ما أبقوا بعدهم من ١٥ سوء الذكر و شناعة القالة إلى آخر الدهر فقال تعالى: ﴿و اذ﴾ عطفا على ما تقديره: اذكروا ما فعل بعضكم - بما أشرت إليه أول هذه الآيات

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فتنتج (٢) من ظ و فى الأصل و م: التادب.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: مثله (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فرموا.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ابيهما.

من الآداب من تنبيه الكفار بما قد يمنع من الفتح أو يكون سببا فى عسره أو [فى - [1]] إهلاك خلق [كثير - [1]] من عبادى الذين[2] خلقتهم فى أحسن تقويم من المؤمنين و غيرهم ، أو من الفرار من الكفار عند المقارعة ، أو التقاعس عن[3] اللقاء عند البعث عليه ، فآذى ذلك رسول الله
٥ صلى الله عليه و سلم الذى أذاه من أذى الله فحلم عنكم ، و قبل بما له من بليغ الرحمة بكم و الشفقة عليكم منكم[4] ، و كان أنهى ما عاتبكم به مرسله سبحانه النداء بما هو أدنى الأسنان فى الإيمان فى نظير إطلاقه على بنى إسرائيل الفسق بالوصف المؤذن بالرسوخ : و اذكروا حين ﴿قال موسى لقومه﴾ و هم - مع كونه منهم - ممن له قوة على ما يحاولونه :
١٠ ﴿ يٰقوم ﴾ استعطافا لهم و استنهاضا إلى رضى ربهم ﴿لم تؤذوننى[5]﴾ أى تجددون أذائى مع الاستمرار بالتوانى فى أمر الله و التقاعد عن فتح بيت المقدس مع قولى عن الله أنكم فاتحوها إن أطعتموه و أن الله أقسم لآبائكم أنه مانحكموها لامحالة .

و لما كان هذا الاستفهام الإنكارى موجبا لتوقع ما يأتى بعده من
١٥ موجب التعظيم بدل الأذى ، و التبجيل و الانقياد موضع التوقف و الإباء ، قال محققا بحرف التحقيق مضمون الكلام : ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تعلمون ﴾ أى علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم فى كل[5] وقت بتجدد أسبابه بما آتيتكم به من المعجزات و بالكتاب الحافظ لكم من الزيغ

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عند (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٥) سقط من ظ و م .

انى

﴿ انى رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له و رسوله أيضا يعظم[1] و يحترم لا أنه تنتهك جلالته و تخترم ﴿اليكم[2] ﴾ لا أقول لكم شيئا إلا عنه ، و لا أنطق عن الهوى ، فعصيانى عصيانه مع أنى ما قلت لكم شيئا إلا تم ، و إن كنتم قاطعين بخلافه فهى معصيته لا حامل عليها أصلا إلا رداءة الجبلات . و لما تحنن إليهم و استعطفهم و ذكرهم ما يعلمون من رسليته ٥ و صلته بالله بما شاهدوا من الآيات التى هى أعظم الإحسان إليهم ، أعلم أنهم أوشكوا العصيان ، فقال معبرا عن ذلك بالفاء تسبيبا عن هذا القول الذى هو أهل لأن[3] يسبب الثبات و تعقيبا و تقريبا : ﴿فلما زاغوآ ﴾ أى تحقق[3] زيغهم عن قرب عن أوامر الله فى الكتاب الآتى إليهم بما أبوا من قبول أمره فى الإقدام على الفتح ﴿ ازاغ الله ﴾ أى الذى له الأمر ١٠ كله ﴿ قلوبهم[4] ﴾ من الاستواء ، / و جمع الكثرة يدل على[4] أنه لم يثبت ٣٢١ / منهم إلا القليل فهزمهم بين يدى[5] أعدائهم و ضربهم بالتيه لأنهم فسقوا عن أمر الله [فالله - [6]] لا يهديهم ، فأسند الذنب إليهم و العقوبة إليه و إن كان الكل فعله تعليما لعباده الأدب و إعلاما بأن أفعالهم الاختيارية ينسب إليهم كسبها و يقوم به الحجة عليهم لعدم علمهم بالعاقبة ﴿و الله﴾ ١٥ أى الملك الأعظم الذى له الحكمة البالغة لأنه المستجمع لصفات[7] الكمال

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٣) زيد فى الأصل و ظ : منكم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) سقط من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ايدى (٦) زيد من م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الصفات .

﴿ لايهدى ﴾ أى بالتوفيق بعد هداية البيان ﴿ القوم الفسقين ۵ ﴾ أى العريقين فى الفسق[١] الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم على الفسق ضعف، فاحذروا[٢] أن تكونوا مثلهم فى العزائم فتساووهم فى عقوبات الجرائم - انتهى .

٥ و لما كان أذى النبى صلى الله عليه و سلم بمخالفة أمره تارة يكون مع العلم برسالته و الإقرار بها و تارة مع الإنكار ، و قدم العتاب على ما كان منه على تقدير التصديق ، و ذكر فيه بقصة موسى عليه الصلاة و السلام الذين[٣] كانوا يؤذونه مع العلم برسالته ، و هدد بما اتفق لهم من زيغ القلوب التى هى عماد الأبدان و صلاح الإنسان ، أتبعه ما يكون ١٠ منه عند فرض الإنكار . و لما كان رد المنكر تارة بالعقل و تارة بالنقل ، و كان الذى بالعقل يكون بنظر المعجزات و لا سيما إخراج الخبأ و قد[٤] كان منه فى قصة حاطب رضى الله تعالى عنه فى إخراج كتابه الذى اجتهد فى إخفائه و اجتهدت الظعينة[٥] الحاملة له فى كتمانه ما فيه مقنع[٦] فى العلم بالرسالة و تحقق الجلالة ، أتبع ذلك دليلا نقليا تأييدا للعقل مع ١٥ كونه دليلا على صحة الإخبار بازاغة قلوب بنى إسراءيل جزاء على زيغهم عن الحق فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا حين ﴿ قال عيسى ﴾ و وصفه

---

(١) من ظ و م . و فى الأصل : فسق (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : كما حذروا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٤) من م . و فى الأصل و ظ : ان (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الطبية - كذا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منع .

بما حقق[1] من هو فقال: ﴿ ابن مريم ﴾ أى لقوم موسى عليهما الصلاة و السلام الذين أرسل إليهم و ثبتت نبوته لديهم بالمعجزات مع[2] إخلاص الدعوة[3] لله [4]و تصديق[4] من كان قبله من أهل الله: ﴿يٰبنى اسرآءيل﴾ و ذكرهم[5] بما كان عليه أبوهم من الدين و ما وصى به نبيه من التمسك بالإسلام، و لم يعبر بالقوم كما قال موسى عليه الصلاة و السلام لأنه ٥ لا أب له فيهم [و -[6]] إن كانت أمه منهم، فان النسب إنما هو من جهـة الأب، و أكد لإنكار بعضهم فقال[7]: ﴿ انى رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم [8]الذى أحاط علمه بكل شىء[8] ﴿اليكم﴾ أى لا إلى غيركم، حال كونى ﴿مصدقا﴾ نصبه بما فى الرسول من رائحة الفعل و لم ينصب بـ «اليكم» لأنه صفة للرسول، و حروف الجر لا تعمل بأنفسها بل بما فيها ١٠ من معنى الفعل، فاذا[9] كانت صلات لم تكن متضمنة لمعنى فعل فلا تعمل، و هو الحرف الذى يسمى فى [غير -[10]] [11]الكتاب العزيز[11] [لغوا -[10]] ﴿لما بين يدىّ﴾ أى تقدمنى و كان من قبلى ﴿من التورٰىة﴾ التى تعلمون أن الله تعالى أنزلها على موسى / عليه الصلاة و السلام و هى أول الكتب /٣٢٢

(١) من م، و فى الأصل و ظ: يحقق (٢) من م، و فى الأصل و ظ: من. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الدعوى (٤-٤) من م، و فى الأصل و ظ: فتصديق (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل و ظ: تعالى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بل اذا (١٠) زيد من ظ و م (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل: كتاب الله.

التى نزلت بعد الصحف و حكم بها النبيون، فتصديق لها مع تأييدى[1] لها مؤيد لأن ما أقته[2] من الدلائل حق و مبين أنها دليلى فيما لم أنسخه منه كما يستدل الإنسان بما قدامه من الاعلام و راعيه ببصره .

و لما ذكر أول[3] الكتب ذكر[4] أيضا أول الأنبياء خلقا و آخرهم
٥ بعثا و هو[4] آخر الرسل ليكون فى ذلك إشارة إلى [أن - [5]] البشارة به فى التوراة و الإنجيل فقال : ﴿ و مبشرا ﴾ أى فى حال تصديق للتوراة . و لما كانت رسالته صلى الله عليه و سلم عامة لجميع الخلق لم يذكر فى رسالته حرف الغاية كما ذكر فى الرسالتين المذكورتين قبل فقال : ﴿ برسول ﴾ أى إلى كل من شملته المربوبية ﴿ ياتى ﴾ و لما كان إتيانه بعده بمدة طويلة أدخل الجار
١٠ فقال : ﴿ من بعدى ﴾ و لما كان الإتيان بغاية البيان و إزاحة اللبس بكل اعتبار أقعد فى العتاب لمن هفا[6] بعده و الأخذ لمن جفا فنقض عهده ، أتى بالاسم الذى [7]ما شارك[7] النبى صلى الله عليه و سلم فيه أحد فى زمانه و لاقبله أصلا ، و وزنـــه دال على المبالغة فى معناه فقال : ﴿ اسمه احمد ﴾ أى دال على أنه أبلغ الخلق حامدا و محمودا و هو اسمه
١٥ صلى الله عليه و سلم فى السماء التى[8] سيصير إليها هذا المبشر ، و فى تخصيصه بالذكر احتراز عن أن يتوهم أن البعدية فى الرتبة[9] لأنه يليح بتصديره

---

(١) من م ، و فى الأصل وظ : تابيد (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : افهمته .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : التربية .

بالهمزة التى هى أول الحروف مخرجا و أشد حروف الحلق الذى هو أول المخارج و تضمينه الميم إلى أنه صلى الله عليه و سلم كما أنه خاتم بما أشار إليه أشهر أسمائه و أعظمها "محمد" لابتدائه بالميم التى هى أمكن حروف الشفة التى هى خاتمة[١] للحروف لأن مخرجها آخر المخارج، لا نبى بعده فهو فاتح مقدم باعتبار الذكر و الشرف و الحكم بالوصف الشريف[٢] ٥ لا نبى قبله [٣]فى الخلق[٣] وجبت له النبوة و إن آدم لمنجدل فى طينته و بين الروح و الجسد كما فى الحديث الذى أخرجه أحمد[٤] عن ميسرة الفجر رضى الله عنه و الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه و أخرجه البيهقى فى أول دلائل النبوة و قال: إن معناه[٥] أنه كذلك فى قضاء الله و تقديره، و كأنه يريد قضاء مكتوبا فى أم الكتاب و مذكورا لمن أراد من الملائكة ١٠ قبل إتمام خلق آدم عليه الصلاة و السلام فانه يحتمل أنه سبحانه و تعالى لما صور آدم عليه الصلاة و السلام جعل طينته شفافة تشف عن ذريته و جعل لصالحيهم[٦] نورا [٧]يرى دون غيره[٧]، فلما رأوا أعظمهم نورا سألوا عنه فأخبرهم سبحانه و تعالى به و أثبت ما أراد من أوصافه فى أم الكتاب كما أنه كان نبيا بالإخبار فى دعوة [أبيه - [٨]] إبراهيم عليه ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخاتمة (٢) زيد فى الأصل: قبله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) راجع المسند ٥/٥٩ (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.
(٦) من م، و فى الأصل و ظ: لصالحهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م.
(٨) زيد من ظ و م.

الصلاة و السلام و ببشارة عيسى ابن مريم عليه الصلاة / و السلام و بأمارات /٣٢٣
النور الذى خرج من أمه كما فى الحديث الذى رواه البيهقى فى الدلائل
و غيره[١] عن العرباض بن سارية رضى الله عنه "انى عبد الله و خاتم النبيين"
و فى رواية «إنى عبد الله لخاتم النبيين و [إن -[٢]] آدم لمنجدل[٣] فى
٥ طينته و سأخبركم عن ذلك : دعوة أبى إبراهيم و بشارة عيسى [٤]بى و[٤]
رؤيا أمى التى رأت . و كذلك أمهات النبيين يرين » و أن أم رسول الله
صلى الله عليه و سلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام ،
فتأويل ذلك بذكره سبحانه [له -[٥]] لملائكته مثل تأويله بدعوة
إبراهيم عليه الصلاة و السلام فى قوله تعالى حكاية عنه " ربنا و ابعث
١٠ فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يزكيهم و يعلمهم الكتاب
و الحكمة " و بشارة عيسى عليه الصلاة و السلام فى مثل حكايته عنه فى[٦]
هذه الآية ، و تأويله بالنور الذى رأت أمه مثل تأويله بالنور الذى
يحتمل أن يكون الملائكة عليهم السلام [رأوا فى شفاف طينة آدم
عليه السلام -[٥]] و الله سبحانه و تعالى أعلم . و كانت سورة القتال
١٥ احق باسمه الدال على الختم لأن الختام محتاج إلى علاج فى [لأم -[٥]]
ما كان من صدع الافتراق ، و كذا سورة الفتح لما يلزمه من محاولة
المنغلق و إزالة الأغلاق ، و ختام السورتين بالميم عظيم المناسبة لذلك

---

(١) راجع مسند أحمد ١٢٧/٤ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منجدل (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل و ظ : مثله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

لأن الميم اسم لتمام الظاهر المقام بالألف، و [١] إلى ذلك [١] إشار رسم ألف التنوين في الفتح بعد الميم مع أنه لا يخلو من إشارة إلى أنه الفاتح مع كونه [٢] الخاتم، و يؤيد ذلك افتتاح السورة بأول حروف الاسم المليح إلى الفتح، وكانت هذه السورة أحق [به - [٣]] لأنه أدل دال على الاتفاق [٤] و اجتماع الكلمة دون اختلاف و افتراق، كما كان عند نزول ٥ آدم عليه الصلاة و السلام و [٥] بعده بمدة [٥]، و إلى ذلك أشار ختمها و ختم نظيرتها الصافات بالنون الذى [٦] هو مظهر مبين [٧] محيط بما أظهره، فهو مبشر لهذه الأمة بالاجتماع و الظهور على الاسم الذى يحيط آخره بجميع أهل الأرض على زمن المبشر عيسى عليه السلام المؤيد للبشر به بتجديد أمره و إقامة دينه صلى الله عليه و سلم، و آخر هذه نتيجة آخر الصافات بالحمد ١٠ الذى هو الإحاطة بأوصاف الكمال - و الله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: لذلك (٢) من ظ و م، و في الأصل: انه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: الاتقان (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل: بعد مدة (٦) العبارة من هنا الى «أعلم بالصواب» ساقطة من ظ (٧) من م، و في الأصل و ظ: من.

ذكر ما يصدق هذه الآية[1] من الإنجيل من تصديقه للتوراة

و بشارته بأحمد صلى الله عليه و سلم ، قال[2] : و كان رجل مريض اسمه العازر من بيت عنيا و هو أخو مريم و مرتا ، فأرسلت الأختان إلى يسوع أن / الذى تحبه مريض ، فأقام فى الموضع الذى هو فيه يومين ٣٢٤ /
٥ ثم[3] قال لتلاميذه : امضوا بنا إلى اليهودية ، فقال[4] له تلاميذه : الآن يا معلم أراد اليهود رجمك[5] و أنت تريد المضى إليهم ، فقال : إن العازر حبيبنا قد نام ، فانا انطلق فأوقظه ، فقالوا : يا سيدنا ، إن كان نائما فهو يستيقظ ، فقال : العازر مات ، فأقبلوا إلى بيت عنيا ، فاذا له أربعة أيام فى القبر و كانت بيت عنيا من يروشليم على [نحو -[6]] خمس عشرة
١٠ غلوة ، و كان كثير من اليهود [قد -[7]] جاؤا إلى مرتا و مريم يعزوهما ، فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لتلقاه[8] فقالت له : يا سيد[9] ، لو كنت ههنا لم يمت أخى و أنا أعلم أن الله يعطيك كل ما سألته ، قال : سيقوم أخوك ، قالت : أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة ، ثم جاءت[10] مريم

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : الامة (٢) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ١١ من إنجيل يوحنا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فقالوا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يرحمك (٦) زيد من ظ . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ايه تلقاه (٩) فى ظ : سيدى (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : قامت .

للقائه، فظن اليهود الذين [كانوا - [1]] يعزونها أنها[2] تذهب إلى القبر فتبعوها، فلما انتهت إلى المكان الذى كان فيه يسوع خرت على قدميه ساجدة، فلما رآها تبكى و رأى اليهود الذين كانوا معها قال: أين وضعتموه؟ فقالوا له: ياسيد، تعال و انظر، فدمع يسوع فقال اليهود: انظروا كيف كان يحبه، فقال ناس منهم: أما كان هذا الذى فتح عينى الأعمى يقدر ٥ أن يجعل هذا لا يموت، فجاء إلى القبر و كان مغارة و عليه حجر موضوع فقال: ارفعوا الصخرة، فقالت له مرتا أخت الميت: ياسيد، إنه[3] قد أنتن لأن له أربعة أيام، قال لها[4] يسوع: ألم أقل لك إن آمنت رأيت مجد الله، فرفعوا الصخرة فرفع يسوع بصره إلى فوق و قال: أشكرك، لأنك تسمع لى، أقول هذا من أجل هذا الجمع ليؤمنوا أنك أرسلتنى، قال هذا القول ١٠ و نادى بصوت عظيم و صاح: عازر اخرج، فخرج الميت و يداه و رجلاه ملفوفة باللفائف و وجهه ملفوف بعمامة، فقال يسوع: حلوه و دعوه [5]يمضى، و[5] إن كثيرا من اليهود الذين جاؤا إلى مريم لما رأوا ما صنع يسوع آمنوا، و مضى قوم منهم إلى الفريسيين فأخبروهم، فجمع[6] عظماء الكهنة و الفريسيون[7] محفلا فقالوا: ما ذا نصنع إذ كان هذا الرجل يعمل ١٥ آيات كثيرة و إن تركناه فيؤمن به[8] جميع الناس و تأتى الروم فتنقلب

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) سقط من م (٥ - ٥) من م، و فى الأصل وظ: يعنى (٦) من ظ و م، وفى الأصل: فجمعوا (٧) فى ظ و م: الفريسيين.
(٨) زيد فى الأصل: ناس كثير و يتبعهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

على أمتنا و موضعنا ، و إن واحدا منهم اسمه قيافا كان أعظم الكهنة في تلك السنة قال لهم : إنه[1] خير لنا أن يموت[2] واحد من الشعب من أن تهلك الأمة كلها - إلى آخر ما مضى في النساء عند قوله تعالى « و ما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم » الآيات ، رجع إلى متى[3] قال : حينئذ
٥ ذهب الفريسيون و تشاوروا ليصطادوه بكلمة فأرسلوا إليه تلاميذهم و الهردوسيين قائلين[4] : يا معلم ، قد علمنا أنك محق و طريق الله بالحق تعلم و لا تبالي بأحد و لا تنظر لوجه إنسان[5] فقل لنا ما عندك ، أيجوز لنا أن نعطي الجزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع شرهم فقال : لما ذا تجربوني يا مراؤن أروني[6] دينار الجزية ، فأتوه بدينار فقال لهم يسوع : لمن هذه /٣٢٥
١٠ الصورة و الكتابة ؟ فقالوا : لقيصر ، حينئذ قال[7] لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر و ما لله لله ، فلما سمعوا تعجبوا و تركوه و مضوا ، و قال يوحنا[8] : فقال يسوع : أنا ماكث[9] فيكم زمانا يسيرا ، ثم انطلق إلى من أرسلني و تطلبوني فلا تجدوني ، و حيث أكون أنا [10]لستم تقدرون[10] على المجيء إلى

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ان (٢) من ظ و م ، و في الأصل : يمت ، و زيد بعده في ظ : رخل (٣) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ٢٢ (٤) من م ، و في الأصل و ظ : قالوا (٥) زيد في الأصل : ابد ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ ، و في الأصل و م : ادوني (٧) من ظ و م ، و في الأصل : فقال (٨) راجع آية ٣٣ فما بعدها من الأصحاح ١٣ (٩) من ظ ، و في الأصل : ما مكثت ، و في م : مكثت (١٠-١٠) من ظ و م ، و في الأصل : لم تقدروا .

فقال اليهود فيما بينهم: إلى أين هذا مزمع[1] ان يذهب حتى لا نجده، لعله مزمع أن يذهب إلى منفى اليونانيين، و قال متى[2]: و فى اليوم جاء إليه الزنادقة القائلون: ليس قيامة، و سألوه - فذكر سؤالهم و جوابه لهم إلى أن قال فى آخر جوابه: أما قرأتم ما قيل لكم من الله، و قال مرقس: فى سفر موسى قول الله على العوسج إذ قال: أنا هو إله إبراهيم و إله ٥ إسحق و إله يعقوب و أنتم تضلون كثيرا، و عبارة لوقا: فقد[3] نبأ بذلك موسى فى العليقة كما قال الرب: أنا إله إبراهيم و إله إسحق و إله يعقوب، و قال متى: فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه، فلما سمع ذلك الفريسيون أنه قد أبكم الزنادقة اجتمعوا عليه جميعا و سأله[4] كاتب منهم ليجربه قائلا: يا معلم! أى الوصايا أعظم فى الناموس؟ قال له يسوع: تحب الرب ١٠ إلهك من كل قلبك، و قال: اسمع، يا إسراعيل، الرب إلهك واحد هو، و تحب إلهك من كل قلبك - انتهى، و من كل نفسك و من كل فكرك، هذه الوصية الأولى العظيمة، و الثانية[5] التى تشبهها أن تحب قريبك مثل[6] نفسك، قال مرقس: ليس وصية أعظم من هاتين - انتهى، فى الوصيتين سائر الناموس[7] و الأنبياء يتعلق، قال مرقس: فقال له الكاتب: فحينئذ ١٥ يا معلم الحق قلت أنه واحد ليس آخر غيره، و أن تحبه من كل القلب

(١) من م، و فى الأصل و ظ: تزمع (٢) راجع آية ٣٣ فما بعدها من الأصحاح ٢٢.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: و انا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: سالوه.
(٥) من ظ، و فى الأصل و م: الثانى (٦) من ظ و م، و فى الأصل و من.
(٧) من م، و فى الأصل و ظ: النوموس.

و من كل النية و من كل النفس و من كل القوة ، و تحب القريب مثلك ،
هذه أفضل من جميع الذبائح و المحترقات ، فلما رأى يسوع عقله أجابه
قائلا : لست بعيدا من ملكوت الله ، و قال لوقا[1] : فقال ليسوع : و من
هو قريبي ؟ قال يسوع : كان رجل نازلا من يروشليم إلى أريحا ، فوقع
٥ بين اللصوص فسلبوه[2] و جرحوه و مضوا و تركوه مثخنا[3] قريب الموت ،
و اتفق أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فأبصره و جاز[4] ، و كذلك لاوى
جاء إلى المكان فأبصره و جاز ، و إن سامريا[5] جاز به ، فلما رآه تحنن
و دنا منه[6] و ضمد جراحاته و حمله على دابته و جاء به إلى الفندق و عنى
بأمره[7] ، و فى الغد أخرج بدينارين أعطاهما لصاحب الفندق و قال : أهتم به /٣٢٦
١٠ فإن أنفقت[8] عليه أكثر من / هذين دفعت لك عند عودتى ، فمن من
هؤلاء الثلاثة تظن أنه قد صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ، فقال له :
الذى صنع معه رحمة ، فقال له يسوع : اذهب أنت و افعل هكذا ، و قال
مرقس : فلم يتجرأ أحد أن يسأله ثم قال : و كانت جماعة كثيرة يسمعون
منه بشهوة ، و قال يوحنا : و آمن باسمه عند كونه بأيروشليم فى عيد الفسح
١٥ كثير لأنهم عاينوا الآيات التى عمل ، ثم قال : و كان رجل من الفريسين
اسمه نيقوديميس رئيسا لليهود أتى إلى يسوع ليلا و قال له : [يا -[9]] معلم

(١) راجع آية ٩ فما بعدها من الأصحاح ١٠ . (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فلبسوه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منحا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : جاور .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ساميا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : « و »
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به امر (٨) من م ، و فى الأصل وظ : انفق .
(٩) زيد من ظ و م .

نحن

نحن نعلم أنك من الله أتيت معلما لأنه ليس يقدر أحد أن يعمل هذه الآيات التى تعمل [1]أنت إلا من كان[1] الله معه، قال متى[2]: و حينئذ كلم يسوع الجمع و تلاميذه و قال: على كرسى موسى جلس الكتبة و الفريسيون و كل ما قالوه لكم احفظوه أنتم و افعلوه، و مثل[3] أعمالهم لاتصنعوا لأنهم يقولون و لايفعلون، لأنهم يربطون أحمالا ثقالا صعبة الحمل و يحملونها ٥ على أعناق الناس و لايريدون أن يحركوها باصبعهم، و كل أعمالهم يصنعونها لكى يراؤوا الناس، يعرضون أردينهم و يعظمون أطراف ثيابهم، و يحبون أول الجماعات فى الولائم و صدور المجالس فى المجامـع و السلام فى الأسواق، و أن يدعوهم الناس معلمين، فأما أنتم فلا [تدعوا -[4]] لكم معلما على الأرض و لا مدبرا فان مدبركم واحد هو المسيح، و أنتم جميعا ١٠ إخوة، و لا تدعوا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحد، هو الذى فى السماوات، و الكبير الذى فيكم يكون لكم خادما، فمن رفع نفسه اتضع، و من وضع نفسه ارتفع، الويل لكم أيها الكتبة و الفريسيون، لأكلكم بيوت الأرامل و الأيتام، لعلة تطويل صلاتكم، و من [أجل -[4]] هذا تأخذون أعظم دينونة، الويل لكم أنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام ١٥ الناس فلا أنتم تدخلون و لاتتركون الداخلين يدخلون. الويل لكم أنكم تطوفون البر و البحر لتصطفوا[5] غريبا واحدا، فاذا صار صيرتموه لجهنم ابنامضعفا، لكم الويل يا [أيها] الهداة العميان الذين يقولون: من حلف بالهيكل

(١-١) سقط من ظ وم (٢) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ٢٣ (٣) من ظ وم، و فى الأصل: مثلهم (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، و فى الأصل: لتعطفوا.

فليس عليه شيء، و من حلف بذهب الهيكل يخطئ ، أيها الجهال العمى
أيما أعظم ؟ [١] الذهب ام الهيكل [١] الذى يقدس الذهب ، و من حلف بالمذبح
فلا شيء ، و من حلف بالقربان الذى فوقه فهو يخطئ [٢] يا جهال و عميان ،
أيما أعظم ؟ القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ و من حلف بالمذبح
٥ فقد حلف به و بكل ما فوقه ، و من حلف بالهيكل فهو [٣] يحلف به
و بالساكن فيه ، و من حلف بالسماء [٣] فهو يحلف بكرسى الله و بالجالس
عليه ، الويل لكم أنكم تعشرون الشبث و النعنع و الكمون و تتركون أثقل [٤]
الناموس الحكم و الرحمة و الإيمان ، و قال لوقا [٥] : تعشرون النعنع و السداب
/ ٣٢٧ / و كل البقول ، و ترفضون حكم الله و محبته ، قد كان ينبغى أن [٦] تعقلوا
١٠ هذا و لا تغفلوا [٧] عن تلك - انتهى ، ياهداة عميان الذين يتركون البعوضة
و يبلعون الجمل ، الويل لكم أنكم [٨] تنقون خارج [٨] الكاس [٣] و السكرجة
و داخلهما مملوء اختطافا و ظلما ، أيها الأعمى ، نق أولا داخل الكأس
و السكرجة [٣] لكيما يتطهر خارجهما ، و قال لوقا : اعطوا الرحمة فكل [٩]
شيء يتطهر لكم - الويل لكم لأنكم [١٠] لاتشبهون القبور المكلسة التى ترى من

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : الهيكل أم الذهب (٢) فى الأصل بياض
ملأناه من ظ و م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م ، و فى
الأصل : فعن (٥) راجع آية ٤٢ من الاصحاح ١١ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل :
بان (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لايعقلون (٨-٨) من ظ و م ، و فى
الأصل : تتركون و تتقون خاج (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : لكل (١٠) من
ظ و م ، و فى الأصل : لا منكم .

خارجها حسنة و داخلها مملوء عظام[1] الأموات و كل نجس، و قال لوقا: لانكم مثل القبور المخفية[2] و الناس يمشون عليها و لا يعلمون ـ انتهى، و كذلك أنتم ترون[3] الناس ظواهركم[4] مثل الصديقين، و من داخل ممتلئون[5] إثما و رياء، قال لوقا: و أنتم أيها الكتبة الويل[6] لكم لانكم تحملون أوساقا[7] وأثقالا وأنتم لا تدنون منها باحدى أصابعكم، الويل لكم لانكم أخذتم ٥ مفاتيح الغرفة فما دخلتم، و منعتم الذين[8] يريدون الدخول[8] ـ انتهى، الويل لكم لانكم تبنون قبور الانبياء، قال لوقا: الذين قتلهم آباؤكم ـ انتهى، و تزينون مدافن[9] الصديقين و تقولون: لوكنا فى أيام آبائنا لم نشاركهم فى دم الأنبياء، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء إنكم تكملون مكيلة آبائكم، أيها الحيات أولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم، ١٠ [من أجل [10]] هذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء و كتبة فتقتلون منهم و تصلبون و تجلدون منهم فى مجامعكم[11] وتطردونهم[12] من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم دم الصديقين المسفوك على الأرض، و قال لوقا: و انتم تشهدون

(١) من ظ وم، و فى الأصل: عظاما (٢) من ظ وم. و فى الاصل: المخبية. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تراون (٤) فى ظ: ظاهرهم، و فى م: ظاهرون (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مملوون (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الاثم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أوزارا (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: يريد الدين (٩) من ظ و م، و فى الأصل: مداين (١٠) زيد من ظ وم (١١) زيد فى الأصل: ومن، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها. (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: تطرونهم.

و تسرون بأعمال آبائكم لأنهم قتلوهم و أنتم تبنون قبورهم، و لهذا قالت حكمة الله : هوذا أرسل إليهم أنبياء و رسلا فيقتلون منهم و يطردونهم لينتقم عن دم جميع الأنبياء الذى أهريق من أول العالم إلى هذا الجيل . و قال متى[1] : من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن براشيا الذى
٥ قتلتموه بين الهيكل و المذبح[2] ، الحق أقول [لكم -[3]] إن هذا كله يأتى على هذا الجيل ، يا أروشليم ، يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين[4] إليها كم من مرة [أردت -[3]] أن أجمع بنيك فيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ، هو ذا يترك بيتكم لكم خرابا ، أنا أقول لكم : إنى لا ترونى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب ، [و -[3]] قال مرقس[5] : ثم
١٠ جاء يسوع عند باب الخزانة ينظر[6] الجمع يأتى نحاسا فى الخزانة و أغنياء كثير ألقوا كثيرا ، فجاءت / امرأة أرملة مسكينة ، فألقت فلسين فاستدعى /٣٢٨ تلاميذه و قال لهم : الحق أقول لكم ، إن هذه الأرملة المسكينة ألقت أكثر من الكل الذين ألقوا فى الخزانة ، لأن الكل القوا من فضل ما عندهم ، و هذه ألقت مع مسكنتها كل ما لها ، ثم خرج من الهيكل -
١٥ انتهى . هذا ما فيه الدلالة على الرسالة و تصديق التوراة ، و أما البشارة بمحمد صلى الله عليه و سلم فقد تقدم فى هذا الكتاب مفرقا فى السور[7]

(١) راجع آية ٢٩ فما بعدها من الاصحاح ٢٣ (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : مذبح (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : المسلمين (٥) راجع آية ٤١ فما بعدها من الأصحاح ١٢ (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : ينتظر (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : السورة .

كالأعراف و النساء و غيرهما ، و قال ابن هشام فى تهذيب السيرة[1] النبوية[2] جمع ابن إسحاق ، قال ابن إسحاق : و قد كان فيما بلغنى عما كان وضع[3] عيسى ابن مريم عليهما الصلاة و السلام فيما جاءه[4] من الله تعالى فى الانجيل[4] [لأهل الإنجيل -[5]] من صفة[6] رسول الله صلى الله عليه و سلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن ٥ مريم [فى -[6]] رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، و لولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، و لكن من الآن[7] بطروا و ظنوا[7] أنهم يعزوننى و أيضا للرب و لكن لابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس أنهم أبغضونى مجانا أى باطلا فلو[8] قد جاء المنحمنا هذا الذى[9] يرسله الله إليكم من عند ١٠ الرب روح القدس[10] هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد علىّ و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى [فى -[6]] هذا قلت لكم لكى [لا -[11]] تشكوا . فالمنحمنا بالسريانية محمد صلى الله عليه و سلم و هو بالرومية

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة (٢) راجع ١ / ٨٠ (٣) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : موضع (٤-٤) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : من الانجيل من الله تعالى (٥) زيد من السيرة (٦) من السيرة ، و فى الأصل و م : عهد عيسى بن مريم ، و العبارة ساقطة من ظ (٧-٧) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : نطرق (٨) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : فلولا (٩) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : الدين (١٠) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : القسط (١١) زيد من ظ و م و السيرة .

البارقليطس ـ انتهى .

و لما تم الدليل النقلى على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و على كونه أشرف الأنبياء فاتحا لهم و خاتما عليهم، دل [على] إلزام بنى إسراءيل[1] الزيغ فقال: ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى عيسى أو محمد صلى الله عليهما و سلم

٥ بنى إسرايل و[2] غيرهم ﴿ بالبيّنت ﴾ أى [من ـ[3]] المعجزات العظيمة التى لا يسوغ لعاقل إلا التسليم لها و [من ـ[3]] الكتاب المبين ﴿قالوا﴾ أى عند[4] مجيئها سواء من غير نظرة لتأمل و لا غيره: ﴿ هذا ﴾ أى المأتى به من البينات أو الآتى بها على المبالغة كما دل عليه قراءة حمزة[5] "ساحر" إشارة بالإشارة [إلى القريب بعد الإشارة ـ[3]] بفاء التعقب إلى شدة

١٠ اتصال الكفر بأول أوقات المجيء: ﴿ سحر ﴾ فكانوا أول كافر به[6]، لأن هذا[6] وصف لهم لازم [سواء ـ[7]] بلغهم ذلك و[8]هم بمفردهم أو منضما إليهم غيرهم ﴿ مبين ﴾ أى فى البيان فى سحريته حتى أن شدة ظهوره فى نفسه مظهرة لكل من رآه أنه سحر عنادا منهم و مكابرة للحق الذى لا لبس فيه .

١٥ و لما كان التقدير إعلاما بأنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب : فمن

٢ / أظلم منهم لتهتكهم فى ذلك ، / عطف عليه قوله: ﴿و من اظلم﴾ و عم[9]

(١) زيد فى الأصل : و غيرهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : أو (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، فى الأصل عنده (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٣٦٢ (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنه (٧) زيد من ظ (٨) سقطت الواو من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : هم .

كل من اتصف بوصفهم فقال: ﴿ممن افترى﴾ أي تعمد ﴿ على الله ﴾ أي الملك الأعلى ﴿ الكذب ﴾ الذي هو أقبح الأشياء ﴿و هو﴾ أي و الحال أنه ﴿يدعى[1]﴾ أي من أي داع كان ﴿ الى الاسلام[2] ﴾ الذي هو أحسن الأشياء فيكفي في الدعاء إليه أدنى تنبيه لأنه الاعتراف بالحق لمن هو له، فيجعل مكان الإجابة افتراء الكذب في [تلك الحالة -[1]] الحسنى. ٥

و لما كان التقدير: فهو لا يهديه الله لأجل ظلمه، عطف عليه قوله: ﴿و الله﴾ أي الذي له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ﴿لا يهدى القوم[2]﴾ أي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة المحاولة للأمور الصعاب[3] ﴿ الظلمين ﴾ أي الذين يخبطون في عقولهم خبط من هو في الظلام.

و لما أخبر عن ردهم للرسالة، علله بقوله: ﴿ يريدون ﴾ أي يوقعون ١٠ إرادة ردهم للرسالة بافترائهم ﴿ليطفؤا﴾ أي لأجل أن يطفؤا ﴿نور الله﴾ أي الملك الذي لا شيء يكافيه ﴿بافواههم﴾ أي بما يقولون من الكذب[4] لامنشأ له غير الأفواه لأنه لا اعتقاد له في القلوب لكونه[5] لا يتخيله عاقل، فهم في ذلك كالنافخين في الشمس إرادة أن يمحو نفخهم عينها و[6] ينقص شينهم زينها، فمثل إرادتهم لإخفاء القرآن بتكذيبهم و جميع كيدهم بمن[7] ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) وقع في الأصل بعد «الصعاب» والترتيب من ظ و م.
(٣) زيد في الأصل: اى الفرقة و الطائفة الذين طبعهم الكذب على الله، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد في الأصل: الذى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من م. و في الأصل و ظ: لأنه (٦) من ظ و م، و في الأصل: أو (٧) من ظ و م، و في الأصل: كن.

يريد إطفاء الشمس بنفخه فهو فى أجهد الجهد و أضل الضلال :

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها[1] بضريب

فأفاد قصر الفعل أن إرادتهم كلها مصروفه لهذا الغرض و أنه لا إرادة لهم غير ذلك و أنه لاينبغي أن يكون [لهم -[2]] إرادة لأنهم عبيد ، و الإرادة ٥ لاينبغى[3] إلا للسيد ليكون إرادة العبد تابعة لها ، فتكون امتثالا لإرادته ، فكأنه لا إرادة له ، فهو أبلغ[4] مما فى براءة[4] لأن هذه نتيجتها .

و لما أخبر بعلة إرادتهم و أشار إلى وهى أمرهم بعد أن أخبر بردهم للحق وجرأ عليهم بالإخبار باضلالهم[5] ، زاد ذلك بقوله مظهرا غير مضمر تنبيها على [جميع -[2]] صفات الجلال و الإكرام : ﴿ والله ﴾ ١٠ أى الذى لا مدافع [له -[6]] لتمام عظمته . و لما كانت هذه السورة نتيجة سورة براءة التى أخبر فيها بأنه يأبى إلا إتمام نوره ، أخبر فى هذه بنتيجة ذلك و هى ثبات تمام النور و دوامه ، لأن هذا شأن الملك الذى لا كفوء له إذا إراد شيئا فكيف إذا أرسل[7] رسولا فقال : ﴿ متم ﴾ و هذا المعنى يؤيد قول الجمهور [أنها -[2]] مدنية بعد التأييد بذكر الجهاد ، فان ١٥ فرضه كان[8] بعد الهجرة من و الظاهر من ترتيبها على الممتحنة التى نزلت فى غزوة الفتح / أنها بعد براءة فى النزول أيضا . /٣٣٠

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : ان يكون ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مايراد (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بضلالهم (٦) زيد من م .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ارسله (٨) سقط من م .

و لما

و لما كان النور لإظهار صور الأشياء بعد انطماسها سببا لوضع الأشياء فى أتقن مواضعها ، و كان ما أتى من عند الله من العلم كذلك ، جعل عينه فأطلق عليه اسمه فقال : ﴿ نوره ﴾ فلا يضره[1] ستر أحد له بتكذيبه و لا إرادة إطفائه ، و زاد ذلك بقوله : ﴿ و لو كره ﴾ أى إتمامه [له -[2]] ﴿ الكفرون ﴾ أى الراسخون فى صفة الكفر[3] المجتهدون فى ٥ المحاماة عنه .

و لما أخبر بذلك ، علله بما هو شأن كل ملك فكيف بالواحد فى ملكه فقال : ﴿ هو ﴾ أى الذى ثبت أنه جامع لصفات الجمال و الجلال وحده من غير أن يكون له شريك أو وزير ﴿ الذى ارسل ﴾ [4]بما له من القوة و الإرادة[4] ﴿ رسوله ﴾ أى الحقيق بأن يعظمه كل من بلغه ١٠ أمره لأن عظمته من عظمته ، و لم يذكر حرف الغاية إشارة إلى عموم الارسال إلى كل من شمله الملك كما مضى ﴿ بالهدى ﴾ أى البيان الشافى ﴿ و دين الحق ﴾ أى الملك الذى ثباته لا يدانيه ثبات ، فلا ثبات لغيره ، فثبات هذا الدين بثباته ، و يجوز أن يكون المعنى : و الدين الذى هو الحق الثابت فى الحقية[5] الكامل فيها كمالا ليس لغيره ، فيكون من إضافة ١٥ الموصوف إلى صفته اشارة إلى شدة التباسه بها[6] ﴿ ليظهره ﴾ أى يعليه

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يضر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و م : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الحقيقة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به .

مع الشهرة و إذلال المنازع ﴿ على الدين ﴾ أى جنس الشريعة التى تجعل
ليجازى من يسلكها و [1]من يزيغ[1] عنها، بها يشرع فيها من الأحكام
﴿ كله ﴾ فلا يبقى دين إلا كان دونه و انمحق به و ذل أهله له ذلا
لايقاس به ذل ﴿ و لوكره ﴾ أى[2] إظهاره ﴿ المشركون ع ﴾ أى المعاندون
٥ فى كفرهم[3] الراسخون فى تلك المعاندة، و أعظم مراد بهذا أهل العناد
بيدعة الاتحاد، فانهم ما تركوا شيئا مما سواه حتى أشركوا به - تعالى
[الله -[4]] عما يقولون علوا كبيرا، - و هم مع بعد نحلتهم من العقول
و فسادها من الأوهام و مصادمتها لجميع النقول فى غاية الكثرة لمصير الناس
إلى ما وعد الله و رسوله - [و صدق الله و رسوله -[4]] - من أن
١٠ أكثرهم قد مرجت عهودهم[5] وخفيت أماناتهم[6] وصاروا حثالة كحثالة التمر لا يعبأ
الله بهم، لكنهم على كثرتهم بما تضمنته هذه الآية فى أمثالها فى غاية الذل
و لله الحمد لاعز لهم إلا باظهار الاتباع للكتاب[7] و السنة و هم يعلمون
أنهم يكذبون فى هذه الدعوى لأنهم فى غاية المخالفة لهما[8] بحيث يعتقدون
أنهما شرك لإثباتهما لله تعالى وجودا يخالف وجود الخلق و هم يقولون
١٥ مكابرة للضرورة ان الوجود واحد و أنه لاموجود ظاهرا و باطنا سواه،
و لذلك سموا الوجود به ثم[9] لايردهم عليهم / بذلهم وأنهم لا عز لهم إلا ٣٣١ /

(١ - ١) من ظ و م، و فى الاصل: يغيب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٣) زيد فى الأصل و م: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عقولهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: امارانهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لكتاب. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: وكذا.

بحمى الشريعة عن ضلالهم فأعجب لذلك و ألجأ إلى الله تعالى بسؤال العافية ، فان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، وضربهم بالذل مع كثرتهم فى[1] غاية الدلالة على الله سبحانه لأن الملك الكامل القدرة لا يقر من يطعن فى ملكه و يسعى فى رد رسالته و إهانة رسله ، و لقد أنجز سبحانه كثيرا من وعده بما دل[2] - لكونه تغليبا على أقوى الملوك ٥ من الأكاسرة والقياصرة[3] - على القدرة على الباقين ، و ذلك أنه لما تقاعد قومه عن نصرته و انتدبوا لتكذيبه و جحد[4] ما شاهدوه من صدقه يسر[5] الله له أنصارا من أمته هم [6]نزاع القبائل[6] و أجاد الأفاضل و سادات الأماثل فبلغوا فى تأييده أقصى الأمل .

و لما أنتج هذا كله نصر رسول الله صلى الله عليه و سلم على كل ١٠ حال و دمار من يخالف أمره ، أنتج قطعا أن الجهاد معه [7]متجر رابح[7] لأن النصر مضمون ، و المـوت منهل لابد من وروده سواء خاض الإنسان الحتوف أو احترس فى القصور المشيدة ، فقال تعالى فى أسلوب النداء و الاستفهام لأنه أفخم و أشد تشويقا[8] بالأداة التى لا يكون ما بعدها إلا بالغا فى العظم إلى النهاية : ﴿ يٰاَيها الذين 'امنوا ﴾ أى قالوا ١٥

(١) من م ، و فى الاصل وظ : على (٢) زيد فى الأصل وظ : عليه ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الا قاصرة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : جحدوا (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : يسره (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يراع القلائل (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : متجرا رابحا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تسويقا .

[في -[1]] إقرارهم بالإيمان ما عليهم أن يفعلوا بمقتضاه ﴿ هل ادلكم ﴾ و أنا المحيط علما و قدرة ، فهى إيجاب فى المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشويقا ليكون أوقع فى النفس فتكون له أشد تقبلا ، و الآية أيضا نتيجة ما مضى باعتبار آخر[2] لأنه لما وبخ على انحلال العزائم و أخبر ٥ بما يجب من القتال ، و بكت على أذى الرسول صلى الله عليه و سلم بالمخالفة ، و أخبر أن من خالفه لا يضر إلا نفسه ، كان موضع الاشتياق فى طاعته فرتب عليه الاشتياق إلى[3] ذكر ثمرته فذكرها ، و لما [كان -[4]] فعل حاطب رضى الله عنه لأجل أن[5] لا يجاح أهله الذين كانوا بمكة فى أنفسهم و لا فى شيء من مالهم ، و كان هذا فى معنى التجارة قال: ١٠ ﴿ على تجارة ﴾ و قراءة ابن عامر[6] ﴿ تنجيكم ﴾ بالتشديد أنسب لهذا المقام من قراءة الجماعة بالتخفيف ، و قراءة الجماعة أنسب لمقصود[7] حاطب رضى الله عنه ﴿ من عذاب اليم ﴾ بالإجاحة[8] فى النفس أو[9] المال .

و لما كان الاتجار إجهاد النفس فى تحصيل [الربح النافع ، و كان الإيمان و الجهاد أعظم إجهاد النفس فى تحصيل - [1]] الجنة الباقية التى ١٥ لا ربح[10] يوازيها ، فاستعار لها / اسمها ، و كان جواب النداء الإقبال / ٣٣٢

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : امر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٦) راجع نثر المرجان ٧/٣٢٩ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : امقود (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالاجابة (٩) من م و فى الأصل و ظ « و » (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : تحصيل .

و جواب

و جواب الاستفهام نعم، عدوا كأنهم أقبلوا و انعموا تنبيها على ما هو الأليق بهم، فاستأنف[1] لهم بيان التجارة بأنه الجمع بين الإيمان الذى هو أساس الأعمال كلها، و الجهاد بنوعيه المكمل للنفس و المكمل للغير فقال[2]: ﴿تؤمنون﴾ [أى -[3]] آمنوا بشرط تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار ﴿ بالله ﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿ و رسوله ﴾ الذى تصديقه آية ٥ الإذعان المعنوية و الخضوع لكونه ملكا ﴿و تجاهدون﴾ أى و جاهدوا[4] بيانا لصحة إيمانكم على سبيل التجديد و الاستمرار. و يدل على أنهما[5] بمعنى الأمر ما[6] أرشد إليه جزم ما أقيم فى موضع الجواب مع قراءة عبد الله رضى الله عنه: آمنوا و جاهدوا - بصيغة الأمر ﴿فى سبيل الله﴾ اى بسبب تسهيل طريق الملك الأعظم الموصل إليه الذى لا أمر لغيره بحيث يكون ١٠ ظرفا[7] لكم فى [جميع - [8]] هذا الفعل فلا شىء يكون منه خارجا عنه ليكون خالصا بفتح بلد الحج ليسهل الوصول إليه من كل من أراده و غير ذلك من شرائعه فتكونوا ممن يصدق فعله قوله، و هـذا المعنى لا وقفة فيه لأنه فرق بين قولنا: فلان فعل كذا - الصادق بمرة، و بين قولنا بفعله الدال[9] على أن فعله[10] قد صار ديدنا له، فالمعنى: يا من فعل ١٥

---

(١) فى ظ و م: فاستؤنف (٢) فى ظ و م: فقال (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بجاهدوا (٥) من ظ و م، و فى الاصل: ان على (٦) من ظ و م. و فى الأصل: كما (٧) من ظ و م، و فى الاصل: طريقا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الصادق (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: قوله.

الإيمان إن أردتم النجاة فكونوا عريقين فى وصف الإيمان حقيقين به ثابتى الإقدام فيه و أديموا الجهاد دلالة على ذلك فان الجهاد لما فيه من الخطر و المشقة و الضرر أعظم دليل على صدق الإيمان، و يؤيد ذلك أن السياق لقصة حاطب رضى الله عنه المفهمة فى الظاهر لعدم الثبات فى ٥ الإيمان و إرادة[1] الجهاد الدال على المصدق فيه، و لذلك[2] قال عمر رضى الله عنه ما قال- و الله الهادى.

و لما كان الجمع بين الروح و عديلها المال على وجه الرضى و الرغبة أدل على صحة الإيمان، قال: ﴿ باموالكم ﴾ و قدمها لعزتها فى ذلك الزمان و لأنها قوام الأنفس و الأبدان، فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لأن[3] ١٠ المال[4] قوامها. و لما قدم القوام أتبعه القائم به فقال: ﴿ و انفسكم[5] ﴾ و لما أمر بهذا فى صيغة الخبر اهتماما به و تاثيدا لشأنه. أشار إلى عظمته بمدحه قبل ذكر جزائه، فقال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم من الإيمان و تصديقه بالجهاد ﴿ خير لكم ﴾ أى خاصة مما تريدون من الذبذبة بمناصحة / الكفار ﴿ ان كنتم ﴾ أى بالجبلات الصالحة ﴿ تعلمون ﴾ أى ٣٢٣ / ١٥ إن كان يمكن أن يتجدد لكم علم فى وقت[5] من الأوقات[5] فأنتم[6] تعلمون أن ذلك خير لكم، فاذا علمتم، أنه خير[7] أقبلتم عليه فكان لكم به أمر

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اراد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: لأنها (٤) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فايكم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: خيرا.

عظيم، و إن كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء لصلاحها فصلوا على أنفسكم صلاة الموت.

و لما كان معنى[1] «تؤمنون»: فالأمر كما تقدم، لكنه حول عن ذلك لما ذكر، و كان أهم ما إلى الإنسان خوفه [2]مما هدد عليه، أمن[2] سبحانه من ذلك دالا[3] على أصل الفعل بجزم ما هو في موضع الجواب ٥ فقال: ﴿ يغفر لكم ﴾ أي خاصة دون من لم يفعل ذلك ﴿ ذنوبكم ﴾ أتى بمحو أعيانها و آثارها كلها.

و لما فرغ القلوب من كدر العقاب[4] و العتاب، لذذها[5] بطيب الثواب فقال: ﴿ و يدخلكم ﴾ أي بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم ﴿جنت تجرى﴾ و دل على قرب الجارى و تخلله[6] الأراضي بالجار فقال: ١٠ ﴿ من تحتها ﴾ أي[7] تحت أشجارها و غرفها و كل متنزه فيها ﴿ الانهر ﴾ فهى لاتزال غضة زهراء، و لم يحتج هذا الأسلوب إلى ذكر الخلود لإغناء ما بعده عنه، و دل على الكثرة المفرطة فى الدور بقوله بصيغة منتهى الجموع: ﴿ و مسكن ﴾ و لما كانت المساكن لا تروق إلا بما يقارنها[8] من المعاني الحسنة قال: ﴿طيبة﴾ أي فى الاتساع و اختلاف ١٥

(١) من م، و في الأصل و ظ: المعنى (٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: من الله و عليه امن (٣) من ظ و م، و في الأصل: دلائل (٤) من م، و في الأصل و ظ: العذاب (٥) من ظ و م، و في الأصل: الذى هو (٦) من ظ و م، و في الأصل: عليه - كذا (٧) زيد في الأصل: تحتها، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و في الأصل: يعاينها.

أنواع[1] الملاذ و علو الأبنية و الأسرة[2] مع سهولة[3] الوصول إليها و في بهجة المناظر و تيسر مجارى الريح بانفساح الأبنية مع طيب الغرف، لم يفسد الماء الجاري تحتها شيئا من ريحها و لا في اعتدالها في شيء مما يراد منها • و لما كانت لا يرغب فيها إلا بدوام الإقامة، بين صلاحيتها لذلك بقوله:

٥ ﴿في جنت عدن﴾ أي بساتين هي أهل للاقامة بها لا يحتاج في إصلاحها إلى شيء خارج يحتاج في تحصيله إلى الخروج عنها [له-[4]]، و لا آخر لتلك[5] الإقامة، قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير: هي قصبة الجنان و مدينة[6] الجنة أقربها إلى العرش •

و لما كان هذا أمرا شريفا لا يوجد في غيرها قال: ﴿ذلك﴾ أي

١٠ الأمر العظيم جدا وحده ﴿الفوز العظيم[7]﴾ • و لما ذكر ما أنعم[8] عليهم به[8] في الأخرى لأنه أهم[9] لدوامها، كان التقدير بما دل عليه[10] العطف: هذا لكم، عطف عليه ما جعل لهم في الدنيا فقال: ﴿و اخرى[11]﴾ أي و لكم نعمة، أو ويعطيكم، أو يزيدكم نعمة أخرى • و لما كان الإنسان أحب في العاجل و أفرح بالناجز قال: ﴿تحبونها﴾ أي محبة كثيرة متجددة

(١) من م، و في الأصل و ظ: علوا (٢) من م، و في الأصل وظ: الاكرة. (٣) من م، و في الأصل و ظ: سرعة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: بذلك (٦) من ظ وم، و في الأصل: معرفته (٧) وقع في الأصل بعد "في الدنيا فقال" و الترتيب من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و في الأصل: قه به عليهم (٩) من ظ و م، و في الأصل: اوهم (١٠) من ظ و م، و في الأصل: على (١١) وقع في الأصل بعد « بالتأخير قال » و الترتيب من ظ و م •

متزايدة

متزايدة، ففي ظاهر هذه البشرى / تشويق إلى الجهاد و تحبيب، و في / ٣٣٤
باطنها حث على [حب -[1]] الشهادة بما يشير إليه من[2] التوبيخ أيضا على
حب العاجل و التقريع: ﴿ نصر من الله ﴾ أي الذي أحاطت عظمته
بكل شيء لكم و على قدر إحاطته تكون نصرته ﴿ و فتح قريب[3] ﴾ أي
تدخلون منه إلى [كل -[3]] ما كان متعسرا عليكم من حصون أعدائكم، ٥
و غيرها من أمورهم في حياة نبيكم صلى الله عليه و سلم أعظمه فتح مكة
الذي كتب حاطب رضي الله عنه بسببه، و بعد مماته، و فيه شهادة لحاطب
رضي الله عنه بأنه يحب نصرة النبي صلى الله عليه و سلم و الفتح عليه
مكة و غيرها لصحة إيمانه كما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم الذي
لاينطق عن الهوى. ١٠

و لما كان ما تقدم من المعاتبة إنذارا لمن خالف فعله قوله من
الذين آمنوا، و كان المقام قد أخذ حظه من الإنذار و التوبيخ، طوى ما
تقديره: فأنذر من لم يكن راسخا في الدين من المنافقين، و من خالف فعله
قوله من المؤمنين، عطف عليه دلالة عليه ليكون [أوقع -[1]] في النفس
لمن يشير إليه طيه من الاستعطاف قوله: ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أي الذين ١٥
صار الإيمان لهم وصفا راسخا كحاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بأن الله
يفتح لك البلاد[4] شرقا و غربا، و أول ذلك مكة المشرفة و لا يحوجهم

(١) زيد من م (٢) هنا تكرار في عبارة الأصل (٣) زيد من ظ وم (٤) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها.

إلى أن يجزوا عن عشائرهم و أموالهم و لا أن يكون شيء[1] من أفعالهم
يخالف شيئا من أقوالهم . و لما هز سبحانه إلى الجهاد و شوق إليه[2] بأنه
متجر رابح، و لوح إلى النذارة بالتنشيط بالبشارة، فتهيأت النفوس إلى الإقبال
عليه و انبعثت أيّ انبعاث، حض عليه بالإيجاب المقتضى للثواب أو العقاب،
٥ فقال مناديا بأداة البعد و التعبير بما يدل على أدنى الأسنان تأنيبا على أنه
لا يعدم الوصف بالإيمان إلا مقرون بالحرمان تشويقا و تحبيبا :
﴿يٰأيها الذين ءامنوا﴾ [أي - [3]] أقروا بذلك[4] فأذعنوا بهذا الوعظ
غاية الإذعان أني أمرت رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يقول لكم:
﴿كونوا﴾ أي بغاية جهدكم ﴿انصار الله﴾ أي راسخين في وصف النصرة
١٠ و في الذروة العليا من ثبات الأقدام في تأييد الذي له الغنى المطلق
لتكونوا - بما[5] أشارت إليه قراءة الجماعة [6]بالإضافة - بالاجتهاد[6] في ذلك
كأنكم جميع أنصاره، فإنكم أشرف من قوم عيسى عليه الصلاة و السلام،
و ما ندبكم سبحانه لنصرته إلا لتشريفكم بمصاحبة رسله الذين هم خلاصة
خلقه عليهم الصلاة و السلام فقولوا " سمعنا و أطعنا نحن أنصار الله "
١٥ و قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو بالتنوين[7] و لام الجر على معنى: كونوا
بعض أنصاره، / و يشبه أن يكون المأمور به في هذه القراءة الثبات على /٣٣٥

---

(١) من م، و في الأصل و ظ : شيئا (٢) وقع في الأصل قبل « اى انبعاث »
والترتيب من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و في الأصل : بهذا .
(٥) من ظ و م، و في الأصل : كما (٦ - ٦) من م، و في الأصل و ظ : في
الاضافة في الاجتهاد (٧) راجع نثر المرجان ٧ /٣٣٣ .

الإيمان و لو فى أدنى الدرجات، و فى قراءة الجمهور[١] الرسوخ فيه .

و لما كان التقدير على صفة هى من الثبات و السرعة على صفة الحواريين، عبر عن ذلك بقوله: ﴿ كما ﴾ أى كونوا لأجل أنى أنا [ندبتكم - ٢] بقولى من غير واسطة و لذذتكم بخطابى مثل ما كان الحواريون انصار الله حين ﴿قال عيسى ابن مريم ﴾ حين أرسلته إلى بنى إسراءيل ناسخا لشريعة ٥ موسى عليه الصلاة و السلام ﴿ للحواريّن ﴾ أى خلص أصحابه و خاصته منهم: ﴿من انصارى ﴾ حال كونهم سائرين فى منازل السلوك و المعاملات و مراحل المجاهدات و المنازلات ﴿ الى الله ﴾ أى المحيط بكل شيء فنحن إليه راجعون كما كنا به مبدوئين .

و لما اشتد تشوف السامع إلى جوابهم، أبان ذلك بقوله: ١٠ ﴿ قال الحواريون ﴾ معلمين أنهم جادون فى ذلك جدا لا مزيد عليه عاملين فيما دعاهم إليه عمل الواصل لا السائر [لعلمهم أن إجابته إجابة الله لأنه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه إلا عن الله -٢]: ﴿ نحن ﴾ أى بأجمعنا ﴿ انصار الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى هو غنى عنا و قادر على تمام نصرنا، و لو كان عدونا كل أهل الأرض ننصره الآن بالفعل، ١٥ لا نحتاج إلى تدريب يسير و لا نظر [إلى -٣] غير، لاستحضارنا[٣] لجميع ما يقدر عليه الآدمى من صفات جلاله و جماله و كماله، و لذلك أظهروا و لم يضمروا .

و لما كان التقدير: ثم دعوا من خالفهم من بنى إسراءيل و بارزوهم،

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: غيره بالاستحضار .

سبب عنه قوله: ﴿ فامنت ﴾ أى به ﴿ طآئفة ﴾ أى ناس فيهم أهلية الاستداوة[1] لما لهم من الكثرة ﴿ من بنى اسرآءيل ﴾ أى قومه ﴿ و كفرت طآئفة ج ﴾ أى منهم، و أصل الطائفة: القطعة من الشيء[2] ﴿ فايدنا ﴾ أى قوينا بعد رفع عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ الذين امنوا ﴾

٥ أى الذين أقروا بالإيمان المخلص منهم و غيره فى القول و الفعل و شددنا قلوبهم ﴿ علىٰ عدوهم ﴾ الذين عادوهم لأجل إيمانهم. و لما كان الظفر بالمحبوب [أحب ما يكون -[3]] إذا كان أول النهار، تسبب عن تأييده قوله: ﴿ فاصبحوا ﴾ أى صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ﴿ ظٰهرين ع ﴾ أى عالين غالبين قاهرين فى أقوالهم و أفعالهم لايخافون أحدا[4] إلا الله[4]

١٠ و لا يستخفون منه[5]، فالتأييد تارة يكون [بالعلم وتارة -[6]] بالفعل[7] "علمه شديد القوى" فصار علمه فى غاية الإحكام و تبعته قوة هى فى منتهى التمام، لأنه ناشيء عن علم مستفاد من قوة، و إلا لقال: علمه كثير[8] العلم. "قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك" قوة مستفادة من علم، و الظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى

١٥ "جاعل الذين اتبعوك [فوق الذين كفروا -[6]] إلى يوم القيامة" و غيرها أن تأييد المؤمنين [به -[6]] كان بعد رفعه بيسير حين[9] ظهر

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الاستدراك (٢) من ظ و م، و فى الأصل: انبسوء (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل وظ: و تارة بالقول، و لم تكن الزيادة فلم نحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المعلم. (٩) من م، و فى الأصل و ظ: حتى.

الحواريون و انبثوا[1] / فى البلاد يدعون إلى الله بما آتاهم من الآيات، / ٢٣٦
فاتبعهم الناس، فلما تمادي الزمان و مات الحواريون رضى الله عنهم
افترق الناس و دب إليهم الفساد، فغلب أهل الباطل و ضعف أهل الحق
حتى كانوا عند بعث النبي صلى الله عليه و سلم عدما أو فى حكم العدم،
-كما دلت عليه قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه، فقد رجع آخر السورة ٥
كما ترى بما وقع من التنزه عما[2] يوهمه علو الكفرة من [3]النقص بنصر[3]
أوليائه و قسر أعدائه. و من الأمر بما أخبر أولها أنه يحبه من القتال
فى سبيله حثا عليه و تشويقا إليه-على أولها، و اتصل بما بشر به من آمن
و لو على أدنى وجوه الإيمان من العز موصلها بمفصلها، بما أزيل من
الأسباب الحاملة له على المداراة. و الأمور التى أوقعته فى المماشاة مع ١٠
الكفار و المجاراة، فأوجب ذلك رسوخ الإيمان، و حصول الإتقان، المقتضى
للتنزيه بالفعل عن كل شوب نقصان، والله الموفق [4]للصواب و عليه التكلان[4].

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: انبتوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بما.
(٣ – ٣) من ظ وم، و فى الأصل: النصر بنصر (٤ – ٤) سقط ما بين الرقمين
من ظ و م.

* * *

سورة الجمعة[1]

مقصودها بيان مسمى الصف بدليل هو أوضح شرائع الدين و أوثق عرى الإسلام، و هو الجمعة التي اسمها مبين للمراد منها من فرضية[2] الاجتماع فيها و إيجاب الإقبال عليها و هو التجرد عن غيرها و الانقطاع لما وقع من التفرق حال الخطبة عمن[3] بعث للتزكية بالاجتماع عليه في الجهاد[4] و[5] غيره في العسر و اليسر و المنشط و المكره، و اسمها الجمعة أنسب شيء فيها لهذا المقصد بتدبر آياته و تأمل أوائله و غاياته، الحاثة[6] على قوة التواصل و الاجتماع، و الحاملة على دوام الإقبال على المزكى و الحب له و الاتباع ﴿ بسم الله ﴾ الذي [أحاط - [7]] علمه بكل معلوم فتم بيانه ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمت[8] نعمة بيانه بعد شمول كرامة إيجاده فهو العظيم شأنه ﴿الرحيم﴾ الذي خص حزبه بالتوفيق لما يرضاه فثبت في سويداء كل منهم حبه له و إيمانه به •

و لما ختمت الصف بالإقبال ببعض بني إسراءيل على[9] جنابه الأقدس بعد أن زاغوا فأزاغ الله[10] قلوبهم كلهم أو الشاذ منهم بما أفهمه إطلاق الضمير عليهم ثم تأييدهم على من استمر منهم على الزيغ، فثبت أن له

(١) الثانية والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ١١ (٢) من ظ و م، و في الأصل: فريضة (٣) من ظ و م، و في الأصل: عن (٤) من ظ و م، و في الأصل: الاجتهاد (٥) من ظ و م، و في الأصل: أو (٦) من ظ و م، و في الأصل: الحادثة (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و في الأصل: همت (٩) في م: الى (١٠) سقط من ظ و م.

تمام القدرة المستلزم لشمول العلم [1]اللازم منه[1] التنزه عن كل شائبة نقص، و كان سبحانه قد ذكر[2] التسبيح الذى هو الأعظم الأشهر للتنزيه بلفظ الماضى ثلاث مرات فى افتتاح ثلاث سور، و ذلك نهاية الإثبات المؤكد، فثبت بذلك أنه وقع تنزيهه من كل ناطق و صامت، أخبر أول هذه السورة[3] أن ذلك التنزيه على وجه التجديد[4] و الاستمرار ٥ / بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه فقال: ﴿يسبح﴾ أى يوقع[5] التنزيه /٣٣٧ الأعظم الأبهى الأكمل ﴿لله﴾ أى الملك المحيط بكل شىء قدرة وعلما، و أكد بذلك لما فى التغابن و لم يحتج بعد الإقرار بالوقوع على هـذا الوجه إلى[6] التأكيد بأكثر من مرة و جعل بين كل مسبحتين سورة خالية من ذلك ليكون ذلك أدل[7] على قصد التأكيد من حيث شدة الاعتناء ١٠ بالذكر، و إن وقع فصل و يكون التأكيد أكثر تنبيها و أعظم صدعا و تذكيرا .

و لما كان تقريع العاقل الناطق بطاعة الصامت أعظم، قال: ﴿ما فى السموٰت﴾ و إن كان العاقل يدخل فى ذلك ما عليه فيكون تسبيحه تارة طوعا موافقة للأمر، و تارة كرها بالانقياد مع الإرادة، ١٥ و تسبيح الصامت طوعا فى كل حال، و لما كان الخطاب مع الذين اٰمنوا، دعا ذلك إلى التأكيد لاحتياجهم إليه فقال: ﴿و ما فى الارض﴾ كذلك.

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اللازمة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كرر (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التجريد (٥) من ظ و م، وفى الأصل: يرفع (٦) من م، وفى الأصل: على (٧) فى الأصل: دل.

و لما ثبت بالسور الثلاث الماضية أن الموجودات أوقعت له
التسبيح ، و أخبرت هذه باستمرار ذلك على سبيل التجديد ، دل ذلك مع
التنزيه عن النقائص على إثبات الكمال الذى لايكون إلا[1] لملك عظيم
الشأن مطاع الأمر ، و كان الاقتصار على الصامت بالتعبير بما هو ظاهر
٥ فيه ربما أوهم شيئا ، قال مصرحا بما أفهمه السياق : ﴿ الملك ﴾ أى الذى
ثبتت[2] له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده و لو كان ذليلا
فيصبح[3] ظاهرا ﴿ القدوس ﴾ الذى انتفت عنه جميع النقائص ، فلا يكون
شىء إلا باذنه و تنزه عن إحاطة أحد من الخلق بعلمه أو إدراك كنه ذاته
فليس فى أيدى الخلق إلا التردد فى شهود أفعاله ، و التدبر لمفاهيم نعوته
١٠ و جلاله ، و أحقهم بالقرب و العداد فى حزبه المتخلق بأوصافه على قدر
اجتهاده ، فينبغى للمؤمن التنزه عن أن يقول ما لايفعل [4]أو يبنى[4] شيئا من
أموره على غير إحكام ، و قد مضى شرح الاسمين الشريفين قريبا و ذكر
خلاصة [شرحها - [5]] بما هو خاصة الملك و آية الطهارة للطاهر[6] فقال :
﴿ العزيز ﴾ أى الذى يغلب كل شىء . لا يغلبه شىء ، فلو أراد لجعل
١٥ العقلاء كلهم أيضا مع تسبيحهم بالجرى تحت مراده طوعا و كرها مسبحين
بالموافقة لأمره طوعا ﴿ الحكيم ﴾ الذى يوقع كل ما أراده فى أحكم

(١) زيد فى الأصل : هما ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : ثبت (٣) من م، وفى الأصل و ظ : فيصح (٤-٤) من م ، وفى الأصل وظ : فينبغى (٥) زيد من م (٦) من م ، وفى الأصل وظ : للظاهرة .

مواقعه

مواقعه و أتمها و أتقنها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما ختمت سورة الصف بالثناء على الحواريين فى حسن استجابتهم و جميل إيمانهم ، و قد أمر المؤمنين بالتشبه بهم فى قوله تعالى " يآيها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى إلى الله" - الآية ، كان ذلك مما يوهم ٥ فضل أتباع عيسى عليه السلام على أتباع محمد صلى الله عليه و سلم / فاتبع / ٣٢٨ ذلك بذكر هذه الأمة ، و الثناء عليها[1] ، فافتتحت السورة بالتنزيه عما أشار إليه قوله " و كفرت طائفة " فانهم ارتكبوا العظيمة و قالوا بالبنوة ، فنزه سبحانه نفسه عن ذلك [ثم - [2]] قال " هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم " إلى قوله " ذو الفضل العظيم " ثم[3] أعلم تعالى بحال طائفة ١٠ لاح لهم نور[4] الهدى و [5]وضح لها سبيل[5] الحق فعميت عن ذلك و ارتبكت فى ظلمات جهلها و لم تزدد بما حملت إلا حيرة و ضلالة فقال تعالى " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا " الآيات ، و هى فى معرض التنبيه لمن تقدم الثناء عليه و رحمه الله إياه لئلا يكونوا فيما يتلو عليهم نبيهم من الآيات و يعلمهم من الكتاب ١٥ و الحكمة مثل أولئك الممتحنين ، فانهم مقتوا و لعنوا بعد حملهم التوراة ، و زعموا أنهم التزموا حمله و الوفاء به فوعظ هؤلاء بمثالهم[6] لطفا من الله

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : و (٤) فى م : انوار (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وضح لهم طريق (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بمالثهم - كذا .

لهذه الأمة "و ما يتذكر الا اولوا الالباب" انتهى .

و لما كانت القدرة على تزكية الجلف الجافى [بحمله - [١]] على التنزيه أدل على القدرة على غيره ، و كان قد أسلف عن بنى إسراءيل أنهم لم يقبلوا التزكية بل زاغوا ، دل على قدرته فى عزته و حكمته و ملكه و قدسه

٥ على تزكية جميع العقلاء بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى بعث ﴾ أى من حضرة غيب غيبه بشرع أو امره و نواهيه ﴿ فى الامّيّن ﴾ أى العرب لأنهم كانوا معروفين من [٢] بين سائر الأمم لايكتبون بل هم على الخلقة الاولى حين الخروج من بطن الأم ، و ذكر ظرف البعث و إهمال غايته دال على أنها كل من يتأتى البعث إليه وهم جميع الخلق ، و يجوز

١٠ أن تطلق الأمية على جميع أهل الارض لأن بعثه [٣] صلى الله عليه و سلم كان حين ذهب العلم من الناس ، و لأن العرب اصل لجميع الباقين تبع لهم ، فلا بدع أن يحمل [٤] عليهم وصفهم ﴿ رسولا ﴾ و لما كان تقويم الشى بمثله أعجب قال : ﴿ منهم ﴾ [٥] بل الأمية [بمعنى - [١]] عدم الكتابه و التجرد عن كل تكلف وصف لازم له دائما و علمه لما يكن

١٥ يعلم من غير تطلب [٦] ، فكانت آثار البشرية عنه مندرسة ، و أنوار الحقائق عليه لائحة ، و ذلك لئلا يتوهم الافتقار إلى الاستعانة بالكتب لأن منشأ

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : انهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بعثته (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يحملهم (٥) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مصلب .

مشاكلته لحال من بعث فيهم أقرب إلى مساواتهم له لو أمكنهم[١]، فيكون عدم إمكان المساواة أدل على الإعجاز، و ذكر [بعثه -[٢]] منهم إن خص الوصف بالعرب لا ينفي بعثه[٣] إلى غيرهم و لاسيما مع ما ورد فيه من الصرائح و أثبته من الدلائل القواطع[٤]، فذكر موضع البعث و ابتداءه فتكون الغاية مطلقة تقديرها: / إلى عامة الخلق . ٥ / ٣٣٩

و لما كان كونه منهم مفهما [لأنه لا يزيد عليهم من حيث كونه منهم -[٢]] و إن زاد فبشيء يسير، عجب[٥] من أمره و نبه[٦] على معجزة عظيمة له بقوله مستأنفا: ﴿ يتلوا ﴾ أي يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة و العلو و الرفعة ﴿عليهم﴾ مع كونه أميا مثلهم ﴿ ءايٰته ﴾ أي يأتيهم بها على سبيل التجدد و المواصلة آية بينة على صدقه لأنه أمي مثلهم ١٠ بل فيهم الكاتب و العالم و إن كانوا مغمورين في كثرتهم [فما - [٢]] خصه عنهم بذلك إلا القادر على كل شيء .

و لما كان المقام للتنزيه [و لتأديب من وقع في موادة الكفار و نحو ذلك، قدم التزكية فقال -[٢]]: ﴿ و يزكيهم ﴾ أي عن الأخلاق الرذيلة و العقائد الزائغة، فكانت[٧] تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف ١٥ إليهم و تعليمه لهم و تلاوته عليهم، فربما نظر إلى الإنسان نظرة محبة فزكاه

(١) من ظ و م ، و في الأصل : اهلكهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و في الأصل و ظ : معه (٤) من ظ و م ، و في الأصل : القوامع (٥) من ظ و م ، و في الأصل : عجيب (٦) من ظ و م ، و في الأصل : نوع (٧) من م ، و في الأصل و ظ : و كانت .

الله بها ، و ربما سرت تلك النظرة إلى ثان فأشرقت أنوارها عليه على حسب القابليات كما وقع لعمير بن وهب ثم صفوان بن أمية و كذا ذو النور[1] الطفيل بن عامر الدوسي رضي الله عنه ثم قومه ، فأما عمير فكان من أعظم المؤذين[2] للنبي صلى الله عليه و سلم و لمن آمن به فتذاكر ٥ مع صفوان وقعة بدر في الحجر و من فقدوا من صناديدهم و أنه ليس في العيش بعدهم خير ، ثم تمنوا رجلا بقتال النبي صلى الله عليه و سلم ، فقال عمير : لولا فقرى و بنات لي و عيال أخشى عليهم الضيعة من بعدى لأتيته بعلة[3] أسيرى عندهم فقتلته ، فأغتنمها صفوان فعاهده أن يكفي عياله إن مات و أن يواسيه إن عاش ، فقال : اكتم عني ثلاثا ، ثم ذهب ١٠ إلى النبي صلى الله عليه و سلم فهداه الله فحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا ، فلما فتحت مكة فر صفوان ليركب البحر من جدة ، فاستأذن عمير النبي صلى الله عليه و سلم ثم ذهب إليه فلحقه فلم يزل به حتى رجع ثم أسلم فكان[4] من خيار الصحابة رضي الله عنه ، و أما ذوالنور فحين دعاه النبي صلى الله عليه و سلم ثم سأل آية يعينه الله بها على قومه فآتاه الله نورا حين أشرف ١٥ على الحي الذي هو منه ، ثم دعا أباه و أمه فأسلما ، ثم صاحبته فكذلك ثم قومه ، فما تخلف منهم أحد ، و أما غير الصحابة رضي الله عنهم فتزكيته لهم بآثاره بحسب القابليات و الأمور التي قضى الله أن يكون مهيأ ، [5]فمن كان[5] له أعشق كان لاتباعه ألزم ، فكان في كتاب الله و سنته أرسخ من

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ذو النون (٢) من م ، و في الأصل و ظ : المؤذنين (٣) من ظ و م ، و في الأصل : لعله (٤) من ظ و م ، و في الأصل : فكانا (٥ - ٥) من م ، و في الأصل و ظ : فكان .

سيرة و غيرها علما و عملا فكان[1] أشد زكاء[2] .

و لما كانوا بعد التزكية التي هي تخلية عن الرذائل أحوج ما يكون إلى تحلية بالفضائل قال: ﴿و يعلمهم الكتب﴾ أي المنزل عليه / الجامع /٣٤٠ لكل خير ديني و دنيوي في الأولى و[3] الأخرى ﴿و الحكمة ق﴾ و هي غاية الكتاب[4] في قوة فهمه و العمل به ، فهي العلم[5] المزين بالعمل [و العمل -[6]] ٥ المتقن بالعلم معقوله و منقوله ليضعوا كل شيء منه في أحكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما زاغ بنو إسراءيل ، فيكون مثلهم[7] كمثل الحمار [8]يحمل أسفارا[8] و [لو -[6]] لم يكن له صلى الله عليه و سلم [معجزة [6]] إلا هذه لكانت غاية .

و لما كان الوصف بالأمية مفهما للضلال ، و كان كثير منهم حال ١٠ إنزال هذه السورة يعتقد أنهم على دين متين و حال جليل مبين ، و كانوا[9] بعد هدايته لهم بعد الأمية سيضلون لأن الإرسال[10] من حضرة غيب الغيب في العلوم المنافية للأمية إلى ما لم تصل إليه أمة من الأمم قبلهم ، و كان ذلك موجبا للتوقف[11] في كونهم كانوا أميين ، أكد هذا المفهوم بقوله :

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : فكانوا (٢) من ظ و م ، و في الأصل : زكاة (٣) زيد في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها . (٤) زيد في الأصل : في قوله ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و في الأصل : العمل (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و في الأصل : مثل (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، و في الأصل : كان (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : الاضلال (١١) من ظ و م ، و في الأصل : الوقف .

﴿و ان﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كانوا ﴾ أى كونا هو كالجبلة لهم . و لما كان[1] كونهم ذلك فى بعض الزمن الماضى ، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى قبل إرساله إليهم من حين غيروا دين أبيهم إسماعيل[2] عليه الصلاة و السلام و عبدوا الأصنام ﴿ لفى ضلل ﴾ أى بعد عن
٥ المقصود ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى نفسه مناد لغيره[3] أنه ضلال باعتقادهم الأباطيل الظاهرة و ظنهم أنهم على شىء و عموم الجهل لهم و رضاهم به و اختيارهم له و عيبهم[4] من يميل[4] إلى التعلم و ينحو نحو التبصر كما وقع لهم مع زيد بن عمرو بن نفيل و غيره ، فوصفهم بهذا غاية فى نفى التعلم من[5] مخلوق عن نبيهم إعظاما[6] لما جاء به من الإعجاز و تقريرا لشدة
١٠ احتياجهم إلى نبى يرشدهم إلى الهدى ، و ينقذهم[7] مما كانوا فيه من العمى و الردى .

و لما كانت[8] تزكيته لهم مع أميتهم و غباوتهم لوصف الأمية فى الجهل أمرا باهرا فى دلالته على تمام القدرة ، زاد فى الدلالة على ذلك بالحاق كثير ممن فى غيرهم[9] من الأمم مثلهم فى الأمية [بهم - [10]]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كانوا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ابراهيم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لغيرهم (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن ميل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٦) زيد فى الأصل و ظ : له ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ينقيدهم .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عجزهم .
(١٠) زيد من ظ و م .

فقال: ﴿ و ءاخرين ﴾ أى و بعثه فى آخرين ﴿ منهم ﴾ فى الأمية [1]لا فى العربية[1] ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ أى فى وقت من الأوقات الماضية فى صفة[1] من الصفات، بل هم أجلف الناس كعوام المجوس و اليهود و النصارى و البرابر و نحوهم من طوائف العجم الذين هم ألكن الناس لسانا و أجدهم[2] أذهانا و أكثفهم طبعا و شأنا، و سيلحقهم الله بهم فى العلم و التزكية. ٥

و لما كان عدم إلحاقهم [بهم -[3]] فى الماضى ربما أوهم شيئا فى القدرة[4]، و إلحاقهم بهم فى المستقبل فى غاية الدلالة على القدرة، قال: ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يقدر على كل شىء و لا يغلبه / شىء فهو يزكى من يشاء و يعلمه ما[5] أراد من أى طائفة كان، / ٣٤١ و لو كان أجمد[6] أهل [تلك -[3]] الطائفة لأن الأشياء كلها بيده ١٠ ﴿ الحكيم ﴾ فهو إذا أراد شيئا موافقا لشرعه و أمره جعله[7] على أتقن الوجوه و أوثقها فلا يستطاع نقضه، و مهما أراده كيف كان فلا بد من إنفاذه فلا يطاق رده بوجه، و يكون المراد بالآخرين العجم، و أن الله تعالى سيلحقهم بالعرب، قال ابن عمر رضى الله عنهما و سعيد بن جبير أيضا[8] رضى الله عنه و هو رواية ليث عن مجاهد و يؤيده[9] [1]ما روى ١٥ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا سأل عنهم لما نزلت سورة[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اجهدهم. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: العداوة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: من (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اجهل (٧) زيد فى الأصل: موافقا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) سقط من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يويد

[1]الجمعة فوضع رسول الله صلى الله عليه و سلم يده[1] على سلمان رضى الله عنه و قال " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء[2] ".

و لما كان هذا أمرا باهرا، عظمه بقوله على وجه الاستثمار[3] من قدرته: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول وقومه
٥ و جعلهم متبوعين بعد أن كان العرب أتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف ﴿فضل الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، و الفضل ما لم يكن مستحقا بخلاف الفرض ﴿يؤتيه من يشآء[4]﴾ بحوله و قوته بأن يهيئه له و لو كان أبعد الناس منه ﴿و الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿ذوا الفضل﴾ و لما كانت " ال " دالة على الكمال دل على ذلك بقوله:
١٠ ﴿العظيم ﴾ أى الذى يحقر دونه كل عطاء من غيره.

و لما أدب عباده المؤمنين فى الممتحنة عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أتمه فى الصف بما حذر من إزاغة القلوب لمن آذى نبيه موسى عليه الصلاة و السلام، و أعلم أنه سبحانه جمع الآداب كلها فى هذا الكتاب الذى أنزله على نبيهم الذى جعله خاتم الأنبياء و أشرف
١٥ الأصفياء، و دل على فضله العظيم بتعليم الجاهل، دل على عقابه الأليم تتميما للدلالة على باهر قدرته بتجهيل العالم بإزاغة [4]قلبه و إذهاب[4] له بيأسه من الآخرة لغضبه عليه تحذيرا من الوقوع بما يوجب الإضلال بعد العلم، فقال جوابا لمن كأنه قال: هذا فضله على الجاهل فكيف

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) راجع معالم التنزيل ٧ /٧٣ (٣) من ظ و م وفى الأصل: الاستمار (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: القلوب واذب.

فعله

فعله بالعالم ؟ فقال تحذيرا لمن يزكى فلا يتزكى بأن يقول ما لا يعمل، و يحمل الكتاب فيحمله غير عالم به من أن يفعل به ما فعل[1] باليهود من الذل فى الدنيا و الخزى [و العذاب -[2]] فى الآخرة بازاغة القلوب و إحاطة الذنوب فيكون أقبح مما قيل فيه :

من فاته العلم و أخطأ الغنى فذاك و الكلب على حد سوا : ٥

﴿مثل الذين﴾ و لما كان العلم و لاسيما الربانى يجب أن يفرح به و يرغب فيه من أىّ موصل كان، بنى للجهول قوله و صيانة لاسمه الشريف عن أن يذكر عند العصيان : ﴿حملوا التورٰىة﴾ أى كلفوا و ألزموا حمل الكتاب الذى آتاه الله لبنى إسراءيل على لسان موسى عليه الصلاة و السلام بأن علمهم إياها سبحانه و كلفهم حفظ ألفاظها عن التغيير و النسيان و معانيها ١٠ عن التحريف و التلبيس / و حدودها و أحكامها عن الإهمال و التضييع . / ٣٤٢

و لما كان تركهم لحملها و هى من عند الله و على لسان رجل منهم هو أعظم فى أنفسهم و أجلهم إحسانا إليهم فى غاية البعد و لاسيما مع طول الزمان المسهل لحفظها الميسر لتدبرها و تعرف[3] مقدارها، عبر بأداة البعد فقال : ﴿ثم لم يحملوها﴾ بأن حفظوا ألفاظها و لم يعملوا بما فيها[4] ١٥ من الوصية باتباع عيسى عليه الصلاة و السلام إذا[5] جاءهم ثم محمد صلى الله عليه و سلم إذا[5] جاء، فهى ضارة لهم بشهادتها عليهم قاذفة لهم فى النار

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : يفعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : تعريف (٤) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٥) من ظ و م، و فى الأصل : اذ .

من غير نفع أصلا ﴿ كمثل ﴾ أى مِثْل مَثَل ﴿ الحمار ﴾ الذى هو أبله الحيوان . فهو مثل [فى -[١]] الغباوة ، حال كونه ﴿ يحمل اسفارا[٥] ﴾ أى كتبا من العلم كاشفة للأمور[٢] تنفع الألباء ، جمع سفر ، و هو الكتاب الكبير المسفر عما فيه .

٥ و لما كان المثل[٣] الجامع لهما - و هو وجه الشبه - شخصا مثقلا[٤] متعبا جدا بشيء لانفع له به أصلا فهو ضرر عليه صرف لايدرك ما هو حامله غير أنه متعب و لايدرى أصخر هو أم كتب ، أنتج قوله معبرا بالأداة التى هى لجامع الذم ترهيبا للآدميين من أن يتهاونوا بشيء من أحكام القرآن فيكونوا أسوأ مثلا من أهل الكتاب فيكونوا دون الحمار

١٠ لأن رسولهم صلى الله عليه و سلم أعظم و كتابهم أعلى و أفخم فقال : ﴿ بئس مثل القوم ﴾ أى الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدونه فلم يؤتوا من عجز يعذرون به ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى عمدا على علم [٥]عنادا منهم و كفرا[٥] ﴿ بآيٰت الله[٦] ﴾ أى دلالات الملك الأعظم على رسله و لا سيما محمد صلى الله عليه و سلم و جميع ما يرضيه مثلهم فان

١٥ مثلهم قد تكفل بتعريف أنهم قد اجتمعوا مع الحمار فى وصف هو الروح الباطن ، و هو الضرر الصرف الذى لا نفع فيه بوجه بأنفع الأشياء ، و هو ما دل على الله فضمن سعادة الدارين ، وهذا المثل و إن كان نصا

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الامور (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشبه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مثلا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

فى اليهود فهو لجميع قراء السوء من كل ملة لاشتراكهم معهم فى وجه الشبه كما أن مثل الكلب فى الأعراف على هذا النحو، و كأنه لم يدخل سبحانه هذه الأمة فى ذلك صريحا[1] إشارة إلى حفظها من غير أن يكلها إلى[2] نفسها كما أنه آتاها العلم مع الأمية منها و من رسولها من غير أن يكلهم إلى كتابة و لا تقدم علم ما و لا تكلف لشىء. ٥

و لما كان التقدير: فاستحقوا الوصف بجميع المذام لأنهم ظلموا أشد الظلم، عطف عليه قوله: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال لا يهديهم - هكذا كان الأصل، و لكنه اظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف[3] فقال: ﴿لا يهدى القوم﴾ اى لا يخلق الهداية فى قلوب الأقوياء الذين[4] تعمدوا الزيغ: ﴿ الظلمين ﴾ أى الذين تعمدوا الظلم ١٠ بمنابذة الهدى الذى هو البيان الذى لم يدع / لبسا حتى صار الظلم لهم صفة راسخة. / ٢٤٣

و لما كان قولهم أنهم أولياء الله و أحباؤه فى غاية البعد من هذا المثل، استأنف ما يدل على صحة المثل قطعا، فقال معرضا عنهم آمرا لمن كذبوه[5] بتبكيتهم: ﴿ قل ﴾ أى يا أيها الرسول الذى[6] هم قاطعون بأنه ١٥ رسول الله: ﴿ يآيها الذين هادوآ ﴾ أى تدينوا باليهودية. و لما كان الحق

(١) من م، و فى الاصل و ظ: تصريحا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: على. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ما يوصف (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يكذبونه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الذين.

يصدع من له أدنى مسكة ، فكانوا جديرين بالرجوع عن العناد ، عبر بأداة الشك فقال : ﴿ ان زعمتم ﴾ أى قلتم قولا هو معرض للتكذيب و لذلك أكدتموه ﴿ انكم اولياء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه . خصكم بذلك خصوصية مبتدأة ﴿ من دون ﴾[1] أى أدنى رتبة
٥ من رتب ﴿ الناس ﴾ فلم تتعد الولاية تلك الرتبة الدنيا إلى أحد منكم غيركم ، بل خصكم بذلك عن كل من فيه أهلية الحركة لاسيما الأميين[2] ﴿ فتمنوا الموت ﴾ و أخبروا عن أنفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء إلى محل الكرامة و الآلاء ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا راسخا ﴿ صٰدقين ﴾ أى عريقين عند أنفسكم [3]فى الصدق[3] فان من علامات المحبة الاشتياق إلى
١٠ المحبوب ، و من التطوع به أن من كان فى كدر و كان له ولى قد وعده عند الوصول إليه الراحة التى لايشوبها ضرر أنه يتمنى النقلة إلى وليه ، روى أنه صلى الله عليه و سلم قال لهم « و الذى نفسى بيده لايقولها منكم أحد إلا غص بريقه » فلم يقلها [4]أحد منهم[4] علما منهم بصدقه صلى الله عليه و سلم فلم يقولوا و لم يؤمنوا عنادا منهم .
١٥ و لما كان التقدير : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم امتثالا لأمرنا ذلك ، فلم يتمنوه فى الوقت الحاضر ، تصديقا منا لنبوته و تعجيزا و تحقيقا لمعجزات رسالته . دل على هذا المقدر بما عطف عليه من قوله

---

(١) زيد فى الاصل : الناس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و فى الاصل و ظ : الآدميين (٣-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الصدق. (٤-٤) فى ظ و م : منهم أحد .

الدال قطعا على صدقه بتصديقهم له بالكف عما أخبر أنهم لايفعلونه : ﴿و لايتمنونه﴾ أي في المستقبل، و اكتفى بهذا [١] في التعبير [١] بلا لأن المذكور من دعواهم هنا أنهم أولياء لا كل الأولياء [٢] فهي دون دعوى الاختصاص بالآخرة، و أيضا الولاية للتوسل إلى الجنة، و لايلزم منها الاختصاص بالنعمة بدليل أن الدنيا ليست خالصة للأولياء المحقق لهم ٥ الولاية، بل البر و الفاجر مشتركون فيها. و لما [٣] أخبر بعدم [٤] تمنيهم، وسع لهم المجال تحقيقا للمراد فقال : ﴿ابدا﴾ و عرف أن سببه [٥] معرفتهم بأنهم أعداء الله فقال : ﴿ بما قدمت ﴾ و لما كان أكثر الأفعال باليد [٦] ، نسب الكل إليها لأنها صارت عبارة عن القدرة فقال : ﴿ ايديهم ﴾ أي من المعاصي التي أحاطت بهم فلم تدع لهم حظا في / الآخرة بعلمهم . ١٠ / ٣٤٤

و لما كان التقدير تسببا [٧] عن هذا : لئلا يقولوا : سلمنا جميع ما قيل في الظالمين لكنا لسنا منهم فالله عليم [٨] بهم في أفعالهم و نياتهم ، عطف عليه قوله معلقا بالوصف تعميما و إعلاما بأن وصف ما قدموا من الظلم : ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بكل شيء قدرة و علما ﴿ عليم ﴾ أي بالغ العلم محيط [٩] بهم - هكذا كان الأصل، و لكنه قال : ﴿ بالظلمين ﴾ ١٥

(١-١) في ظ : بالتعبير (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اولياء (٣) من ظ و م ، و في الأصل : فلما (٤) في م : عن عدم (٥) من ظ و م ، و في الأصل : سبب (٦) من ظ و م ، و في الأصل : فليد (٧) في م : تسببيا (٨) من ظ و م ، و في الأصل : اعلم (٩) من ظ و م ، و في الأصل : محيط .

تعميما و تعليقا بالوصف لا بالذات . فالمعنى أنه عالم بأصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم و من غيرهم فهو يجازيهم على ظلمهم و هم يعلمون ذلك ، و أعظم مصدق لله - و من أصدق من الله [قيلا -[1]] - فى هذا أنهم ما قوتلوا قط إلا أرزوا إلى حصونهم و قراهم كما مر فى سورة الحشر ،
٥ فدل ذلك على أنهم أحرص على الحياة[2] الدنيا من الذين أشركوا كما مر فى سورة البقرة فانهم عالمون بأنهم يصيرون إلى النار ، و العرب يظنون أنهم لا يبعثون فهم لا يخافون [ما -[3]] بعد الموت و هم شجعان يقدمون على الموت كما قال عنترة بن شداد العبسى[4] :

بكرت تخوفنى المنون كأننى أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل
١٠ فأجبتها أن المنية منهل لابد أن أسقى[5] بذاك المنهل
فاقنى حياءك لا أبا لك و اعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

و لما كان عدم تمنيهم علم من أعلام نبوته صلى الله عليه و سلم لموافقته ما اخبر به ، و كان ذلك فعل من يعتقد أن التمنى يقدمه عن أجله و عدمه يؤخره ، فصاروا بين[6] التكذيب بما عندهم و نهاية البلادة ،
١٥ أمره صلى الله عليه و سلم بتنبيههم على بلادتهم تبكيتا لهم فقال : ﴿قل﴾ و أكد إعلاما لهم بأنه يلزم من فعلهم هذا إنكار الموت الذى لا ينكره

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الاصل : حيث قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م . و فى الأصل : اسقا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

أحـــد فقال: ﴿ ان الموت ﴾ و زاد فى التقريـــع و التوبيخ بقوله: ﴿الذى تفرون منه﴾ أى بالكف عن التمنى الذى هو أيسر ما يكون مع أنه يوصلكم إلى تكذيب من أنتم جاهدون فى تكذيبه، و أكد وقوعه بهم لأن عملهم عمل من هو منكر له[1]، و ربطه بالفاء جعلا لفرارهم كالسبب له، فان الجبن من أسباب الموت مع ما يكسب من العار ٥ كما قال "ان الجبان حتفه من فوقه" أى هو غالب عليه [غلبة - [2]] العالى على السافل فقال: ﴿ فانه ملقيكم ﴾ أى مدرككم فى [3] كل وجه[3] سلكتموه بالظاهر أو[4] الباطن.

و لما كان الحبس فى البرزخ أمرا - مع أنه لابد منه - مهولا، نبه عليه و على طوله بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم تردون ﴾ و نبه بالبناء ١٠ للفعول على القهر منه سبحانه و الصغار منهم[5] و أنه عنده[6] فى غاية السهولة / ﴿الى علم الغيب﴾ و هو كل ما غاب عن العباد فهو مخبر عن أخلاقكم /٣٤٥ عن علم. و لما كان بعض الفلاسفة يقر بعلمه تعالى بالكليات، و ينكر علمه بالجزئيات قال: ﴿ و الشهادة ﴾ و هى كل ما ظهر و تشخص و لو لواحد من الخلق قبل كونه و بعد كونه. و لما كان التوقيف على ١٥ الأعمال فظيعا مرجفا، قال مسببا عن الرد: ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما مستقصى مستوفى ﴿ بما كنتم ﴾ أى بما هو لكم كالجبلة

(١) من م، و فى الأصل و ظ: به (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: وقت (٤) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لهم (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عندهم.

﴿ تعملون ع ﴾ أى بكل جزء منه مما [1] برز إلى الخارج [1] و مما كان فى جبلاتكم و لو لقيتم لعلمتموه ليجازيكم عليه .

و لما قبح سبحانه المخالفة بين القول و الفعل و صور صاحبها بصورة الحمار على الهيئة السابقة ، و حذر من ذلك بما هيأ به العاقل للاجابة إلى
٥ دوام الطاعة بعد أن بين أن جميع الكائنات مقرة بشمول ملكه بما لها من التسبيح بألسنة الأحوال ، و القيام في مراداته بغاية الامتثال ، فكان العاقل جديرا بالمبادرة إلى غاية التسبيح بلسان المقال ، و ختم بالتحذير من الإخبار يوم الجمع الأعظم بجميع الأعمال ، قال على طريق الاستنتاج مما مضى من الترغيب و الترهيب ، نادبا لهم ـ ليكونوا أولياء الله ـ إلى التزكية
١٠ المذكورة التى هى ثمرة الرسالة بما حاصله الإقبال بالكلية على الله [2] و الإعراض بالكلية عن الدنيا ليجمع المكلف بين التحلى بالمزايا و التخلى عن الدنايا ، فخص من المزايا أعظم تسبيح يفعله العاقل فى أيام [3] الأسبوع و هو الإسراع بالاجتماع [4] العظيم فى يوم الجمعة الذى يناظر الاجتماع لإجابة المنادى فى يوم الجمع الأكبر . ثم الإقبال الأعظم بفعل [صلاة - [5]]
١٥ الجمعة [6] التى هى [6] سر اليوم الذى ضيعه [اليهود - [5]] و استبدلوا به ما كان سبب تعذيبهم بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين كما جعل نتيجة

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : خرج إلى الظاهر (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : تسبيح ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بالاجماع (٥) زيد من ظ و م .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى .

السورة الماضية النداء بالإرشاد إلى الإيمان و الجهاد [الموجب -[1]] للأمان:
﴿ يٰأيها الذين امنوآ ﴾ أي أقروا بألسنتهم بالإيمان و ألهبهم بأداة البعد[2]
- المشيرة إلى احتياجهم إلى التزكية - إلى المبادرة إلى الاقبال على ما يتعقب
ذلك من الأوامر ﴿ اذا نودى ﴾ أى من أى مناد كان من أهل النداء
﴿ للصلوٰة ﴾ أى لأجل الحضور إليها و إليه عند قعود الإمام على المنبر ٥
للخطبة . و لما كانت الإجابة يكفى فى إيجابها النداء فى الوقت المعروف للنداء
و لا يشترط لها استغراق النداء لجميع[3] اليوم أتى بالجار فقال: ﴿ من يوم الجمعة ﴾
أى اليوم الذى عرض على من قبلنا فأبوه فكانوا كمثل الحمار يحمل أسفارا
و ادخره الله لنا و وفقنا لقبوله، فكانوا لنا تبعا مع تأخرنا / عنهم فى الزمان، / ٣٤٦
سمى بذلك لوجوب الاجتماع فيه للصلاة[4]، فعلة بالسكون و يضم اسم ١٠
للفعول[5] كالضحكة للضحوك منه . فان فتح ميمه كان بمعنى الوقت[6] الجامع
كالضحكة للكثير الضحك ، و من جمعه أن فيه اجتمع خلق آدم عليه
الصلاة و السلام فاجتمع بخلقه جميع الخلق ، و هو مذكر[7] بيوم البعث
و الجمع الذى يقع فيه الإنباء بالأعمال ، و تظهر فيه ظهورا بينا تاما الجلال
و الجمال " يوم ينادى المنادى من مكان قريب " و فيه تقوم الساعة ، ١٥
روى مالك عن أبى هريرة[8] رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ابعيد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الصلاة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المفعول (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : وقت (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : مذكور (٨) راجع الموطأ ص (٣٨) .

و سلم : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة [1]فيه خلق[1] آدم عليه الصلاة و السلام و فيه أهبط و فيه مات و فيه تيب عليه ، و فيه تقوم الساعة ، و ما من دابة إلا و هى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس مشفقا [من الساعة - [2]] إلا الجن و الإنس ، و فيه ساعة

٥ لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلى يسأل الله تعالى شيئا إلا اعطاه إياه . و فى آخر الحديث أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : إنها آخر[3] ساعة فى يوم الجمعة، و أول الصلاة بما هو أعم من فعلها و انتظارها لقول النبى صلى الله عليه و سلم[3] « من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها » و كان النداء فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم عند باب المسجد إذا

١٠ صعد صلى الله عليه و سلم على المنبر، فاذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة، و كذا فى زمن أبى بكر و عمر رضى الله عنهما ، فلما كان عثمان رضى الله عنه و كثر الناس و تباعدت المنازل و قلت الهمم زاد مؤذنا آخر على داره التى تسمى الزوراء، فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا الأذان الذى كان على زمن النبى صلى الله عليه و سلم ، فاذا نزل من[4]

١٥ المنبر أقيمت الصلاة، ولم [يعب - [5]] أحد على عثمان زيادة الأذان الأول لعلمهم أنه من السنة بما جعل إليه النبى صلى الله عليه و سلم حين قال « عليكم بسنتى و سنة الخلفاء [الراشدين - [2]] من بعدى » .

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : خلق فيه (٢) زيد من م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) زيد من ظ و م .

و لما كان المراد إيجاب المعنى جزما من غير تردد مع قطع كل علاقة بلا التفات إلى شيء من غير ما عذر الشارع به، عبر عنه بالسعي، وهو معنى قول الحسن أنه السعي بالنية لا بالقدم، فقال: ﴿فاسعوا﴾ أي لتكونوا أولياء الله و لاتهاونوا في ذلك لتكونوا [1] أعداءه [2] كاليهود ﴿الى ذكر الله﴾ أي الخطبة و الصلاة المذكرة بالملك الأعظم الذي من ٥ انقطع عن خدمته هلك، هذا المراد بالسعي لاحقيقة بل هي منهى عنها كما قال صلى الله عليه و سلم "اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون و لكن ائتوها و عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا و ما فاتكم فأتموا."

و لما أمر بالمبادرة إلى تجارة الآخرة، و كان طلب / الأرباح لكونها /٣٤٧ [حاضرة - [3]] أعظم مانع عن أمور الآخرة [لكونها - [4]] غايته، ١٠ و كان البيع أجل [5] ذلك لتعين الفائدة فيه و لكونه أكثر ما يشتغل به أهل الأسواق لكثرة الوافدين إلى [6] الأمصار يوم الجمعة من الحواضر و اجتماعهم للتجارة عند تعالى النهار، قال ناهيا عن تجارة الدنيا و كل ما يعوق عن الجمعة معبرا به عنها لأنه أعظمها: ﴿و ذروا البيع﴾ أي اتركوه ولو [على - [4]] أقبح حالاته و أذلها و أحقرها، [فأفاد - [4]] النهى ١٥ عن غيره من باب الأولى، و وقت التحريم من الزوال إلى فراغ الصلاة، فان خالف و باع صح العقد مع عصيانه، فان النهى ليس

(١) في ظ و م: تكونوا (٢) من ظ و م، و في الأصل: اعد الله (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: لأجل (٦) من ظ و م، و في الأصل: لأهل.

لعينه و لا [لما - ١] هو داخل فيه و لا لما هو خارج و لازم له بل لأمر مقارن بطريق الاتفاق ، و هو ما هو فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة فى الدار المغصوبة و الثوب المغصوب [٢] و الوضوء بالماء المغصوب .

٥ و لما أمر بما هو شاق على النفوس معبرا بالفعل المريض لفظا و معنى ، رغب فيه بقوله : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العالى الرتبة من فعل السعى و ترك الاشتغال بالدنيا ﴿خيرلكم﴾ لأن الذى أمركم به له الأمر كله و هو يريد تطهيركم فى أديانكم و أبدانكم و أموالكم و بيده إسعادكم و إشقاؤكم ، و ألهب إلى ذلك و زاد فى الحث عليه بقوله : ﴿ان كنتم﴾

١٠ أى بما هو لكم كالجبلة ﴿تعلمون ۝﴾ أى يتجدد لكم [علم - ١] فى يوم من الايام فأنتم ترون ذلك خيرا ، [فاذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان ذلك لكم خيرا - ١] ، و صلاة الجمعة فرض عين على كل من جمع البلوغ و العقل و الحرية و الذكورة و الإقامة إذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء ، و إنما عبر عنها بهذا إشارة [٣] إلى أن عاقلا لا يسعه أن يترك ما يعلم أنه

١٥ أعلى وجوه الخير ، و كل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر و صلى مع الإمام سقط عنه فرض من الظهر و لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر ، فإنه إذا حضر يكمل به العدد .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المغصوبة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاشارة .

و لما حث على الصلاة[1] و أرشد إلى [ان - [2]] وقتها لا يصلح لطلب شيء غيرها ، و أنه متى طلب فيه شيء من الدنيا محقت بركته مع ما اكتسب من الإثم ، بين وقت المعاش[3] فقال مبيحا لهم ما كان حظر عليهم ، و لهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما[4] : إن شئت فاخرج و إن شئت فاقعد : ﴿ فاذا قضيت الصلوة ﴾ أى وقع الفراغ منها على أى ٥ وجه كان ﴿ فانتشروا ﴾ أى فدبوا و تفرقوا مجتهدين فى الأرض فى ذلك ﴿ فى الارض ﴾ جميعها[5] إن شئتم ، لاحجر عليكم و لا حرج رخصة من الله لكم ﴿ و ابتغوا ﴾ أى و تعمدوا و كلفوا أنفسكم مجتهدين بالسعى[6] فى طلب المعاش ﴿ من فضل الله ﴾ أى ؛ فلة الملك الأعلى الذى له كل كمال و لا يجب [7]لأحد عليه[7] شيء بالبيع و الشراء و غيرهما من مصالح الدين ١٠ و الدنيا التى كنتم نهيتم عنها .

و لما كان السعى فى طلب الرزق ملهيا عن الذكر ، بين أنه أعظم السعى فى المعاش و أن من / غفل عنه لم ينجح له [8]مقصد و[8] إن تحايل له ٣٤٨ / بكل الحيل و غير ذلك فقال : ﴿ و اذكروا الله ﴾ أى الذى بيده كل شيء و لا شيء لغيره فانه لا رخصة فى ترك ذكره أصلا . و لما كان العبد ١٥ مطلوبا بالعبادة فى كل حال فانه مجبول على النسيان . فمهما فتر عن نفسه

(١) زيد فى الأصل وظ : وارشد ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المعايش (٤) راجع معالم التنزيل ٧/٧٨ . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : جميعا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فى السعى (٧-٧) من ظ وم ، و فى الأصل : عليه لأحد (٨-٨) من ظ وم ، وفى الأصل : مقدر .

استولت عليها[1] الغفلة فمرنت على البطالة فهلكت قال: ﴿ كثيرا﴾ اى بحيث لاتغفلوا عنه بقلوبكم[2] أصلا و لا بألسنتكم حتى عند الدخول إلى الخلاء و عند أول الجماع و عند الإنزال، [و -[3]] استثنى من اللسانى وقت التلبس بالقذر كالكون فى قضاء الحاجة .

٥ و لما كان مراد الإنسان من جميع تصرفاته الفوز بمراداته[4] قال معللا لهذا الأمر: ﴿ لعلكم تفلحون﴾ أى لتكونوا عند الناظر لكم و المطلع عليكم من أمثالكم[5] ممن يجهل العواقب على رجاء من أن تظفروا بجميع مطلوباتكم، فان الأمور كلها بيد من تكثرون ذكره، و هو عالم بمن يستحق الفلاح فيسعفه به و بمن عمل رياء و نحوه فيخيبه، فاذا امتثلتم

١٠ أمره كان جديرا بتنويلكم ما تريدون، و إن نسيتموه كنتم جديرين[6] بأن يكلكم إلى أنفسكم فتهلكوا .

و لما كان التقدير مما ينطق به نص الخطاب: هذه أوامرنا الشريفة[7] و تقديساتنا العظيمة و تفضلاتنا الكريمة العميمة، فما لهم إذا نودى [لها -[3]] توانى[8] بعضهم فى الإقبال إليها، وكان قلبه متوجها نحو البيع و نحوه من

١٥ الأمور الدنيوية عاكفا [عليها -[3]] ساعيا بجهده إليها فخالف قوله أنه أسلم لرب العالمين فعله هذا، عطف عليه قوله: ﴿ و اذا راوا ﴾ أى بعد

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: عليه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بقلوكم. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بمرادته (٥) من م، و فى الأصل و ظ: افعالكم (٦) من م، و فى الأصل و ظ: جديرون . (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اشريف (٨) من ظ و م، و فى الأصل: توانوا .

الوصول إلى موطنها المريح و محلها الفسيح الشرح المليح ، و الاشتغال بشأنها العالى ﴿ تجارة ﴾ أى حمولا هى[١] موضع للتجارة . و لما ذكر ما من شأنه إقامة المعاش أتبعه ما هو أنزل منه و هو ما أقل شؤونه البطالة التى [لا - ٢] يجنح إليها ذو قدر و لا يلق لها باله فقال: ﴿ او لهوا ﴾ أى ما يلهى عن كل نافع . و لما كان مطلق الانفضاض قبيحا لأنه ٥ لا يكون إلا تقربا[٣] على حال سيء ، من الفض و هو الكسر بالتفرقة ، و الفضاض ما تفرق من الشيء عند الكسر ، و يقال : فض الفم و الطلع : كسرهما . فكيف[٤] إذا كانت علته قبيحة ، قال تعالى معبرا به : ﴿ انفضوآ ﴾ أى نفروا متفرقين من العجلة .

و لما كان [سبب - ٢] نزول الآية أنه كان أصاب الناس جوع ١٠ وجهد ، فقدم دحية الكلبى رحمه الله تعالى بعير تحمل الميرة ، و كان فى عرفهم أن يدخلوا فى مثل ذلك بالطبل و المعازف و الصياح ، وكان قصد بعض المنفضين العير ، و بعضهم ما قارنها من اللهو ، و لكن قاصد التجارة [هو - ٥] الأكثر ، أنث الضمير فقال معلما بالاهتمام بها لأن اللهو مسبب[٦] عنها : ﴿ اليها ﴾ و للدلالة على أنه إذا ذم قاصدها مع / ما فيها ١٥ / ٣٤٩ [من النفع - ٢] و الإنسان لابد له من إصلاح معاشه لقيام [حاله -٢]

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : هو (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و ظ : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : مسببا .

ولا سيما والحاجة إذ ذاك شديدة، كان الذم لقصد اللهو من باب الأولى.

و لما كان ذلك حال الخطبة التي هي جديرة بشدة الإصغاء إليها والاتعاظ بها في صرف النفس عن الدنيا و الإقبال على الآخرة قال:

٥ ﴿و تركوك﴾ أي تخطب حتى بقيت في اثنى عشر رجلا، قال جابر رضى الله عنه: أنا أحدهم، و دل على مشروعية القيام بقوله: ﴿قآئما﴾ فالواجب خطبتان: قائما يفصل بينهما بجلوس، و الواجب فيهما أن يحمد الله تعالى و يصلى على النبي صلى الله عليه و سلم و يوصى بتقوى الله تعالى، هذه الثلاثة واجبة في الخطبتين معا، و يجب أن يقرأ في الأولى آية من

١٠ القرآن و في الثانية أن يدعو للمؤمنين، فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح الخطبة عند الشافعي رضى الله عنه، و لجواز الجمعة خمس شرائط: الوقت [١ -] و هو وقت الظهر، و العدد و هو الأربعون، و الإمام [و الخطبة - ١] و[٢] دار الإقامة، فان فقد شرط وجبت[٣] الظهر، و لا تبتدأ الخطبة إلا بعد تمام، و بقاء هذا العدد شرط إلى آخر الصلاة.

١٥ فان[٤] انفض بعضهم ثم عاد و لم يفته شيء من الأركان صحت.

و لما كان هذا فعل من سفلت[٥] همته عن سماع كلام الحق من الحق، أمره[٦] صلى الله عليه و سلم بوعظهم إلهابا لهم إلى الرجوع إلى تأملهم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: او (٣) من ظ و م، و في الأصل: وجب (٤) في ظ و م: فلو (٥) من م، و في الأصل و ظ: شغلت (٦) من ظ و م، و في الأصل: امر.

للخطاب

للخطاب و لو بالعتاب قال: ﴿ قل ﴾ أى لهم ترغيبا فى الرجوع إلى ما كانوا عليه من طلب الخير من معدنه: ﴿ ما عند الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال من الأعراض العاجلة فى الدنيا من واردات القلوب و بوادر الحقيقة، الحاصل من سماع الخطبة الآمر بكل خير، الناهى عن كل شر[1]، المفيد لتزكية الباطن و تقويم[2] الظاهر و البركة فى جميع الأحوال ٥ و الآجلة فى الآخرة مما [لا -[3]] يدخل تحت الوصف ﴿ خير ﴾ و لما قدم التجارة أولا اهتماما بها، قدم هنا ما كانت سببا له[4] [5] ليصير كل[5] منهما مقصودا بالنهى فقال: ﴿ من اللهو ﴾ و لما بدأ به لإقبال الأغلب فى حال الرفاهية عليه قال معيدا الجار للتأكيد: ﴿ و من التجارة ﴾ أى و إن عظمت. ١٠

و لما كان من عنده الشيء قد لا يعطيه بسهولة [6] و إذا أعطاه[6] لا يعطيه إلا من يحبه قال: ﴿ و الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام وحده ﴿ خير الرٰزقين ع ﴾ لأنه يرزق متاع الدنيا لسفوله و لكونه زادا إلى الآخرة البر و الفاجر و المطيع و العاصى. و يعطى من يريد ما لا يحصيه العد ولا يحصره الحد، و أما المعارف الإلهية و الأعمال الدينية الدال عليها ١٥ رونق الصدق وصفاء الإخلاص و جلالة المتابعة فلا يؤتيها إلا الأبرار و إن كانوا أضعف الناس و أبعدهم من ذلك و لا يفوت أحدا، أقبل

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: شيء (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تقوية.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لها (٥-٥) من م، و فى الأصل: ليكون كلا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: اولا.

/ على ما شرعه / شيئا كان ينفعه فلا تظنوا أن الغنى فى البيع و التجارة /٣٥٠
إنما هو فى متابعة أمر من أحل البيع و أمر به و شرع ما [هو -[1]]
خير منه تزكية و بركة و نماء فى الظاهر و الباطن . روى صاحب الفردوس[2]
عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : من قال
٥ يوم الجمعة « اللهم أغننى بحلالك عن حرامك [3]و بطاعتك عن معصيتك[3]
و بفضلك عمن سواك " سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله تعالى ،
و أصل الحديث أخرجه أحمد[4] و الترمذى[5] - و قال حسن - عن على رضى
الله عنه ، و فى الباب عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فأقبلوا على متابعة
رسوله صلى الله عليه و سلم و[6] الزموا هديه و استمسكوا بغرزه[6] تنالوا خيرى
١٠ الدارين بسهولة ، فقد رجع آخر السورة كما ترى على أولها بما هو
[من -[7]] شأن الملك من الرزق و إنالة الأرباح و الفوائد و لاسيما
إذا كان قدوسا و تبكيت من أعرض عن خطبة رسول الله صلى الله
عليه و سلم اللازم منه استمرار الإقبال عليه و دوام الإقامة بين يديه ،
لأنه لايدعوهم إلا لما يحييهم من الصلاة و الوعظ الذى [هو -[8]] عين
١٥ تنزيه الله و تسبيحه " يتلو عليهم ءاياته و يعلمهم الكتب و الحكمة "
يزكيهم ربهم و يرزقهم[9] من فضله[3] إنه كريم و هاب - و الله أعلم بالصواب[3] .

---

(١) زيد من ظ (٢) راجع ص : ٣١٠/ب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ
وم (٤) راجع المسند ١/١٥٣ (٥) راجع الجامع ٢/٢٩٥ (٦-٦) من ظ و م ، و فى
الأصل : استمسكوا هدية والزموا بغرزه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ و م .
(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يزيدهم .

سورة المنافقين[١]

مقصودها كمال التحذير مما[٢] يثلم الإيمان من الأعمال الباطنة، [و الترهيب - ٣] مما يقدح فى الإسلام من الأحوال الظاهرة، بمخالفة [٤]الفعل للقول[٤] فانه نفاق فى الجملة فيوشك أن يجر إلى كمال النفاق فيخرج من الدين و يدخل الهاوية، ليكون هذا التحذير سببا فى صدق الأقوال ٥ ثم[٥] صدق الأعمال ثم صدق الأخلاق[٦] ثم صدق الأحوال ثم صدق الأنفاس، فصدق القول [أن - ٣] لايقول القائل إلا عن برهان، و صدق العمل أن لايكون للبدعة عليه سلطان، و صدق الأخلاق[٦] أن لايلاحظ ما[٧] يبدو منه من الإحسان بعد المبالغة فيه بعين النقصان، و صدق الأحوال أن يكون على كشف و بيان، و صدق الأنفاس ١٠ أن لا يتنفس إلا عن وجود كالعيان. و تسميتها بالمنافقين واضحة فى ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الإحاطة العظمى علما و قدرة فمن زاغ أرداه[٨] ﴿الرحمن﴾ الذى ستر[٩] بعموم رحمته من أراد من عباده [١٠]و فضح[١٠] من

---

(١) الثالث و الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها ١١ (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: و القول و الفعل (٥) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الاخلاص (٧) من م، و فى الأصل و ظ: من (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اراده (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يستر (١٠ - ١٠) من ظ و م، و فى الأصل: فتح ممن.

شاء و إن دقق مكره و أخفاه ﴿الرحيم﴾ الذى وفق[1] أهل وده باتمام نعمته لما يحبه و رضاه .

/٣٥١ لما نهى سبحانه فى الممتحنة / عن اتخاذ عدوه وليا، وذم فى الصف على المخالفة بين القول و الفعل، و حذر آخر الجمعة من الإعراض عن حال من أحوال[2] النبى صلى الله عليه و سلم على حال من الأحوال ولو مع الوفاق، لأن صورة ذلك كله صورة النفاق، قبح فى أول هذه حال من أقبل[3] عليه على حال النفاق، لأنه يكون كاليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، و استمرت السورة كلها فى ذمهم بأقبح الذم ليكون زاجرا عن كل ما ظاهره نفاق، فقال تعالى: ﴿اذا جآءك﴾ أى يا أيها الرسول المبشر به فى التوراة و الانجيل ﴿المنفقون[4]﴾ أى العريقون فى وصف النفاق و هو إسلام الظاهر و كفر الباطن، و أغلبهم من اليهود ﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استشعارهم لتكذيب من يسمعهم[5] لما عندهم من الارتياب: ﴿نشهد﴾ قال الحسن: هو بمنزلة يمين كأنهم قالوا: نقسم ﴿انك﴾ ـ التاكيد لذلك و إيهاما[6] لأن قوة[6] تأكيدهم لشدة رغبتهم فى مضمون ما يقولونه ﴿لرسول الله[7]﴾ أى الملك الذى [له - [7]] الإحاطة الكاملة. فوافقوا الحق بظاهر[8] أحوالهم، و خالفوا بقلوبهم و أفعالهم.

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : وفى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الأحوال .
(٣) من م ، و فى الاصل و ظ : اقبله (٤) تكرر فى الأصل بعد « اذا جاءك » .
(٥) زيد فى الاصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م ، و فى الاصل : قوة (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : بظواهر .

و لما

و لما كانت الشهادة الإخبار عن علم اليقين لأنها من الشهود و هو كمال الحضور و تمام الاطلاع و مواطأة القلوب للالسنة، صدق سبحانه المشهود به و كذبهم فى الإقسام بالشهادة و مواطأة ألسنتهم لقلوبهم [فقال -[1]]: ﴿و الله يعلم﴾ أى و علمه هو العلم فى الحقيقة، و أكده سبحانه بحسب إنكار المنافقين فقال: ﴿انك لرسوله[2]﴾ سواء شهد المنافقون بذلك أم ٥ لم يشهدوا، فالشهادة بذلك حق ممن يطابق لسانه[3] قلبه، و توسط هذا بين شهادتهم و تكذيبهم لئلا يتوهم أن ما تضمنته شهادتهم من الرسالة كذب.

و لما كان ربما ظن أن هذا تأكيد لكلام المنافقين، دل على أنه تحقيق لمضمون كلامهم دون شهادتهم فقال: ﴿و الله﴾ أى المحيط بجميع ١٠ صفات الكمال ﴿يشهد﴾ شهادة هى الشهادة [لأنها محيطة -[4]] بدقائق الظاهر و الباطن ﴿ان[5] المنفقين﴾ أى الراسخين فى وصف النفاق ﴿لكذبون ج﴾ أى فى إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون لأن قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك، و من شرط قول الحق أن يتصل ظاهره بباطنه[6] و سره بعلانيته، و متى تخالف ذلك فهو كذب، ١٥ لا[7] المراد أنهم كاذبون فى صحة ما تضمنته شهادتهم من انك رسول الله.

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الرسول الله (٣) زيدت الواو فى الاصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من م، و فى الاصل و ظ ان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: و باطنه.
(٧) من م، و فى الأصل و ظ: لأن.

و الحاصل أن الشهادة تتضمن شيئين : صدق مضمون الخبر و الإذعان له ، فصدقهم الله فى الأول وكذبهم فى الثانى فصاروا بنفاقهم أسفل حالا و شر مآلا من اليهود .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أعقب حال المؤمنين فيما خصهم الله به بما انطوت / عليه الآيات الثلاث إلى صدر سورة الجمعة إلى قوله "و الله ذو الفضل العظيم" بذكر حال من [لم - ١] ينتفع بما حمل حسبما تقدم ، و كان فى ذلك من المواعظ و التنبيه ما ينتفع به من سبقت له السعادة ، أتبع بما هو أوقع فى الغرض و أبلغ فى المقصود ، و هو ذكر طائفة بين أظهر من قدم الثناء عليهم و من أقرانهم[٢] و أترابهم و أقاربهم ، تلبست فى الظاهر بالإيمان ، و أظهرت الانقياد و الإذعان ، و تعرضت فأعرضت و تنصلت فما وصلت ، بل عاقتها الأقدار ، فعميت البصائر و الأبصار ، و من المطرد المعلوم أن اتعاظ الإنسان بأقرب[٣] الناس إليه و بأهل زمانه أغلب من[٤] اتعاظه بمن بعد عنه زمانا و نسبا ، فاتبعت سورة الجمعة بسورة المنافقين وعظا للمؤمنين بحال أهل النفاق[٥] ، و بسط من قصصهم ما يلائم ما ذكرناه ، و كان قيل[٦] لهم : ليس من أظهر الانقياد و الاستجابة ، ثم(؟) بنى إسرائيل ثم كان فيما حمل كمثل الحمار يحمل أسفارا بأعجب من حال إخوانكم زمانا و قرابة ، و أنتم أعرف الناس

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اقربائهم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بما هو أقرب (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدم .

بهم و أنهم [قد - [1]] كانوا فى الجاهلية موصوفين بجودة الرأى و حسن النظر "و اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم" "و لكن المنافقين لا يفقهون" قات : و قد مر [2] فى الخطبة ما رويناه فى مصنف ابن أبى شيبة من قول أناس من المؤمنين : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ فى الجمعة بسورة الجمعة [و المنافقين - [3]] فيبشر بها المؤمنين و يحرضهم، ٥ و أما سورة المنافقين فيؤيس بها المنافقين و يوبخهم، و هذا نحو ما ذكرناه أولا - انتهى .

و لما كان المعنى أنهم لم يعتقدوا ما شهدوا به، و كان كأنه قيل : فما الحامل لهم على هذا الكلام المؤكد و الكذب فى غاية القباحة لاسيما عند العرب، علله بقوله مسميا شهادتهم إيمانا لأن الشهادة تجرى مجرى ١٠ القسم فى إرادة التوكيد، و لذلك يتلقى بما يتلقى به القسم : ﴿اتخذوآ﴾ أى أخذوا بجهدهم ﴿ ايمانهم ﴾ أى كلها من شهادتهم هذه المجتهد فى توكيدها و كل يمين سواها ﴿ جنة ﴾ أى وقاية تقيهم المكاره الدنيوية [و - [1]] يستترون بها منها فيصونون [4] بها دماءهم و أموالهم، فاستضؤوا بنور الإجابة فلم [5] ينبسط عليهم شعاع نور السعادة فانطفأ نورهم بقهر ١٥ الحرمان، و بقوا فى ظلمات القسمة السابقة بحكم الخذلان ﴿ فصدوا ﴾ أى فسبب لهم اتخاذهم هذا أن أعرضوا بأنفسهم مع [6] سوء البواطن [7]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : من (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م، و فى الأصل : فيضربون (٥) من م، و فى الأصل و ظ : لم.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل : عن (٧) من م، و فى الأصل و ظ : الباطن .

و حرارة الصدور ، و حملوا غيرهم على الإعراض لما يرى من سيء أحوالهم بتلك الظواهر مع بقائهم على[1] ما كانوا ألفوه من الكفر الذى يزينه الشيطان ﴿ عن سبيل الله[2] ﴾ أى عن طريق الملك الأعظم الذى شرعه لعباده ليصلوا به إلى محل رضوانه ، و وصلوا إلى ذلك بخداعهم و مكرهم ٥ / ٣٥٣ بجرأتهم على الأيمان الحانثة التى يمشون حالهم بها لما شرعه / الله فى هذه الحنيفية السمحة من القناعة من الحالف بيمينه فيما لا يعلم إلا من قبله .

و لما كان ما أخبر بـه من حالهم فى غاية القباحة ، أنتج قوله : ﴿ انهم ﴾ و أكده لأن حالهم يعجبهم و يعجب كثيرا ممن قاربهم ﴿ سآء ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعملون ه ﴾ أى يجددون عمله مستمرين ١٠ عليه بما هو كالجبلة من جرأتهم على الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و خلص عباده بالأيمان الحانثة .

و لما كانت المعاصى تعمى القلب فكيف بأعظمها ، علله بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم فى البعد من الخير من الكذب بالإخبار بالشهادة و الحلف على الصدق و الصد عن السبيل[2] و الوصف لعملهم[3] ١٥ بالسوء ﴿ بانهم امنوا ﴾ أى بسبب أنهم أقروا بالإيمان بألسنتهم من غير مطابقة لقلوبهم . و لما كان الكفر مستبعدا فكيف إذا كان بعد الإقرار ، عبر بأداة البعد لذلك و لتفهم الذم على التعقيب من باب الأولى ، و لئلا يتوهم ان الذم إنما هو على تعقيب الايمان بالكفر فقط ، لا على مطلقه ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سبيل الله .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لعلمهم .

فالتعبير

فالتعبير بثم[١] يفهم أن من استمر طول عمره على الإيمان ثم كفر قبل موته بلحظة كان له هذا الذم فقال: ﴿ ثم كفروا ﴾ أى سرا فهابوا الناس و لم يهابوا الله . و لما كان مجرد الطبع على القلب فى غاية البشاعة، كان مفهما لبشاعة ما كان منه من الله من باب الأولى، بنى للمجهول قوله: ﴿ فطبع ﴾ أى فحصل الطبع و هو الختم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ٥ ذلك غيره سبحانه ﴿ على قلوبهم ﴾ لأجل اجترائهم[٢] على ما هو أكبر الكبائر على وجه النفاق حتى مرنوا[٣] على الكفر و استحكموا فيه. وكذلك[٤] من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ لا يفقهون ﴾ أى لا يقع لهم فقه فى شىء من الأشياء فهم لا يميزون صوابا من خطأ و لا حقا من باطل لأن المختوم عليه لا يصل إليه شىء ١٠ و لا يخرج منه شىء .

و لما وصف سبحانه بواطنهم بما زهد فيهم[٥] لأن الإنسان بعقله[٦] كما أن المأكول بشكله، و كانت لهم أشكال تغر ناظرها لأن العرب كانت تقول: جمال[٧] المنظر يدل غالبا على حسن المخبر، قال تعالى: ﴿ و اذا رايتهم ﴾ أى ايها[٨] الرسول على ما لك من الفطنة و نفوذ الفراسة ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بهم (٢) من ظ و فى الأصل : اجترامهم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : موتوا (٤) فى ظ و م : لذلك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هم فيه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بفعله .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كمال (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يايها .

أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر ﴿ تعجبك اجسامهم ﴾ لضخامتها و صباحتها، فان غايتهم كلها بصلاح ظواهرهم و ترفيه أنفسهم، فهم أشباح و قوالب ليس وراءها ألباب و حقائق، قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] : كان ابن أبي - [يعني - [2]] الذي نزلت السورة بسببه - جسيما ٥ فصيحا صحيحا ذلق اللسان، و قوم من المنافقين في مثل صفته و هم رؤساء المدينة، و كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم و يستندون فيه و لهم [3]جهارة / المناظر[3] و فصاحة الألسن. و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم و من حضر يعجبون هياكلهم. و لما وصف البواطن و الظواهر، و كان قولهم: المرء بأصغريه قلبه و لسانه مشروطا كما هو ظاهر ١٠ العبارة بمطابقة اللسان للقلب، قال معبرا بأداة الشك إشارة إلى[4] أنهم لا يكلمونه صلى الله عليه و سلم إلا اضطرارا لأنهم لايحبون مكالمته و لا باعث لهم عليها لما عندهم من أمراض القلوب: ﴿ و ان يقولوا ﴾ أي يوجد منهم قول في وقت من الأوقات ﴿ تسمع لقولهم ﴾ أي لأنه[5] يكون بحيث يلذذ السمع و يروق الفكر لما فيه من الادهان مع الفصاحة ١٥ فهو يأخذ بمجامع القلب.

/ ٣٥٤

و لما اخبر عن ظاهرهم، دل على ان ذلك الظاهر امر لا حقيقة له. و أنهم لما وطنوا أنفسهم على الوقاحة و خلعوا لباس[6] الحياء بالكذب

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ٨٢ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م و في الأصل : جهاة المناظر (٤) من م و في الأصل و ظ : على (٥) من ظ و م و في الأصل : انه (٦) من ظ و م، و في الأصل : اباس.

بذلوا جميع الجهد فى تحسين القول لأنه لا درك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لأنهم لايحسبون للآخرة حسابا فقال: ﴿كأنهم﴾ أى فى[1] حسن ظواهرهم و سوء بواطنهم و فى الجبن و الخور و عدم الانتفاع بهم فى شيء من فهم أو ثبات[2] فانهم لاحقيقة لهم ﴿خشب﴾ جمع كثرة لخشبة و هو دليل على كثرتهم. و لما كان الخشب ربما أطلق على المغروس، ٥ نفى ذلك بقوله منبها بالتشديد على الكثرة: ﴿مسندة﴾ أى قد قطعت من مغارسها و قشرت[3] و أسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب، فهى بيض تلوح تعجب[4] ناظرها و لا ثبات لها و لا باطن بثمرة و لاسقى فلا مدد سماوى [لها[5]] أصلا يزكيها نوع زكاء[6] فقد فقدت[7] روح الإنبات الذى به كمالها كما فقد المنافق [8]روح الإيمان[8] الذى به كمال الناطق و بقاؤه؛ ١٠ فهم فى تلك الحالة أشباح بلا أرواح أجسام بلا أحلام.

و لما كان من يقول ما[9] لايفعل يصير متهما لكل من يكلمه، لأنه لإخلافه له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم أعداء له فيكسبه ذلك أشد الجبن، و ذلك هو السبب الأعظم فى تحسين قوله، قال: ﴿يحسبون﴾ أى لضعف عقولهم و كثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم ١٥

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: من (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اثبات. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فسرت (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: زكاة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فقد (٨ - ٨) من م، و فى الأصل و ظ: روحه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: و.

﴿ كل صيحة ﴾ أى من نداء مناد فى انفلات دابة أو إنشاد ضالة، ونحو ذلك ﴿عليهم﴾ أى واقعة. و لما كان من يظن عداوة الناس له[1] يكون هو عدوا لهم، قال نتيجة ما مضى: ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿العدو﴾ أى كامل العداوة بما دل عليه الإخبار بالمفرد الذى يقع على الجمع دون ٥ الجمع إشارة إلى أنهم - فى شدة عداوتهم للاسلام و أهله و كمال قصدهم و شدة سعيهم فيه - على قلب واحد و إن أظهروا التودد[2] فى الكلام، و التقرب به إلى أهل الإسلام، فإن ألسنتهم معكم إذا لقوكم، و قلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عيون لهم عليكم.

و لما بين ذلك من سوء أحوالهم سبب عنه قوله: ﴿ فاحذرهم ﴾ ١٠ لأن أعدى الأعداء / العدو المداحى الذى يكاشرك و تحت ظلوعه /٣٥٥ الداء الدوى، فان من استشعر أنك عدوله بغى لك الغوائل، و أغلب من يعجبك قوله على هذا الوصف يكون، و لكنه [يكون -[3]] بلطف الله دائم الخذلان منكوسا فى أكثر تقلباته بيد[4] القهر و الحرمان لسر قوله تعالى: ﴿ قتلهم الله ز ﴾ أى أحلهم الملك المحيط علما و قدرة محل ١٥ [من -[3]] يقاتله عدو قاهر له أشد مقاتلة على عادة الفعل الذى يكون بين اثنين.

و لما كان حالهم فى غاية العجب فى صرفهم عن الإسلام أولا

---

(١) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: التود (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بيده.

بالعمى عن الآيات الظاهرات ، و ثانيا عن الإخبار بأسرارهم ، و خفى مكرهم و أخبارهم، و فى عدم صرفهم عما[1] هم عليه من قبح السرائر و سوء الضمائر بتعكيس[2] مقاصدهم، [3]و تخييب[3] مصادرهم فى مكرهم و مواردهم، دل على ذلك بقوله: ﴿ أنّى ﴾ أى كيف و من أىّ وجه ﴿ يؤفكون ﴾ أى يصرفهم[4] عن إدراك قبح ما هم عليه صارف ما كائنا ما كان ليرجعوا ٥ عنه[5] إلى حسن الدين و الأنس به و إدراك بركته و عظيم أثره .

و لما كان هذا أمرا عظيما قاطعا عن الله و رسوله فيحتاج فاعله حاجة شديدة إلى التطهير و هو جدير بعظمه أن لا يطهره غاية الطهر إلا سؤال النبى صلى الله عليه و سلم و كانوا لم يفعلوا ذلك ، دل على سوء بواطنهم و غلظ أكبادهم وأنهم[6] كالخشب المسندة فى أنهم لا ثمرة لهم ١٠ و لا زكاء أصلا بقوله: ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ [أىّ -[7]] من أى قائل كان: ﴿ تعالوا ﴾ أى ارفعوا أنفسكم مجتهدين فى ذلك بالمجىء إلى أشرف الخلق الذى لايزال مكانه [8]عاليا لعلو مكانته[8] ﴿ يستغفر لكم ﴾ أى يطلب الغفران لأجلكم خاصة بعد أن تتولوا من ذنبكم[9] من أجل هذا الكذب الذى أنتم مصرون عليه . و لما تقدم عاملان، أعمل الثانى منها ١٥

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : على ما (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : تنعكس. (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او يحسب (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مصرفهم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هم (٧) زيد من م (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عليا لعلو مكانه (٩) فى ظ و م : و بكم .

[١]كما هو المختار[١] من مذهب البصريين فرفع قوله: ﴿ رسول الله ﴾ أى أقرب الخلق إلى الملك الأعظم الذى لاشبيه لجوده ﴿ لووا رءوسهم ﴾ [أى فعلوا - [٢]] التى بغاية الشدة و الكثرة ، و هو الصرف إلى جهة أخرى إعراضا و عتوا و إظهارا للبغض و النفرة ، و بالغوا فيه مبالغة تدل

٥ على انهم مغلوبون عليه لشدة ما فى بواطنهم[٣] من المرض ﴿ و رأيتهم ﴾ أى بعين البصيرة ﴿ يصدون ﴾ أى يعرضون إعراضا قبيحا عما دعوا إليه مجددين لذلك كلما دعوا إليه ، و الجملة فى موضع المفعول الثانى لرأيت ﴿ و هم مستكبرون ﴾ أى ثابتو الكبر عمن دعا إليه و عن إحلال أنفسهم فى محل الاعتذار، فهم لشدة غلظتهم لايدركون قبح ما هم عليه

١٠ و لايهتدون إلى دوائه . و إذا أرشدهم غيرهم و نبههم لاينبهون ، فقد روى أنه لما نزل القرآن فيهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين و قالوا : ويحكم افتضحتم و أهلكتم أنفسكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و تولوا إليه و اسألوه أن يستغفر لكم ، فأبوا ذلك فأنزل الله هذه الآية ، و روي[٤] [أن - [٥]] ابن أبى رأسهم لوى رأسه و قال لهم : أشرتم علىّ بالإيمان

١٥ فآمنت و أشرتم علىّ بأن أعطى زكاة مالى ففعلت ، و لم يبق إلا [أن] تأمرونى بالسجود لمحمد . و لما كان النبى صلى الله عليه و سلم يحب صلاحهم فهو يحب أن يستغفر لهم، و ربما ندبه[٦] إلى ذلك بعض أقاربهم ، فكان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : كالمختار (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بطونهم (٤) راجع معالم التنزيل ٧/٨٤ (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نبه .

استغفاره بحيث يسأل عنـــه ، قال [منبها - ١] على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار لأنهم لايؤمنون : ﴿ سوآء ﴾ أى غلب و استعلى هذا الاستواء الذى عالجوا أنفسهم عليه حتى تخلقوا بــه فصار[٢] مجردا عن أدنى ميل و كلفة ﴿ عليهم ﴾ .

و لما كان قد سلخ فى هذا السياق عن[٣] الهمزة معنى الاستفهام كان ٥ معنى ﴿ استغفرت لهم ﴾ أى فى هذا الوقت ﴿ ام لم تستغفرلهم[٤] ﴾ أى فيه أو فيما بعده - مستو عندهم استغفارك لهم و تركه ، لأنه لا أثر له عندهم ، ولهذا كانت نتيجته[٤] - عقوبة لهم - النفى[٥] المبالغ فيه بقوله : ﴿ لن يغفر الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لهم[٥] ﴾ و لعل التعبير بالاستفهام بعد سلخ معناه للاشارة إلى أنهم لو شاهدوا الملك يستفهمك عن ذلك ما ردهم عن[٦] نفاقهم و ما[٦] ١٠ زادهم ذلك على ما عندهم شيئا ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم قيد هذه الآية بآية[٧] براءة المحتملة للتخيير[٨] و أنه إن زاد على السبعين كان الغفران مرجوا[٩] ، فاستجاز بذلك الصلاة على ابن أبى رأس المنافقين و الاستغفار له لما عنـــده صلى الله عليه و سلم من [عظيم - ١] الشفقة على عباد الله و مزيد الرحمة لهم و لا سيما من كان فى عداد أصحابه و الأنصار رضى الله ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : فصاروا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نتيجة ذلك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نفى (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نفاقك ولا . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بسورة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : للتخير (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : موجودا .

عنهم [به -[1]] عناية.

و لما كان التقدير لتعليل المبالغة فى الإخبار بعد الغفران لهم : لأن فسقهم قد استحكم فصار وصفا لهم ثابتا، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات[2] الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى الناس الذين لهم
٥ قوة فى أنفسهم على ما يريدونه ﴿ الفسقين ه ﴾ لأنهم لاعذر لهم فى الإصرار على الفسق و هو المروق من حصن الإسلام بخرقه و هتكه مرة بعد مرة و التمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون فى النفاق و الخروج عن مظنة الإصلاح.

و لما كان هذا داعيا إلى السؤال عن الأمر الذى فسقوا به، قال
١٠ مبينا له : ﴿ هم ﴾ أى خاصة[3] بواطنهم ﴿ الذين يقولون ﴾ أى أوجدوا هذا[4] القول و لا يزالون يجددونه لأنهم كانوا مربوطين بالأسباب محجوبين عن شهود التقدير غير محققين بتصريف الأحكام. وأنطقهم ما خامر قلوبهم من تمنى إطفاء نور الله / فتواصوا فيما بينهم بقولهم : ﴿لا تنفقوا﴾ /٣٥٧
[5]أيها المخاصرون فى النصرة ﴿ على من ﴾ أى الذين[6] ﴿ عند رسول الله ﴾
١٥ أى الملك المحيط بكل شيء. وهم فقراء المهاجرين، وكأنهم[7] عبروا بذلك وهم [لا -[1]] يعتقدونه تهكما و إشارة إلى أنه [لو -[1]] كان رسوله

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ وم. وفى الأصل، صفة (٣) فى ظ : بخاص.
(٤) زيد فى الأصل : الذى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل وظ : اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل : الذى (٧) من ظ وم. و فى الأصل : كانوا.

و هو

و هو الغنى المطلق لأغنى أصحابه و لم يحوجهم إلى أن ينفق الناس عليهم، و ما درى الأغنياء [1]أن ذلك[1] امتحان منه سبحانه لعباده - فسبحان من يضل من يشاء - حتى يكون كلامه أبعد شيء عن الصواب بحيث يعجب العاقل كيف يصدر ذلك من أحد، أو أن هذه ليست عبارتهم و هو الظاهر، و عبر سبحانه عنهم بذلك إشارة إلى أن كلامهم يؤول إلى إرادة ضر ٥ من الله معه توقيفا على كفرهم و تنبيها على أن من أرسل رسولا لا يكله إلى أحد بل يكفيه جميع ما يهمه من غير افتقار إلى شيء أصلا، فقد أرسل سبحانه إليه صلى الله عليه و سلم بمفاتيح خزائن الأرض فأباها[2] و ما كفاهم هذا الجنون حتى زادوه ما دل على أنهم ظنوا أن أبواب الرزق تغلق إذا امتنع المنفقون من الناس / عن إنفاقهم، و عبروا بحرف ١٠ غاية ليكون لما[3] بعده حكم ما قبله فقالوا: ﴿حتى ينفضوا[4]﴾ أى يتفرقوا تفرقا قبيحا فيه كسر فيذهب أحد منهم إلى أهله و شغله الذى كان له قبل ذلك؛ قال [الحرالى -[4]]: «حتى» كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها[5] مقابل معنى «إلى». و قال أهل العربية: لا يجر بها إلا آخر أو متصل بالآخر نحو الفجر فى "حتى مطلع الفجر"، و حتى آخر الليل، ١٥ و لا تقولوا: حتى نصف الليل، و ما درى الأجلاف أنهم لو فعلوا ذلك

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فاماه و قصة ملك الجبال معه صلى الله عليه و سلم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قبله.

أتاح [١] الله غيرهم للانفاق، أو أمر رسوله صلى الله عليه و سلم فدعا فى الشيء اليسير فصار كثيرا، أو كان بحيث لاينفد، [أو أعطى كلا يسيرا من طعام على كيفية لاتنفد - [٢]] معها كتمر أبى هريرة و شعير عائشة و عكة أم أيمن رضى الله عنهم و غير ذلك كما روى ذلك غير مرة، و لكن

٥ [٣] ليس لمن [٣] يضل الله من هاد، و لذلك عبر فى الرد عليهم بقوله: ﴿ و لله ﴾ أى قالوا [ذلك - [٢]] و استمروا على تجديد قوله [٤] و الحال أن للملك [٥] الذى لا أمر [٦] لأحد معه فهو الآمر الناهى [٦] ﴿ خزآئن السمٰوٰت ﴾ [أى كلها - [٢]] ﴿ و الارض ﴾ كذلك من الأشياء المعدومة الداخلة تحت مقدرة " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " و من

١٠ الأشياء التى أوجدها فهو يعطى من يشاء منها ما يشاء حتى من أيديهم، لايقدر أحد على منع شيء من ذلك لا مما فى يده و لا مما فى يد غيره، و نبه على سوء غبارتهم و أنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم: إن كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ و لكن المنٰفقين ﴾ أى العريقين فى وصف النفاق .

١٥ و لما كان ما يساق إلى الخلق من الأرزاق فيظن كثير منهم أنهم حصلوه بقوتهم، عبر بالفقه / الأخص من العلم فقال: ﴿ لايفقهون ٥ ﴾ أى /٣٥٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اباح (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) فى ظ و م: من (٤) من م، و فى الأصل و ظ: قولهم (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الملك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

لا يتجدد لهم فهم أصلا لأن البهائم إذا رأت[1] شيئا ينفعها[2] يوما ما فى مكان طلبته مرة أخرى، و هؤلاء رأوا غير مرة ما أخرج الله من خوارق البركات على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم ينفعهم ذلك، فمن رأى أن رزقه بيد[3] الخلق فألهاه ذلك عن الله حتى ضيع حقوقه و داهن فى دينه فقد برئ من القرآن، و دل على عدم فقههم ٥ بقوله تعالى: ﴿ يقولون ﴾ أى يوجدون هذا القول و يجددونه مؤكدين له لاستشعارهم بأن أكثر قومهم ينكره: ﴿ لئن رجعنآ ﴾ أى [نحن أيتها العصابة المنافقة -[4]] من غزاتنا هذه - التى قد رأوا فيها من نصرة النبى صلى الله عليه وسلم ما يعجز الوصف وهى غزوة بنى المصطلق حى[5] من هذيل بالمريسيع[5] و هو ماء من مياههم من ناحية قديد إلى الساحل و فيها تكلم[6] ١٠ ابن أبى بالإفك و أشاعه - ﴿ الى المدينة ﴾ [و -[7]] دلوا على تصميمهم على عدم المساكنة بقولهم: ﴿ ليخرجن الاعز ﴾ يعنون أنفسهم ﴿ منها الاذل ﴾ و هم كاذبون فى هذا، لكنهم تصوروا لشدة غباوتهم أن العزة لهم و أنهم يقدرون على إخراج المؤمنين ﴿ و لله ﴾ أى و الحال أن [8]كل من له[8] نوع بصيرة يعلم أن للملك[9] الأعلى الذى له وحده عز الإلهية ١٥ ﴿ العزة ﴾ كلها، فهو قهار لمن دونه [و كل ما عداه دونه -[10]] .

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: رأوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ينفعهم. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من يد (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالمريسيع من بنى هذيل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تكلم (٧) زيد من م (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل: له من كل (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الملك (١٠) زيد من ظ و م.

و لما حصر[1] العزة بما دل على ذلك من تقديم المعمول، أخبر أنه يعطى منها من أراد و أحقهم بذلك من أطاعه ترجم ذلك بقوله: ﴿ و لرسوله ﴾ لأن[2] عزته من عزته بعز النبوة و الرسالة و إظهار الله دينه على الدين كله، [3]و كذلك أيضا أن العزة لمن أطاع الرسول بقوله[3]: ﴿ و للمؤمنين ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا راسخا لأن عزتهم بعزة الولاية، و نصر الله إياهم عزة لرسولهم صلى الله عليه و سلم، و من تعزز بالله لم يلحقه ذل .

و لما كان جهلهم فى هذا أشد لكثرة ما رأوا من نصرة الله لرسوله صلى الله عليه و سلم و من تابعه رضى الله عنهم و إعلائهم على كل من ناواهم، قال منبها على ذلك: ﴿ و لكن المنفقين ﴾ أى الذين استحكم فيهم مرض القلوب . و لما كانت الدلائل على عزة الله لا تخفى على أحد لما تحقق من قهره للملوك و غيرهم بالموت الذى لم يقدر[4] أحد على الخلاص منه و لا المنازعة فيه، و من المنع من أكثر المرادات، و من نصر الرسول و أتباعهم باهلاك أعدائهم بأنواع الهلاك، و بأنه سبحانه ما قال شيئا إلا تم و لا قالت الرسل شيئا إلا صدقهم فيه، ختم الآية بالعلم الأعم من الفقه فقال: ﴿ لا يعلمون ﴾ أى لا [6]لأحد لهم[6] علم الآن، و لا يتجدد

(١) من ظ وم، و فى الأصل: حصره (٢) من م، و فى الأصل و ظ: فان.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لايقدر.
(٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: لأحدهم.

فى

فى حين من الأحيان، فلذلك[1] هم يقولون مثل هذا الخراف، و روى[2] أنه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن أبى [بن -[3]] سلول الذى نزلت بسببه إلى أبيه، و ذلك فى غزوة المريسيع لبنى المصطلق فأخذ بزمام ناقة أبيه و قال: أنت و الله الذليل، و رسول الله صلى الله عليه و سلم / العزيز، و لما دنوا من المدينة الشريفة جر سيفه و أتى أباه فأخذ ٥ / ٣٥٩ بزمام ناقته و زجرها إلى ورائها و قال: إياك وراءك و الله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لئن لم تقر بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم الأعز و أنت الأذل لأضربن عنقك، قال: أفاعل أنت؟ قال: نعم، قال: أشهد أن العزة لله و لرسوله و للمؤمنين، و شكى ولده[4] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمره أن يدعه[5] يدخل المدينة، ١٠ فأطلقه فدخل.

و لما كان هذا[6] الذى حكاه سبحانه و تعالى عن المنافقين بحيث يعجب غاية العجب من [7]تصور قائله[7] له فضلا عن أن يتفوه به فكيف بأن يعتقده، نبه على [أن -[3]] العلة الموجبة له طمس البصيرة، و أن العلة فى طمس البصيرة الإقبال بجميع القلب على الدنيا رجوعا على إيضاح ما تقدم [فى -[8]] ١٥

(١) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) راجع معالم التنزيل ٧/٨٤ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: والده. (٥) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: تصوره فاعله (٨) زيد من م.

نتيجة الجمعة من الإذن[1] فى [2]طلب الرزق[2] و التحذير من مثل فعل حاطب رضى الله عنه و فعل من انصرف عن خطبة الجمعة لتلك [العير - [3]]، و كان هذا التنبيه على وجه حاسم لمادة شرهم فى كلامهم فان كلمة الشح [كما قيل - [4]] مطاعة، و لو بأن تؤثر أثرا ما و لو بأن تقتر نوع تقتير
٥ فى وقت ما، فقال مناديا لمن يحتاج إلى ذلك: ﴿ يٰٓايها الذين 'امنوا ﴾ أى أخبروا بما يقتضى أن بواطنهم مذعنة كظواهرهم ﴿ لا تلهكم اموالكم ﴾ و لما كان الخطاب مع من يحتاج إلى التأكيد قال: ﴿ و لآ اولادكم ﴾ أى لا تقبلوا على شىء من ذلك بجميع قلوبكم إقبالا يحيركم سواء كان ذلك فى إصلاحها أو التمتع [بها - [4]] بحيث[5] تشتغلون و تغـفلون
١٠ ﴿عن ذكر الله ج﴾ أى من[6] توحيد الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء فله الملك و له الحمد يعطى من يشاء و يمنع من يشاء، فاذا كان العبد ذاكرا له بقلبه دائما لم يقل كقول المنافقين "لا تنفقوا" و لا "ليخرجن الأعز منها الأذل" لعلمه أن الأمر كله لله، و أنه لن يضر الله شيئا، و لا يضر بذلك إلا نفسه، و هذا يشمل ما[7] قالوه من التوحيد و الصلاة
١٥ و الحج و الصوم و غير ذلك، و لإرادة المبالغة فى النهى وجه النهى إلى الأموال و الأولاد بما المراد منه نهيهم.

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الأذان (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: قلب الترزق - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من ظ (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لا بحيث (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عن (٧) من م، و فى الأصل و ظ: لما.

و لما كان التقدير: فمن انتهى فهو من الفائزين، عطف عليه قوله:
﴿ و من يفعل ﴾ أى [يوقع - [١]] فى زمن من الأزمان على سبيل
التجديد و الاستمرار فعل ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر البعيد عن أفعال ذوى
الهمم من الانقطاع إلى الاشتغال بالفانى و الإعراض عن الباقى و الإقبال
على العاجل مع نسيان الآجل ﴿ فاولٓـئك ﴾ أى البعداء عن الخير ﴿ هم ﴾ ٥
أى[٢] خاصة ﴿الخـسرون ۝﴾ أى العريقون فى الخسارة حتى كأنهم كانوا
مختصين بها دون الناس، و ذلك ضـــد ما أرادوا بتوفير النظر إليهم
و الإقبال عليهم من السعى للتكثير و الزيادة و التوفير، و فى إفهامه أن من
شغله ما يهمه من أمر دينه الذى أمره[٣] سبحانه به و نهاه عن إضاعته
و توعده عليها[٤] كفاه سبحانه أمر دنياه / الذى ضمنه له و نهاه أن يجعله ١ / ٣٦٠
أكبر همه و توعده على ذلك، فما ذكره[٥] إلا من وجده فى جميع أموره
دينا و دنيا، و توجه إليه فى جميع نوائبه، و أقبل عليه بكل هومه، و بذل
نفسه له بذل من يعلم انه مملوك مربوب فقد أمر ربه على نفسه و اتخذه
وكيلا فاستراح من المخاوف، و لم يمل إلى شىء من المطامع فصار حرا.
و لما حذر من الإقبال على الدنيا، رغب فى بذلها مخالفة للمنافقين ١٥
فقال: ﴿و انفقوا﴾ أى ما امرتم[٦] به من واجب أو مندوب، و زاد فى
الترغيب بالرضى منهم باليسير مما [هو - [١]] كله له بقوله: ﴿من ما رزقنكم﴾

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: امر (٤) من ظ و م، و فى الأصل:
عليه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر (٦) من ظ و م، و فى
الأصل: امرتكم.

أى من عظمتنا و بلغ النهاية فى ذلك بالرضا بفعل ما أمر به [١]مع التوبة[١] النصوح فى زمن ما و لو قل بما أرشد إليه إثبات الجار، فقال مرغبا [٢]فى التأهب[٢] للرحيل و المبادرة لمباغتة الأجل، محذرا من الاغترار بالتسويف فى أوقات السلامة: ﴿[٤]من قبل﴾ و فك المصدر ليفيد «أن» مزيد القرب

٥ [فقال -[٣]][٤]: ﴿ان ياتى﴾ و لما كان تقديم المفعول كما تقدم فى النساء أهول قال[٤]: ﴿ احدكم الموت ﴾ [أى -[٣]] برؤية دلائله و أماراته، و كل لحظة مرت فهى من دلائله و أماراته. و لما كانت الشدائد تقتضى الإقبال [٤]على الله[٤]، سبب عن ذلك بقوله: ﴿ فيقول﴾ سائلا فى الرجعة، و أشار إلى ترقيقها للقلوب بقوله: ﴿ رب[٥] لولا ﴾ أى هل[٦] لا

١٠ و لم لا ﴿ اخرتنى ﴾ أى أخرت موتى إمهالا لى ﴿ الى اجل ﴾ أى زمان، و بين أن مراده استدراك ما فات ليس إلا بقوله: ﴿قريب[٥] فاصدق﴾ أى للتزود فى سفرى هذا الطويل الذى أنا مستقبله، قال الغزالى فى كتاب التوبة من الإحياء[٧]: قال بعض العارفين: إن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقى من عمرك ساعة، و أنك لا تستأخر عنها طرفة عين

١٥ فيبدو للعبد من الأسف و الحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: بالتوبة (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالتاهب (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليه. (٥) وقع فى الأصل بعد «فيقول» والترتيب من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لو (٧) راجع ٤ / ٩، والحديث اختصره المصنف.

و يتدارك

و يتدارك تفريطه، يقول: يا ملك الموت! أخرني يوما [1]أعتذر فيه[1] إلى ربي و أتوب و أتزود فيها صالحا لنفسي، [فيقول -[2]]: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه و تردد أنفاسه في شراسيفه و يتجرع غصة اليأس عن التدارك و حسرة الندامة على تضييع العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال، فاذا زهقت نفسه فان كان[3] ٥ سبقت له [من -[2]] الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن الخاتمة، و إن سبق له القضاء بالشقوة و العياذ بالله تعالى خرجت روحه على الشك و الاضطراب، و ذلك سوء الخاتمة[4]، و من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين[5] خطرين عظيمين: أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى / يصير رينا و طبعا فلا يقبل المحو، الثاني أن ١٠ / ٣٦١ يعاجله[6] المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو، فيأتي الله تعالى بقلب غير سليم، و القلب أمانة الله عند عبده، قال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين على سبيل الإلهام: أحدهما إذا خرج من[7] بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا و استودعتك و ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة و انظر كيف تلقاني، و الثاني ١٥ عند خروج روحه يقول: عبدي ما ذا صنعت في أمانتي [عندك -[2]]

(١-١) من ظ و م و الإحياء، و في الأصل: عيد منه (٢) زيد من ظ و م والإحياء (٣) في م: كانت (٤) من ظ و م والإحياء، و في الأصل: الخاتم. (٥) من م و الإحياء، و في الأصل و ظ: على (٦) من الإحياء، و في الأصول: يعاجله (٧) من م و الإحياء، و في الأصل و ظ: الى.

هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك[١] بالمطالبة و العذاب . و لعله أدغم تاء التفعل إشارة إلى أنه إذا أخر[٢] فعل ذلك على وجه [الإخفاء ليكون افضل، أو يكون إدغامها اختصارا لبلوغ الأمر إلى حد محوج إلى - [٣]] الإيجاز فى القول كما طلب فى
٥ الزمن ، و يؤيده قراءة الجماعة[٤] غير[٥] أبى عمرو ﴿ و اكن ﴾ بالجزم عطفا على الجواب الذى هدى السياق إلى تقديره ، فان حال هذا [الذى -[٣]] أشرف هذا الإشراف يقتضى أن يكون أراد إن " اخرتنى اتصدق " و لكنه حذفه لضيق المقام عنه و اقتضاء الحال لحذفه ، و هو[٦] معنى ما حكاه سيبويه عن الخليل أن الجزم على توهم الشرط الذى [دل - [٣]]
١٠ عليه التمنى على الموضع . فان الجازم غير موجود ، و معنى ما قال غيره أن " لولا " لكونها تخضيضية متضمنة معنى الأمر و معنى الشرط ، فكأنه قيل : أخرنى ، فيكون جوابه العارى عن الفاء مجزوما لفظا و المقرون بها مجزوما[٧] محلا ~~فـلكن~~ . عطف على المحل ، و نصب ابو عمرو عطفا على اللفظ لأنه جواب التمنى الذى دلت عليه " لولا " و إجماع المصاحف
١٥ على حذف الواو لا يضره لأنه قال : إنها[٨] للاختصار ، و هو ظاهر ، و ذلك للمناسبة بين اللفظ و الخط و الزمان و المراد ، و من هنا تعرف جلالة

---

(١) من ظ و م و الإحياء ، و فى الأصل : فاقفاك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اصر (٣) زيد من ظ و م (٤) راجع نثر المرجان ٧/ ٣٦٠ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : هى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مجزوم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : لانها .

القراء و مرادهم إن شاء الله تعالى بقولهم فى الضابط المشهور و إن توافق رسم المصحف[1] و لو احتمالا ﴿من الصّلحين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف العظيم، و زاد فى الحث على المبادرة بالطاعات[2] قبل الفوات بقوله مؤكدا لأجل عظيم الرجاء من هذا المحتضر للتأخير عطفا على [ما -[3]] تقديره : فلا يؤخره الله فيفوته ما أراد : ﴿ و لن ﴾ و يجوز أن تكون ٥ الجملة حالا أى قال ذلك و الحال أنه لن ﴿يؤخر الله﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له فلا اعتراض عليه ﴿نفسا﴾ أى أىّ نفس كانت ، و حقق الأجل بقوله : ﴿ اذا جآء اجلها ﴾ أى وقت موتها الذى حده الله لها فلا يؤخر الله نفس[4] هذا القائل لأنها من جملة النفوس التى شملها النفى .

و لما كان المعنى على طريق النتائج التى لاشك فى إرشاد اللفظ إليها[5] : ١٠ الله عالم[6] فانه يقول ذلك ، عطف عليه قوله حاثا على المسارعة إلى الخروج عن عهدة الطاعات و الاستعداد لما لابد منه من اللقاء محذرا من الإخلال و لأنه لا تهديد كالعلم : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطه / الشاملة علما ٣٦٢ / و قدرة ﴿خبير﴾ أى بالغ الخبرة و العلم ظاهرا و باطنا ﴿بما تعملون ﴾ اى توقعون عمله فى الماضى و الحال و المآل كله ظاهره و باطنه من هذا ١٥ الذى أخبرتكم أن المحتضر العاصى يقوله و من غيره [منه و من غيره -[7]]

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : المصاحف (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الطاعات (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : نفسا على. (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : اعلم . (٧) زيد من م .

أيها الناس - هذا على قراءة الجمهور بالخطاب[١]، و على قراءة أبى بكر عن عاصم بالغيب يمكن أن يراد[٢] المنافقون ، و يمكن أن يعم فيكون الضمير للنفس على المعنى و يمكن [أن يكون -[٣]] الضمير للناس على الالتفات للاعراض تخويفا لهم ، و لذلك علم سبحانه كذب المنافقين فى أنهم يعتقدون ٥ ما شهدوا به فى أمر الرسالة و علم جميع ما قص[٤] من أخبارهم " الا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير " [٥]و الله أعلم[٥] .

(١) راجع نثر المرجان ٧ /٣٦٣ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل: يكون المراد .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يقص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة التغابن[1]

مقصودها الإبلاغ فى التحذير مما حذرت منه[2] المنافقون باقامة الدليل القاطع على أنه لابد من العرض على الملك للدينونة على النقير و القطمير يوم القيامة يوم الجمع الأعظم، و اسمها التغابن واضح الدلالة على ذلك، [و - [3]] هو أدل ما فيها عليه فلذلك سميت[4] به ﴿بسم الله﴾ مالك الملك فلا كفوء له و لامثيل ﴿ الرحمن﴾ الذى وسع الخلائق بره الجليل ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص من عمه بالبر قوما فوفقهم للجميل .

لما ختمت تلك باثبات القهر بنفوذ الأمر و إحاطة العلم، افتتح هذه باحاطة الحمد و دوام التنزه[5] عن كل شائبة نقص، إرشادا إلى النظر فى أفعاله و التفكر فى مصنوعاته لأنه الطريق إلى معرفته، و أما معرفته بكنه الحقيقة فمحال فانه[6] لايعرف الشيء كذلك إلا مثله و لا مثل له، فقال مؤكدا لما أفهمه[7] أول الجمعة: ﴿ يسبح ﴾ أى يوقع التنزيه التام مع التجديد و الاستمرار ﴿ لله ﴾ الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ الذى من جملته الاراضى و ما فيها فلا يريد من شيء [8]منه شيئا[8] إلا كان على وفق الإرادة، فكان لذلك[9] الكون و الكائن

---

(١) الرابعة والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ١٨ (٢) من م، وفى الأصل وظ: به (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: سمى. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التنزيه (٦) فى م: لأنه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: افهمته (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: عينه فيها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك.

شاهدا له بالبراءة عن كل شائبة نقص .

و لما كان الخطاب مع من[1] تقدم فى آخر المنافقين ممن هو محتاج إلى التأكيد، قال مؤكدا باعادة الموصول: ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى كذلك بدلالتها على كماله و استغنائه، و قد تقدم أن موافقة العاقل ٥ للأمر مثل موافقة غير العاقل للارادة، فعليه أن يهذب نفسه غاية التهذيب فيكون فى طاعته بامتثال الأوامر كطاعة غير العاقل [2]فى امتثاله[2] لما راد منه .

و لما ساق سبحانه ذلك الدليل النقلى على كمال نزاهته على وجه يفهم الدليل العقلى لمن له لب كما قال على رضى الله عنه: لاينفع مسموع ١٠ إذا لم يكن مطبوع، كما لاتنفع الشمس [و -[3]] ضوء العين ممنوع، و ذلك لكونه سبحانه جعلهم مظروفين كما هو المشاهد، و المظروف /٣٦٣ / محتاج لوجود ظرفه قبله فهو عاجز فهو مسبح دائما ان لم يكن بلسان قاله كان بلسان حاله، و صانعه الغنى عن الظرف فغيره سبوح، [علل -[3]] ذلك بقوله: ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الملك ﴾ [أى -[4]] ١٥ كله مطلقا فى الدنيا و الآخرة، و هو السيادة العامة للخاص و العام و السياسة العامة بركنيها[5] دفع الشرور و جلب الخيور الجالب للسرور

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢ - ٢) من ظ و م . و فى الأصل : بامتثاله (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م . و فى الأصل : بركنها .

و الحبور من الإبداع و الإعدام ، فهو أبلغ مما فى الجمعة ، فان الملك قد يكون ملكا فى الصورة ، و ذلك الملك الذى هو ظاهر فيه لغيره ، فداوم التسبيح الذى اقتضته عظمة الملك هنا أعظم من ذلك الداوم .

و لما أتبعه فى الجمعة التنزيه عن النقص ، أتبعه هنا الوصف بالكمال فقال : ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ الحمد ز ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ٥ كلها فلذلك ينزهه جميع مخلوقاته ، فمن فهم تسبيحها فذلك[1] [المحسن -[2]] ، و من كان فى طبعه و فطرته الأولى بالفهم ثم ضيعه يوشك أن يرجع فيفهم ، و من لم يهيأ لذلك فذلك الضال الذى لاحيلة فيه ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ على كل شىء ﴾ أىّ شىء أى ممكن أن يتعلق بـــه المشيئة ﴿ قدير ه ﴾ لأنه وحده بكل شىء مطلقا عليم ، لأن نسبة ذاته المقتضية ١٠ للقدرة إلى الأشياء كلها على حد سواء و هذا واضح جدا ، و لأن من عرف نفسه بالنقص عرف ربه[3] بالكمال و قوة السلطان و الجلال .

و قال [الإمام -[4]] أبو جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى : لما بسط فى السورتين قبل من حال من حمل التوراة من بنى إسرائيل ثم لم يحملها ، و حال المنافقين المتظاهرين بالإسلام ، و قلوبهم كفرا و عنادا متكاثفـــة ١٥ الإظلام ، و بين خروج الطائفتين عن سواء السبيل المستقيم ، و تنكبهم عن هدى الدين القويم ، و أوهم ذكر اتصافهم بمتحد أوصافهم خصوصهم[5] فى الكفر بوسم الانفراد وسما ينبىء عن عظيم ذلك الإبعاد ، سوى ما

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكذلك (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : نفسه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خصوصا .

تناول غيرهم من أحزاب الكفار، فأنبأ تعالى [عن -[1]] أن الخلق بجملتهم و إن تشعبت الفرق و افترقت الطرق راجعون بحكم السوابق إلى طريقين[2] فقال تعالى " هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن " و قد أوضحنا الدلائل أن المؤمنين على درجات، و [أهل -[1]] الكفر ذو
٥ طبقات، و أهل النفاق أدونهم حالا و أسوأهم كفرا و ضلالا «إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار» و افتتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين فى جهلهم[3] و لو لم تنطو[4] سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم إلا على ما حكاه تعالى من قولهم " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها[5] الاذل " و قد أشار قوله تعالى " يعلم ما فى السمٰوٰت و ما فى
١٠ الارض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون و الله عليم بذات الصدور " إلى ما قبله و بعده من الآيات إلى سوء جهل المنافقين و عظيم حرمانهم فى قولهم بألسنتهم مما[6] لم تنطو عليه قلوبهم " و الله يشهد / ان المنافقين لكٰذبون " /٣٦٤
و اتخاذهم أيمانهم جنة [7]و صدهم عن سبيل الله[7] إلى ما وصفهم سبحانه به، فافتتح سبحانه و تعالى سورة التغابن بتنزيهه عما توهموه من مرتكباتهم
١٥ التى لا تخفى عليه سبحانه " ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم و نجواهم " ثم قال تعالى " و يعلم ما يسرون و ما يعلنون " فقرع و وبخ فى عدة آيات ثم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الطريقين (٣) من م، و فى الأصل و ظ: جهنم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لم تنطق (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م.

أشار

اشار إلى ما منعهم من تأمل الآيات، و صدهم عن اعتبار المعجزات، و انه الكبر المهلك غيرهم، فقال تعالى مخبرا عن سلفهم فى هذا المرتكب، ممن أعقبه ذلك أليم العذاب و سوء المنقلب " ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا و تولوا " ثم تناسج الكلام معرفا بمآلهم الأخروى و مآل غيرهم إلى قوله "و بئس المصير" و مناسبة ما ٥ بعد يتبين فى التفسير بحول الله - انتهى.

و لما كان أعظم الدلائل عليه سبحانه آيات الآفاق "[1]سنريهم ايٰتنا فى الآفاق[1]"، و آيات الأنفس، و قدم الأول علويه و سفليه لوضوحه، أتبعه الثانى دليلا على عموم قدرته الدال على تمام ملكه بأنه المختص بالاختراع لأعجب الأشياء خلقا و الحمل على المكاره فقال: ﴿ هو ﴾ أى ١٠ وحده ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى أنشأكم على ما أنتم عليه بأن قدركم و أوجدكم بالحق على وفق التقدير خلافا لمن أنكر ذلك من الدهرية و أهل الطبائع.

و لما كان قد تقدم فى سورة المنافقين ما أعلم أنهم فريقان، عرف فى هذه أن ذلك مسبب عن إبداعه لأن من معهود الملك أن يكون فى مملكته الولى و العدو و المؤالف و المخالف و الطائع و العاصى ١٥ و الملك ينتقم و يعفو و يعاقب و يثيب و يقدم و يؤخر و يرفع و يضع، و لذلك[2] قال صلى الله عليه و سلم " لو لم تذنبوا فتستغفروا لذهب الله بكم ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم " أخرجه مسلم[3] و الترمذى[4] عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لذا.
(٣) راجع صحيحه: التوبة (٤) راجع الجامع - الجنة.

ابى أيوب رضى الله عنه، فقال تعالى مقدما للعدو إشارة إلى أنه عالم[1] به و قادر[2] عليه، و ما كان منه شيئا إلا بارادته، و فيه تلويح إلى أنه الأكثر و مع كثرته[3] هو الأضعف، لأن الله تعالى ليس معه بمعونته و إلا لأعدم الصنف الآخر: ﴿فمنكم﴾ أى فتسبب عن خلقه لكم و تقديره
٥ لأشباحكم التى تنشأ عنها[4] الأخلاق إن كان منكم بابداعه لصفاتكم كما أبدع لذواتكم ﴿ كافر ﴾ أى عريق فى صفة الكفر مهلك نفسه بما هيأه لاكتسابه و يسره له بعد ما خلقه فى أحسن تقويم على الفطرة [الأولى -[5]]، و فى الحديث أن الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام طبع كافرا بمعنى أن فطرته الأولى خلقت مهيأة للكفر[6]، / فان الأفعال /٣٦٥
١٠ عامة [و -[5]] خاصة، فالخاصة تضاف [7]إلى العبد[7] يقال: صلى و صام[8] و آمن و كفر، و العامة تضاف إلى الله تعالى فيقال: أوجد القدرة على الحركة [و السكون و خلق الحركة و السكون -[5]]، و الأفعال الخاصة متعلق الأمر و النهى ﴿و منكم مؤمن[9]﴾ أى راسخ فى الإيمان فى حكم الله تعالى فى الأزل منح نفسه بالأعمال الصالحة التى طابق بها العلم الأزلى، فهو سبحانه خالق
١٥ الكافر و خلق كفره فعلا له، و المؤمن و إيمانه[9] فعلا له، لأنه خلق القدرة

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عالما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قادرا. (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منها (٥) زيد من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لكفر. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: للعبد (٨) من م، و فى الأصل و ظ: مسلم. (٩) من م، و فى الأصل و ظ: الايمان.

و الاختيار و غيب امر العاقبة[1]، فكل منهما يكتسب باختياره بتقدير الله، و لا يوجد من كل منهما إلا ما قدره عليه و أراده منه لأن وجود غير المقدور عجز، و خلاف المراد المعلوم جهل، و قد علم من هذه القسمة علما قطعيا أن أحد القسمين مبطل ضال مخالف لأمر الملك الذى ثبت ملكه، و من المعلوم قطعا أن كل ملك لابد اء أن يحكم بين رعيته فى ٥ [الأمر –[2]] الذى اختلفوا فيه و ينصف المظلوم من ظالمه، و من المشاهد أن بعضهم يموت على كفرانه من غير نقص يلحقه، و بعضهم على إيمانه كذلك، فعلم أن هذه الدار ليست دار الفصل، و أن الدار المعدة له إنما هى بعد الموت و البعث، و هذا مما هو مركوز فى الطبائع لايجهله أحد، و لكن الخلق أعرضوا عنه بما هم[3] فيه[4] من القواطع، فصار مما ١٠ لايخطر بانكارهم، فصار بحيث لا تستقل به عقولهم. و لكنهم إذا ذكروا به و أوضحت لهم هذه القواطع التى أشار سبحانه إليها و جردوا النفس[5] عن الحظوظ و المرور مع الألف عدوه[6] كلهم من الضروريات، و علم من تسبيبه تقسيمهم هذا عن تقديره وجوب [الإيمان –[7]] بالقدر خيره و شره[8]. ١٥

و لما كان التقدير: فالذى أبدعكم و حملكم على ذلك و فاوت بينكم

---

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: مصرين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م. و فى الأصل: عليه. (٥) من ظ و م. و فى الأصل: انفسهم (٦) سقط من ظ (٧) زيد من م. (٨) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

على كل شيء قدير، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بفعله ذلك، و قدم الجار لا للتخصيص بل إشارة إلى مزيد الاعتناء كما تقول لمن سألك : هل تعرف كذا، و ظهر منه التوقف فى علمك له : نعم أعرفه و لا أعرف غيره، فقال : ﴿ بما تعملون ﴾
٥ أى توقعون عمله كسبا ﴿ بصير ﴾ أى بالغ العلم بذلك، فهو الذى خلق جميع أعمالكم التى نسب كسبها إليكم، و هو خالق جميع الاستعدادات و الصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لأنه لايتصور أن يخلق الخالق ما لايعلمه، و لو سئل الإنسان كم مشى فى يومه من خطوة لم يدر، فكيف لو سئل أين موضع مشيه و متى زمانه فكيف و أنه ليمشى أكثر
١٠ مشيه و هو غافل عنه، و من جهل أفعاله كما وكيفا و أينا و غير ذلك لم يكن خالقا لها بوجه.

و لما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على / تمام إحاطته بالبواطن ٣٦٦ / و الظواهر بأنه يخلق الشيء العظيم جدا[1] فيأتى على وفق الإرادة ثم لايحتاج إلى أن يزاد فيه و لا أن ينقص منه فقال : ﴿ خلق السموٰت ﴾ التى هى
١٥ السقف لبيت عبيد الملك على كبرها و علوها كما ترون ﴿ و الارض ﴾ التى هى قرار بيتهم و مهاده على سعتها و ما فيها من المرافق و المعاون ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الذى يطابقه الواقع فلا زائدا عنه و لا ناقصا بل جاء الواقع منها[2] مطابقا لما أراد سواء [3]لا كما يريد أحدنا الشيء فإذا[3]

(١) زيد فى الأصل : فيتصرف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل : منه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

أوجده

[١]أوجده لم يكن على وفق مراده سواء[١]. و بسبب إظهار الأمر الثابت و إبطال الباطل فهو خالق المسكنين : الدنيوى و الأخروى ، خلافا لمن لايقول بذلك من صابئ[٢] و فلسفى و غيرهم .

و لما كان أهل الطبائع يقولون : إن الأفلاك لها تأثير بحسب الذات و الطبع ، قال نافيا لذلك مذكرا بنعمته لتشكر : ﴿ و صوركم ﴾ ٥ أى أيها المخاطبون على صور لاتوافق[٢] شيئا من صور العلويات و لا السفليات و لا فيها [٣]صورة توافق[٣] الأخرى من كل وجه ﴿ فاحسن صوركم ج ﴾ فجعلها أحسن صور الحيوانات كلها كما هو مشاهد فى الدنيا وكذا فى الآخرة خلافا لأهل التناسخ مع أن وضعها فى نفسها أحسن الأوضاع ، لو غير شىء منها عن مكانه[٤] إلى شىء مما نعلمه لحصلت البشاعة[٥] به مع تفضيل الآدمى بتزيينه ١٠ بصفوة أوصاف الكائنات و جعل سبحانه أعضاء متصرفة بكل ما يتصرف به أعضاء سائر الحيوان مع زيادات اختص بها الآدمى إلى حسن[٦] الوجه و جمال الجوارح ، فهو أحسن بالنسبة إلى النوع من حيث هو هو ، و بالنسبة إلى الأفراد فى نفس الأمر و إن كان بعضها أحسن من بعض ، فقبح القبيح منه إنما هو بالنسبة إلى أحسن منه . و لذا قال الحكماء ، شيئان لاغاية ١٥ لهما[٧]: الجمال و البيان ، فخلق الانسان فى أحسن تقويم لاينفى أن يكون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : لا تخالف.
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صور تشبهه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مكانها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الشفاعة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : احسن (٧) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م .

للنوع الذى جعل أحسن أفراد أنواع لما فوقه من الجنس، لا نهاية لأحسنية بعضها بالنسبة [إلى بعض - ١] يشاهد ما وجد من أفراد نوعه من الذوات فقدرة الله لاتتناهى، فاياك أن تصغى لما وقع فى كتب الإمام الغزالى أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، و إن كان قد علم ٥ أنه اعترض عليه فى ذلك ٢و أجاب٢ عنه فى الكتاب الذى أجاب فيه عن٣ أشياء اعترض عليه فيها فانه لاعبرة بذلك الجواب أيضا، فان ذلك ينحل إلى أنه سبحانه و تعالى لايقدر على أن يخلق أحسن من هذا العالم، و هذا لايقوله أحد، و هو لاينقص مقدار الغزالى فان كل أحد يؤخذ من كلامه و يرد كما قال الإمام مالك رضى الله عنه، و عزاه الغزالى ١٠ نفسه إلى ابن عباس رضى الله عنهما، و قال الإمام الشافعى / رضى الله عنه و أرضاه: صنفت هذه الكتب و ما ألوت فيها جهدا و إنى لأعلم أن فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول "و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

و لما كان التقدير: فكان منه سبحانه المبدأ، عطف عليه قوله:

١٥ ﴿ و إليه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ﴾ أى بعد البعث بعين القدرة التى قدر بها على البدأة، فمن كان٣ على الفطرة الأولى لم يغيرها أدخله الجنة، و من كان قد أفسدها فجعل روحه نفسا بما طبعها به من حيث جسده أدخله

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: فانهم فاجاب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) زيد فى الأصل: فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

النار، و فى الدنيا أيضا بانفراده بالتدبير، فلا يكون من الملك و السوقة إلا ما يريد، [لاما يريد - [1]] ذلك المريد الفاعل .

و لما تقرر بما مضى إحاطة قدرته بما دل على ذلك من إبداعه للخلق على هذا الوجه المحكم و شهد البرهان القاطع بان ذلك صنعه وحده، لافعل [2] فيه لطبيعة و لا غيرها، دل على أن [3] ذلك بسبب شمول ٥ علمه إشارة إلى أن من لم يكن تام العلم فهو ناقص القدرة فقال: ﴿ يعلم ﴾ أى علمه [3] حاصل فى الماضى و الحال و المآل يتعلق بالمعلومات على حسب تعليق قدرته على وفق إرادته بوجدانها ﴿ ما ﴾ أى الذى أو كل شىء ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ كلها .

و لما كان الكلام بعد قيام الدليل القطعى البديهى [4] على جميع أصول ١٠ الدين مع الخلص لأن بداهة الأدلة قادتهم إلى الاعتقاد أو إلى [5] حال صاروا فيه أهلا للاعتقاد، و التحلى بحلية اهل السداد، و لم يؤكد [6] باعادة الموصول بل قال: ﴿ و الارض ﴾ و لما ذكر حال الظرف على وجه يشمل [7] المظروف، و كان الاطلاع على أحوال العقلاء أصعب، قال مؤكدا باعادة العامل: ﴿ و يعلم ﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ ما تسرون ﴾ ١٥

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: صنع (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل و ظ: الذى، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل و ظ: حاصل، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لم يكد (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يشتمل .

أي[1] حال الانفراد و حال الخصوصية مع بعض الإفراد . و لما كانت لدقتها و انتشارها بحيث ينكر بعض الضعفاء الإحاطة بها ، وكان الإعلان ربما خفي لكثرة لغط و اختلاط[2] أصوات و نحو ذلك أكد فقال: ﴿ و ما تعلنون[3] ﴾ من الكليات و الجزئيات خلافا لمن يقول: يعلم ٥ الكليات [فقط -[3]] و [لا يعلم -[3]] الجزئيات [إلا بعد وجودها ، من فلسفي و غيره ، و لمن يقول: يعلم الكليات -[3]] خاصة . و لما ذكر حال المظروف على وجه يشمل ظروفه و هي الصدور ، و كان أمرها أعجب من أمر غيرها ، قال مصرحا بها إشارة إلى دقة أمرها مظهرا موضع [الإضمار -[3]] تعظيما : ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة التامة لكل ١٠ كمال ﴿ عليم ﴾ أي بالغ العلم ﴿ بذات ﴾ أي صاحبة ﴿ الصدور ۝ ﴾ من الأسرار و الخواطر التي لم تبرز إلى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أو لا ، و علمه [4]لكل ذلك[4] على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفي و علم الجلي ، لأن نسبة المقتضى لعلمه و هو وجود ذاته على ما هي عليه من صفات الكمال إلى الكل على حد سواء ، فراقبوه في ١٥ الإخلاص و غيره مراقبة من يعلم / أنه بعينه لا يغيب عنه و احذروا[5] أن ٣٦٨ / يخالف السر العلانية ، فان حقه أن يتقى و يحذر ، و تكرير العلم في معنى

---

(١) زيد في الأصل : على ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و في الأصل و ظ : اختلاف (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل و ظ : لذلك (٥) من ظ و م ، و في الأصل : احذر .

تكرير الوعيد و تقديم تقرير القدرة على تقريره[1] لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولا و بالذات، و كمال قدرته يستلزم كمال علمه لأن من لا يكمل علمه لا تتم قدرته، فلا يأتي مصنوعه محكما.

و لما تقرر الإيمان به من أنه الملك الذي له وحده الملك، و أشار بما يشاهد من انقسام عبيده إلى مؤمن وكافر إلى أنه لابد من الأخذ ٥ على يد الظالم منهما كما هي عادة الملوك، لا يسوغ في الحكمة و لا في العادة غير ذلك، و أخبر أن علمه محيط لنسبته إلى العلويات و السفليات و[2] الظواهر و البواطن على حد سواء، أتبع ذلك وجوب الإيمان برسله لجمع الكلمة عليه سبحانه لتكمل الحياة باصلاح ذات البين لئلا يقع الخلاف فتفسد الحياة و وجوب الاعتبار لمن مضى من أممهم، فمن لم يعتبر عثر ١٠ في مهواه من الأمل، و دل عليه باهلاكه من خالفهم إهلاكا متسقا في خرقه للعادة[3] و خصوصه لهم على وجه مقرر[4] ما مضى من انفراده بالملك معلم أن الكفرة هم المبطلون فقال: ﴿ الم ياتكم ﴾ أي أيها الناس ولاسيما الكفار لتعلموا أنه شامل العلم محيط القدرة ينتقم من / المسيء ﴿نبؤا الذين﴾ و عبر بما يشمل[5] شديد الكفر و ضعيفه فقال: ﴿ كفروا ﴾ أي خبرهم ١٥ العظيم. و لما كان المهلكون على ذلك الوجه بعض الكفار و هم الذين أرسل إليهم الرسل، فلم يستغرقوا ما مضى من الزمان قال: ﴿ من قبل ﴾

---

(١) من م، و في الأصل و ظ: تقديره (٢) زيد في الأصل: في، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من م، و في الأصل و ظ: من العادة.
(٤) من ظ وم، و في الأصل: مقدر (٥) من م، وفي الأصل وظ: يشتمل.

كالقرون المذكورين فى الأعراف، ثم سبب عن كفرهم وعقب قوله: ﴿ فذاقوا ﴾ أى باشروا مباشرة الذائق بالعدل الثانى كما كان حكم عليهم بالعدل الأول بالتقسيم إلى كافر و مؤمن ﴿ وبال امرهم ﴾ أى شدة ما كانوا فيه مما يستحق أن يشاور فيه و يؤمر و ينهى و ثقله و وخامة ٥ مرعاه فى الدنيا، و أصله الثقل كيفما قلب ﴿ و لهم ﴾ أى مع ما ذاقوه بسببه فى الدنيا ﴿ عذاب اليم ﴾ فى البرزخ ثم القيامة التى هى موضع الفصل الأعظم.

و لما ذكر ما أحله بهم سبحانه و أشار إلى القطع بأنه من عنده باتساقه فى خرقه العوائد بالاستئصال و الخصوص لمن كذب الرسل ١٠ و التنجية لمن صدقهم، علله بقوله: ﴿ ذلك ﴾ اى الأمر الشنيع العظيم من الوبال الدال قطعا على أن الكفر أبطل الباطل و أنه مما يغضب الخالق. و لما لم يكن مقصودها كمقصود غافر من تصنيف الناس صنفين، و إنما حصل تصنيفهم هنا بالعرض للدلالة على الساعة اكتفى بضمير الشأن فقال: ﴿ بانه ﴾ أى بسبب أن الشأن العظيم البالغ فى الفظاعة ١٥ ﴿ كانت تاتيهم ﴾ على عادة مستمرة[1] ﴿ رسلهم ﴾ أى رسل الله الذين أرسلهم[2] إليهم و خصهم بهم ليكونوا موضع مرززهم بهم / ﴿ بالبينت ﴾ /٣٦٩ اى الأمور التى توضح غاية الإيضاح أنهم رسل الله من الكتب و غيرها، فشاهدوا الأمر من معدنه، فلذلك كان عذابهم أشد.

(١-١) من ظ و م، و فى الاصل: عادتهم المستمرة (٢) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما كان سبحانه و تعالى قد اودع[1] الإنسان من جملة ما منحه به خاصة لطيفة و هي العزة و حب الكبر و العلو ، فمن وضعها موضعها [بالتكبر -[2]] على من أمر الله بالتكبر عليه و هم[3] شياطين الانس والجن ممن عصاه سبحانه نجا ، و من وضعها في غير موضعها بالتكبر على أولياء الله رب العزة هلك ، بين تعالى أن الكفار وضعوها في غير موضعها : ٥ ﴿ فقالوآ ﴾ أى الكل لرسلهم منكرين غاية الإنكار تكبرا : ﴿ ابشر ﴾ أى هذا الجنس و هو مرفوع على الفاعلية لأن الاستفهام يطلب الفعل ، و لما كان تكذيب الجمع أعظم ، وكان لو أفرد الضمير لم يكن له روعة الجمع قال : ﴿ يهدوننا ﴾ فأنكروا على الملك الأعظم إرساله لهم ﴿ فكفروا ﴾ بذلك عقب مجيء الرسل و بسببه من غير نظر و تفكر و أدنى تأمل ١٠ و تبصر حسدا للرسل لكونهم مساوين لهم في البشرية فاستبعدوا أن يخصوا من بينهم بأمر و لا سيما إن كان عظيما جدا ، فلزمهم ارتكاب أقبح الأمور و هو استبعاد أن يكون النبي بشرا مع الإقرار بأن[4] يكون الإله حجرا ﴿ و تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن الرسل بعد إنكار رسالتهم لشبهة ١٥ قامت عندهم ، و ذلك أنهم قالوا : إن الله عظيم لا يشبه البشر فينبغي أن يكون رسله من غير البشر ، و لو تأملوا حق التأمل لعلموا أن هذا

---

(١) من م ، و في الاصل وظ : اودع (٢) زيد من م (٣) من م ، و في الأصل و ظ : هو (٤) من ظ و م ، و في الأصل : الشي (٥) من ظ و م ، و في الأصل : ان .

هكذا، و أن الرسل إنما هى ملائكة. لكن لما كان لايقوى جميع البشر على رؤية الملائكة كما هو مقتضى العظمة التى توهموها و لم يثبتوها على وجهها، خص سبحانه من البشر ناسا و هم الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بقوى زائدة طوقهم بها على معالجتهم، فأتوا إليهم ليكونوا واسطة بين الله ٥ و بين خلقه لأن بعض الجنس أميل إلى بعض و أقبل.

و لما كان هذا كله إنما هو لمصالح الخلق لايعود على الله سبحانه و تعالى و عز شانه نفع من وجوده و لا يلحقه ضرر من عدمه و لا بالعكس، نبه على ذلك بقوله: ﴿ و استغنى الله ﴾ أى فعل الملك الأعظم [الذى - [1]] لا أمر [2] لأحد معه فعل من يطلب الغنى عنهم ١٠ و أوجده إيجادا عظيما بمن هداه لاتباع الرسل فأعرض عنهم حين أعرضوا عن رسله فضرهم إعراضه [عنهم - [3]] و لم يضره إعراضهم و ما ضروا إلا أنفسهم و أطلق الاستغناء ليعم كل شيء.

و لما كان التعبير بذلك قد يوهم حدوث ما لم يكن له، نفى ذلك ٣٧٠ / بقوله مظهرا [4] زيادة فى العظمة [4] /: ﴿ و الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ١٥ من غير تقيد بحيثية ﴿ غنى ﴾ [5] عن الخلق جميعا [5] ﴿ حميد ﴾ له صفة الغنى المطلق و الحمد الأبلغ الذى هو الإحاطة بجميع أوصاف الكمال

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فعل (٣) زيد من م.
(٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: للعظمة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

على

على الدوام أزلا و أبدا ، لم يتجدد له شيء لم يكن .

و لما قرر وجوب الإيمان به و برسله و كتبه و بالقدر [1]خيره و شره[1]، و قسم الناس إلى مؤمن و كافر ، و أخبر أن الكافر تكبر عن الرسل، عين الموجب الأعظم لكفرهم بقوله دالا على وجوب الإيمان بالبعث و ترك القياس و الرأى فان عقل الإنسان لا يستقل ببعض أمور الالهية، ٥ معبرا بما أكثر إطلاقه [2]على ما[2] يشك فيه و يطلق على الباطل إشارة إلى أنهم شاكون و إن كانوا جازمين ، لكونهم لا دليل لهم ، و إلى أنهم فى نفس الأمر مبطلون : ﴿ زعم ﴾ قال ابن عمر رضى الله عنهما : هى كنية الكذب[3]، و فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند أبى داود[4] : بئس مطية الرجل زعموا ﴿ الذين كفروآ ﴾ أى أوقعوا الستر لما دلت ١٠ عليه العقول من وحدانية الله تعالى و لو على أدنى الوجوه .

و لما كان الزعم ادعاء العلم و كان مما يتعدى إلى مفعولين ، أقام سبحانه مقامهما قوله : ﴿ ان لن يبعثوا ؕ ﴾ [أى من باعث ما بوجه من الوجوه . و لما كان قد أشار سبحانه بنوعى المؤمن و الكافر إلى الدليل القطعى الضرورى على وجود المبطل اللازم منه ودعه اللازم منه وجوب ١٥ البعث ، اكتفى فى الأمر باجابتهم بقوله -[5]] : ﴿ قل ﴾ أى لهم : ﴿ بلى ﴾ أى لتبعثن، ثم أكده بصريح القسم فقال : ﴿ و ربى ﴾ أى المحسن إلىّ

(١-١) فى م : كله و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بما (٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الأدب (٤) راجع كتاب الأدب و أخرجه ابن المبارك فى الزهد ص : (١٢٧) (٥) زيد من ظ و م .

بالانتقام ممن كذب بى، و باحقاق كل حق أميت، و إبطال كل باطل أقيم ﴿ لتبعثن ﴾ مشيرا ببنائه للفعول إلى أنه و يكون على وجه القهر لهم بأهون شىء و أيسر أمر و كذلك[1] قوله : ﴿ ثم لتنبؤن ﴾ أى لتخبرن[2] حتما إخبارا عظيما ممن يقيمه الله لإخباركم ﴿ بما عملتم ﴾ للدينونه عليه.

٥ و شرح بعض ما أفاده بناء الفعلين للجهول بقوله : ﴿ و ذلك ﴾ أى الأمر العظيم عندكم من البعث و الحساب ﴿ على الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال / وحده ﴿ يسير ﴾ لقبول المادة و حصول القدرة، و كون قدرته /٣٧١ سبحانه كذلك شأنها، نسبة الأشياء الممكنة كلها جليلها و حقيرها إليها على حد سواء.

١٠ و لما كان فى رد قولهم على هذا الوجه مع الإقسام من غير استدلال إشارة إلى تأمل الكلام السابق بما اشتمل عليه من الأدلة التى منها ذلك البرهان البديهى، سبب عنه قوله فذلكة[3] لما مضى من الأدلة و جمعا لحديث جبريل عليه الصلاة و السلام فى الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره و الإسلام و الإحسان:

١٥ ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أى الذى لا أظهر من أن له الإحاطة الكاملة بكل شىء و أنه لا كفؤ له و لاراد لأمره. و لما دعاه هذا إلى الإيمان به سبحانه عقلا و نقلا ذكرا و فكرا، ثنى بالإيمان بالرسل من الملائكة و البشر فقال : ﴿ و رسوله ﴾ أى كل من أرسله [و -[4]] لاسيما محمد صلى الله

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : كذا (٢) من ظ و م، و فى الاصل : تخبرون (٣) من ظ و م. و فى الأصل : فلذلك هو (٤) زيد من ظ و م.

عليه و سلم بما ثبت من / تصديقه بالمعجزات من أنه رسوله، و يلزم من / ٣٧١
الإيمان به الإيمان بمن أبلغه من الملائكة . و لما كانت تلك المعجزات
موجبات للعلم كانت أحق الأشياء باسم النور فان النور هو المظهر للأشياء
بعد انحجابها برداء الظلام[1] و كان أعظم تلك المعجزات و أحقها بذلك
كتب الله المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة و السلام، و أعظمها القرآن ٥
الذى هو مع إعجازه بيان لكل شيء، قال: ﴿و النور﴾ و عينه بقوله:
﴿الذى انزلنا[2]﴾ أى بما لنا من العظمة فكان معجزا فكان باعجازه[2]
ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره، و هذا و إن كان [هو -[3]] الواقع لكن
ذكر هذا الوصف صالح لشمول كل ما أوحاه الله سبحانه و تعالى إلى
رسله صلى الله عليهم و سلم، و من المعلوم أن أعظمه القرآن المنزل على أشرف ١٠
رسله صلى الله عليه و عليهم أجمعين، فهو أحق ذلك باسم النور لما مضى
من إعجازه، فمن آمن[4] به أدخل الله قلبه من أنوار الفهوم و الألطاف
و السكينة ما يضيء الأقطار.

و لما كان التقدير: و الله محاسبكم على ما قابلتم[5] به إنعامه عليكم
بذلك[6] من إيمان و كفران، عطف عليه مرغبا مرهبا قوله: ﴿و الله﴾ ١٥
أى المحيط علما و قدرة، و قدم الجار لما تقدم غير مرة من مزيد التأكيد
فقال: ﴿بما تعملون﴾ أى توقعون عمله فى وقت من الأوقات

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الظالم (٢) من م، و فى الأصل و ظ: إعجازه (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قبلتم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لذلك.

﴿ خبير ﴾ أي بالغ العلم بباطنه و ظاهره .

ولما أخبر بالبعث و أقسم عليه ، و أشار إلى دليله السابق ، و سبب عنه ما ينجى فى يومه ، ذكر يومه و ما يكون فيه ليحذر[1] فقال متبعا ما مضى من دعائم الإيمان دعامة اليوم الآخر واعظا[2] لمن يقول : يا ليت شعرى ٥ ما حالى بعد ترحالى ؟ و قامعا لمن يقول : لا حال بعد الترحال ، بالإعلام بانها أحوال أى أحوال ، تشيب[3] الأطفال ، و تقصم ظهور الرجال ، بل تهد شم الجبال : ﴿ يوم ﴾ أى تبعثون فى يوم ﴿ يجمعكم ﴾ أى أيها الثقلان . و لما كان الوقت المؤرخ به فعل من الأفعال إنما يذكر لأجل ما وقع فيه ، صار كأنه علة لذلك الفعل فقال تعالى : ﴿ليوم الجمع﴾ ١٠ لأجل ما يقع فى ذلك [اليوم - [4]] الذى يجمع فيه أهل السماوات و أهل الأرض من الحساب و الجزاء الذى يكون فوزا لناس فيكونون غابنين ، و يكون خيبة لناس فيكونون مغبونين ، و كل منهم يطلب أن يكون غابنا .

و لما كان هذا المقصد أمرا عظيما مقطعا ذكره الأكباد ، قال تعالى ١٥ مشيرا إلى هوله بأداة البعد مستأنفا : ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم المكانة الجليل الأوصاف ﴿يوم التغابن ﴾ الذى لا تغابن فى الحقيقة غيره لعظمه و دوامه ، و الغبن : ظهور النقصان / للحظ الناشئ عن خفاء لأنه يجمع /٣٧٢

(١) زيد فى الأصل : السامع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى ظ : وعظا (٣) زيد فى الأصل وظ : لها ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٤) زيد من ظ و م .

فيه

فيه الأولون و الآخرون و سائر الخلق أجمعون ، و يكون فيه السمع و الإبصار على غاية لا توصف بحيث أن جميع ما [يقع -[1]] فيه [يمكن -[2]] أن يطلع عليه كل أحد من أهل ذلك الجمع ، فاذا فضح أحد افتضح عند الكل . و ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من[3] النار لوأساء ليزداد[4] شكرا ، و ما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ٥ ليزداد[5] حسرة فيغبن كل كافر بتركه[5] الإيمان وكل مؤمن بتقصيره[6] فى الإحسان ، و مادة "غبن" تدور على الخفاء من مغابن الجسد و هى ما يخفى عن العين ، و سمى الغبن فى البيع - لخفائه عن صاحبه ، فالكافر و الظالم يظن أنه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذى استأثر به الكافر ، و بالنقص الذى أدخله الظالم على المظلوم ، و قد غبنهما المؤمن و المظلوم على الحقيقة ١٠ بنعيم الآخرة و كمال جزائها العظيم الدائم ، فالغبن فيه لا يشبهه غبن ، فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الوجه على التقوى أتم بعث ، و هى الحاملة على اتباع الأوامر و اجتناب النواهى لئلا يحصل الغبن بفوات النعيم أو نقصانه ، و يحصل بعده للكافر[7] العذاب الأليم .

و لما كان كل أحد يحب أن يكون فى النور ، و يكره أن يكون ١٥ فى الظلام ، و يحب أن يكون غابنا ، و يكره أن يكون مغبونا ، أرشدت

(١) زيد من ظ (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فى (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيزداد (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : تركه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لتقصيره (٧) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

سوابق الكلام و لواحقه إلى أن التقدير: فمن آمن كان فى النور، وكان فى ذلك اليوم برجحان ميزانه من[1] الغابنين، و من كفر كان فى الظلام، وكان فى ذلك اليوم بنقصان ميزانه من المغبونين، فعطف[2] عليه قوله بيانا لآثار ذلك الغبن، و تفضيلا له باصلاح الحامل على التقوى و هو أمور منها القوة العلمية: ﴿ و من يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان و يجدده على سبيل الاستمرار ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفؤ له. و لما ذكر الرأس و هو إصلاح القوة العلمية، أتبعه البدن و هو إصلاح القوة العملية فقال: ﴿ و يعمل ﴾ تصديقا لإيمانه ﴿ صالحا ﴾ أى عملا هو مما ينبغى الاهتمام بتحصيله لأنه لامثل له [فى - [3]] جلب المنافع و دفع المضار.

و لما كان الدين مع سهولته متينا لن يشاده أحد إلا غلبه، قال حاملا على التقوى بالوعد بدفع المضار، و لعله أفرد الضمير إشارة إلى أن زمان التكفير و الدخول متفاوت بحسب طول الحساب و قصره، كلما[4] فرغ واحد من الحساب دخل الجنة إن كان من أهلها: ﴿ يكفر ﴾ أى الله - على قراءة الجماعة بأن يستر سترا عظيما ﴿ عنه[5] سيأته ﴾ التى غلبه عليها نقصان الطبع، و أتبع ذلك الحامل الآخر و هو الترجئة بجلب المسار لأن الإنسان / يطير إلى ربه سبحانه بجناحى الخوف و الرجاء /٣٧٣

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢) من م، و فى الأصل و ظ: بطف.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٥) وقع فى الأصل قبل «سترا عظيما» و الترتيب من ظ و م.

و الرهبة [و الرغبة -[1]] و النذارة و البشارة فقال: ﴿ و يدخله ﴾ أى رحمة له و إكراما [و فضلا -[1]] ﴿ جنّٰت ﴾ أى بساتين ذات أشجار عظيمة و أغصان ظليلة تستر داخلها، و رياض مديدة منوعة الأزاهير[2] عطرة النشر تبهج رائيها، و أشار إلى دوام ريها بقوله: ﴿ تجرى ﴾ و لما كان عموم الماء لجميع الأرض [غير -[1]] ممدوح، بين أنه فى خلالها ٥ على [أحسن -[1]] الأحوال فقال: ﴿ من تحتها ﴾ و بين عظمه بقوله: ﴿ الانهر ﴾ و لما كان النزوح[3] أو توقعه عن مثل هذا محزنا، أزال توقع ذلك بقوله جامعا لئلا يظن الخلود لواحد بعينه تصريحا بأن من معناها الجمع و أن كل من تناوله مستوون فى الخلود: ﴿ خٰلدين فيهآ ﴾ و أكد بقوله[4]: ﴿ ابدا ﴾ و التقدير[5] على قراءة نافع و ابن عامر[6] بالنون: ١٠ نفعل التكفير[7] و الإدخال إلى هذا النعيم بما لنا من العظمة فانه لا يقدر على إسعاد من شاء و إشقاء من شاء إلا الله سبحانه، و لا تكون هذه القدرة تامة إلا لمن كان عظيما لا راد لأمره أصلا .

و لما كان هذا أمرا باهرا جالبا بنعيمه سرور القالب، أشار إلى عظمته بما يجلب سرور القلب بقوله: ﴿ ذٰلك ﴾ أى الأمر العالى جدا ١٥ من الغفران و الإكرام، لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ لأنه جامع لجميع

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الازهار (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الروج (٤) من م، و فى الأصل و ظ: قوله (٥) زيد فى الأصل و ظ: بقوله، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) راجع نثر المرجان ٧ / ٣٧١ - ٣٧٢ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: التفكير .

المصالح[1] مع دفع المضار و جلب المسار .

و لما ذكر الفائز بلزومه التقوى ترغيبا، أتبعه الخائب بسبب إفساد[2] القوتين الحاملتين على التقوى: العلمية و العملية ترهيبا، فقال بادئا بالعلمية: ﴿و الذين كفروا﴾ أى غطوا أدلة[3] ذلك اليوم فكانوا[4] فى الظلام .

٥ و لما ذكر إفسادهم القوة العلمية ، أتبعه العملية فقال: ﴿ و كذبوا ﴾ أى أوقعوا جميع التغطية و جميع التكذيب[5] ﴿بٰا يٰتنآ ﴾ بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها إلينا، فلم يعملوا شيئا .

و لما بين إفسادهم للقوتين[6]، توعدهم بالمضار[7]، فقال معريا من الفاء فى جانبى الأشقياء و السعداء طرحا للاسباب، لأن نظر هذه السورة إلى

١٠ الجبلات التى لامدخل فيها لغيره أكثر بقوله " هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن " فان ذلك أجدر بالخوف منه ليكون أجدر بالبعد عما يدل على الجبلة الفاسدة من الأعمال السيئة: ﴿اولٰٓئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿اصحٰب النار ﴾ و لما كان السجن إذا رجى الخلاص منه قلل من خوف داخله، و كان التعبير بالصحبة مشعرا بالدوام المقطع للقلوب

١٥ لأنه مؤيس من الخلاص، أكده بقوله: ﴿ خٰلدين فيها ﴾ و زاد فى

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المصلح (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فساد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : أو (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فكان (٥) زيد فى الأصل : بانواعه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمصادر .

الإرهاب منها[1] بقوله [مشيرا - [2]] إلى مضار القلب[3] بعد ذكر مضار القالب: ﴿و بئس المصير ﴾ أى جمعت المذام [كلها -[2]] الصيرورة إليها و بقعتها التى للصيرورة إليها، فكيف بكونها[4] على وجه الإقامة زمنا طويلا فكيف إذا كان على وجه الخلود.

و لما كان من تعرفه من المرغبين و المرهبين لايفعل ذلك / إلا فيما ٥ / ٣٧٤ ليس[5] قادرا على حفظه و ضبطه حتى لايحتاج العامل فى عمل ذلك إلى رقيب يحفظه و وكيل يلزمه ذلك العمل و يضبطه، و كان قول المنافقين المتقدم فى الإنفاق و الإخراج من المصائب، و كانت المصائب تطيب إذا كانت من الحبيب، قال جوابا لمن يتوهم عدم القدرة متمما ما مضى من خلال[6] الأعمال بالإيمان بالقدر خيره و شره، مرغبا فى التسليم مرهبا ١٠ من الجزع قاصرا الفعل ليعم كل مفعول: ﴿ مآ اصاب ﴾ أى أحدا يمكن المصائب أن تتوجه إليه، و ذكر الفعل إشارة إلى القوة، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من مصيبة﴾ أىّ مصيبة كانت [7]دينية أو دنيوية[7] من كفر أو غيره ﴿الا باذن الله﴾ أى بتقدير الملك الأعظم و تمكينه، فلا ينبغى لمؤمن أن يعوقه شيء من ذلك عن التقوى النافعة فى يوم التغابن. ١٥

و لما تسبب[8] عن ذلك ما تقديره: فمن يكفر بالله بتقديره عليه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القلوب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٥) زيد فى الأصل: عليه أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اخلال (٧-٧) من ظ و م. و فى الأصل: دنيوية أو دينية (٨) من ظ و م، و فى الأصل: سبب.

الكفر يغو قلبه و يزده ضلالا فيفعل ما يتوغل[1] به فى المصيبة حتى
تصير مصائب عدة فتهلكه ، عطف عليه قوله باعثا على أول ركنى الإسلام
و هو إصلاح القوة العلمية : ﴿ و من يؤمن بالله ﴾ أى يوجد الإيمان فى
وقت من الأوقات و يجدده بشهادة أن لا إله إلا الله و[2] أن محمدا رسول الله
٥ بسبب الملك الأعظم و تقديره و إذنه ﴿ يهد قلبه[4] ﴾ أى يزده هداية
بما يجدده[3] له من التوفيق فى كل وقت حتى يرسخ إيمانه فتنزاح عنه
كل مصيبة . فانه يتذكر أنها من الله و أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، و ما
أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم بقضائه فيصبر له و يفعل و يقول ما أمر الله
به و رسوله فيخف عليه ، و لا يعوقه عن شيء من المنجيات فى[4] يوم التغابن ،
١٠ [5]بل يحصل[5] له بسببها عدة أرباح و فوائد ، فتكون حياته[6] طيبة بالعافية
الشاملة فى الدينيات و الكونيات لأن بالعافية فى الكونيات[7] تطيب الحياة
فى [الدنيا ، و بالعافية فى الدينيات تطيب الحياة فى -[8]] الآخرة فتكون
العيشة راضية ، و ذلك[9] بأن يصير عمله كله صوابا فى سرائه و ضرائه
فيترك كل فاحشة دينية ظاهرة بدنية و باطنة قلبية و يترك الهلع فى
١٥ المصائب الكونية كالخوف و الجوع و نقص الأموال و الأنفس و الثمرات

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يتوعد (٢) زيد فى الأصل : اشهد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : يجدد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المحبات (٥ - ٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ليحصل .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حياة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الكون .
(٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك .

و ذلك لأنه بصلاح القلب ينصلح البدن كله .

و لما كان التقدير تعليلا لذلك : فالله على كل شيء قدير [فهو -[1]] لايدع شيئا يكون إلا باذنه . عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الذى لا نظير له ﴿ بكل شىء ﴾ مطلقا من غير مثنوية ﴿ عليم ﴾ فاذا تحقق من هدى قلبه ذلك زاح كل اعتقاد باطل من كفر أو بدعة ٥ أو صفة خبيثة . و لما كان التقدير : فاصبروا عند هجوم المصائب ، / عطف ٣٧٥ / عليه قوله تحذيرا من أن يشتغل بها [فتوقع فى الهلاك و تقطع عن أسباب النجاة دالا على تعلم أمور الدين من معاداتها -[2]] مشيرا إلى أن العبادة لاتقبل إلا بالاتباع لا بالابتداع : ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله فافعلوا فى كل مصيبة و نائبة تنوبكم و قضية ١٠ تعروكم ما شرعه لكم . و أكد باعادة العامل إشارة إلى أن الوقوف عند الحدود ولا سيما عند المصائب فى غاية الصعوبة فقال : ﴿ و اطيعوا الرسول ج ﴾ أى الكامل فى الرسلية - صلى الله عليه و سلم - فانه المعصوم بما[3] خلق فيه من الاعتدال [و - [1]] ما زكى[4] به من[5] شق البطن و غسل القلب مرارا ، و ما [6]أيد به[6] من الوحى ، فما كانت الأفعال باشارة العقل مع ١٥ الطاعة لله و المتابعة لرسوله صلى الله عليه و سلم فى كل إقدام و إحجام كانت معتدلة ، سواء كانت شهوانيـة أو غضبية ، و متى لم تكن كذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مما.
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ربى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اريد .

كانت منحرفة إلى أعلى و إلى أسفل فكانت[١] مذمومة، فان الله تعالى بلطف تدبيره ركب فى الإنسان قوة غضبية دافعة لما يهلكه و يؤذيه، و قوة شهوانية جالبة لما ينميه و يقويه، فاعتدال الغضبية شجاعة و نقصها جبن[٢] و زيادتها[٣] تهور، فالناس باعتبارها جبان و شجاع و متهور، و اعتدال
٥ الشهوانية عفة و نقصانها زهادة و زيادتها[٤] شره، و الناس باعتبارها زهيد و خفيف و شره، و كلا طرفى قصد الأمور ذميم، و ميزان العدل متابعة الرسول صلى الله عليه و سلم فيما شرعه، فبذلك تزاح الفتن الظاهرة و الباطنة، و لا طريق إلى الله إلا بما شرعه، وكل طريق لم يشرعه ضلال من الكفر إلى ما دونه، ثم سبب عن[٥] أمره ذلك قوله معبرا بأداة
١٠ الشك إشارة إلى البشارة بحفظ هذه الأمة من الردة و مشعرا[٦] بأن بعضهم يقع منه ذلك ثم يقرب رجوعه أو هلاكه: ﴿ فان توليتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم عند ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن هذا النور الأعظم و الميل إلى طرف من الأطراف المفهومة من طرفى[٧] القصد فما على رسولنا شيء من توليكم ﴿ فانما على رسولنا ﴾ أضافه
١٥ إليه على وجه العظمة تعظيما له و تهديدا لمن يتولى عنه[٨] ﴿ البلغ المبين ه ﴾

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و م، و فى الأصل: خير. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: زياداتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: زيادة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مستعرا (٧) من ظ و م، و فى الاصل: اطراف (٨) من ظ و م، و فى الأصل و ظ: عليه.

أى

أى الظاهر فى نفسه المظهر لكل أحد أنه أرضح له غاية الإيضاح و لم يدع لبسا ، ليس إليه خلق الهداية فى القلوب .

و لما كان هذا موجعا[1] لإشعاره باعراضهم مع عدم الحيلة فى ردهم، عرف بأن ذلك إنما هو إليه و [أنه - [2]] القادر عليه فقال جوابا لمن كأنه قال: فما الحيلة فى أمرهم - مكملا لقسمى الدين بالاستعانة بعد بيان ٥ قسمه الآخر و هو العبادة: ﴿ الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ لآ اله الا هو ﴾ / فهو القادر على الإقبال [بهم - [3]] و لا يقدر على /٢٧٦ ذلك غيره، فاليه اللجاء فى كل دفع و نفع و هو المستعان فى كل شأن فاياه فليرج فى هدايتهم المهتدون ﴿ و على الله ﴾ أى الذى له الأمر كله لا على غيره . و لما كان [مطلق - [4]] الإيمان هو التصديق بالله ١٠ باعتقاذ أنه القادر على كل شيء فلا أمر لأحد معه و لا كفوء له فكيف بالرسوخ فيه، نبه على [هذا - [5]] المقتضى[5] للربط بالفاء و التأكيد بلام الأمر فى قوله: ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى يوجد التوكيل إيجادا هو فى غاية الظهور و الثبات العريقون فى هذا الوصف فى رد المتولى منهم إن حصل منهم تول و كذا فى كل مفقود فالعفة[6] ليست مختصة بالموجود ١٥ فكما أن قانون العدل فى الموجود الطاعة فقانون العدل فى المفقود التوكل و كذا فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، فكان لهم الحظ الأوفر فى كل

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : موجبا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م.
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المتقضى - كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فالعلة .

توكل لاسيما حين ارتدت[1] العرب بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم و كان أحقهم بهذا الوصف الصديق رضى الله تعالى عنه كما يعرف ذلك من ينظر الكتب المصنفة فى السير و أخبار الردة لاسيما كتابى المسمى بالعدة فى أخبار الردة .

٥ و لما كانت أوامر الدين تارة تكون باعتبار الأمر الدينى من سائر الطاعات المحضة ، و تارة باعتبار الأمر التكوينى و هو ما كان بواسطة مال أو أهل أو ولد، أتم سبحانه القسم الأول فى الآيتين الماضيتين ، شرع فى الأمر الثانى لأنه قد ينشأ عنه فتنة فى الدين و قد ينشأ عنه فتنة فى الدنيا ، و لما كانت الفتنة[2] بالإقبال عليه و الإعراض عنه أعظم الفتن ، لأنها

١٠ تفرق بين المرء و زوجه و بين المرء و ابنه و تذهل الخليل عن خليله - كما شوهد ذلك فى بدء الإسلام ، و كان أعظم ذلك فى الردة ، و كان قد تقدم النهى عن إلهاء الأموال و الأولاد ، و كان النهى عن ذلك فى الأولاد نهيا عنه فى الأزواج بطريق الأولى . فلذلك اقتصر عليهم دون الأزواج ، و كان المأمور بالتوكل ربما رأى أن تسليم قياده لكل أحد لايقدح فى التوكل ،

١٥ أشار إلى [أن -[3]] بناء هذه الدار على الأسباب مانع من ذلك فأمر بنحو « اعقلها و توكل » « و احرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجز » الحديث ، فقال جوابا عن ذلك لمن يحتاج إلى السؤال عن مثله مبينا للأوامر بالاعتبار للامتحان التكوينى و إن كان أولى الناس ببذل الجهد فى تأديبه و تقويمه و تهذيبه أقرب الأقارب و ألصق الناس بالإنسان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ارتد (٢) فى م : فتنة (٣) زيد من م .

و هو كالعلة لآخر "المنافقون": ﴿ يٓاَيها الذين ءامنوآ ﴾ و لما كان الأزواج أقرب عداوة من الأولاد قدمهن، فقال مؤكدا لمن يستبعد ذلك: ﴿ ان من ازواجكم ﴾ و إن أظهرن / غاية المودة ﴿ و اولادكم ﴾ و إن أظهروا أيضا[1] غاية [2]الشفقة و[2] الحنان ﴿عدوا لكم﴾ أى لشغلهم لكم عن الدين أو[3] لغير ذلك من جمع المال و تحصيل الجاه لأجلهم و التهاون ٥ بالنهى عن المنكر فان الولد مجبنة و غير ذلك[4]، قال أبوحيان[5] رحمه الله تعالى: و لا أعدى على الرجل من زوجه و ولده إذا كانا عدوين و ذلك فى الدنيا و الآخرة، أما فى الدنيا فباذهاب ماله -[2] كما هو معروف[2]- و عرضه، و أما فى الآخرة فبما يسعى فى اكتسابه[6] من الحرام لأجلهم و بما يكسبانه منه بسبب جاهه. فالرجل من رأى ذلك نعمة من الله فجعله ١٠ معينا[7] له على طاعته لا قاطعا و معوقا عما يرضيه بأن [يلتهى -[8]] بمحبته و عداوته و بغضته. و لما أخبر عن العداوة، عبر بما قد يفهم الواحد فقط تخفيفا، و لما أمر بالحذر [جمع إشارة إلى زيادة التحذير و الخوف من كل أحد و لوكان أقرب الأقرباء لأن الحزم سوء الظن كما رواه الطبرانى فى الأوسط، فسبب عن الإخبار بالعداوة الأمر بالحذر -[8]] ١٥ فى قوله: ﴿ فاحذروهم ج ﴾ أى بأن تتقوا الله فى كل أمرهم فتطلبوا فى

/ ٣٧٧

---

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) سقط من ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٤) زيد فى الأصل و ظ: فافهم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) فى البحر المحيط ٨/٢٧٩ (٦) من م و البحر، و فى الأصل و ظ: الاكتساب (٧) من ظ و م، و فى الأصل: معنا (٨) زيد من ظ و م.

السعى عليهم الكفاف من حله و تقتصروا عليه ، و لايحملنكم حبهم[1] على غير ذلك ، و ليشتد حذركم منهم بالعمل بما أمر الله حتى فى العدل بينهم لئلا يتمكنوا من أذاكم فيعظم بهم الخطب و يكون فاتنا لكم فى الدين إما بالردة - و العياذ بالله تعالى - أو بالشغل عن الطاعة أو بالإقحام فى المعصية و مخالفة السنة و الجماعة .

و لما كان قد يقع منهم ما يؤذى مع الحذر لأنه لايغنى من قدر أو مع الاستسلام ، و كان وكل المؤذى إلى الله أولى و أعظم فى الاستنصار ، قال مرشدا إلى ذلك : ﴿ و ان تعفوا ﴾ أى توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لافائده فى ذلك لأن من طبع على شىء لايرجع ، و إنما النافع الحذر الذى أرشد إليه سبحانه لئلا يكون سببا للو المنهى عنه .

و لما كان الرجوع عن الحظوظ صعبا جدا ، أكد سبحانه فقال : ﴿ و تصفحوا ﴾ أى بالإعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان ﴿ و تغفروا ﴾ [أى -[2]] بأن تستروا ذنوبهم سترا [3]تاما شاملا[3] للعين و الأثر بالتجاوز بعد ترك العقاب عن العتاب ، فلا يكون منكم اشتغال بعداوتهم[4] و لا ما قد يجرها عما ينفع من الطاعة . و لما كان التقدير : يغفر الله لكم ، سبب عنه قوله : ﴿ فان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى بالغ

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : جهنم (٢) زيد من م (٣ - ٣) من م ، و فى الأصل و ظ : شاملا تاما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعداوة .

المحو [1]الأعيان الذنوب و آثارها[1] جزاء لكم على غفرانكم لهم و هو جدير بأن يصلحهم لكم بسبب غفرانكم لهم فانه ﴿ رحيم ﴾ يزيدكم بعد ذلك الستر الإكرام بالإنعام إن أكرمتموهم، فتخلقوا بأخلاقه سبحانه يزدكم[2] من فضله .

و لما[3] حكم على البعض، كان كأنه قيل : فما حكم سائره؟ فكأن الحكم ٥ بذلك يلزم منه الحذر من الكل لكن للتصريح سر كبير فى ركون النفس إليه، فقال حاصرا / الجميع ضاما إليهم المال الذى بـه قيام ذلك كله / ٣٧٨ و قدمه لأنه أعظم فتنة : ﴿ انمآ ﴾ و أسقط الجار لأن شيئا من ذلك لايخلو عن شغل القلب فقال : ﴿ اموالكم ﴾ أى عامة ﴿ و اولادكم ﴾ كذلك ﴿ فتنة[4] ﴾ أى اختبار مميل عن الله لكم و هو أعلم بما فى نفوسكم ١٠ منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يميله فيكون له نعمة، فربما رام الإنسان صلاح ماله و ولده فبالغ فأفسد نفسه ثم لايصلح ذلك ماله و لا ولده، و ذلك [أنه - [4]] من شأنه أن يحمل على كسب الحرام [5]ومنع[5] الحق و الإيقاع فى الإثم، روى عن أبى نعيم فى الحلية فى ترجمة سفيان[6] الثورى عنه أنه قال : يؤتى برجل ١٥ يوم القيامة فيقال له : أكل عياله حسناته . و يكفى فتنة المال [قصة [4] -]

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل : لآثار الذنوب و اعيانها (٢) من م، و فى الأصل و ظ : يزيد (٣) من ظ و م، و فى الأصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من م، و فى الأصل و ظ : دمع (٦) من م، و فى الأصل و ظ : ابى سفيان .

ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله تعالى "و منهم من عاهد الله [1]لئن آتانا من فضله لنصدقن[1]" وكأنه سبحانه ترك ذكر الأزواج فى الفتنة لأن منهن من يكون صلاحا و عونا على الآخرة.

و لما كان التقدير: فى الاحتراز من فتنهم[2] تعب كبير، لايفوت ٥ به منهم إلا حظ يسير، و كانت النفس عند ترك مشتهياتها و محبوباتها قد[3] تنفر، عطف عليه مهونا له بالإشارة إلى كونه فانيا بقد و عد عليه بما لانسبة له منه مع بقائه قوله: ﴿و الله﴾ أى ذو الجلال ﴿عندهٓ﴾ و ناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله و عظمه ﴿أجر﴾ و لم يكتف سبحانه بدلالة السياق على أن التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله: ﴿عظيم ۝﴾ ١٠ أى لمن ائتمر بأوامره التى إنما نفعها لصاحبها، فلم يقدم على رضاه مالا و لا ولدا، و ذلك الأجر أعظم من منفعتكم بأموالكم و أودلاكم على وجه ينقص من الطاعة.

و لما كان التقدير: و عنده عذاب أليم لمن خالف، سبب عنه قوله فذلكة أخرى لما تقدم من[4] السورة كلها: ﴿فاتقوا الله﴾ مظهرا ١٥ غير مضمر تعظيما للمقام و احترازا من أن يتوهم نوع تقيد فأفهم الإظهار أن المعنى: اجعلوا بينكم و بين سخط الملك الأعلى وقاية من غير نظر إلى حيثية و لا خصوصية بشيء ما، باجتناب نواهيه بعد امتثال أوامره، فان التقوى إذا انفردت كان المراد بها فعل الأوامر و ترك المناهى،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فتنتهم.
(٤) من ظ و م: فقد (٣) من ظ و م، و فى الاصل: فى.

و إذا جمعت مع غيرها أريد بها اجتناب [النواهي -[١]] فقط .

و لما كان الأمر إذا نسب إليه سبحانه أعظم من مقالة قائل، فلا يستطيع أحد أن يقدره سبحانه حق قدره، خفف و يسر بقوله: ﴿ ما استطعتم ﴾ أي ما دمتم في الجملة قادرين مستطيعين، و يتوجه عليكم التكليف في العلميات و العمليات، و ابذلوا جهدكم في ذلك في الإيمانيات ٥ لما علمتم من ذاته و مرتبته و صفاته تعالى / و أفعاله، و غير ذلك من ٣٧٩ / جميع أعمالكم الظاهرة و الباطنة، و أعظمه الهجرة و الجهاد، فلا يمنعكم الإخلاد إليهم ذلك و التقوى فيما وقع من المكروهات بالندم و الإقلاع مع العزم على ترك العود، و فيما لم يقع بالاحتراس عن أسبابه، و بذل الإنسان جميع جهده هو الإتقاء حق التقاة [٢]فلا نسخ[٢] - و الله أعلم . ١٠

و لما كان إظهار الإسلام ليس فيه مشقة كالأعمال قال: ﴿ و اسمعوا ﴾ أي سماع إذعان و تسليم لما توعظون به و لجميع أوامره ﴿ و اطيعوا ﴾ أي و صدقوا ذلك الإذعان بمباشرة الأفعال الظاهرة في الإسلاميات من القيام بأمر الله و الشفقة على خلق الله في كل أمر و نهي على حسب الطاقة، و حذف المتعلق ليصدق الأمر بكل طاعة من[٣] الكل و البعض ١٥ و كذا في الإنفاق . و لما كان الإنفاق شديداً أكد أمره بتخصيصه بالذكر فقال: ﴿ و انفقوا ﴾ أي أوقعوا [الإنفاق -[٤]] كما حد لكم فيما

---

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م، و في الأصل: وهو النسخ (٣) زيد في الأصل و ظ: الأمر، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .

أوجبه أو ندب إليه و إن كان فى حق من اطلعتم منها[1] على عداوة، و الإنفاق لايخص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتى و الخارجى .

و لما كان الحامل على الشح ما يخطر فى البال من الضرورات التى أعزها ضرورة[2] النفس، رغب فيه بما ينصرف إليه بادئ بدئ و يعم ٥ جميع ما تقدم فقال: ﴿ خيرا ﴾ أى يكن ذلك أعظم خير واقع[3] ﴿لانفسكم[4]﴾ فان الله يعطى خيرا منه فى الدنيا ما يزكى به النفس، و يدخر عليه من الجزاء فى الآخرة ما لا يدرى كنهه، فلا يغرنكم عاجل شيء من ذلك فانما هو زخرف [4]و غرور لا طائل تحته[4]. و لما ذكر ما فى الإنفاق من الخير عم فى جميع الأوامر فقال: ﴿ و من يوق ﴾ بناه للفعول ١٠ تعظيما للترغيب فيه نفسه مع قطع الناظر عن الفاعل أى يقيه واق أى واق كان - و أضافه إلى ما الشؤم كله منه فقال: ﴿ شح نفسه ﴾ فيفعل فى ماله و جميع ما أمر به ما يطيقه مما[5] أمر به موقنا [به -[6]] مطمئنا إليه حتى يرتفع عن قلبه الأخطار، و يتحرز عن رق المكونات، و الشح: [7] خلق باطن[7] هو الداء العضال رأس الحيه و كل فتنة ضلالة، و البخل ١٥ فعل [ظاهر -[8]] ينشأ عن الشح، و النفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصى فتفعلها. و تارة باعطاء الأعضاء فى الطاعات فتتركها، و تارة بانفاق[9]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: صورة.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: اوقع (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: فنق باكل (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بالانفاق الى انفاق.

المال

المال، و من فعل ما فرض عليه خرج عن الشح . و لما كان الواقى إنما هو الله تعالى[1] سبب عن وقايته قوله: ﴿ فأولٓئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المفلحون ۝ ﴾ أى الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه من الكونيات[1] من المال و الولد و الأهل و المشوشات / من جميع القواطع . و لما أمر[2] ورهب[3] من ضده على وجه أعم، ٥ / ٣٨٠ رغب فيه تأكيدا لأمره لما فيه من الصعوبة لاسيما فى زمان النبي صلى الله عليه و سلم فان المال فيه كان فى غاية العزة و لاسيما إن كان فى لوازم النساء اللاتى افتتح الأمر بأن منهن أعداء و لاسيما إن كان فى حال ظهور العداوة، فقال بيانا للافلاح متلطفا فى الاستدعاء بالتعبير[4] بالقرض مشيرا إلى أنه على خلاف الطبع بأداة الشك: ﴿ان تقرضوا الله﴾ أى ١٠ الملك الأعلى ذا الغنى المطلق المستجمع لجميع صفات الكمال بصرف المال وجميع قواكم التى جعلها فتنة لكم فى طاعاته، و رغب فى الإحسان فيه بالإخلاص و غيره فقال: ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى على[5] صفة الإخلاص و المبادرة و وضعه فى أحسن مواضعه على أيسر الوجوه و أجملها و أهنأها و أعدلها، و أعظم الترغيب فيه بأن رتب عليه الربح فى الدنيا و الغفران فى الآخرة ١٥ فقال: ﴿ يضٰعفه لكم ﴾ أى لأجلكم خاصا اقل ما يكون للواحد عشرا[6]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الكائنات (٢) من م، و فى الأصل و ظ: امرهم (٣) من م، و فى الأصل وظ: رهبهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى التعبير (٥) سقط من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عشر.

إلى ما لا يتناهى على حسب النيات ، قال القشيري : يتوجه[1] الخطاب بهذا على[2] الأغنياء فى بذل أموالهم و على الفقراء فى إخلاء أيامهم و أوقاتهم عن مراداتهم و إيثار مراد الحق على مراد أنفسهم ، فالغنى يقال له : آثر على مرادك[3] فى مالك [و غيره -[4]] ، و الفقير يقال له : آثر حكمى فى ٥ نفسك و قلبك و وقتك .

و لما كان الإنسان لما له النقصان و إن اجتهد لا يبلغ جميع ما أمر به لأن الدين و إن كان يسيرا[5] فهو متين "لن يشاده أحد إلا غلبه" قال : ﴿و يغفر لكم ط﴾ أى يوقع الغفران و هو محو ما فرط عينه و أثره لأجلكم ببركة الإنفاق ، و قد تضمنت هاتان الجملتان جلب السرور و دفع الشرور ، ١٠ و ذلك هو السعادة كلها .

و لما كان التقدير : فالله غفور رحيم ، عطف عليه قوله : ﴿و الله﴾ أى الذى لا يقاس عظمته [بشىء -[6]] ﴿ شكور ﴾ أى بليغ[7] الشكر لمن يعطى لأجله و لو كان قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر[8] و هو ناظر إلى المضاعفة ﴿ حليم لا ﴾ لا يعاجل بالعقوبة على ذنب من ١٥ الذنوب و إن عظم بل يمهل كثيرا طويلا ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب ، و لا يهمل[9] و لا يغتر بحلمه ، فان غضب الحليم لا يطاق ،

---

(١) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مدارك (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل يسترا (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل و ظ ، فى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المقصر (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يمهل .

و هو راجع إلى الغفران .

و لما كان الحليم قد يتهم فى حلمه بأن ينسب إلى الجهل بالذنب أو بمقداره قال: ﴿علم الغيب﴾ و هو ما غاب عن الخلق [كلهم -[1]] فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجبلة و لا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره . و لما كان قد يظن أنه لايلزم من علم ما غاب علم ما شهد، ٥ أو يظن أن العلم إنما يتعلق بالكليات، قال موضحا أن[2] علمه بالعالمين[3] بكل من / الكليات و الجزئيات قبل الكون و بعده على حد سواء: ﴿والشهادة﴾ / ٣٨١ و هو كل ما ظهر فكان بحيث يعلمه الخلق، و هذا الوصف داع إلى الإحسان من حيث أنه يوجب للمؤمن ترك ظاهر الاسم و باطنه و كل قصور و فتور و غفلة و تهاون فيعبد الله كأنه يراه . ١٠

و لما شمل ذلك كل ما غاب عن الخلق و ما لم يغب عنهم[4] فلم يبق إلا أن يتوهم أن تأخير العقوبة للعجز قال: ﴿العزيز﴾ أى الذى يغلب كل شيء و لايغلبه شيء . و لما كان ذلك قد يكون لأمر آخر لايمدح عليه قال: ﴿الحكيم ۚ﴾ أى أنه ما أخره إلا لحكمة بالغة يعجز عن إدراكها الخلائق، و قد أقام الخلائق فى طاعته بالجرى تحت إرادته، ١٥ و تارة يوافق ذلك أمره فيسمى طاعة . و تارة يخالف فيسمى معصية، فمن أراد أتم نعمته عليه بالتوفيق للطاعة بموافقته[5] أمره [باحاطة -[6]]

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م: انه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالمعلمين .
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: عنه فهو (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بموافقة (٦) زيد من م .

علمه و الإتقان فى التدبير بالغ حكمته و إدامة ذلك و حفظه عن كل آفة[1] بباهر عزته، و من أراد منعه[2] ذلك [بذلك - [3]] أيضا و الكل [4]تسبيح له[4] سبحانه بافادة أنه الواحد القهار، و قد أحاط أول الجمعة بهذه[5] السورة [اولها - [3]] وآخرها، فجاءت هذه شارحة له[6] و كاشفة عنه[7] على وجه أفخم لأن مقصود هذه نتيجة مقصد تلك، و قد رجع - بالتنزه عن شوائب النقص و الاختصاص بجميع صفات الكمال و شمول القدرة للخلق و إحاطة العلم بأحوال الكافر و المؤمن - على افتتاحها حسن ختامها، و علم عليا ظاهرا جلالة انتظامها[8]، و [9]بداعة اتساق[9] جميع آيها و براعة التآمها - و الله الموفق للصواب[10] .



(١) من ظ و م، وفى الأصل : امر (٢) زيد فى الأصل : من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : تسبيحه (٥) من ظ و م، وفى الأصل : باول هذه (٦) من م، وفى الأصل و ظ : لها (٧) من م، و فى الأصل و ظ : عنها (٨) من ظ و م، و فى الأصل : اختصاصها (٩) من ظ و م، وفى الأصل : بدعية البيان (١٠) سقط من ظ و م.

سورة

سورة الطلاق[1] و تسمى النساء القصرى

مقصودها تقدير حسن التدبير فى المفارقة و المهاجرة بتهذيب الأخلاق، بالتقوى لاسيما [فى الإنفاق، لاسيما -[2]] إن كان ذلك عند الشقاق، لاسيما إن كان فى أمر النساء لاسيما عند الطلاق، ليكون الفراق على نحو التواصل و التلاق، [و اسمها -[2]] الطلاق أجمع ما يكون لذلك، ٥ فلذا سميت به، و كذا سورة النساء القصرى لأن العدل فى الفراق بعض مطلق العدل الذى هو محط مقصود سورة النساء ﴿بسم الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿الرحمن﴾ الذى عم برحمته النوال ﴿الرحيم ه﴾ الذى خص بالرحمة[3] ذوى الهمم العوال.

لما ختمت التغابن بأنه تعالى شكور حليم عزيز حكيم مع تمام العلم ١٠ و شمول القدرة، بعد التحذير من النساء بالعداوة، و كانت العداوة تجر إلى الفراق، افتتح هذه بزم الأنفس عند ثوران الحظوظ بزمام التقوى، و أعلى الخطاب / جدا بتوجيهه إلى أعلى الخلق تنبيها على[4] عظمة الأحكام / ٣٨٢ الواردة فى هذه [السورة -[5]] فانها مبنية على الأسماء الاربعة لتتلق[6] بغاية الرغبة فقال: ﴿يآايها النبى﴾ مخصصا له صلى الله عليه و سلم، ذاكرا الوصف ١٥ الذى هو سبب التلقى لغرائب العلوم و رغائب الحكم والفهوم.

و لما علم من الإقبال عليه صلى الله عليه و سلم عظمة الحكمة، و من

---

(١) الخامسة و الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعددآ يها (١٢).
(٢) زيد من ظ وم (٣) من م، وفى الأصل وظ: بالنعمة (٤) زيد فى الأصل: عظمته و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من م (٦) من ظ وم، و فى الأصل: لسعى.

التعبير [1]في النداء[1] بأداة التوسط التي لاتذكر إلا في أمر مهم جدا أن الذي هو أقرب أهل الحضرة غير مقصود بها من كل وجه، و أن القصد التنبيه لجلالة هذه الأحكام، و بذل الجهد[2] في تفهيمها و العمل بها، فلذا [أقبل - [3]] على الأمة حين انتبهوا و ألقوا أسماعهم، فقال معبرا
٥ بأداة التحقق لأنه من أعظم مواضعها[4]: ﴿ اذا طلقتم ﴾ و علم من ذلك عموم الحكم له صلى الله عليه و سلم لكن لما كان للانسان مع نسائه حالان أحدهما المشاححة، كان غيره أولى بالخطاب فيه، و ثانيهما الجود و المصالحة بالحلم و العفو، فكان هو صلى الله عليه و سلم أولى بذلك فجاءت له سورة التحريم ﴿ النسآء ﴾ أي أردتم طلاق هذا النوع واحدة منه
١٠ فأكثر ﴿ فطلقوهن ﴾ أي إن شئتم مطلق طلاق ثلاثا[5] أو دونها، و كلما قل[6] كان أحب بدليل ما يأتي من لواحق الكلام من الإشارة إلى الرجعة ﴿ لعدتهن ﴾ أي في وقت أو عند استقبال العدة أي استقبال طهر يحسب منها، و هو الطهر الذي لم يجامع فيه إن كانت مدخولا بها، ذلك معنى قراءة ابن عباس و ابن عمر رضي الله عنهم "في قبل عدتهن"[7] فهذا طلاق
١٥ السنة و غيره طلاق البدعة، فان الطلاق في الحيض تطويل للعدة لأنه غير محسوب، و لا بد أن يكون الطهر لم يجامع [فيه - [3]] لأنها إذا

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: بالنداء (٢) في ظ و م: الجد (٣) زيد من ظ و م (٤) في م: مواقعها (٥) من ظ و م، و في الأصل: ثلاثة (٦) من ظ و م، و في الأصل: كان اقل (٧) راجع البحر ٨/٢٨١ .

جومعت ربما حملت فطالت العدة، و هذه اللام للوقت مثلها[1] في « كتب هذا لخمس بقين من شهر كذا »، و اختير التعبير بها لأنها تفهم مع ذلك أن ما دخلت عليه كالعلة الحاملة على متعلقها، فصار كأنه قيل[2]: طلقوا لأجل العدة و إذا[3] كان لأجلها علم أن المراد تخفيفها على المرأة بحسب الطاقة لأن مبنى الدين على اليسر، و ذلك دال على أن العدة بالأطهار، ٥ و أن الطلاق في الحيض حرام لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده، و لا يدل على عدم الوقوع لأن النهي غير مستلزم للفساد، و قد بين ذلك كله حديث ابن عمر رضي الله عنهما في طلاقه زوجته في الحيض الذي كان سبب النزول، فغضب النبي صلى الله عليه و سلم و أمره [4]أن يراجعها[4] ثم يمسكها حتى تطهر[5] ثم إن[5] شاء أمسك و إن شاء طلق قبل أن يمس، و علم ١٠ [أن -[6]] من عدتها بغير الأقراء التي يمكن[7] طولها و قصرها و هي غير المدخول بها و التي لم تحض و الآيسة و الحامل لا سنة في طلاقها و لا بدعة، و كذا المخالعة لأن النبي صلى الله عليه و سلم أذن لثابت بن قيس رضي الله عنه في الخلع من غير استفصال / عن حال امرأته لأنه إنما يكون في / ٣٨٣ الغالب عن تشاجر و تسؤال من المرأة، و يقع الطلاق البدعي لأن النبي ١٥ صلى الله عليه و سلم أمر ابن عمر رضي الله عنهما بالمراجعة منه، و يأثم به

(١) من ظ و م، و في الأصل: مالها (٢) من ظ و م، و في الأصل: قال.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: ان (٤ - ٤) من ظ و م، و في الأصل: بمراجعتها (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل: فان (٦) زيد من ظ و م.
(٧) من ظ و م، و في الأصل: يكون.

بعد العلم، و لو طلق فى الحيض و راجع جاز له ان يطلق حال انقضاء
الحيض قبل المجامعة، و الأمر بالإمساك إلى كمال الطهر و الحيض الذى بعده
للندب حتى لا يكون فى صورة من راجع للطلاق، و لابدعة فى جمع
الثلاث لأنه لا إشارة إليه فى الآية و لا فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما
٥ الذى هو سببها، نعم قد يدعى ذلك فى آية البقرة فى قوله تعالى "الطلاق
مرتان[١]" و الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما رواه أبو داود[٢] و ابن ماجه[٣]
عن ابن عمر رضى الله عنهما فأبغضه إليه أنهاه، و ما حلف به و لا استحلف
[إلا -[٤]] منافق - كما فى الفردوس عن أنس رضى الله عنه.

و لما كان نظر الشارع إلى العدة شديدا لما فيها من الحكم بالتأنى
١٠ لاحتمال الندم و بالظن لبراءة الرحم احتياطا للانساب و بقطع المنازعات
و المشاجرات المفضية إلى ذهاب الأموال و الأرواح، و قد أفهمه التعبير
باللام، صرح به بصيغة الأمر فقال: ﴿ و احصوا ﴾ اى اضبطوا ضبطا
كأنه فى إتقانه محسوس بعد الحصى ﴿ العدة ج ﴾ لتكملوها ثلاثة أقراء كما تقدم
الأمر به ليعرف[٥] زمان النفقة و الرجعة و السكنى و حل النكاح لأخت المطلقة
١٥ مثلا و نحو ذلك من الفوائد الجليلة. و لما كان الطلاق على غير هذا
الوجه حراما للضرار و مخالفة الأمر و كذا التهاون فى الضبط حتى يحتمل
أن تنكح المرأة قبل الانقضاء، أمر بمجانبة ذلك كله بقوله: ﴿ و اتقوا ﴾
أى فى ذلك ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الخلق و الأمر لذاته

---

(١) سقط من م (٢) راجع ١/٣٠٣ (٣) راجع ص: ١٤٦ (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: يعلم.

فى الزمن و الإحصاء لأن فى ذلك ما هو حقه ﴿ ربكم ج ﴾ أى لإحسانه فى تربيتكم فى حملكم على الحنيفية السمحة و دفع جميع الآصار عنكم.

و لما أمر بالتقوى و ناط بعضها بصفة الإحسان فسره بقوله: ﴿ لاتخرجوهن ﴾ أى أيها الرجال فى حال العدة ﴿ من بيوتهن ﴾ أى المساكن التى وقع و هى سكنهن، وكأنه[1] عبر بذلك إشارة[2] إلى أن[2] ٥ استحقاقها لإيفاء العدة به فى العظمة كاستحقاق المالك، و لأنها كانت فى حال العصمة كأنها مالكة له، فليس من المروءة إظهار الجفاء بمنعها منه، و لأنها إن روجعت كانت حاصلة فى الحوزة و لم يفحش الزوج فى المقاطعة، و إن لم يحصل ذلك فظهر أنها حامل لم تحصل شبهة فى الحمل.

و لما كان ذلك ربما أفهم أنه لحقهن فقط نفاه بقوله: ﴿ و لايخرجن ﴾ ١٠ أى بأنفسهن إن اردن ذلك من غير مخرج من جهة الزوج أو غيره، فعلم من ذلك تحتم استكمال العدة فى موضع السكنى و أن الإسكان على الزوج، و تخرج لضرورة / بيع الغزل و جذاذ النخل و نحوه. و لما كان ٣٨٤ منطوق[3] ذلك أنه لايجوز له[4] إخراجها كارهة، و لايجوز لها أن تخرج بنفسها فقط و هو كاره [فافهم ذلك -[5]] أنهما[6] لو اتفقا جاز ١٥ لأن ذلك خارج عن المنهى، استثنى من كلا شق المنهى عنه [بقوله -[7]]:

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: لأن (٣) من م، و فى الأصل وظ: المنطوق (٤) وقع فى الأصل بعد «إخراجها» و التوتيب من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فانهما (٧) زيد من م.

﴿الآ ان ياتين﴾ أى جنس المطلقات الصادق بواحدة و[1] أكثر ﴿بفاحشة﴾ أى خصلة محرمة شديدة القباحة ﴿مبينة﴾ أى ظاهرة[2] فى نفسها ظهورا بينا[3] عند كل من اريد بيانها له ، و ذلك كالبذاءة منها على الزوج أو[1] أقاربه فانه كالنشوز يسقط حقها من السكنى ، فيجوز له إخراجها لقطع ٥ الشر ، و هو معنى قراءة ابى رضى الله عنه[4] : إلا ان يفحشن عليكم ، و كالزنا فتخرج بنفسها و يخرجها غيرها من الزوج و غيره لإقامة الحد عليها و غير ذلك من الفواحش [5]كما أنه[5] يطلقها للنشوز فانه لاسكنى لها حينئذ .

و لما كان التقدير : هذه[6] أحكام هذا الفرع ، عطف عليه تعظيما لها [7]قوله تعالى[7]: ﴿و تلك﴾ اى الأحكام العالية جدا بما فيها من الجلالة ١٠ و بانتسابها إلى الملك الأعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة و غيره ﴿حدود الله﴾ أى الملك الأعظم الذى هو[8] نور السماوات و الأرض .

و لما كان التقدير : فمن تحاماها فقد أنصف نفسه بأخذه النور المبين ، عطف عليه قوله : ﴿و من يتعد﴾ أى يقع منه فى وقت من الأوقات أنه يتعمد[9] أن يعدو ﴿حدود الله﴾ اى الملك الأعظم ﴿فقد ظلم نفسه﴾

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : او (٢) من م ، و فى الأصل : ظاهر (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مبينا (٤) نسبها فى تفسير الطبرى ١١٦/٨ إلى ابن مسعود . (٥-٥) فى م : كذلك (٦) زيد فى الأصل و ظ : الاحكام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) سقط من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يعتد .

بأن مشأما فى الظلام فصارت تضع الأشياء فى غير مواضعها، فصار بمعرض الهلاك بالعقاب كما أن الماشى فى الظلام معرض للوقوع فى حفرة و الدوس[1] على شوكة او حية أو عقرب أو سبع، أو لأن ينفرد بقاطع، أو ان يضل عن الطريق إلى مهالك لا يمكن النجاة منها، و مثال ذلك الحكيم إذا وصف دواء بقانون معلوم فى وقت محدود و مكان مخصوص ٥ فخولف لم يضر المخالف ذلك الحكيم و إنما ضرنفسه .

و لما كان له [2]الخلق جميعا[2] تحت أوامره سبحانه مع أنها كلها خير لا شر فيه[3] بوجه إسرار و إغوار، لا ندرك و لا تحصى، و قد يظهر[4] بعضها لسان الحدثان بيد القدرة، و كان متعديها ظالما[5] وكان من أقرب ظلمه و أبينه الإيقاع فى مهاوى العشق، فسره سبحانه بقوله مبينا عظمته بخطاب ١٠ الإعلاء: ﴿لا تدرى﴾ أى يا أيها النبى الكريم ما يكون عن ذلك من الأمور التى يحدثها الله لتشير على المطلق بشيء مما يصلحه فغيرك من باب الاولى . و لما نفى عنه[6] العلم المغيب[7] لاختصاصه سبحانه به و حذف المتعلق إعراقا فى التعميم، و كان كل أحد فيما يحدث له / من الأمور ما بين رجاء / ٣٨٥ و إشفاق، عبر عن ذلك بأداة صالحة لها[8] فقال: ﴿لعل الله﴾ أى الذى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الدوسى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ظهر (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عنهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: العيب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: كما .

بيده القلوب و مقاليد جميع الأمور ﴿ يحدث ﴾ اى يوجد شيئا حادثا لم يكن إيجادا ثابتا لايقدر الخلق على التسبب[1] فى زواله فيكون مستغرقا لزمان العمر كما أشار إليه نزع الخافض[2] فى قوله تعالى: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الحادث من الإشارة بالضرار بالإخراج أو تطويل العدة أو غير ٥ ذلك ﴿ امراه ﴾ أى من الأمور المهمة[3] كالرغبة المفرطة فى الزوجة فلا يتأتى ذلك إما بأن كان الضرار بالطلاق الثلاث أو [بأن -[4]] كانت من ذوى الأنفة فأثرت فيها الإساءة و فيمن ينتصر لها فمنعت نفسها منه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله " يآيها الذين امنوا ١٠ لاتلهكم اموالكم و لا أولادكم عن ذكر الله " و قوله فى التغابن " ان من ازواجكم و أولادكم عدوا لكم فاحذروهم" و قوله تعالى "انما اموالكم و اولادكم فتنة" و المؤمن قد يعرض له ما يضطره إلى فراق من نبه[5] على فتنته و عظيم محنته ، وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم فى هذا الافتراق ، و موضحة أحكام الطلاق ، و أن هذه العداوة[6] و إن استحكمت و نار هذه ١٥ الفتنة ، إن اضطرمت[7] لا توجب التبرء بالجملة[8] و قطع المعروف " لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا " و وصى سبحانه بالإحسان المجمل فى قوله

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : السبب (٢) فى ظ و م : الجار (٣) من ظ و م . و فى الأصل : المهلة (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نبيه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اسورة (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالحكمة .

أو

" او تسريح باحسان " و بين تفصيل ذلك و ما يتعلق به ، فهذا الرفق المطلوب بإيقاع الطلاق فى أول ما تستعده[1] المطلقة فى عدتها و تحسبه من مدتها تحذيرا من إيقاع[2] الطلاق فى الحيض الموجب تطويل[3] العدة و تكثير المدة ، و أكد هذا سبحانه بقوله "و اتقوا الله ربكم" ثم نبه سبحانه على حقهن أيام العدة من الإبقاء فى مستقرهن حين إيقاع الطلاق إلى ٥ انقضاء العدة فقال " لا تخرجوهن من بيوتهن " إلى ما استمرت عليه السورة من بيان الأحكام المتعلقة بالطلاق و تفصيل ذلك كله . و لما كان الأولاد إذا ظهر منهم ما يوجب فراقهم و إبعادهم غير مفترقين[4] إلى ما سوى الرفض و الترك بخلاف المرأة ، لم يحتج [الى ما احتيج إليه - [4] فى حقهن فقد وضح وجه ورود سورة الطلاق فى هذا الموضع - و الله ١٠ سبحانه و تعالى[2] أعلم - [انتهى - [5]] .

و لما حد سبحانه ما يفعل [6]فى العدة[6] . أتبعه ما يفعل عند انقضائها فسبب عما أمره به فيها معبرا بأداة التحقق لأن الخطاب على تقدير الحياة ، معلما أن له الرجعة إلى آخر جزء من العدة لأنها إذا ثبتت فى آخرها البعيد من الطلاق كان ما قبله أولى لأنــه أقرب إلى الطلاق فقال : ١٥ ﴿ فاذا بلغن ﴾ أى المطلقات ﴿ اجلهن ﴾ أى شارفن انقضاء العدة مشارفة عظيمة ﴿فامسكوهن﴾ أى بالمراجعة ، و هذا يدل على أن الأولى

---

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : ستقبله (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : وقوع .
(٣) فى ظ و م : طول (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : متفرقين (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعدة .

/٣٨٦ / من الطلاق ما دون البائن لاسيما الثلاث[1] . و لما كان الإسان لما له من النقصان لايقدر على كمال الإحسان قال منكرا : ﴿ بمعروف ﴾ أى حسن عشرة لابقصد المضارة بطلاق آخر لأجل إيجاب عدة أخرى و لا غير ذلك ﴿او فارقوهن﴾ أى بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها

٥ ﴿ بمعروف﴾ بايفاء الحق مع حسن الكلام و كل أمر عرفه الشرع - أى حسنه - فلا يقصد أذاها بتفريقها من ولدها مثلا أو منه إن كانت محبة[2] له مثلا[3] بقصد الأذى فقط من غير مصلحة و كذا ما أشبه ذلك من أنواع الضرر بالفعل أو القول ، فقد تضمنت[4] الآية بافصاحها الحث على فعل الخيرات و بابهامها اجتناب المنكرات .

١٠ و لما كان كل من المرافقة[5] و المفارقة أمرا عظيما ، تبنى عليه أحكام تحل فتحرم[6] أضدادها ، فيكون الخلاف فيها فى غاية الخطر ، و كان الإشهاد أليق بالمراد ، و أقطع للنزاع ، قال تعالى حاثا على الكيس و اليقظه و البعد عن أفعال المغفلين العجزه : ﴿ و اشهدوا ﴾ أى على المراجعة أو المفارقة ﴿ ذوى عدل ﴾ أى مكلفين حرين ثقتين يقظين

١٥ ﴿ منكم ﴾ أى مسلمين و هو أمر إرشاد مندوب إليه ؛ و عن الشافعى رضى الله تعالى عنه وجوبه [فى الرجعية - [7]] و الصحيح الأول ، و من

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ثلاث (٢) فى ظ و م : عاشقة (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : ضمنت (٥) زيد فى الأصل و ظ ، والموافقة ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : وبحرم (٧) زيد من ظ و م .

فوائده أن لايموت أحدهما فيدعى[1] الآخر الزوجية ببقاء علقة العدة ليرث .

و لما كان أداء الشهادة يعسر على الشاهد لترك مهماته و عسرلقاء الحكم[2] الذى يؤدى عنده، و ربما بعد مكانه، وكان للعدل[3] فى الأداء عوائق أيضا، وكان الشهود من المأمورين بالإشهاد[4]، حث على الأداء على وجه العدل بقوله: ﴿ و اقيموا ﴾ أى [أيها - [5]] المأمورون حيث كنتم ٥ شهودا ﴿ الشهادة ﴾ أى التى تحملتموها بأدائها على أكمل أحوالها كما يفعل من يريد إقامة شىء ليصير واقفا بنفسه غير[6] محتاج إلى ما يدعمه . و لما كان ربما ميل أحد من المشهود عليهما الشاهـد[7] بشىء من المرغبات[8] فأداها على وجهها لذلك الشىء لا لكونه الحق، قال مرغبا مرهبا: ﴿ لله ط ﴾ أى مخلصين لوجه الملك الأعلى المحيط [9]بكل شىء[9] علما و قدرة و هو ذو الجلال ١٠ والإكرام فى أدائها على وجه الحق ظاهرا و باطنا، لا لأجل المشهود [له - [5]] و لا المشهود عليه، و لا شىء سوى وجه الله .

و لما كانت أحكامه سبحانه و تعالى لاسيما فى هذا الكتاب المعجز مقرونة بعللها، و فيها عند التأمل رقائق [9]و دقائق[9] تخشع لها القلوب و تجب الأفئدة فى داخل الصدور قال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الذى[10] ذكرت ١٥

(١) من ظ وم، وفى الأصل: قيد - كذا (٢) من م، وفى الأصل وظ: الحاكم. (٣) من ظ وم، و فى الأصل: للعد (٤) من ظ وم، وفى الأصل: بالشهادة. (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: بيس (٧) من ظ وم، وفى الأصل: تشاهد (٨) من ظ وم، وفى الأصل: الرغبات (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) من م، و فى الأصل وظ: التى.

لكم أيتها الأمة من هذه الأمور البديعة النظام العالية المرام، و أولاها
بذلك هنا / الإشهاد و إقامة الشهادة . و لما كانت أوامر الله تعالى و قصصه /٣٨٧
و أحكامه و جميع كلامه مختصا من [بين - [1]] كلام الناس بأنه يرقق
القلوب و يلين الشكائم لكونه روحا لما فيه العدل الذى تهواه النفوس،
٥ و تعشقه الألباب، و تميل إليه الطبائع، و قامت به[2] السماوات و الأرض،
و لما فيه أيضا من ذكر [من - [1]] تعشقه الفطر القويمة من جميع أهل
الخير من الأنبياء و الملائكة و الأولياء، مع تشريف الكل[3] بذكر الله، سمى
وعظا، و بنى للمجهول إشارة إلى أن الوعظ بنفسه[4] نافع و لو لم يعرف
قائله، و إلى أن الفاعل معروف أنه الله لكونه سمى[5] وعظا مع كونه أحكاما
١٠ فقال: ﴿ يوعظ به ﴾ أى يلين و يرقق ﴿ من كان ﴾ أى كونا راسخا، من
جميع الناس ﴿ يؤمن بالله ﴾ أى يوقع و يجدد منكم و من غيركم على
سبيل الاستمرار من صميم قلبه الإيمان بالملك الذى له الكمال كله .

و لما كان البعث محط الحكمة لأن الدنيا مزرعة للآخرة، و لا يكون
زرع بغير حصاد، كان خلو الإيمان عنه معـــدما للايمان فقال:
١٥ ﴿ و اليوم الأخرة ﴾ فانه المحط الأعظم للترقيق، [6]أما من[6] لم يكن متصفا
بذلك فكأنه لقساوة[7] قلبه ما وعظ به لأنه لم ينتفع به أبدا[8] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: أهل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الله (٤) فى ظ و م: نفسه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يسمى (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لما (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لشقاوة (٨) سقط من ظ و م .

و لما

و لما كانت العبادة لاتكون إلا بالإعانة، و كان التقدير: فمن اتعظ بذلك كان اتعاظه شاهدا له بإيمانه بذلك، وكان متقيا، عطف عليه قوله اعتراضا بين هذه الأحكام تأكيدا للترغيب فى الإعانة المترتبة على التقوى: ﴿و من يتق الله﴾ أى يخف الملك الأعظم فيجعل بينه و بين ما يسخطه وقاية مما يرضيه، و هو اجتلاب ما أمر به و اجتناب ما نهى ٥ عنه من الطلاق و غيره ظاهرا و باطنا، و ذلك صلاح قوى العلم بالإيمان و العمل بفعل المأمور به و ترك المنهى عنه[1] لأنه تقدم أن التقوى إذا انفردت فى القرآن [عن مقارن عمت الأمر و النهى، و إذا قرنت -[2]] بغيرها نحو إحسان أو رضوان خصت المناهى[3]: ﴿يجعل﴾ أى الله سبحانه بسبب التقوى ﴿له مخرجا ۙ﴾ بدفع المضار من [كل -[2]] ضيق ١٠ أحاط به فى نظير ما اجتنب من المناهى ﴿و يرزقه﴾ بحوله و قوته بجلب المسار فى الدين و الدنيا و الآخرة فى نظير ما اجتلب[4] من فعل الأوامر.

و لما كان أحلى الهبات ما جاء من مكان لايرجى قال: ﴿من حيث لا يحتسب ۭ﴾ أى لا يقوى رجاؤه له، و [لما] أكد فى هذا ١٥ و أعظم الوعد لأنه و إن كان عاما لكل متق فتعلقه بما تقدم أقوى و النظر فيما تقدم إلى حقوق العباد أكثر، و المضايقة فيها أشد، و الدواعى إليها أبلغ، فالاتقاء فيه بعدم الطلاق فى الحيض و الإضرار بالمرأة بتطويل العدة

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: الله بسبب التقوى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اجتنب.

/٣٨٨ أو الإخراج من المسكن و كتمان الشهادة و العسر / فى أدائها و الإخلال بشيء منها و التأكيد و الإبلاغ فى الوعد لأجل ما جبل عليه الإنسان من القلق فى أموره، عطف على ذلك قوله : ﴿ و من يتوكل ﴾ [أى -[1]] يسند أموره كلها و يفوضها معتمدا فيها ﴿ على الله ﴾ أى الملك الذى
٥ بيده كل شيء و لا كفوء له فقد جمع الأركان الثلاثة التى لايصلح التوكيل[2] إلا بها، و هى العلم المحيط لئلا يدلس عليه، و القدرة التامة لئلا يعجز، و الرحمة بالمتوكل [و العناية به -[1]] لئلا يحيف عليه، و التوكل يكون مع مباشرة الأسباب و هو من المقامات العظيمة و إلا كان أتكالا، و ليس بمقام بل خسة همة و عدم مروءة، لأنه إبطال حكمة الله التى احكمها فى الدنيا
١٠ من ترتيب المسببات على الأسباب - قاله الملوى[3] ﴿ فهو ﴾ أى الله فى غيب غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله ﴿ حسبه[4] ﴾ أى كافيه، و حذف المتعلق للتعميم، و حرف الاستعلاء للاشارة إلى أنه قد حمل أموره كلها عليه سبحانه لأنه القوى الذى لايعصيه[4] شيء، و الكريم الذى يحسن حمل ذلك و رعيه، و العزيز الذى يدفع عنه كل ضار و يجلب له كل
١٥ سار، إلى غير ذلك من المعانى الكبار، فلا يبدو له فى عالم الشهادة[5] شيء يشقيه لامن الغيب و لامن غيب الغيب، و فى الحديث "لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا و تروح[6]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : التوكل (٣) من ظ و م، وفى الأصل : المولى، و الملوى هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله (٤) من ظ و م، و فى الأصل : يصيبه (٥) من ظ و م، وفى الأصل : الغيب (٦) من ظ و م، و فى الأصل : ترجع .

بطانا .

و لما كان ذلك أمرا لايكاد [يحيط - [1]] به الوهم ، علله بقوله مهولا [له - [1]] بالتأكيد و الإظهار فى موضع الإضمار : ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص ﴿ بالغ امره ﴾ أى جميع ما يريده فلابد من نفوذه سواء حصل توكل أم لا ، و سماه أمرا إشارة ٥ إلى أنه مما يستحق أن يؤمر به و إلى أنه فى سرعة[2] الكون إذا أريد لم يتخلف بوجه بل يكون كالمؤتمر الحقير للملك الجليل الكبير .

و لما كان ضرب المقادير من القادر موجبا لعدم الإخلال بشىء[3] منها ، علل ذلك بما اقتضى تحتم الوعد و التوكل فقال : ﴿قد جعل الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له و لامعقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقيد ١٠ بجهة و لا حيثية ﴿ لكل شىء قدراه ﴾ أى تقديرا لايتعداه فى مقداره و زمانه و مكانه و جميع [4]عوارضه و أحواله[4] وإن اجتهد[5] جميع الخلائق فى[6] أن يتعداه ، فمن توكل استفاد الأجر[7] و خفف عنه الألم ، وقذف فى قلبه السكينة ، و من لم يتوكل لم ينفعه ذلك ، و زاد ألمه و طال غمه بشدة سعيه و خيبة أسبابه التى يعتقد أنها هى المنجحة ، فمن رضى فله الرضى ١٥ و من سخط فله السخط ، جف القلم فلا يزاد[8] فى المقادير شىء و لاينقص

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شرعة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى شىء (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : احواله وعوارضه . (٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع الخلائق (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الامر (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يزاود .

منها شيء، و يحكى[1] أن رجلا أتى عمر رضى الله عنه فقال: أولنى[2] مما
/٣٨٩ أولاك[2] الله / فقال: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قال: إنا لانولى[3] من لا يقرأ
القرآن، فانصرف الرجل و اجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود إلى
عمر فيوليه[4]، فلما تعلم القرآن تخلف[5] عن عمر فرآه ذات يوم فقال: يا هذا!
٥ أهجرتنا، فقال: يا أمير المؤمنين! لست ممن يهجر؟ و لكنى[6] تعلمت القرآن
فأغنانى الله عن عمر و عن باب عمر، قال: أى آية أغنتك؟ قال: قوله
تعالى "[7]و من يتق الله يجعل له مخرجا[7] و يرزقه من حيث لا يحتسب"
انتهى. و من توكل[8] على غيره سبحانه و تعالى ضاع لأنه لايعلم المصالح
و إن علمها لم يعلم أين هى، و إن علم[9] لم يعلم متى[10] يستعملها [و إن علم لم
١٠ يعلم كم المقدار المستعمل، و إن علم لم يعلم كيف يستعملها -[11]] و هو سبحانه
المنفرد [12]بعلم ذلك[12] كله و ما لايعلمه حق علمه غيره، و الآية تفهم أن
من لم يتق الله يقتر عليه. و هو موافق لما روى ابن حبان فى صحيحه
و الحاكم و اللفظ له - و قال: صحيح الإسناد - عن ثوبان رضى الله عنه قال:

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: من الولاك (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نوع (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فيواليه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تخفف (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لكن (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يتوكل (٩) زيد فى الأصل: اذ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: بشىء (١١) زيد من ظ و م (١٢-١٢) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك.

قال

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا يرد القدر إلا الدعاء و لا يزيد فى العمر إلا البر، و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه[1] . و تفهم أن من لم يتوكل لم يكف شيئا[2] من الأشياء .

و لما وسط بين العدد هذه الجمل[3] الواعظة دلالة على عظمتها حثا على امتثالها و المبادرة إليها، و ختم بالتقدير، أتبع ذلك بيان مقادير العدد ٥ على وجه أبان أن الكلام الماضى كان فى الحوائض الرجعيات فقال:

﴿ و الّٓئى يئسن ﴾ أى من المطلقات ﴿ من المحيض ﴾ أى الحيض و زمانه لوصولها إلى سن يجاوز القدر الذى ترجو [4]فيه النساء[4] الحيض فصارت بحيث لا ترجوه، و ذلك السن خمس و خمسون سنة أو ستون سنة، و قيل: سبعون[5] و هن[6] القواعد، و أما من انقطع حيضها فى زمن ١٠ ترجو فيه الحيض فانها تنتظر[7] سن اليأس .

و لما كان هذا الحكم خاصا بأزواج المسلمين لحرمة فرشهم و حفظ أنسابهم قال: ﴿من نسآئكم﴾ أى أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من أهل الكتاب، و لما كان الموجب للعدة إنما هو الدخول لا مجرد الطلاق قال: ﴿ ان ارتبتم ﴾ بأن أجلتم النظر فى أمرهن، فأداكم إلى ريب ١٥ [فى -[8]] هل هن حاملات أم لا، و ذلك بالدخول عليهن الذى هو

(١) راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٥/٢٨٠ (٢) من ظ وم، وفى الأصل : شيء. (٣) من ظ وم، وفى الأصل : الجملة (٤-٤) من ظ وم، وفى الأصل : النساء فيه. (٥) زيد فى الأصل : سنة ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من م ، وفى الأصل وظ : هى (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : سو-كذا (٨) زيد من ظ وم.

سبب الريب بالحمل[1] فى الجملة ﴿ فعدتهن ثلثة أشهر ﴾ كل شهر يقوم مقام حيضة لأن أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء فى شهر .

و لما أتم قسمى ذوات الحيض[2] إشارة و عبارة قال : ﴿ و الّٰئى لم يحضن ﴾ أى لصغرهن أو لانهن لا حيض لهن أصلا و إن ٥ كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا ، و هذا مشير إلى أن أولات الحيض بائنات[3] / كن أو لا عدتهن ثلاثة[4] قروء كما تقدم فى البقرة لأن ٣٩٠ / هذه الأشهر عوض عنها ، فاما أن يكون القرء - و هو الطهر - بين حيضتين ، أو بين الطلاق و الحيض ، و هذا كله فى المطلقة ، و أما المتوفى عنها زوجها فأربعة أشهر و عشرا كما فى البقرة .

١٠ و لما فرغ من آئسات الحوامل أتبعه ذكر الحوامل فقال : ﴿ و اولات الاحمال ﴾ أى من جميع الزوجات المسلمات و الكفار[5] المطلقات على كل حال[6] و المتوفى عنهن إذا كان حملهن من الزوج مسلما كان أو لا ﴿ اجلهن ﴾ أى لمنتهى[7] العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض أم لا ﴿ ان يضعن ﴾ و لما كان توحيد الحمل لاينشأ عنه لبس ، ١٥ و كان الجمع ربما أوهم أنه لا تحل واحدة منهن حتى يضع جمعا[8] قال :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الحمل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المحيض (٣) زيد فى الأصل : الحيض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ثلاث (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أو (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منتهى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : جميعا .

﴿حملهن[٤]﴾ و هذا على عمومه مخصص لآية "يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشرا" لأن[١] المحافظة على عمومه أولى من المحافظة على عموم ذلك فى قوله "ازواجا" لأن عموم هذه بالذات لأن الموصول من صيغ العموم، و عموم "ازواجا" بالعرض لأنه بدلى لايصلح لتناول جميع الأزواج فى حال واحد، و الحكم معلل هنا بوصف الحلية بخلاف ذاك[٢] و لأن سبيعة ٥ بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال، فأذن لها النبي صلى الله عليه و سلم أن تتزوج، و لأن هذه الآية متأخرة النزول عن آية البقرة، فتقديمها على تلك تخصيص، و تقديم تلك فى العمل بعمومها رفع لما فى الخاص من الحكم فهو نسخ و الأول هو الراجح للوفاق عليه، فان كان الحمل من زنا أو شبهة فلا حرمة له، و العدة بالحيض. ١٠

و لما كانت أمور النساء فى المعاشرة و المفارقة من المعاسرة و المياسرة فى غاية المشقة، فلا يحمل على العدل فيها و العفة[٣] إلا خوف الله، كرر تلميعا بالحث على التقوى إشارة إلى ذلك و ترغيبا فى لزوم ما حده سبحانه، فقال عاطفا على [ما -[٤]] تقديره: فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله عليه أموره: ﴿و من يتق الله[٥]﴾ أى يوجد الخوف من الملك ١٥ الأعظم إيجادا مستمرا ليجعل بينه و بين سخطه وقاية من طاعاته[٦] اجتلابا للمأمور و اجتنابا للمنهى ﴿يجعل له﴾ اى يوجد إيجادا مستمرا باستمرار

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الا ان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العدة (٤) زيد من ظ و م (٥) وقع فى الأصل: بعد «للنهى» مع زيادة «الملك الأعظم» و الترتيب من ظ و م.

التقوى « إن الله لايمل حتى تملوا » ﴿ من امره ﴾ أى كله فى النكاح و غيره ﴿ يسراه ﴾ أى سهولة و فرجا و خيرا فى [1] الدارين بالدفع و النفع [1]، و ذلك أعظم من مطلق المخرج المتقدم فى الآية الاولى .

٣٨١ / و لما كان تكرير الحث على التقوى / للسؤال عن سببه ، استأنف

٥ قوله كالتعليل له : ﴿ذلك﴾ أى الامر المذكور من جميع هذه الاحكام العالية المراتب ﴿ امر الله ﴾ أى الملك الاعلى الذى له الكمال كله ، و نبه على علو رتبة الامر بقوله [2]: ﴿انزلهٓ اليكم﴾ و لما كان التقدير: فمن أباه هوى فى مهاوى المهلكات إلى أسفل سافلين ، عطف عليه قوله : ﴿و من يتق الله﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه بالاجتلاب و الاجتناب ، و لما كان الإنسان

١٠ محل العجز و النقصان ، أنسه بأنه إذا وقع منــه [زلل ـ [3]] فراجعه بالتقوى لطف به فيه جزاء على تقواه بالدفع و النفع فقال: ﴿يكفر﴾ أى يغطى تغطية عظيمة و يستر و يغيب و يسقط ﴿عنه﴾ جميع [4] ﴿سيّاته﴾ ليتخلى عن المبعدات فان الحسنات يذهبن السيئات . و لما كان الكريم لايرضى لمن أقبل إليه بالعفو فقط قال: ﴿و يعظم لهٓ اجراه﴾ بأن

١٥ يبدل سيئاته حسنات و يوفيه أجرها [5] فى الدارين [5] مضاعفا فيتحلى بالمقربات، و هذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم . و لما قدم [6] التكفير و أتبعه الأجر الكبير ، وكان قد تقدم إيجاب ترك المطلقة فى منزل الطلاق

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الدين بالنفع والضر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالدارين (٦) فى م : قد تقدم .

و أذن

و أذن فى إخراجها عند الفاحشة المبينة ، و كان ربما كان منزل الطلاق
مستعارا ، و كان مما لا يليق بالزوج ، و كان ربما نزل[1] الكلام السابق عليه،
استأنف البيان له[2] بما لا يحتمل[3] لبسا فقال آمرا بعد ذلك النهى على وجه
مشير بسابقه و لاحقه [4]إلى الحلم[4] عنهن فيما يمكن الحلم فيه حفظا للقلوب
و إبعادا للشقاق[5] بعد الإيحاش بالطلاق لئلا يعظم الكسر و الوحشة : ٥
﴿ اسكنوهن ﴾ أى هؤلاء [المفارقات -[6]] فى العدة إن كن مطلقات
حاملات كن أو لا مبتوتات كن أو رجعيات بخلاف ما كان من العدة
عن وفاة بغير حمل أو كان عن شبهة أو فسخ .

و لما كان المراد مسكنا يليق بها و إن كان بعض مسكن الرجل ،
أدخل أداة التبعيض فقال : ﴿من حيث سكنتم﴾ أى من أماكن سكناكم ١٠
لتكون قريبة منكم ليسهل تفقدكم لها للحفظ و قضاء الحاجات . و لما
كان الإنسان ربما سكن فى ماضى الزمان ما لا يقدر عليه الآن قال مبينا
للسكن المأمور به مبقيا للوادة بعدم التكليف بما يشق : ﴿ من وجدكم ﴾
أى سعتكم و طاقتكم باجارة أو ملك أو إعارة حتى تنقضى العدة بحمل
كانت[7] أو غيره . و لما كان الإسكان قد يكون مع الشنآن قال : ١٥
﴿ و لا تضآروهن ﴾ أى حال السكنى فى[8] المسكن و لا فى غيره . و لما

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ترك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يحصل (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل :
بعد الحكم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للاشفاق (٦) زيد من ظ و م .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

كانت المضارة قد يكون لمقصد حسن بأن يكون تأديبا[1] لأمر بمعروف ليتوصل بصورة شر قليل ظاهر إلى خير كثير قال: ﴿ لتضيقوا ﴾ أي / تضييقا بالغا لاشبهة في كونه كذلك مستعليا ﴿عليهن ط﴾ حتى يلجئهن ذلك إلى الخروج . و لما كانت النفقة واجبة للرجعية ، وكانت عدتها تارة بالأقراء و تارة بالأشهر و تارة بالحمل ، و كان ربما توهم أن ما بعد الثلاثة الأشهر[2] من مدة الحمل للرجعية و جميع المـــدة لغيرها لايجب الإنفاق فيه قال: ﴿و ان كن﴾ أي المعتدات ﴿ اولات حمل﴾ أي من الأزواج كيف ما كانت العـــدة من موت أو طلاق بائن أو رجعي ﴿ فانفقوا عليهن ﴾ و إن مضت الأشهر ﴿حتى يضعن حملهن ج ﴾ فان العلة الإعتداد بالحمل ، و هذه الشرطية تدل على اختصاص الحوامل من بين المعتدات البوائن بوجوب النفقة .

/٣٩٢

و لما غيي سبحانه وجوب الإنفاق بالوضع ، وكانت [قد -[3]] تريد إرضاع ولدها ، وكان اشتغالها بارضاعه يفوت عليها كثيرا من مقاصدها و يكسرها ، جبرها[4] بأن قال حاثا على مكافأة الأخوان على الإحسان مشيرا بأداة الشك إلى أنه لايجب عليها الإرضاع: ﴿فان ارضعن﴾ و بين أن النسب للرجال بقوله تعالى : ﴿ لكم ﴾ أي بأجرة بعد انقطاع علقة النكاح ﴿ فاتوهن اجورهن ج ﴾ على ذلك الإرضاع . و لما كان ما يتعلق بالنساء

(١) من ظ و م ، و في الأصل : باديا (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اشهر .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : خير .

من مثل ذلك[1] موضع المشاجرة لاسيما أمر الرضاع ، و كان الخطر فى أمره شديدا ، وكان الله تعالى قد رحم هذه الأمة بأنه يحرك لكل متشاححين[2] من يأمرهما بخير لاسيما فى أمر الولد رحمة له قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ و اتمروا ﴾ أى ليأمر بعضكم بعضا فى الإرضاع و الأجر فيه و غير ذلك و ليقبل بعضكم أمر بعض ، و زادهم رغبة فى ذلك بقوله : ٥ ﴿ بينكم ﴾ أى إن هذا الخير لايعدوكم ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ بمعروف ج ﴾ و نكره سبحانه تحقيقا على الأمة بالرضى بالمستطاع ، و هو يكون مع الخلق بالإنصاف ، و مع النفس بالخلاف ، و مع الحق بالاعتراف .

و لما كان ذلك موجبا للياسرة ، وكان قد يوجد فى الناس من الغالب عليه الشر ، قال مشيرا بالتعبير بأداة الشك إلى أن ذلك[3] و إن وجد فهو[3] ١٠ قليل عاطفا على ما تقديره : فان تياسرتم فهو حظكم[4] و أنتم جديرون بسماع هذا الوعد بذلك : ﴿ و ان تعاسرتم ﴾ أى طلب [كل - [5]] منكم ما يعسر على الآخر بأن طلبت المرأة الأجرة و طلب الزوج إرضاعها مجانا فليس له أن يكرهها . و لما كان سبحانه قد تكفل بارزاق عباده و قدرها قبل إيجادهم ، قال مخبرا جبرا للاب بما يصلح عتابا للأم : ﴿ فسترضع ﴾ ١٥

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م و فى الأصل : متشاحنين (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قد يوجد وهو .
(٤) زيد فى الأصل : و ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ .

[أى - [1]] بوعد لاخلف فيه ، و صرف[2] الخطاب إلى الغيبة إيذانا بأن الأب / ترك الأولى فيما[3] هو جدير به من المياسرة لكونه حقيقا بأن يكون أوسع بطانا [4]و أعظم شانا[4] من أن يضيق عما ترضى به المرأة استنانا به صلى الله عليه و سلم فى أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم فقال : ﴿ لَه ﴾ أى الأب ﴿ اخرىٰ ﴾ أى مرضعة غير الأم و يغنى الله عنها[5] و ليس له إكراهها إلا إذا لم يقبل ثدى غيرها ، و هذا الحكم لايختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك .

و لما كانت المعاسرة فى الغالب فى ترك السماح ، و كان ترك السماح من خوف الإعدام ، نبه سبحانه على أن ذلك[6] ليس بعذر بتقسيم الناس إلى موسع عليه و غيره ، و لأن الأليق بالموسع عليه أن يوسع و لايسيء الظن بربه و قد جرب رفده ، و أن المقتر عليه لاينبغى أن يفعل فعل من يخاف أن يخاف وعده ، فقال شارحا للمياسرة : ﴿ لينفق ذو سعة ﴾ أى مال واسع و لم يكلفه سبحانه جميع وسعه بل قال : ﴿ من سعته ﴾ التى أوسعها الله عليه . و لما كان الإعطاء من غير تقدير ملزوما للسعة ، كان التقدير كناية عن الضيق فقال : ﴿ و من قدر ﴾ أى ضيق و سكنت عليه حركته و رقدت عنه معيشته ﴿ عليه رزقه ﴾ بأن جعله الله الذى لايقدر على التضييق و التوسيع غيره بقدر ضرورياته فقط من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : طرف (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اوسع (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : هذا .

وسع لشيء غيرها لأمر من الأمور التي يظهر الله بها عجز العباد رحمة لهم ليهذب به نفوسهم، و بناه للمفعول تعليما للأدب معه[1] سبحانه و تعالى: ﴿فلينفق﴾ أي وجوبا على المرضع و غيرها من كل ما أوجبه الله عليه أو ندبه إليه، و بشر سبحانه و تعالى بأنه لايخلي أحدا من شيء يقوم به ما دام حيا بقوله مشيرا بالتبعيض إلى أن ما أوجبه سبحانه لايستغرق ٥ ما وهبه: ﴿مما آتاه الله﴾ أي الملك الذي لاينفد ما عنده و لا حد لجوده، و لو من رأس المال و متاع البيت و من ثمن الضيعة إن لم يكن له من الغلة لأنه سبحانه قد ضمن الإخلاف، و من ملك ما يكفيه للوقت ثم اهتم للزيادة للغد فذلك اهتمام غير مرحوم، و صاحبه[2] غير معان، و في هذا إرشاد[3] إلى الاقتداء به صلى الله عليه و سلم في عدم التكلف و اليسر ١٠ في [كل -[4]] أمر على حسب الأوقات.

و لما كان تعالى له التكليف بما [لا -[4]] يطاق، أخبر بأنه رحم العباد بأنه لايفعله، فقال معللا أو مستأنفا جوابا لمن يقول: [فما -[4]] يفعل من لم يكن له موجود أصلا، محببا في دينه صلى الله عليه و سلم بما فيه من اليسر: ﴿لا يكلف الله﴾ أي الذي له الكمال °بأوصاف الرحمة و الإنعام ١٥ علينا بالتخفيف° ﴿نفسا﴾ أي نفس كانت ﴿إلا ما آتاها﴾ و ربما / أفهم، / ٣٩٤ أن من كلف إنفاقا وجد من فضل ما عنده ما يسده من الأثاث الفاضل

---

(١) من ظ و م، و في الاصل: مع (٢) من ظ و م، و في الأصل: صاحت.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: اشار (٤) زيد من ظ و م (°-°) في ظ و م: كله.

عن سد جوعته و ستر عورته .

و لما كان التذكير بالإعـــدام ربما أوجع ، قال تعالى جابرا له و تطييبا لقلبه نادبا إلى الإيمان بالغيب : ﴿سيجعل الله﴾ أى الملك الذى له الكمال كله فلا خلف لوعده ، و نزع الجار زيادة فى الخبر فقال:

٥ ﴿ بعد عسر ﴾ أى من الأمور التى تعسرت لا أنه يجعل[1] ذلك بعد كل عسر ﴿ يسراؕ ﴾ أى لابد[2] من ذلك و لا يوجد [أحد -[3]] يستمر التقتير عليه طول عمره فى جميع أحواله ، قال القشيرى : و انتظار اليسر من الله صفة المتوسطين فى الأحوال الذين انحطوا عن درجة الرضى و استواء وجود السبب و فقده و ارتقوا عن حـد اليأس و القنوط و يعيشون فى أفناء

١٠ الرجاء و يتعللون بحسن المواعيد - انتهى . و لقد صدق الله [و عده -[3]] فيمن[4] كانوا موجودين حين نزول الآيـــة ، ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس و الروم و انتثلوا كنوزها حتى صـاروا أغنى الناس ، و صدق الآية دائم غير أنه كان فى[5] الصحابة رضى الله تعالى عنهم أبين لأن إيمانهم أتم .

١٥ و لما كان الأمر قد بلغ النهاية فى الأحكام و المواعظ و الترغيب لمن أطاع ، فلم يبق إلا التهديد لمن عصى بما شوهد من المثلات و بالغ

---

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يفعل (٢) من ظ و م . و فى الأصل : لايزيد.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيما (٥) من ظ و م : و فى الأصل : من .

العقوبات، فان من الناس البليد الذى لا يتعظ بما يرى. و كان التقدير: فكأى من ناس[1] كانوا فى غاية الضيق فأطاعوا أوامرنا فجعلناهم فى غاية السعة بل جعلناهم ملوكا، عطف عليه تزهيدا فى الرفاهية بأنها تطغى فى الأغلب، و تهديدا لأهل المعاصى قوله مفيدا لكثرة القرى الخارجة عن الحد: ﴿ و كاين من قرية ﴾ أى مدينة كبيرة جامعة، عبر عن أهلها ٥ بها[2] مبالغة ﴿ عتت ﴾ أى استكبرت و جاوزت[3] الحد فى عصيانها وطغيانها فأعرضت عنادا ﴿ عن امر ربها ﴾ أى الذى أحسن إليها و لا محسن [إليها - [4]] غيره بكثرة الرزق و طيب العيش و اللطف فى التربية و الرحمة بعد[5] الإيجاد و الملك ﴿ و رسله ﴾ فلم يقبل منهم ما جاؤها به عن الله، فان طاعتهم من طاعة الله. ١٠

و لما كانت محاسبة مثل هؤلاء [للاهلاك - [4]] لأن الحساب هو ذكر الأعمال و المجازاة عليها بما[6] يحق لكل منها، قال ملتفتا إلى مقام التكلم فى مظهر العظمة: ﴿ فحاسبنها ﴾ أى فتسبب عن عدم شكرهم للاحسان أن أحصينا أعمالها. و لما كان ذلك على وجه المناقشة على[7] النقير و القطمير بالمجازاة على [كل - [4]] فعل بما يليق به قال: ﴿ حسابا شديدا ﴾ ١٥ بمعناه المطابق[8] من ذكر الأعمال كلها و المجازاة / عليها، و هذا هو / ٣٩٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كاس (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بانها.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: جاوز (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م. و فى الأصل: وقت (٦) من م، و فى الأصل و ظ: مما (٧) من ظ و م، و فى الأصل: « و» (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المطابق.

المناقشة و هي[1] أن العامل إذا أثر أثرا بعمله هو كالنقش في الجامد أثر المجازي له فيه[2] أثرا بحسب عمله على سبيل الاستقصاء، و أما الحساب اليسير فهو عرض الأعمال فقط من غير جزاء على قبيحها[3] فهو دلالة تضمن، و إنما[4] شدد على[5] هذه القرية لأن إعراضها كان كذلك بما نبه
٥ عليه تسميته عتوا ﴿ و عذبنها ﴾ أي في الدنيا جزاء على ما أحصيناه من ذنوبها ﴿ عـذابا نكراء ﴾ أي شديد النكارة لأن العقل يحير في أمره لأنه لم ير مثله و لا قريبا منه ليعتبره به[6]، و أزال ذكر الكثرة شبهة أن يكون الإهلاك وقع اتفاقا في وقت من الأوقات ﴿ فذاقت ﴾ بسبب ذلك بعد ما كان لها من الكثرة و القوة ﴿ وبال ﴾ أي وخامة
١٠ و عقوبة و شدة[7] و ثقل و فساد[7] ﴿ امرها ﴾ أي في العتو و جميع ما كانت تأتمر فيه[8]، مثله بالمرعى الوخيم الذي يمرض و يهلك . و لما كان كل مقهور إنما يسلي نفسه بانتظار الفرج و رجاء العاقبة، أيأس[9] من ذلك مذكرا للفعل إشارة إلى الشدة بقوله: ﴿ و كان عاقبة ﴾ أي آخر و منتهى و عقيب ﴿ امرها ﴾ [أي - [10]] في جميع عملها الذي[11] كانت

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : هو (٢) من ظ و م ، و في الأصل : في .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : قبحها (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ان .
(٥) زيد في الأصل : اهل ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : بذلك (٧-٧) من ظ وم ، وفي الأصل : فسادا و ثقل وعافية .
(٨) من ظ و م ، و في الأصل : قبله (٩) من ظ و م ، و في الأصل : ايسر .
(١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، و في الأصل : التي .

فيه

فيه ﴿ خسراه ﴾ اى نفس الخسر فى الدارين، فكلما امتد الأمر وجدوه أمامهم فان من زرع الشوك[1] كما قال القشيرى[2] لا يجنى الورد، [و - ٣] من أضاع حق الله لايطاع فى حظ نفسه ، و من احترق بمخالفة أمر الله تعالى فليصبر على مقاساة عقوبة الله تعالى ، ثم فسر [4]الخسر أو[4] استأنف الجواب لمن يقول : هل لها غير هذا فى هذه الدار ، بقوله : ﴿ اعد الله ﴾ ٥ أى الملك الأعظم ﴿ لهم[5] ﴾ بعد الموت[5] و بعد البعث ﴿ عذابا شديدا لا ﴾ .

و لما تمت الأحكام و دلائلها ، و أحكمت الآيات و فواصلها ، و التهديدات و غوائلها ، كانت فذلكتها وثمرة سياقها و موعظتها ما تسبب عن ذلك من قوله تعالى تنبيها على ما يحي الحياة الطيبة و ينجى فى الدارين : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بامتثال أوامره ١٠ و اجتناب نواهيه .

و لما كان فى تخليص[6] المواعظ من الأحكام و استثمارها من فواصل [7]هذا الكلام أمر[7] عظيم هو من الرقة بمكان لايبصره إلا ذوو الأفهام قال تعالى : ﴿ يٰاولى الالباب ج صلے ﴾ أى العقول الصافية النافذة من الظواهر إلى البواطن ﴿ الذين ءامنوا قف ﴾ أى خلصوا من دائرة الشرك و أوجدوا ١٥

(١) زيد فى الأصل : جنى ثمرة ما زرع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصل : من زرع الشوك ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الخسران و (٥) زيد فى الأصل : وقبله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تلخيص (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : هذه الاحكام امنوا .

الإيمان حقيقة ، ثم علل هذا الأمر بما ازال العذر فقال تنبيها على ما
/٢٩٦ من علينا / به من المراسلة فان مراسلات الأكابر فخر فكيف بمراسلات
الملوك فكيف بمراسلة ملك الملوك حثا بذلك على شكره : ﴿قد انزل الله﴾
أى الذى له صفات الكمال ﴿ اليكم ﴾ [1]خاصة ﴿ ذكرا ﴾ أى كاملا
٥ مذكورا فيه غاية الشرف لكل من يقبله بل تشرفت الأرض كلها
بنزوله و رفع عنها العذاب و عمها النور و الصواب لأن فيه تبيان
[2]كل شيء[2]، فمن استضاء بنوره اهتدى ، ومن لجأ إلى رد أفنائه وصل
من داء[3] الجهل إلى شفائه .

و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم صورة سورة[4] القرآن ،
١٠ فالقرآن باطنه و هو ظاهره لأنه[5] خلقه لاقول له و لا فعل إلا به ، فكان
كأنه هو ، أبدل منه قوله : ﴿ رسولا ﴾ على أن الأمر فيه غنى عن
تأويل ، فان الذكر بكسر الذال فى اللغة كما فى القاموس من الرجال[6]
القوى الشجاع الأبى ، ثم بين كونه ذكرا بقوله : ﴿ يتلوا ﴾ أى يتابع[7]
أن يقص ﴿ عليكم ءايٰت الله ﴾ أى دلائل الملك الأعظم ذى الجلال
١٥ و الإكرام الظاهر جدا حال كونها ﴿ مبيّنٰت ﴾ أى لالبس فيها بوجه .

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لكل احد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : داله . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صورة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٦) زيد فى الأصل : الرجل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يبالغ .

و لما تبين أن الذكر و الرسول صارا شيئا واحدا ، و علم ما فى هذه المراسلة[1] من الشرف ، أتبع ذلك بيان شرف آخر ببيان ثمرة إنزاله فقال : ﴿ ليخرج الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالشهادتين ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لما قالوه[2] بألسنتهم ، تحقيقا لأنه من قلوبهم ﴿ الصلحت ﴾ [3]من الأعمال[3] ﴿ من الظلمت ﴾ أى النفسانية و الأخلاق الرذيلة[4] المؤدية ٥ إلى ظلمة الجوارح بعملها[5] الظلم و انتشارها فى السبل الشيطانية ﴿ الى النور[5] ﴾ الروحانى العقلى الخالص الذى لا دنس فيه بسلوك صراط[6] الله الذى هو [واحد ـ[7]] لا شتات فيه و بين لا لبس فيه " و أن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل " كما بادروا [8]إلى إخراج[8] أنفسهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، و من فساد الأعمال الطالحة [إلى سداد الأعمال ١٠ الصالحة ـ[7]] ، و ذلك بأن يصيرهم متخلقين بالقرآن ليكونوا ظهرا [له ـ[7]] فى حركاتهم و سكناتهم و أقوالهم و أفعالهم فيكونوا[9] ذكرا .

و لما كان التقدير : فمن امن بالله و عمل صالحا شاهد بركات[10] ذلك فى نفسه عاجلا ، عطف عليه بيانا لسعادة الآجلة قوله تعالى :

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المراسلات (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قالوا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الدميمة (٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : طريق (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : باخراج (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : فقدم (١٠) فى ظ و م : بركة .

﴿ و من يؤمن بالله ﴾ أى يجدد فى كل وقت على الدوام الإيمان بالملك الأعلى بأن لايزال فى ترق فى معارج معارفه[1] ﴿و يعمل﴾ على التجديد المستمر ﴿ صلحا ﴾ لله و فى الله فله دوام النعماء، و هو معنى إدخاله الجنة ، و لما كان قد تقدم[2] قريبا فى آية التقوى أنه يكفر عنه سيئاته،

٣٩٧ / ٥ قال / شارحا لقوله " و يعظم له اجرا ": ﴿ يدخله ﴾ أى عاجلا مجازا بما يتيح[3] له من لذات العرفان و يفتح[4] له من الأنس آجلا حقيقة ﴿ جنت ﴾ أى بساتين هى فى غاية ما يكون من [جمع - [5]] جميع الأشجار و حسن الدار ، و بين دوام ريها بقوله: ﴿ تجرى ﴾ و بين انكشاف كثير من أرضها بقوله : ﴿ من تحتها ﴾ أى[6] تحت غرفها

١٠ ﴿ الا نهر ﴾ أو [هو - [5]] كناية عن أن أرضها فى غاية الرى بحيث أن ساكنها يجرى فى أى موضع أراد [نهرا ، و - [5]] إلى زيادة عظمتها أشارت قراءة نافع و ابن عامر بنون العظمة[7] .

و لما أفرد الشرط و الجزاء إجراء على لفظ "من" إشارة إلى أنه لايشترط [فى - [5]] الإيمان و لا [فى - [5]] جزائه مشاركة أحد ، و أنه

١٥ لاتوقف للقبول[8] على شىء غير الوصف المذكور ، جمع الحال بشارة

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : منافعه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قدم. (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ينتج (٤) من م ، و فى الأصل : يفتح ، و فى ظ : يتيح (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٧/٣٩٨ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المقبول .

بأن

بأن الداخلين كثير ، و أن الداخل[1] إلى دار الكرامة لا يحصل له[2] هوان بعد ذلك أصلا فقال : ﴿ خلدين فيهآ ﴾ و أكد معنى الخلود ليفهم الدوام بلا انقضاء فقال : ﴿ ابدا ﴾ و لما أعلم أن الخلود لكل الداخلين إلى الجنة رجع إلى الأسلوب الأول تنصيصا على كل فرد إبلاغا فى عظمة هذا الجزاء بقوله نتيجة لذلك ، منبها على أن هذه النتيجة من حقها أن يتوقع ٥ قولها [من -][3] كل من سمع هذه البشرى : ﴿ قد احسن الله ﴾ أى الملك الأعلى ذو الجلال و الإكرام ﴿ له ﴾ أى خاصة ﴿ رزقا ه ﴾ أى عظيما عجيبا ، قال القشيرى : الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه و لا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه ، كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الأحوال ١٠ ما يستقل بها من غير نقصان و لا يتعذب بتعطشه[4] و لا يكون زيادة فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا بتأييد من الله سماوى .

و لما تقدم [أن -][3] فائدة الذكر النقل من خلق إلى خلق ، و كان من المعلوم أن تحويل جبل من مكانه أيسر من تحويل شخص عن خلقه و شأنه ، و تقدم أن أجر المجاهدة فى ذلك الجنات الموصوفة ، ١٥ و كان ذلك يحتاج إلى قدرة تامة ، دل على قدرته سبحانه عليه بقوله : ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال التى[5] القدرة الشاملة

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الداخلين (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من تعطشه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى به .

إحداها[1]، [ثم -[2]] أخبر عنه بما يدل على ذلك لأن الصنعة تدل على الصانع وعلى ما له من الصفات فقال: ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال البديع القريب ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ أى[3] وإنهم يشاهدون[3] عظمة ذلك ويشهدون
٥ أنه لايقدر عليه إلا تام العلم كامل القدرة، ثم زاد على ذلك ما أنتم أعرف به فقال: ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ أى سبعا كما دل عليه حديث سعيد بن زيد وعبد الله / بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين[4] "من اخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع أرضين" [ولفظ ابن عمر رضى الله عنهما : خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين -[5]]، ٣٩٨ /
١٠ وقد تقدم فى سورة السجدة ما ينفع[6] فى ذلك، وظاهره يدل على أنها كما هى مثلها فى العدد فهى مثلها فى الكرية[7] وإحاطة كل واحدة منها بالتى تحتها، وأن التى نحن عليها هى السابعة العليا كالسماء[8] السابعة[9] التى سقفها الكرسى لأن[10] ذلك أدل على [ما -[5]] السياق له من تمام العلم وشمول القدرة فى الاستدلال عليه [بقوله -[5]]: ﴿ يتنزل ﴾ أى
١٥ بالتدريج ﴿ الامر ﴾ [أى -[5]] الذى يجود به الرحمن من التدبير من

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: احدهما (٢) زيد من م (٣-٣) من م، وفى الأصل وظ: انتم تشاهدون (٤) راجع المظالم من صحيح البخارى والمساقاة من صحيح مسلم (٥) زيد من ظ وم (٦) زيد فى الأصل: هنا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧) من ظ وم، وفى الأصل: الكوية (٨) من ظ وم، وفى الأصل: كما ان السماء (٩) زيد فى الأصل: هى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (١٠) من ظ وم، وفى الأصل: و.

أمر الدين و التكوين من العرش و الكرسي ﴿ بينهن ﴾ بالوحي من السماء السابعة العليا إلى الأرض السابعة السفلى و أنتم ترونهن بلا فروج فانفذ بينهن حتى نفذ فيهن، [و -[1]] ذالك - و الله اعلم - هو ما يريد من عظيم تدبيره بانزال[2] الكتب و إرسال الرسل و إثبات شريعة و محو أخرى و توجيه الأسباب إلى المسببات من المطر و النبات و الليل و النهار ٥ و الفصول و خلق الحيوانات و المعادن و سائر النباتات، و ترديد الملائكة بسائر المصنوعات، هذا ما دل عليه ظواهر الكتاب و السنة، و أولها بعضهم بأنها سبعة أقاليم، و هو مردود بعد القاعدة فى أن التأويل بغير دليل لعب بما يأتي من صريح الحديث النبوي و الكلام الضابط فيما يؤول و ما لا يؤول أن النقليات أربعة أقسام: قطعي السند و الدلالة، ١٠ ظنيهما[3]، ظني السند قطعي الدلالة، عكسه: قطعي السند ظني الدلالة، فالأول يجب اعتقاد ظاهره، و من خالفه كفر، و البقية يجب اعتقاد ظواهرها ما لم تعارض، فان عورضت بقطعي وجب العدول عن الظاهر إجماعا، فمن اعتقده كفر، ثم للناس بعد ذلك مذهبان: أما السلف فيفوضون المراد إلى الله تعالى، و أما الخلف فان كان لذلك محمل واحد ١٥ عينوه. و إن كان ثم محامل سردوها و لم يعينوا شيئا منها مع اعترافهم بأنهم ليسوا على قطع من أن المراد شيء مما ذكروه، و إنما هو شيء يليق بالمقام [4]و العلم عند[4] الله و بأن طريق السلف [5]أقرب و[5] أسلم و بانه

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بانزاله (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ظنيها (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: ولا يعلمه الا الله. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

ما حملهم على التأويل[١] الا إنتشار المبتدعين و إشهارهم بدعتهم بين الناس، قال الإمام علاء الدين القونوى رحمه الله تعالى فى باب السير من شرحه الحاوى: قال الإمام - يعنى إمام الحرمين: و لو بقى الناس على ما كانوا عليه من صفوة الإسلام لما أوجبنا التشاغل بعلم الكلام بل ربما نهينا عنه، و أما الآن و قد ثارت / البدع فلا سبيل إلى تركها تلتطم[٢] أمواجها فلابد من إعداد ما يدعى به إلى المسلك الحق و تحل به الشبه، فصار الاشتغال بأدلة المعقول و حل[٣] الشبه من[٤] فروض الكفايات، و من استراب فى أصل من أصول الاعتقاد فعليه[٥] السعى فى إزاحته[٦] إلى أن يستقيم عقده - انتهى. ثم إنك تجد العلماء يختلفون فى بعض الأدلة فبعضهم يجريها على الظاهر و بعضهم يؤول، و ذلك للاختلاف فى المعارض هل هو قطعى الدلالة [أم لا -[٧]]، [٨]و هذا[٨] الموضع منه، فان ظواهر الكتاب [و السنة -[٧]] تدل على أن الأرضين مثل السماوات فى العدد فى أن بينهما خلاء، و [فى -[٩]] أن فى كل واحدة مخلوقات لا يعلمها إلا الله، بل بعض الأخبار يكاد يقطع به فى ذلك، و لكنه لم يخرج عن أن يكون ظنيا فأكثر العلماء و محققوهم على أن المعارض - و هو ما قاله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: انتبديل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نينظم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حق (٤) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٥) من م، و فى الأصل وظ: وعليه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لزالته (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: انه لا فعل. (٩) زيد من م.

أهل علم الهيئة من[1] الأدلة على كونها واحدة - ليس بقطعي، فأولوا كونها سبعة بالأقاليم[2] السبعة، و قد رأيت في التعدد [حقيقة - [3]] حديثا صريحا لكن لا أدرى حاله[4]، [5]ذكره ابن برجان[5] في اسمه تعالى الملك من شرحه للأسماء الحسنى قال: إن النبي صلى الله عليه و سلم قال: أتدرون ما تحت[6] هذه الأرض، قالوا[7]: الله و رسوله أعلم، قال: [ماء - [3]]، أتدرون ما تحت ٥ ذلك، قالوا: الله و رسوله أعلم، [قال: هواء، أتدرون ما تحت ذلك: قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: أرض، أتدرون ما تحت ذلك؟ قالوا: الله و رسوله أعلم - [3]] - حتى عد سبع ارضين، ثم رأيته[8] في الترمذي[9] عن أبي رزين العقيلي و لفظه: هل تدرون ما الذي تحتكم، قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: إنها الأرض، ثم قال: هل تدرون[10] ما تحت ذلك؟ ١٠ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: إن تحتها أرضا أخرى بينهما خمسمائة سنة - حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم رأيت في الفردوس[11] عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ما بين السماء إلى السماء [مسيرة - [3]] خمسمائة عام، وعرض كل سماء و ثخانة كل سماء خمسمائة عام، و ما بين السماء السابعة و بين الكرسي ١٥

---

(١) من ظ وم، و في الأصل: مع ان (٢) من ظ وم، و في الأصل: الاقاليم.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: ما حاله (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: ذكره ابوحبان (٦) زيد في الأصل: الارض، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و في الأصل: قال (٨) في ظ: رايت (٩) راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٧٠ (١٠) من ظ و م، و في الأصل: أتدرون (١١) راجع المخطوطة ٢٥/ب.

و العرش مثل ذلك، و ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائه عام، و الأرضون و عرضهن و مخانتهن مثل ذلك .

و لما ذكر سبحانه الصنعة تنبيها على التفكر فيها و الاعتبار بها، ذكر أن ثمرتها العلم بصفاته بعد العجز عن إحاطة العلم عقب ذاته تعالى

٥ [فقال - [1]] : ﴿ لتعلموآ ﴾ أى بهذا [2] العالم الذى أوجده بتسوية كل واحد من القبيلين [3] سبعا كل واحده بينها و بين الأخرى مسافة بعيدة مع الكثافة الزائدة و أنتم تعلمون أنه لايفصل [الجسم - [1]] ولاسيما الكثيف عن آخر مثله إلا فاصل قاهر [4] بقوة باهرة [5] و قدرة ظاهرة و علم شامل لما يحتاج إليه ذلك، فكيف إذا كان على هذا المنهاج البديع

٤٠٠ / ١٠ / والوجه المنيع على مر الدهور و الأحقاب وتعاقب [6] الشهور و الأعوام على حساب معلوم و نظام منظوم، لايدركه إلا أعلى الناس حسابا و أعظمهم صوابا، مع المنافع التى تفضل عن سكانها [7]، و المرافق التى تنزه الخالق بآثارها و أعيانها، و توقظ الغافل و تنبه الجاهل و تدمغ المعاند ببرهانها [8]، فانه لايسع [9] أحدا المنازعة [10] فى خلقه لها، و من خلقها قدر على تدبيرها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ان هذا (٣) من م، و فى الأصل و ظ: القبلتين (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قاهرة (٦) من ظ و م، وفى الأصل: عواقب (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يكانها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: بنزاهتها . (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لايسمع (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: المعازة .

على الوجه المذكور ، و من كان كذلك كان منزها عن الشريك قطعا ، و من كان كذلك قدر على كل شيء فلذا[١] قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة كلها ﴿على كل شيء ﴾ أى من غير هذا العالم ممكن أن يدخل تحت المشيئة فانه بمعنى مفعول[٢] من عالم آخر مثل هذا العالم ، و أبدع منه و أبدع من ذلك الإبداع إلى ما لا نهاية له ٥ بالاستدلال بهذا العالم . فان من قدر على إيجاد ذرة من العدم قدر على إيجاد ما هو دونها و مثلها و فوقها إلى ما لا نهاية له لأنه [لا - ٣] فرق فى ذلك بين قليل و لا كثير جليل أو حقير "ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت" و إياك أن تلتفت إلى من قال : [إنه -٣] ليس فى الامكان أبدع[٤] من هذا العالم ، فانه مذهب فلسفى خبيث ، و الآية نص ١٠ فى إبطاله و إن نسبه بعض الملحدين[٥] إلى الغزالى [٦] فانى لا أشك[٦] أنه مدسوس عليه فانه مذهب فلسفى خبيث بشهادة الغزالى كما بينت ذلك فى كتابى " تهديم الأركان [٧]على من قال[٧] ليس فى الإمكان أبدع مما كان " و كتابى [" دلالة البرهان على أن فى الإمكان أبدع مما كان " و كتابى - ٣] " إطباق الأغلال فى أعناق الضلال " و مع كونه مذهب ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلذلك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مفعل .
(٣) زيد من ظ و م (٤) بهامش الأصل : مطلب ما فى الرد على من قال : ليس فى الامكان أبدع من هذا العالم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المحدثين
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فانه لا شك (٧-٧) فى ظ و م : من .

الفلاسفة أخذه[1] أكفر المارقين ابن عربي و أودعه[2] فصوصه و غير ذلك من كتبه و استند [فيه -[3]] في بعضها إلى الغزالي إتقانا لمكره - أعاذنا[4] الله من شره، و الغزالي بريء منه بشهادة ما وجد من عقائده في الإحياء و غيره ﴿ قدير ﴾ أي بالغ القدرة .

٥ و لما كانت إحاطة العلم دالة على تمام القدرة و إليهما يرجع جميع الأسماء و الصفات قال : ﴿ و ان الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿ قد احاط ﴾ لتمام قدرته ﴿ بكل شيء ﴾ مطلقا، و لما أسند [5]الإحاطة إليه[5] سبحانه تعظيما لها، بين جهتها بتمييز محول[6] عن الفاعل فقال : ﴿ علما ﴾ فله الخبرة التامة بما يأمر به من الأحكام في العلم بمصالحه و مفاسده

١٠ فعاملوه معاملة من يعلم إحاطة علمه فيعلم أنه رقيب عليه فاذا طلقتم[7] فافعلوا ما أمركم به لتسلموا في الدين و تسعدوا في الآخرة و الأولى، و دبروا في جميع أموركم مثل ما دبر به أمركم في تربيتكم و مسكنكم أرضه و سقفه / فانه جعل فيه جميع ما تحتاجونـــه و بسطه نواله على من رضيه و من يسخطه و نشر حلمه و فضله و أخر باسه و عدله فقد عانق

١٥ أخرها أولها و بين [8]مجملها و مفصلها[8] [9]و الله يعلم بذات الصدور[9] .

/ ٤٠١

(١) من ظ و م ، و في الأصل : اكثره (٢) زيد في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) في ظ و م : اعاذ (٥-٥) من ظ و م ، و في الأصل : اليه الاحاطة (٦) من م ، و في الأصل و ظ : محو (٧) من ظ و م، و في الأصل : اطعتم (٨ - ٨) من ظ و م ، و في الأصل : مفصلها و مجملهـا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة التحريم[1] و تسمى سورة النبي صلى الله عليه و سلم

مقصودها الحث على تقدير التدبير فى الأدب مع الله و مع رسوله صلى الله عليه و سلم و مع سائر العباد و الندب إلى التخلق بالأدب[2] الشرعي و حسن المباشرة لا سيما [للنساء - [3]] اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم فى حسن عشرته و كريم صحبته و بيان أن الأدب الشرعي تارة ٥ يكون باللين و الأناة ، و أخرى بالسوط و ما داناه و مرة بالسيف و ما والاه ، و كل من اسميها التحريم و النبي[4] صلى الله عليه و سلم موضح لذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله على الدوام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم عباده بعظيم الإنعام ﴿ الرحيم ہ ﴾ الذى أتم على خواصه[5] نعمه الإسلام .

لما ختم سبحانه الطلاق باحاطة علمه[6] و تنزل أمره بين الخافقين ١٠ فى تدبيره ، دل عليه أول هذه باعلاء أمور الخلق بأمر[7] وقع بين خير خلقه و بين نسائه اللاتى من خير النساء و اجتهد[8] كل فى إخفاء ما تعلق به منه فأظهره سبحانه عتابا لأزواج نبيه صلى الله عليه و سلم فى صورة عقابه[9] لأنه أبلغ رفقا به لأنه يكاد[10] من شفقته أن يبخع نفسه الشريفة

(١) السادس و الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آيها (١٢).
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : والأدب (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التسمية بالنبي (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على عباده خواص الانعام و (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : علم (٧) فى ظ و م : امر (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اجتهاد (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عذابه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يكاد .

رحمة لأمته تارة لطلب رضاهم و أخرى رغبة فى هداهم، لأنه صلى الله
عليه و سلم بالغ فى تهذيب أخلاقه مع ما طهره الله به من نزاهتها عن
كل دنس حتى ضيق [عليها - [1]] بالامتناع عن بعض ما أبيح له
حفظا لخاطر الغير، فقال تعالى مناديا له بأداة البعد و هو أقرب أهل
٥ الحضرة مع أنها معدة لما يكون ذا خطب جليل و معنى جسيم جليل،
و فيها إيماء إلى تنبيه الغير و إسماعه إرادة لتأديبه و تزكيته و تهذيبه:
﴿يٓايها النبى﴾ مخاطبه [2] بالوصف الذى يعلم [2] بالعصمة و يلائمه [3] أشد الملائمة [4]
خلو البال و سرور القلب و انشراح الصدر لأنه للتلقى [5] عن الله تعالى
فيحث كل سامع على البعد عن [6] كل ما يشوش عليه صلى الله عليه و سلم
١٠ أدنى تشويش ﴿لم تحرم﴾ أى تفعل [فعل المحرم - [1]] بمنع نفسك الشريفة
٤٠٢ / ﴿مآ احل الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه ﴿لك ج﴾ بالوعد
[7] لبعض أمهات [7] المؤمنين رضى الله عنهن بالامتناع من شرب العسل الذى
كان عند حفصة أو زينب رضى الله عنهما و الامتناع من ملامسة سريتك
مارية رضى الله تعالى عنها فتضيق على نفسك لإحسان العشرة مع نسائك
١٥ رضى الله عنهن أجمعين، فان النبى صلى الله عليه و سلم كان يشرب عسلا
عند حفصة بنت عمر أو زينب بنت جحش رضى الله عنهما على اختلاف

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من ظ
و م، و فى الأصل: بملاءمة (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ
و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لتاتى (٦) من ظ و م، و فى
الأصل: على (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: لامهات.

الروايتين فى ذلك فى الصحيح[١]، و فى رواية أنـه صلى الله عليه و سلم كان إذا صلى الغداة دخل على نسائه رضى الله عنهن امرأة امرأة، وكانت قد أهديت[٢] لحفصة بنت عمر[٣] رضى الله عنهما عكة من العسل، فكانت[٤] إذا دخل [عليها فسلم - [٥]] حبسته[٦] و سقته منها، و أن عائشة رضى الله عنها أنكرت[٣] احتباسه عندها فقالت لجورية عندها حبشية يقال لها خضرة: ٥ إذا دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على حفصة فادخلى عليها[٧] فانظرى ماذا يصنع فأخبرتها الخبر فوصت صواحباتها فنفرنه من شربه باخباره بأنه يوجد منه ريح كريهة لأن نحله جرست العرفط، فقال: لن أعود له، و روى الطبرى[٨] و[٩] ابن مردويه أنه صلى الله عليه و سلم خلا بمارية رضى الله عنها أم ولده إبراهيم عليه السلام فى بيت حفصة رضى الله عنهـا ١٠ [فتوجعت من ذلك حفصـــة رضى الله عنها - [٥]] فقال هى [على - [٥]] حرام و لا تذكرى [ذلك - [٥]] لأحد و أبشرك على ذلك بشارة، و هى أن أبا بكر يلى هذا الأمر من بعدى و أباك يليه من بعد أبى بكر رضى الله عنهما. لا تخبرى بذلك أحدا، فأخبرت عائشة رضى الله عنها، و يروى أن حفصة رضى الله عنها قالت فى يومها من النبى صلى الله ١٥ عليه و سلم: إن بى إلى أبى حاجة نفقه [لى - [٥]] عنده فأذن لى أن

---

(١) راجع أبواب الطلاق (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اهدت (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فكان. (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: احتبسته (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عليـه (٨) راجـع التفسير ٢٨ / سورة التحريم. (٩) من ظ و م، و فى الأصل: من طريق.

أزوره و آتى بها، فاذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية رضى الله عنها فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب[1] مغلقا فجلست عنده فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و وجهه يقطر عرقا و حفصة تبكى فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت[2]: إنما أذنت [لى - [3]] من أجل ٥ هذا وقعت عليها فى يومى و على فراشى، أما رأيت [لى - [4]] حرمة و حقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال صلى الله عليه و سلم: أليس هى جاريتى قد أحلها الله لى اسكتى فهى "على حرام" ألتمس بذاك رضاك فلا تخبرى بهذا أحدا، فلما خرج أخبرت عائشة رضى الله عنها لحلفته على ترك مارية رضى الله عنهن. ثم علل ذلك سبحانه بقوله: ﴿ تبتغى ﴾ ١٠ [أى - [4]] تريد إرادة عظيمة من مكارم أخلاقك و حسن صحبتك / ﴿ مرضات ازواجك[5] ﴾ أى الأحوال و المواضع و الأمور التى يرضين /٤٠٣ بها و من أولى بأن[6] تبتغين رضاك وكذا جميع الخلق لتفرغ لما يوحى إليك من ربك لكن ذلك للزوجات أكد.

و لما كان أعلى ما يقع به المنع من الأشياء من جهة العباد الايمان، ١٥ و كان تعالى قد جعل من رحمته لعباده لايمانهم كفارة قال: ﴿ والله ﴾ أى[7] تفعل ذلك لرضاهن و الحال أن الله الملك الأعلى ﴿ غفور رحيم ۝ ﴾

---

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فقال. (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: حرام على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٧) زيد فى الاصل: المحيط بكل شىء علما و قدرة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها.

أى

اى محـاء ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم ، ثم علل أو[1] بين بقوله : ﴿ قد فرض الله ﴾ أى قدر ذو الجلال و الإكرام الذى لا شريك له و لا أمر لأحد معه ، وعبر بالفرض حثا على قبول الرخصة إشارة إلى [أن -[2]] ذلك لا يقدح فى الورع و لا يخل بحرمة اسم الله لأن أهل الهمم العوالى لا يحبون النقلة من عزيمة إلى رخصة بل من رخصة إلى ٥ عزيمة ، أو عزيمة إلى مثلها .

و لما كان التخفيف على [3]هذه الأمة[3] [4]إنما هو كرما منه[4] و تعظيما [5]لهذا النبى[5] صلى الله عليه و سلم قال : ﴿ لكم ﴾ [أى -[2]] أيتها الأمة التى أنت رأسها ، و عبر بمصدر حلل المزيد مثل كرمه و تكرمه إظهارا لمزيد الغاية فقال : ﴿ تحلة ﴾ أى تحللة ﴿ ايمانكم[6] ﴾ أى شيئا يحللكم مما أوثقتم بـه ١٠ أنفسكم منها تارة بالاستثناء و تارة بالكفارة تحليلا عظيما بحيث يعيد الحال إلى ما كان عليه قبل اليمين ، و قد بين ذلك فى سورة المائدة فحلل يمينك و اخرج من تضييقك على نفسك و اشرح من صدرك لتتلق ما يأتيك من أنباء الله تعالى و أنت [متفرغ -[2]] له بطيب النفس و قرة العين ، و هذا يدل على أن قوله « انت على حرام » كاليمين إذ[6] لم يقصد به ١٥ طلاقا[7] للزوجة و لا إعتاقا للأمة ، و إذا كان الله قد فرض ذلك [8]لكافة الأمة[8] تيسيرا عليهم فرأسهم أولى بأن يجعل له ذلك ، قال مقاتل :

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : ايضاو (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ وم : امته (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥-٥) فى ظ و م : له (٦) فى ظ و م : اذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : طلاق (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : للأمة .

فأعتق صلى الله عليه و سلم فى هذه الواقعة رقبة، و [قد - [1]] قيل : إن تحريمه صلى الله عليه و سلم هنا كان بيمين حلفها و حينئذ لا يكون فيه حجة لمن رأى أن « أنت على حرام » يمين ﴿ و الله [2] ﴾ أى و الحال أن المختص[3] بأوصاف الكمال ﴿ مولٰكم ج ﴾ أى يفعل معكم فعل القريب
٥ الصديق ﴿ وهو ﴾ أى وحده[4] ﴿ العليم ﴾ [أى - [1]] البالغ العلم بمصالحكم و غيرها إلى ما لا نهاية له ﴿ الحكيم ﴾ أى الذى يضع كل ما يصدر عنه لكم فى أتقن محا له بحيث لا ينسخه هو و لا يقدر غيره أن يغيره و لا شيأ منه، و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لا تحاد مرماهما و تقارب معناهما، و قد ظن أن رسول
١٠ الله صلى الله عليه و سلم طلق نساءه حين اعتزل فى المشربة[5] حتى سأله عمر رضى الله عنه و القصة معروفة و تخييره صلى الله عليه و سلم إياهن أثر ذلك و بعد اعتزالهن / شهرا كاملا و عتب الله عليهن فى قوله "و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه" و قوله "عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن" الآية، فهذه السورة و سورة الطلاق أقرب شيء و أشبه بسورة
١٥ الانفال و براءة لتقارب المعانى و التحام المقاصد - انتهى.

/٤٠٤

(١) زيد من ظ و م (٢) ليس فى الأصل (٣) من ظ و م، و فى الأصل : المتصف (٤) زيد فى الأصل : لا شريك له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل : المدينة.

و لما كانت العادة فيمن رأى حبيبه قد ضاق صدره أن يسعى أولا فى شرح [1]صدره و طيب نفسه[1] ثم يزيده بسطا بأن يقول للحاضرين: إن حبيبنا هذا الكريم علينا اتفق له كذا، و قد كرهت [هذا - [2]] و ضمنت زواله، وكان تعالى قد طيب نفسه صلى الله عليه و سلم بأول السورة، ثم[3] أتبعه الأمر الآخر، فكان التقدير: اذكروا هذا الذى ذكرته ٥ من حسن عشرة نبيكم صلى الله عليه و سلم لنسائه رضى الله تعالى عنهن [4]و كريم صحبته و شريف[4] أخلاقه و [جميل - [2]] أفضاله و جليل حلمه و اذكروا ما خفف الله به عنكم فى الأيمان التى لا مثنوية فيها [و اذكروا فيها - [2]] اسمه المقدس، عطف عليه قوله تعالى تشريفا لنبيه صلى الله عليه و سلم بالمعاتبة [عليه . [2]] و باظهار ما هو حامل له من ثقل هذا السر ١٠ على أجمل وجه تخفيفا عنه و ترويحا له: ﴿ و اذ ﴾ أى [و - [5]] اذكروا كريم اخلاقه صلى الله عليه و سلم و طاهر شمائله فى عشرتهن حين ﴿ اسر النبى ﴾ أى الذى شأنه أن يرفعه الله دائما بأن يتلقى من فياض علمه ما يخبر به الناس فانه ما ينطق عن الهوى و أبهم الزوجة و لم يعينها سبحانه تشريفا له صلى الله عليه و سلم و لها رضى الله عنهن فقال ١٥ تعالى: ﴿ الى بعض ازواجه ﴾ و هى حفصة رضى الله [عنها، كنى - [2]] عنها صيانة لهن لأن حرمتهن رضى الله عنهن من حرمته صلى الله عليه

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: نفسه و طيب صدره (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: لطيف صحبته و كريم (٥) زيد من م.

و سلم ﴿حديثا﴾ ليس هو من شأن الرسالة و لوكان من شأنها لهم به
و أعلنه و لم يخص به و لا أسره و ذلك هو تحريم مارية رضى الله عنها
و وعده بأن[1] يترك العسل و بشارته بولاية أبى بكر و عمر رضى الله عنهما
و لم يبين الحديث و يفصله إكراما له صلى الله عليه و سلم و حفظا لسره
٥ لأن العادة جارية بأن الإنسان لا يحب تفصيل سره و إن كنا اطلعنا عليه
بعد ذلك لنتاسى به فيما فيه من الأحكام ، فان أحواله صلى الله عليه وسلم
كلها أحكام لنا إلا ما اختص به و أشار إلى قرب زمن إفشائه من زمن
التحديث بالفاء فى قوله تعالى : ﴿ فلما نبات ﴾ أى أخبرت إخبارا عظيما
جليلا لشرفه فى نفسه و لأنه من عند الله و بالغت فى ذلك و أخبرت
١٠ ﴿ به ﴾ كله من جميع وجوهه ، و جعل ذلك فى[2] سياق حكاية لأنه
أستر لحرمه[3] صلى الله عليه و سلم حيث لم يقل : فبأت [به -[4]] و لا قال :
أساءت بالإنباء به ، و نحو ذلك مما يفهم/أنه مقصود بالذات ﴿و اظهره الله﴾ / ٤٠٥
أى أطلعه الملك الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليه ﴾ أى الحديث
بأنه قد أفشى مناصحة له فى إعلامه بما يقع فى غيبته ليحذره إن كان
١٥ شرا و يثيب عليه إن كان خيرا ﴿ عرف ﴾ اى النبى صلى الله عليه و سلم
التى أسر إليها ﴿ بعضه ﴾ و هو أمر الخلافة عتابا لها عليه لأنه كان
أوصاها أن لا تظهره ، و الكف عن بعض العتب[5] أبعث على حياء

(١) فى ظ و م : أن (٢) زيد فى الأصل : حكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لحرمته (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الغيب .

المعتوب و أعون على توبته و عـدم عدده إلى فعل مثله ﴿ و اعرض عن بعض ج ﴾ و هو أمر السرية و العسل تكرما منه أن يستقصى فى العتاب و حياء و حسن عشرة، قال الحسن : ما استقصى كريم قط ، و قال سفيان الثورى : ما زال التغافل من فعل الكبراء[1] و إنما عاتب على أمر الخلافة خوفا [من - [2]] أن ينتشر فى الناس و يذيع، فربما أثار حسدا ٥ من بعض المنافقين و أورث الحسود للصديق و الفاروق كيدا أو جر إلى مفسدة[3] لا نعلمها، و خفف الكسائى[4]: عرف أى أقر به و المعرفة سبب التعريف و التعريف عن المعرفة فاطلاق أحدهما على[5] الآخر شائع و علاقته ذلك و أشار إلى مبادرته بتعريفها ذلك لئلا ينتشر ما يكرهه منه بقوله : ﴿ فلما نباها ﴾ [6]بما فعلت من إفشاء ما عرفها منه على وجه لم يغادر من ذلك ١٠ الذى عرفها ﴿ به ﴾ شيئا منه و لا من عوارضه ليزداد بصيرة، روى أنها قالت : قلت لعائشة رضى الله عنها سرا و أنا أعلم انها لا تظهره . قاله الملوى و هو معنى قوله : ﴿ قالت ﴾ أى ظنا منها أن عائشة رضى الله عنها أفشت عليها ﴿ من انباك هذا ﴾ أى مطلق إخبار ، و استأنف قوله : ﴿ قال نبانى ﴾ و حذف المتعلق اختصارا للفظ و تكثيرا للمعنى بالتعميم إشارة إلى أنه ١٥ أخبره بجميع ما دار بينها و بين عائشة رضى الله عنها مما عرفها به و من غيره على أتم ما كان ﴿ العليم ﴾ أى المحيط بالعلم ﴿ الخبير ﴾ أى المطلع

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : الكرام (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ و م : فساده (٤) راجع نثر المرجان ٧ / ٤٠٤ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن . (٦) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

على الضمائر[1] و الظواهر فهو أهل لأن يحذر فلا يتكلم سرا و لا جهرا إلا بما يرضيه .

و لما عرف من هذا أن المعاتب المنبئة و من نباته ، و كان قد يكون عددا[2] أشار إلى أنه واحد فالمعاتب ثنتان ، و كانتا قد اتسعت قلوبهما

٥ لما يأتى من قبل الله من الرغائب [بهذا العتاب على هذا الأمر الخفى جدا و الكرم عليهما فيه بعدم الاستقصاء فمالت قلوبهما إلى المعالى و غاصت على جليل المعارف فصاغت من جواهر ذلك دقيق المعانى ، لفت إليهما الخطاب بلطيف العباد -[3]] لشريف المتاب ، فقال تشريفا آخر له صلى الله عليه و سلم بالإقبال على نسائه رضى الله تعالى عنهن بالعتاب لأجله قياما

١٠ عنه بما ربما أزعجه لو باشره حفظا لخاطره الشريف مما قد يغره ﴿ان تتوبآ﴾ أى يا عائشة و يا حفصة مما صنعته حفصة بالافشاء و عائشة بالاحتيال على المنع من شرب العسل و التحليف / على مارية ﴿الى الله﴾ أى الملك /٤٠٦ الذى أحاط علمه بجلت قدرته و لطف بهما لأجله صلى الله عليه و سلم غاية اللطف فى قوله : ﴿فقد صغت﴾ أى مالت و غاضت بما صاغت

١٥ ﴿قلوبكما ج﴾ و فى جمع[4] القلوب جمع كثرة تأكيد[5] لما فهمته من ميل القلب بكثرة المعارف بما أفادهما إظهار هذا السر و العتاب عليه من الحياء ، فصارتا جدرتين بالمبادرة إلى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل .

و لما أورد ما صارتا حقيقتين[6] به بأداة الشك إقامة للسامع بين

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ابوا طن (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عدوا
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع (٥) فى م : تاييد
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقين .

الخوف و الرجاء من ذلك و هو أعلم بما يكون أكمل ذلك بذكر شق الخوف، فقال معلما بأن[1] الملك و أوليائه أنصار[2] له ﴿ و ان تظهرا ﴾ بالتشديد للادغام فى قراءة الجماعة لأن التظهر[3] هنا إن وقع كان على وجه الخفاء فى أعمال[4] الحيلة فى أمر مارية رضى الله عنها و العسل و ما يأتى من مثل ذلك مما يبعث عليه الغيرة ﴿ عليه ﴾ أى النبى صلى الله ٥ عليه و سلم المنبأ من قبل الله بما يرفع قدره و يعلى ذكره، و قراءة الكوفيين بالتخفيف باسقاط إحدى التائين إشارة إلى سهولة أمر هذه المظاهرة و قلة أذاها له صلى الله عليه و سلم .

و لما كان المعنى كأنه لا يبالى بمظاهرة كما عبر عنه بعلته، فقال مؤكدا إعلاما بأن حال المتظاهرين عليه حال المنكر لمضمون الكلام: ﴿ فان الله ﴾ ١٠ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ هو ﴾ أى بنفسه الأقدس و حضرة غيبه التى لا يقوم لما لها من العظمة شىء ﴿ مولٰه ﴾ أى ناصره و المتولى من أمره ما يتولاه القريب الصديق القادر[5] و كل من له وعى يعلم كفايته سبحانه فى ذلك فهو يعمل[6] أبلغ ما يعمله[7] مولا مع من[8] هو متول لأمره[9] و فى معاونته[10] لنبيه صلى الله عليه و سلم إظهار ١٥

(١) فى م : ان (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انصارا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : التظاهر (٤) من و م ، و فى الأصل و ظ : الأعمال (٥) من ظ و م . و فى الأصل : الصادق (٦) من ظ و م . و فى الأصل : يعلم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلمه (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : نصره (١٠) من ظ و م . و فى الأصل : معاتبته .

لشرفه و مراعاة [1]لحفظ خاطره[1] و شرح[2] لصدره.

و لما كانت النفوس لمبنى هذه الدار على حكمة الأسباب مؤكلة[3] بها ناظرة أتم نظر إليها، و كان نساء النبي صلى الله عليه و سلم لكثرة ما يتلى فى بيوتهن[4] من آيات الله و الحكمة على لسان جبريل عليه الصلاة
٥ و السلام و كثرة تردده إلى النبي صلى الله عليه و سلم فى بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن بذلك من الأسباب الظاهرة المألوفة، و كان هو أعظم أنصار النبي صلى الله عليه و سلم قال: ﴿ و جبريل ﴾ لأنه من أعظم الأسباب التى يقيمها الله سبحانه.

و لما كان الحامل على مظاهرته صلى الله عليه و سلم على [كل -]
١٠ ما يريده الايمان [فكل -] ما كان الإنسان فيه أمكن [كان -] له أشد مظاهرة و أعون قال: ﴿ و صالح المؤمنين ج ﴾ أى الراسخين فى رتبة الإيمان و الصلاح من الإنس و الجن و أبواهما رضى الله عنهما أعظم مراد بهذا، و قد روى أن عمر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم: لو أمرتنى لأضربن عنقها، و الصالح و إن كان / لفظه مفردا فمعناه الجمع ٤٠٧ /
١٥ المستغرق لأنه للجنس، و دل على ذلك مع دلالة السياق إضافته للجمع و لعله عبر بالإفراد مع أن هذا المراد للاشارة إلى قلة المتصف بهذا[6]

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: لخاطره (٢) من ظ وم، و فى الأصل: شرحا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هو كلمة (٤) زيد فى الأصل: ويعلمهن و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يمنا.

جدا لقلة الراسخين فى الإيمان و قلة الراسخين فى الصلاح من الراسخين فى الإيمان فهو قليل من قليل و [قد - [1]] جوز بعضهم أن يكون جمعا و أنه حذفت واؤه فى الرسم على خلاف القياس و هى محذوفة [2] فى الوصل لالتقاء [2] الساكنين، فظن لذلك مفردا و دخل [3] فى ذلك جبريل عليه السلام أيضا . ٥

و لما كان الله سبحانه و تعالى قد أعطى الملائكة من القوى و التصرف فى الظواهر و البواطن ما يجل عن الوصف، قال تعظيما للمقام بعد تعظيمه بما ذكر من رئيس الكروبيين عليهم الصلاة و السلام ﴿ و الملئكة [1] ﴾ أى كلهم و منهم جبريل عليهم الصلاة و السلام فهو مذكور خصوصا و عموما ثلاث مرات إظهارا لشدة محبته و موالاته للنبي صلى الله عليه ١٠ عليه و سلم . و لما كان المراد التعميم فى الزمان و المكان بعد التعميم فى الصالحين من الملائكة و الانس و الجان، قال من غير جار معظما لنصرة الملائكة لما لهم من العظمة فى القلوب لما تقرر لمن باشر منهم العذاب تارة بالرجفة و أخرى بالصعقة [4] و تارة بالخسف و أخرى بغير ذلك، فكيف إذا تصور الآدمى المقيد بالمحسوسات اجتماعهم على ما لهم من الأشكال ١٥ المهولة ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى [تقدم - [1]] ذكره و هو مظاهرة الله و من ذكر معه ﴿ ظهير ﴾ أخبر عن الجمع باسم الجنس

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل : للوصل عند التقاء .
(٣) من ظ و م، وفى الأصل : ذلك (٤) من ظ و م، وفى الأصل : بالصعق .

إشارة إلى أنهم على كلمة واحدة فى المظاهرة، فخوف بهذا[1] كله لأجل المتاب لطفا به صلى الله عليه و سلم و إظهارا لعظمته و فى قصة صاحب ياسين قال "و ما ازلنا على قومه" الآية، تحقيرا لقومه و إهانة لهم، و يجوز أن يكون[2] "ظهير" خبر جبريل عليه الصلاة و السلام، و خبر ٥ ما بعده محذوف لدلالته عليه أى كذلك.

و لما حذر بما تقدم، زاد فى التحذير ما[3] يقطع القلوب لأن[4] أشد ما على المرأة أن تطلق ثم إذا طلقت أن تستبدل بها ثم أن يكون البدل خيرا منها فقال مبينا لأدنى أنواع المظاهرة سائقا الأمر مساق الرجاء إشارة إلى أنه يكفى العاقل فى الخوف [تجويز -[5]] احتمال الضرر ١٠ فكيف إذا كان الأمر حتما لأن من المعلوم أن «عسى» من الله على طريق الكبراء لا سيما الملوك فى اكتفائهم بالإشارات و الرموز فمن[6] هنا كانت واجبة لأنه ملك الملوك و هو ذو الكبرياء فى الحقيقة لا غيره ﴿عسٰى ربه﴾ أى المحسن إليه بجميع [7]أنواع الإحسان[7] التى عرفتموها [8]و ما لم تعرفوه[8] جدير[9] و حقيق، و وسط بينها و بين خبرها اهتماما و تخويفا ١٥ قوله: ﴿إن طلقكن﴾ أى بنفسه من / غير اعتراض عليه جمع أو بعضكن /٤٠٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك (٢) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م. و فى الأصل: بما (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل و من (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الاحسانات (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل: لم تعرفوها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: أكبر و أجدر.

بايجاد الطلاق لمن لم يطلقها و ادامته[1] من طلقها ﴿ ان يبدله ﴾ منكن بمجرد طلاقه لكن من غير أن تحوجه إلى التفتيش[2] تبديلا مبالغا فيه بما أشارت إليه قراءة نافع و أبي جعفر و أبي عمرو بالتشديد[3]، فهى أبلغ من قراءة الباقين بالتخفيف الدال على مطلق الابدال الصالح للبالغ فيه و غيره، و من التشريف أيضا إضافة الطلاق [إليه -[4]] و الابدال ٥ إلى[5] الله مع [التعبير -[4]] بصفة الإحسان و تخصيص الاضافة بضميره .

و لما كان الأوجع لقب الحرة حرة مثلها لا سرية قال: ﴿ازواجا ﴾ و لما كان علوها عليها فى الرتبة هو النهاية فى التأسيف[6] قال: ﴿خيرا ﴾ و دل على أنها للتفضيل بقوله: ﴿ منكن ﴾ و هذا على سبيل الفرض و عام فى الدنيا و الآخرة فلا يقتضى وجود من هو خير منهن مطلقا ١٠ و إن قيل بوجوده فى خديجة رضى الله عنها لما جرب من تحاملها على نفسها فى حقه صلى الله عليه و سلم و بلوغها فى حبه و الأدب معه ظاهرا و باطنا النهاية القصوى و مريم عليها السلام التى أحصنت فرجها[7] حتى كانت من القانتين، و ذلك فى الآخرة، و الكلام خارج مخرج الشرط بالطلاق و قد علم سبحانه أنه لا يقع لكنه[8] سبحانه علم أنه لو وقع ١٥ أبدله صلى الله عليه و سلم من هو بالصفات المذكورة المقتضية للاخلاص

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ادامة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تفتت و - كذا (٣) راجع نثر المرجان ٧/٤٠٨ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التاسف (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لكن .

فى طاعته كما أشار إليه[1] " قانتات " ولا شك أن من لازم طاعته وقيد الاتصال به فى الدارين كان خيرا من غيره ، و تعليق تطليق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حفصة رضى الله عنها فقد[2] روى أنه طلقها و لم يزدها ذلك إلا فضلا من الله تعالى لأن الله تعالى أمره بأن[3] يراجعها لأنها[4]

٥ صوامة قوامة - والله الموفق . و لما وعد بما ذكر ، و كان أول منظور إليه[5] الظاهر ، فصل ذلك الوعد و فسر الخيرية بادئا بقوله ﴿ مسلمت ﴾ أى ملقيات لجميع قيادهن ظاهرا و باطنا لله و لرسوله[6] صلى الله عليه و سلم على وجه الخضوع .

و لما كان المشاهد من الاسلام إنما هو الظاهر قال : ﴿ مؤمنت ﴾ أى

١٠ راسخات فى القوة العلمية بتصديق الباطن .

و لما كان ذلك قد يكون فيه نوع شوب قال : ﴿ قنتت ﴾ اى مخلصات فى ذلك لا شائبة فى شىء منه فهن فى غاية ما يكون من ادامة الطاعة له من الذل و الانكسار و المبادرة إلى امتثال أمره صلى الله عليه و سلم فى المنشط و المكره .

١٥ و لما كان الإنسان مجبولا على النقصان ، وكان الإخلاص يدل صاحبه على تقصيره[7] فكان ربما فتره ذلك ، قال تسهيلا لخدمته و تقريبا

---

(١) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : وقد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : أن (٤) زيد فى كانت ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : رسوله . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تحليمه .

لدوام

لدوام طاعته معلما الأدب لمحتاجه ﴿ تٰئبت ﴾ أى راجعات من الهفوات أو الزلات سريعا إن وقع منهن شيء من[1] ذلك . و لما كان هذا مصححا للعبادة مسهلا لدوامها / قال : ﴿ عٰبدت ﴾ أى مديمات للعبادة بسبب إدامة تجديد التوبة . و لما كان دوام العبادة مسهلا للخروج عن الدنيا قال : ﴿ سٰئحت ﴾ [أى -[2]] متصفات بصفات الملائكة من التخلى عن الدنيا و الاستغراق فى الآخرة بما ادناه الصيام ماضيات فى ذلك غاية المضاء ليتم الانقياد لله و لرسوله[3] صلى الله عليه و سلم ، لأن من كان هكذا لم يكن له مراد ، فكان تابعا لربه [فى أمره - [4]] دائما و[5] يصير لطيف الذات حلو الشمائل ، قال الملوى : و المرأة إذا كانت كثيرة الصيام قليلة الأكل يقل عرقها و يصغر كرشها و تلطف[6] رائحتها و تخف حركتها لما يراد منها - انتهى . و سوق هذه الأوصاف هذا السياق فى عتاب من هو متصف بها معرف أن المراد منها التمام لا سيما و هى لا يوجد [وصف - [7]] منها على سبيل الرسوخ إلا[8] كان مستلزما لسائرها ، فلذلك لم يحتج فى تعدادها إلى العطف بالواو . و التجريد عنه أقعد فى الدلالة على إرادة اجتماعها كلها .

٤٠٩ / ... ٥ ... ١٠ ... ١٥

و لما أكمل الصفات الدينية النافعة فى أمر العشرة و لم يبق إلا الصفات

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من م (٣) فى م : رسوله (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خال من شهوات نفسه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تطيب (٧) زيد من ظ (٨) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الكونية و كان التنويع إلى عارفة بالعشرة و باقية على أصل الفطرة، الذ و أشهى إلى النفس، قال مقسما للنساء المتصفات بالصفات الست عاطفا ثانى[1] الوصفين بالواو للتضاد ﴿ ثيبٰت ﴾ قدمهن لأنهن أخبر بالعشرة التى هذا سياقها ﴿ [2]و ابكارا[2] ﴾ .

٥ ولما أبلغ[3] سبحانه فى عتاب أزواج النبى صلى الله عليه و سلم مع صيانتهن عن التسمية إكراما له صلى الله عليه و سلم و علم اتصافهن بهذه الصفات العظيمة على سبيل الرسوخ من دوام صحبته صلى الله عليه و سلم لهن ليكن من جملة[4] أزواجه فى الجنة و كان اتصافهن بذلك الذى أداهن إلى السعادة العظمى إنما هو بحسن[5] تأديب أوليائهن لهن و إكمال ذلك

١٠ الأدب بحسن عشرته صلى الله عليه و سلم و تأديبهن بكريم أخلاقه أثمر ذلك أمر[6] الأمة بالتأسى به فى هذه الأخلاق الكاملة و التأسى بأوليائهن فى ذلك ليعرفن حق الله و حق الأزواج فيحصل[7] بذلك صلاح ذات البين المثمراة[8] للخير كله فقال تعالى متبعا[9] لهذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر للأقرب

١٥ فالأقرب ﴿ يٰأيها ﴾ مخاطبة لأدنى الأسنان إشارة إلى أن من فوقهم

---

(١) من م، و فى الأصل : فى، و فى ظ : ثانيا فى (٢ - ٢) ورد فى الأصل بعد « ثيبات » و الترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : أخبر . (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : لحسن (٦) من ظ و م، و فى الأصل : بامر (٧) من ظ و م، و فى الأصل : فيصلحن (٨) من ظ و م، و فى الأصل : المثزة (٩) من ظ و م، و فى الأصل : مثبتا .

تأسى[1] من حين دخوله فى الإسلام فهو غنى عن أمر جديد ﴿ الذين اٰمنوا ﴾ أى أقروا بذلك ﴿ قوآ انفسكم ﴾ أى اجعلوا لها وقاية / بالتأسى به صلى الله / ٤١٠
عليه و سلم فى أدبه مع الخلق و الخالق فى لينه لمن يستحق اللين من الخلق تعظيما للخالق فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم به من الآدب، و كذا كونوا مع بقية الخلق. ٥

و لما كان الإنسان راعيا لأهل بيته مسؤلا عن رعيته قال تعالى: ﴿ و اهليكم ﴾ من النساء و الأولاد و كل من يدخل فى هذا الاسم[2] قوهم ﴿ نارا ﴾ بالنصح و التأديب ليكونوا متخلقين بأخلاق اهل النبى صلى الله عليه و سلم كما روى أحمد[3] و الطبرانى عن سعد بن العاص رضى الله عنه رفعه: ما نحل والد ولدا افضل من أدب حسن. و لما كانت ١٠
الأشياء لا تعظم فى نفسها [و -[4]] عند المخبر بها إلا باخباره بما يشتمل عليه من الأوصاف قال: ﴿ وقودها ﴾ [أى -[4]] الذى توقد بـه ﴿ الناس و الحجارة ﴾ أى ألين الأشياء و اصلبها، فما بين ذلك [5]هو لها وقود[5] بطريق الأولى.

و لما[6] وصفها بغاية الأدب فى الائتمار اتبعه وصف القُوّام فقال ١٥
معبرا بأداة الاستعلاء [دلالة على تمكنهم من التصرف فيها -[4]]:

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: باس (٢) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) راجع المسند ٣/٤١٢ (٤) زيد من ظ و م.
(٥-٥) من ظ وم، و فى الأصل: وقودها (٦) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

﴿ [1] عليها ملٓئكة [1] ﴾ [أى يكون امرها على سبيل الاستعلاء - [2]] فلا تعصيهم شيئا لتأديب الله لها ﴿ غلاظ [3] ﴾ أى [فى - [2]] الأبدان و القلوب فظاظة على أهلها لاستحقاقهم لذلك بعصيانهم الملك الأعلى.

و لما كان الغلظ قد يكون مع الرخاوة قال: ﴿شداد﴾ [أى -[2]] فى كل شيء يحاولونه [4] بالقول [5] و الفعل حتى روى أن الواحد منهم يلقى بالدفعة الواحدة فى النار من الكفار سبعين ألفا .

و لما كان المعنى انهم يوقعون غلظتهم و شدتهم بأهل المعاصى على مقادير استحقاقهم، بين ذلك بما يخلع القلوب لكونه بأمر الله تعالى فقال: ﴿ لا يعصون الله ﴾ أى الملك الأعلى فى وقت من الأوقات ﴿ مآ امرهم ﴾ أى أوقع الأمر لهم به فى زمن ما .

و لما كان المطيع منا قد يخل ببعض المأمور به فى ذاته بنقص [6] ركن أو شرط [6] أو وقت لنسيان، أو نوم و نحوه أو بترك مندوب و نحوه او ما [7] فى معناه بوسوسة أو حديث نفس و [8] نحوه يقصر عن إيقاعه على أعلى الدرجات كما قال صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه ابن ماجه [9] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما و الطيالسى عن ثوبان رضى الله عنه: استقيموا و لن تحصوا، قال نافيا لذلك عنهم: ﴿ و يفعلون ﴾ أى مجددين مع كل أمر على سبيل الاستمرار ﴿ما يؤمرون ﴾ أى ما يقع

(١ - ١) وقع فى الأصل بعد « لتأديب الله لها » و الترتيب من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) وقع فى الأصل بعد « الرخاوة قال » و الترتيب من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل: يتناولونه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: بالعقول (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل: شرط او ركن (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل: او (٩) راجع السنن ص ٢٤ .

لهم

لهم الأمر به فى اى وقت [كان من غير نقص - [1]] ما، و بنى الفعل لما لم يسم فاعله كناية عن سهولة انقيادهم و إشارة إلى أن الذى أمرهم معلوم أنه الله سبحانه و تعالى.

و لما كان النبي صلى الله عليه و سلم اعظم من أريد بأمر الآمة بالتأدب معه فكان تعمد الإخلال بالأدب معه كفرا، علم أن هذه النار ٥ لأولئك فعلم أن التقدير: يقولون /: ﴿ يـٰأيها الذين كفروا ﴾ أى بالإخلال[2] /٤١١ بالأدب مع النبي صلى الله عليه و سلم فاداهم ذلك إلى الإخلال[2] بالأدب مع الله و بالأدب مع سائر خلقه ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى تبالغوا فى إظهار العذر و هو إيساع الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر من التقصير ﴿ اليوم[4] ﴾ فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار، و قد فات زمان الاعتذار، و صار ١٠ الأمر إلى ما صار، و إذا نهى عن المبالغة فى الاعتذار لعدم نفعها كان النهى عن[3] مطلقه من باب الأولى، و هـذا قطع لرجائهم و إيجاب لباسهم ليعظم همهم و تنقطع قلوبهم لأن معناه ان الاعتذار لا ينفعكم و إن بالغتم فيه، و لذلك[4] استأنف قوله على سبيل الحصر: ﴿ انما تجزون ﴾ أى فى هـذا اليوم ﴿ ما كنتم ﴾ اى بما هو لكم كالجبلة و الطبع[5] ١٥ ﴿ تعملون[4][5] ﴾ [أى - [1]] على سبيل الإصرار و لا بعد[6] على الله فى أن

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالاخلاص (٣) من ظ و م، و فى الأصل: على (٤) من م، و فى الأصل و ظ: كذلك. (٥) زيد فى الأصل: قصرتم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا يبعد.

يصور لكل إنسان صورة عمله بحيث لا يشك أنها عمله، ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذي يجد فيه من الألم ما علم سبحانه أنه بمقدار استحقاقه[1].

و لما أفهم الأمر بالوقاية و المدح للملائكة أن المأمورين بالوقاية مقصرون قال مرشدا إلى دواء التقصير: ﴿ يٰٓايها الذين ءامنوا ﴾ ناداهم ٥ بما هو أليق بهم من أداة البعد ﴿ توبوآ ﴾ أي ارجعوا رجوعا تاما ﴿ الى الله ﴾ أي الملك الذي لا كفوء له.

و لما كان كل فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر و المؤنث قال: ﴿ توبة نصوحا ﴾ أي بالغة في كونها ناصحة[2] عن الإسناد المجازي أي منصوحا فيها بالإخلاص في الأزمان الثلاثة، الماضي بالندم، و الحال ١٠ بالإقلاع. و المستقبل بالعزم على عدم العود إلى الذنب، فلا يقع فيها رجوع كما لا يعود الحليب إلى الضرع، فلا يؤذي أحد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فان أذى رسوله من أذاه، قال القرطبي: النصوح يجمعها اربعة أشياء: الاستغفار باللسان، و الإقلاع بالأبدان، و إضمار ترك العود بالجنان، و مهاجرة سيء الإخوان، و قال رويم الراعي: ١٥ هي أن تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفاء بلا وجه.

و لما أمر بالتوبة عللها بما يفيد الإطماع من الإقامة بين الرجاء و الخوف إعلاما بأن هذا المقام هو المنجي لأنه اعتقاد الكمال له سبحانه و هو [أن -[3]] له أن يفعل ما يشاء في المطيع و غيره بقوله:

(١) من ظ و م، و في الأصل: استحقاقها (٢) من ظ و م، و في الأصل: صحة (٣) زيد من ظ و م.

﴿ عنى ربكم ﴾ [أى - [1]] افعلوا ذلك ليكون المحسن إليكم بهذا البيان جديرا أو حقيقا ﴿ ان يكفر ﴾ أى [2] يغطى تغطية عظيمة ﴿ عنكم ﴾ أى بالتوبة ، و إذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر [3] على ذنوبه [3] ﴿ سيأتكم ﴾ أى [ما - [4]] بدا منكم ما يسوءه .

و لما ذكر نفع التوبة فى دفع [5] المضار ، ذكر نفعها فى جلب المسار ٥ فقال : ﴿ و يدخلكم ﴾ أى [6] يوم الفصل ﴿ جنت ﴾ أى بساتين / كثيرة الأشجار تستر داخلها لأنها ﴿ تجرى ﴾ .

و لما كان ذلك الجرى فى بعض أرضها قال معبرا بأداة التبعيض: ﴿من تحتها ﴾ أى تحت غرفها و أشجارها ﴿ الانهر ﴾ [7] فهى لا [7] تزال ريا . ١٠

و لما ذكر الغفران و الإكرام ، ذكر وقته فقال مبشرا لأهله [8] معرضا لغيرهم [9] مستحمدا لأهل وده لكونه وفقهم و لم يخذلهم كأعدائه : ﴿ يوم لا يخزى الله ﴾ أى الملك الأعظم [3] الذى له الإحاطة بالكمال [3] ﴿ النبى ﴾ أى الرجل الذى ينبئه الله بما يوجب له الرفعة التامة من الأخبار التى [هى - [4]] فى غاية العظمة ﴿ و الذين ﴾ أى ١٥

---

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : رفع (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا (٨) من ظ وم ، و فى الأصل ، لأهلها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عن غيرهم .

و لا يخزى الذين ﴿ آمنوا معه ج ﴾ و هم الصحابة رضى الله تعالى عنهم إن [كان المراد -[1]] المعية فى مطلق الزمان، وسابقوهم إن كان المراد فى الوصف أو زمان مخصوص كبدر و بيعة الرضوان لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة - كما رواه مسلم[2] عن

٥ [أم -[1]] مبشر رضى الله عنها و أبو داود و الترمذى عن جابر رضى الله عنه: و لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقال تعالى: " لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح [3] و قاتل اولئك أعظم درجة من الذين انفقوا[3] " إلى قوله " و كلا وعد الله الحسنى " و نسؤه رضى الله عنهن أحق بأن يكن اول راغب فى الكون معه فى

١٠ الإيمان ليبعدن عن النيران، و إذا استحضرت قصص الأنبياء من سورة هود عليه الصلاة و السلام اتضح لك حسن هذا الوجه، و يجوز أن يكون « الذين » مبتدأ خبره « نورهم » أو يكون الخبر « معه » إشارة إلى أن جميع الأنبياء و صالحى اممهم من أمته [و -[1]] تحت لوائه، و ذلك فى غاية ما يكون من الشرف و الرفعة له صلى الله عليه و سلم

١٠ و الإيمان المقيد بمعيته، اى تأهله لمصاحبة إيمانه صلى الله عليه و سلم غير الإيمان المطلق، فلا مانع من أن يدخل غيرهم من المؤمنين النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين فلا متمسك للمعتزلة بها فى أن مرتكب الكبائر مخلد فى النار لأنه داخل النار فهو مخزى، فهو غير موصوف بالإيمان لأن من اتصف بالإيمان لا يخزى بدليل هذه الآية، قال أبو حيان[4]:

---

(١) زيد من ظ وم (٢) راجع صحيحه ٢/٣٠٢-٣٠٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) راجع البحر المحيط ٨ / ٢٩٣ .

و فى الحديث أنه صلى الله عليه و سلم تضرع فى امر امته فاوحى الله إليه[1]: إن شئت جعلت حسابهم إليك[2]، فقال: يا رب! أنت أرحم بهم مى، فقال تعالى: إذا لا أخزيك فيهم .

و لما نفى عنهم الخزى، فسره بقوله[3] مقدما للنور لأن السياق لتعظيم النبى صلى الله عليه و سلم بخلاف ما مضى فى الحديد: ﴿نورهم يسعى﴾ ٥ أى سعيا [4]مستمر التجدد[4]، و على التفسير الآخر تكون هذه الجملة حالية، و يجوز أن تكون خبرا لـ «الذين» إذا جعلناه مبتدأ ﴿بين ايديهم﴾ و حذف الجار[5] إشارة إلى أنه ملأ[5] تلك الجهة[6] ﴿و﴾ كذا ﴿بايمانهم﴾ و أما ما يلى شمائلهم فانهم لا يلتفتون إليه لأنهم [إما -[7]] من السابقين و إما من أهل اليمين، فهم يمشون [فيما -[7]] بين الجهتين / و يؤتون ١٠ / ٤١٣ صحائف أعمالهم منها، و أما أهل الشمال فيعطونها[8] من وراء ظهورهم و من شمائلهم و هم بما لهم من النور إن قالوا سمع لهم و إن شفعوا شفعوا .

و لما كانت إدامة التعبد للملك هى أشرف صفات العبد قال: ﴿يقولون﴾ اى مجددين لذلك دائما لعلمهم أن الله تعالى [له أن -[9]] ١٥

---

(١) من م و البحر، و فى الأصل و ظ: عليه (٢) من م و البحر، و فى الأصل: عليك (٣) زيد فى الأصل: مفسرا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها؛ (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: مستمرا يتجدد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المبتدا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الحنة (٧) زيد من ظ و م . (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فيعطون (٩) زيد من م؛

يفعل ما يشاء ، لا حق لأحد عليه[1] و لا سيما إذا[2] رأوا انطفاء نور المنافقين ، قال سهل : لا يسقط الافتقار إلى الله تعالى عن المؤمنين فى الدنيا و لا فى الآخرة بل هم فى الآخرة أشد افتقارا إليه و ان كانوا فى دار العز[3] لشوقهم إلى لقائه : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المتفضل علينا بهذا النور ٥ و بكل خير كنا[4] أو نكون فيه ﴿ اتمم ﴾ فاظهروا لأن المقام له .

و لما كان الإنسان ربما رزق شيئا فانتفع به غيره دونه قالوا : ﴿ انا نورنا ﴾ أى الذى مننت به علينا حتى يكون فى غاية التمام /٤١٢ فتوصلنا به إلى المأمن فى دار السلام ، و لا تجعلنا كالمنافقين الذين أطفأت أنوارهم فكانت عاقبتهم إلى الظلام .

١٠ و لما كان كل من حسن أدبه لابد أن يعتقد فى نفسه النقص ، قالوا[5] على سبيل الذلة و المسكنة و التواضع[5] : ﴿ واغفرلنا ج ﴾ أى امح عنا كل نقص كان يميل بنا إلى أحوال المنافقين عينه و أثره ، و هذا النور هو صورة أعمالهم فى الدنيا لأن الآخرة تظهر فيها حقائق الأشياء و تتبع الصور معانيها ، و هو شرع الله الذى شرعه و هو الصراط الذى ١٥ يضرب بين ظهرانى جهنم لأن الفضائل فى الدنيا متوسطة بين الرذائل ، فكل فضيلة تكتنفها رذيلتان : إفراط و تفريط ، فالفضيلة هى الصراط المستقيم ، و الرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه و شماله ، فمن كان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لما .
(٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

يمشى فى الدنيا على ما أمر به سواه من غير إفراط و لا تفريط كان نوره تاما، و من أمالته الشهوات طفئ نوره -[1]أعاذنا الله من ذلك و رزقنا حسن الثبات، و كان ذلك الطفء[1] فى بعض الأوقات و اختطفته كلاليب هى صور الشهوات فتميل به فى النار بقدر ميله إليها، و المنافق يظهر له نور إقراره بكلمة التوحيد. فاذا مشى طفئ لأن إقراره لاحقيقة ٥ له [فنوره لا حقيقة له -[2]].

و لما كان ما ذكر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، علله بقوله مؤكدا لإنكار الكفار البعث و ما تفرع عنه: ﴿ انك ﴾ أى وحدك ﴿ على كل شىء ﴾ أى يمكن دخول المشيئة فيه ﴿ قديره ﴾ أى بالغ القدرة.

و لما ذكر ما تقدم من لينه صلى الله عليه و سلم لأضعف الناس ١٠ النساء و حسن أدبه و كريم عشرته لأنه مجبول على الشفقة على عباد[3] الله و الرحمة لهم، و ختم بما للمؤمنين من الشرف و لله من تمام القدرة. أنتج ذلك القطع بإذلال أعدائهم[4] و إخزائهم فقال مداريا لهم من خطر[5] ذلك / ٤١٤ اليوم بيد أنصح الخلق [ليكون -[6]] صلى الله عليه و سلم جامعا فى طاعته سبحانه و تعالى بين المتضادات من اللين و الشدة و الرضى و الغضب ١٥ و الحلم و الانتقام و غيرها[7]، فيكون ذلك أدل على التعبد لله بما أمر به سبحانه و تعالى و التخلق بأوامره و كل ما يرضيه: ﴿ يآيها النبى ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: خلق (٤) من ظ و م، وفى الأصل: اعدائه (٥) من ظ و م، وفى الأصل: جعل (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م، وفى الأصل: غيره.

مناديا بأداة التوسط إسماعا للأمة الوسطى تنبيها على أنهم المنادون[١] فى الحقيقة، و لأجل دلالتها على التوسط و الله أعلم كان لا يتعقبها إلا ما له شأن عظيم، معبرا بالوصف الدال على الرفعة بالإعلام بالأخبار الإلهية المبنى على الإحكام و العظمة المثمرة[٢] للغلبة، و أما وصف الرسالة ٥ فيغلب فيه الرحمة فيكثر إقباله على[٣] اللين و المسايسة[٤] نظرا إلى وصف الربوبية: ﴿ جاهد الكفار ﴾ أى المجاهرين[٥] بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف و ما دونه ليعرف أن الأسود إنما ا كتسبت من صولتك، فيعرف ان ذلك اللين لأهل الله إنما هو من تمام عقلك و غزير علمك و فضلك، و كبير حلمك و خوفك من الله و نبلك: ﴿ و المنفقين ﴾ [أى - ٦] ١٠ المساترين بما يليق بهم من الحجة إن استمروا على المساترة، و السيف إن احتيج إليه إن أبدوا نوع مظاهرة ﴿ و اغلظ ﴾ اى كن غليظا بالفعل و القول بالتوبيخ و الزجر و الإبعاد[٧] و الهجر ﴿ عليهم ﴾ فان الغلظة عليهم من اللين لله كما أن اللين لأهل الله من خشية الله، و قد امره سبحانه باللين [لهم - ٨] فى أول الأمر لإزالة أعذارهم[٩] و بيان ١٥ إصرارهم، فلما بلغ الرفق أقصى مداه جازه إلى الغلظة و تعداه، و قد بان بهذه الآية أن أفعل التفضيل فى قول النسوة لعمر رضى الله عنه:

(١) من ظ و م، وفى الأصل: المبادرون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المثمر. (٣) فى م: الى (٤) من ظ و م، و فى الاصل: المساهلة (٥) من ظ و م، وفى الأصل: المجاهدين (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: و الزجر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: اعذار.

« أنت أفظ و أغلظ من رسول الله صلى الله عليه و سلم » على بابه و لا محذور .

و لما كان انتقام الولى من العدو إنما هو لله سبحانه و تعالى، لاحظ له فيه، فكان موجبا لعدم اكتفاء الله به فى حق الولى، فكان التقدير: فانهم ليس لهم عصمة و لا حرمة فى الدنيا و لا قوة و إن لاح فى ٥ أمرهم خلاف ذلك، عطف عليه قوله[1]: ﴿ و ماوٰىهم ﴾ أى فى الآخرة[2] ﴿ جهنمُ ﴾ [أى - [3]] الدركة النارية التى تلقى داخلها بالعبوسة و الكراهة .

و لما كان التقدير: إليها مصيرهم لا محالة، عطف عليه قوله: ﴿ و بئس المصير ۝ ﴾ أى هى، فذلك جزاء الله لهم عن الإساءة إلى أوليائه ١٠ و الانتقاص لأحبائه .

و لما كان أمر الاستئصال فى الإنجاء و الإهلاك أشبه شيء بحال أهل الآخرة فى الدينونة بالعدل و الفضل، و كان المفتتح به السورة عتاب النساء، ثم أتبع بالأمر بالتأديب[4] لجميع الأمة إلى / أن ختم بهلاك /٤١٥ المخالف فى الدارين، و كان للكفار قرابات بالمسلمين [5]و كانوا يظنون[5] ١٥ أنها ربما تنفعهم، و للمسلمين قرابات بالكفار و كانوا ربما توهموا[6] أنها تضرهم، قال مجيبا لما يتخيل من ذلك تأديبا[7] لمن ينكر عليه[8] صلى الله

(١) زيد فى الأصل وظ: مصيرهم، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: من كل بد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، وفى الأصل وظ: للتاديب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٦) فى م: توهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تكذيبا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: به .

عليه و سلم من النساء و غيرهن : ﴿ ضرب الله ﴾ [أى - [1]] الملك
الذى أحاط بكل شيء [2] قدرة و علما [2] ﴿ مثلا ﴾ يعلم به من فيه قابلية
العلم و يتعظ [به - [1]] من له أهلية الاتعاظ ﴿ للذين كفروا ﴾ أى
غطوا الحق على أنفسهم و على غيرهم سواء كانوا مشاققين أو منافقين فى
٥ عدم انتفاعهم مع كفرهم بما بينهم و بين المؤمنين من الوصل و العلائق
فيغلظ عليهم فى الدارين معاملة بما يستحقون من غير محاباة لأحد و إن
جل مقامه، و علا منصبه و مرامه، لأن [3] الكفر قاطع للعلائق بين
الكافر و المسلم : ﴿ امرات نوح ﴾ الذى أهلك [4] الله من كذبه بالغرق
و نصره و آواه عليه الصلاة و السلام و كان اسمها فيما يقال واعلة
١٠ ﴿ و امرات لوط ﴾ الذى أهلك الله أيضا [5] من كذبه بالحصب و الخسف
و الإغراق ، و اسمها فيما قيل واهلة ، و دل على وجه الشبه بقوله :
﴿ كانتا ﴾ أى مع كونهما كافرتين . و لم يقل : تحتهما ، بل أظهر بالوصف [6]
العبودية المضافة إليه سبحانه و تعالى و الوصف بالصلاح لأن ذلك أفخم ،
فيكون أشد تأثيرا للموعوظ [7] و أعظم [8] ، ودفعا لأن يتوهم [9] أحد بشيء [9]
١٥ لا يليق بمقامهما [10] عليهما الصلاة و السلام فقال : ﴿ تحت عبدين ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) فى ظ وم : علما وقدرة (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : لكن العبودية (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اهل (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الوصف (٧) من ظ وم ، و الأصل : للوعظة (٨) زيد فى الأصل : فعالا ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
(٩-٩) فى ظ وم : شيء (١) من ظ و م ، و فى الأصل : بمقاماتهم .

كل واحدة[1] منهما تحت عبد[2]، و عبر بذلك لأن آثر الناس عند الملك كما تقدم عبيده، ودل على كثرة عبيده تنيها علـــى غناه بقوله: ﴿ من عبادنا ﴾ .

و لما كانت طبقات القرب متفاوتة بحسب الصلاح قال: ﴿صالحين﴾ و هما[3] نوح و لوط عليهما الصلاة و السلام ﴿ فخانتهما ﴾ بعدم المتابعة ٥ فى الدين نفاقا منهما لا بالخيانة فى الفرش، فقد صان الله جميع الأنبياء من ذلك فلم تقل واحدة منهما لأجل كفرهما: رب اجعلنى مع نبيك فى الجنة، و آذن بعدم قبول الشفاعة فيمن أساء إلى الحبيب و بعذابه حتما للتشفى[4] بقوله: ﴿ فلم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن العبدين[5] الصالحين لم ﴿ يغنيا عنهما ﴾ أى المرأتين بحق الزواج ﴿ من الله ﴾ أى من ١٠ عذاب الملك الذى له الأمر كله فلا أمر لغيره ﴿ شيئا ﴾ أى من إغناء لأجل خيانتهما بالمخالفة فى الدين[6]، و دل على كمال قدرته تعالى بالتعبير بالمجهول[7] فقال: ﴿ و قيل ﴾ أى للمرأتين ممن أذن له فى القول النافذ الذى لا مرد له: ﴿ ادخلا النار ﴾ أى مقدماتها من الإصرار على الكفر ثم الإهلاك بعذاب الانتقام فى الدنيا / و حقيقتها فى الآخرة لأن الله ١٥ /٤١٦ أبغضهما لأنهما عدو لأوليائه، و ذلك كما قيل: عدو صديقى ليس لى بصديق[8].

(١) من ظ و م، و فى الأصل: واحد (٢) فى ظ وم: واحد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لتشقى (٥) زيد فى الأصل: اللذين هما من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الدارس (٧) من ظ و م، و فى الأصل: للجهول (٨) من ظ وم، و فى الأصل: صديقى.

و لما فعلتا فعل الرجال فى استقلالهما و عدم عدهما لأنفسهما تبعا، غلظ عذابهما بالكون مع الرجال فى عذابهم فقال دالا على نفوذ الحكم فيمن هو أقوى منهما بعد نفوذه فيهما[1] : ﴿مع الدّخلين ه﴾ [أى -[2]] الذين هم أعظم منهما ممن لهم وصلة بأهل الله و ممن لا وصلة لهم بهم، ٥ فليتأدب كل أحد مع النبى صلى الله عليه و سلم غاية الأدب خوفا من مثل ذلك، و هذا خالع لقلوب من ابتدأ بتأديبهن[3]- رضى الله تعالى عنهن.

و لما أتم مثل النذارة بأن طاعة المطيع لاتنفع العاصى و إن كان أقرب الناس إلى المطيع إلا إن كان له أساس يصح البناء عليه، و يجوز الاعتداد به و النظر إليه، أتبعه مثل البشارة بأن عصيان العاصى لا يضر ١٠ المطيع فقال : ﴿ وضرب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له صفات الكمال ﴿ مثلا للذين 'امنوا ﴾ و لو كان فى أدنى درجات الإيمان مبينا لأن وصلة الكفار إذا كانت على وجه الإكراه و الإجبار لا تضر ﴿امرات فرعونم﴾ و اسمها آسية بنت مزاحم، آمنت و عملت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجية التى هى من أعظم الوصل و لانفعه ١٥ إيمانها "كل امرئ بما كسب رهين" و أثابها ربها سبحانه أن جعلها زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه و سلم فى دار كرامته بصبرها على عبادة الله و هى [فى -[4]] حبالة عدوه، و أسقط وصفه بالعبودية دليلا على تحقيره و عدم رحمته لأنه أعدى أعدائه، و أشار إلى وجه الشبه فى المثل و هو

(١) زيد فى الأصل : فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢) زيد من م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل : بتأسيسهن (٤) زيد من ظ و م.

التحيز إلى حزب الله بقدر الوسع [فقال -[1]] :﴿ اذ ﴾ أى مثلهم مثلها حين ﴿ قالت ﴾ تصديقا بالبعث منادية نداء الخواص باسقاط الأداة لأجل أنها مؤمنة و إن كانت تحت كافر بنا فلم تضر صحبته شيئا لأجل إيمانها : ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ بالهداية و أنا فى حبالة هذا الكافر الجبار و لم تغرنى بعز الدنيا وسعتها ﴿ ابن لى ﴾ . ٥

و لما كان الجار[2] مطلوبا - كما قالوا - قبل الدار، طلبت خير جار و قدمت الظرف اهتماما به لنصه على المجاورة و لدلالته على الزلفى فقالت : ﴿ عندك بيتا ﴾ و عينت مرادها بالعندية فقالت : ﴿ فى الجنة ﴾ لأنها[3] دار المقربين فظهر من أول كلامها و آخره أن مطلوبها أخص داره، و قد أجابها سبحانه بأن جعلها زوجة لخاتم رسله الذى هو خير خلقه ١٠ و أقربهم منه، فكانت معه فى منزله الذى هو [4] أعلى المنازل[4] .

و لما سألت ما حيّزها إلى جناب الله سألت ما يباعدها فى الدارين من أعدائه فقالت : ﴿ و نجنى ﴾ أى تنجية عظيمة ﴿ من فرعون ﴾ أى فلا أكون عنده و لا تسلطه علىّ بما / يضرنى عندك ﴿ و عمله ﴾ أى ان / ٤١٧ أعمل بشىء منه ﴿ و نجنى ﴾ أعادت العامل تاكيدا ﴿ من القوم الظلمين ﴾ ١٥ اى الناس الأقوياء العريقين فى أن يضعوا أعمالهم فى غير مواضعها التى أمروا بوضعها فيها فعل من يمشى فى الظلام عامة، و هم القبط، لا تخالطنى بأحد منهم، فاستجاب الله تعالى دعاءها و أحسن إليها لأجل محبتها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الجبار (٣) فى ظ و م : اى (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعظم المنازل و اعلاهم .

للمحبوب و هو موسى عليه الصلاة و السلام كما يقال : صديق[1] صديق داخل فى صداقتى ، و ذلك [أن - [2]] موسى عليه الصلاة و السلام لما غلب السحرة آمنت به فعذبها فرعون فماتت بعد أن أراها الله بيتها فى الجنة و لم يضرها كونها تحت فرعون شيئا لأنها كانت معذورة فى ذلك ، ٥ فالآية من الاحتباك : حذف أولا " فلم تسألا[3] الجنة " لدلالة " رب ابن لى " ثانيا عليه ، و حذف ثانيا «كانت تحت كافر» لدلالة الأول عليه .

و لما أتم المثل بمن أساءتا الأدب فلم تنفعهما الوصلة بالأولياء بل زادتهما ضررا للاعراض عن الخير مع قربه و تيسره ، و بمن أحسنت الأدب فلم تضرها الوصلة بأعدى الأعداء [بل -[2]] زادتها خيرا لإحسانها ١٠ مع قيام المغتر بها عن الإحسان ضرب مثلا بقرينتها فى قوله صلى الله عليه و سلم كما رواه الشيخان[4] عن أبى موسى رضى الله عنه : كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا مريم [بنت عمران - [2]] و آسية بنت مزاحم ، و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام. و مع مقارنتها لها فى الكمال ، فبين[5] حاليهما فى الثيوبة و البكورة طباق ، فلم يبتلها سبحانه ١٥ بخلطة زوج جمعا بين ما تقدم من صنفى الثيبات و الأبكار اللاتى يعطيهما[6] لنبيه صلى الله عليه و سلم فأحسنت الأدب [7]فى نفسها[7] مع الله و مع سائر من لزمها الأدب [معه - [2]] من عباده فأحسن إليها رعاية لها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : صديقى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م و فى الأصل : لم تسال (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الأنبياء وغيرها وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و بين (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بواطيهما (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاحبال .

على[1] ما وفقها إليـــه من الإحسان ، و ذلك [رعاية - [2]] لأسلافها إذ كانوا من أعظم الأحباب فقال : ﴿ و مريم ﴾ أى و ضرب الله مثلا لأهل الانفراد و العزلة من الذين آمنوا مريم ﴿ ابنت عمرٰن ﴾ أى[3] أحد الأحباب ، و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿التىٓ احصنت فرجها﴾ أى عفت عن السوء و جميع مقدماته عفة كانت كالحصن العظيم المانع من ٥ العدو[4] فاستمرت [على - [2]] بكريتها إلى الممات فنزوجها فى الجنة جزاء لها بخير عبادنا[5] محمد صلى الله عليه و سلم خاتم الأنبياء و إمام المرسلين.

و لما اغتنت بأنسها[6] بروح الله الذى بثه فى قلبها من محبة الذكر و العبادة عن الانس بأرواح الناس ، كان ذلك سببا لأن وهبها روحا منه جسده فى أكمل الصور[7] المقدرة فى ذلك الحين[8] فقال مخبرا عن ١٠ ذلك : ﴿ فنفخنا ﴾ أى بعظمتنا بواسطة ملكنا روح القدس .

و لما كانت هذه السورة لتشريف النبى صلى الله / عليه و سلم و تكميل ٤١٨/ نسائه فى الدنيا و الآخرة ، نص على المقصود بتذكير الضمير و لم يؤنثه [قطعا - [2]] للسان من يقول تعنتا : إن المراد نفخ روحها فى جسدها : ﴿ فيه ﴾ أى فرجها الحقيق و هو جيبها و كل جيب يسمى فرجا ، و يدل ١٥ على الأول قراءة " فيها " شاذة ﴿من روحنا﴾ أى روح هو أهل لشرفه بما عظمنا[9] من خلقه [و لطف - [2]] تكوينه أن يضاف إلينا لكونه خارجا

---

(١) من م ، وفى الأصل وظ : مع (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م.
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : العدل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عباده.
(٦) من ظ و م ، وفى فى الأصل : باسمه (٧) من م ، وفى الأصل وظ : الصورة.
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الحيز (٩) من م ، وفى الأصل وظ : عظمتنا .

عن التسبيب المعتاد و هو جبريل عليه الصلاة و السلام أو روح الحياة.
و لما كان التقدير : فكان ما أردنا ، فحملت من غير ذكر [و -[1]]
ولدت عيسى عليه الصلاة و السلام الذى كان من كلمتنا و هى « احملى » ثم
كلمتنا « كن يا حمل من غير ذكر» ثم كلمتنا « لديه يا مريم من غير مساعد »
٥ ثم كلمتنا « تكلم يا عيسى فى المهد بالحكمة » عطف عليه قوله : ﴿وصدقت﴾
فاستحقت لذلك أن تسمى صديقة ﴿ بكلمت ربها ﴾ اى المحسن إليها
بما تقدم وغيره مما كان من كلام جبريل عليه الصلاة و السلام بسببه
و من عيسى عليه الصلاة و السلام [و - [1]] مما تكلم به عن الله سبحانه
و تعالى ﴿ و كتابه ﴾ أى وكتابه الضابط الجامع لكلامه الذى أنزل
١٠ على ولدها و غيره من كتب الله كما دل على ذلك قراءة البصريين
و حفص بالجمع .

و لما كان المصدق ربما كان تصديقه فى الظاهر أو مشوبا بشيء
من[2] الضمائر قال : ﴿ و كانت ﴾ أى جبلة و طبعا . و شرفها بأن جعلها
فى رتبة الأكمل و هم الرجال فقال[3] : ﴿ من القنتين ع ﴾ أى المخلصين
١٥ الذين هم فى غاية القوة و الكمال لأنها كانت من بنات الأحباب المصطفين
على العالمين ، فلم تكن عبادتها تقصر عن عبادة الأقوياء [الكملة -[1]] .
و قد أتم سبحانه الأمثال فى الآداب بالثيبات و الأبكار الأخيار
و الأشرار ، فانعطف آخر السورة على أولها فى المعانى بالآداب ، و زاد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل . فى (٣) زيد فى الأصل :
و كانت ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ذلك حسنا كونها فى النساء و فى الذوات و الأعيان بزواج النبى صلى الله عليه و سلم لآسية[1] امرأة فرعون و مريم ابنة عمران فى الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار [الزواج الأبدى - [2]] فصار أول السورة و آخرها فى أزواجه صلى الله عليه و سلم و فى ختامها[3] بالقنوت الذى هو خلاصة الأوصاف الماضية فى الأبدال المذكورات أعظم مناسبة ٥ - و الله الهادى[4].

سورة الملك[5]

و تسمى تبارك و المانعة و الواقية و المنجية ، قال الولى الملوى: هذه السورة كان النبى صلى الله عليه و سلم / يحبها لكثرة /٤١٩ علومها . و قال: وددت لو كانت فى صدر كل مسلم . مقصودها ١٠ الخضوع لله لاتصافه[6] بكمال الملك[6] الدال عليه [تمام القدرة الدال عليه - [2]] قطعا أحكام المكونات الدال عليه تمام[7] العلم الدال عليه مع إحكام المصنوعات علم[8] ما فى الصدور[9] لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح و العناد كما هى عادة الملوك فى دينونة رعاياهم لتكمل الحكمة و تتم النعمة و تظهر سورة ١٥ الملك ، و اسمها الملك واضح فى ذلك لأن الملك محل الخضوع من كل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل: بآسية (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : ختامه (٤) زيد فى ظ : المنعم (٥) السابعة والستون من سور القرآن الكريم ، مكية و عدد آيها (٣٠) آية (٦-٦) من ظ وم ، و فى الأصل : بكل كمال. (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : بتمام (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : على . (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها .

من [1] يرى الملك وكذا تبارك لأن من كان كذلك كان له تمام الثبات و البقاء، و كان له من كل شيء كمال [2] الخضوع و الاتقاء، وكذا اسمها المانعة و الواقية و المنجية لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة، و من لزمها نجا مما يخاف و منع من كل هول ووقى [3] كل محذور، [4]و ترد السؤال عمن لازم عليها و هذا من أهم الأمور [4] ﴿ بسم الله ﴾ الذى خضعت لكمال عظمته الملوك ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و تبيان محل السلوك ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص اولياءه بتمام الهداية و زوال الشكوك [5] .

لما ختمت تلك بأن من أعرض عنه سبحانه أهلكته و لم يغن عنه أحد، و من أقبل عليه رفعه واستخلصه و لم يضره أحد، و ختم بأنه قوى مريم عليها السلام حتى كانت فى درجة الكملة [6] و رزقها الرسوخ فى الإخلاص، وكان مثل هذا لا يقدر على فعله إلا من [7] لا كفوء له، وكان من لا كفوء له أهلا لأن [8] يخلص له الأعمال و لا يلتفت إلى سواه بحال، لأنه الملك الذى يملك الملك [9] قال مثيرا للهمم إلى

(١) من ظ وم، و فى الأصل: ما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تمام.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: و خلفهم اصطفاهم اصنفاهم و اختصهم، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ وم، وفى الأصل: الـكاملة (٧) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٩) من ظ و م، و فى الأصل: المهالك.

الاستبصار المثير للإرادة إلى رياضة تثمر جميـــع أبواب[١] السعادة: ﴿ تبٰرك ﴾ أى تكبر و تقدس و تعالى [و تعاظم - [٢]] و ثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن و البركة و تواتر الإحسان و العلى .

و لما كان من له الملك قد لا يكون متمكنا من إبقائه فى يده أو إعطاء ما يريد منه لغيره و نزعه منه متى أراد قال: ﴿ الذى بيده ﴾ ٥ أى بقدرته و تصرفه لا بقدرة غيره ﴿ الملك ز ﴾ أى أمر ظاهر العالم فالية كل تدبير له و تدبير فيه و بقدرته إظهار ما يريد ، لا مانع له من شىء و لا كفوء له بوجه . و هو كناية عن الإحاطة و القهر ، و ذكر اليد إنما هو تصوير للاحاطة و لتمام القدرة لأنها [محلها - [٣]] مع التنزه عن الجارحة[٤] و عن كل ما يفهم حاجة أو شبها بالخلق . ١٠

و قال [الإمام - [٣]] أبو جعفر ابن الزبير : ورود ما افتتحت به هذه السورة من التنزيه و صفات التعالى إنما يكون عقيب تفصيل و إيراد عجائب من صنعه سبحانه كورود قوله تعالى « فتبارك الله أحسن الخالقين » عقيب تفصيل التقلب[٥] الإنسانى من لدن خلقه من سلالة من طين إلى إنشائه خلقا آخر وكذا كل [٦] ما ورد[٦] من هذا ما لم يرد أثناء ١٥ آى قد جردت للتنزيه و الإعلام بصفات[٧] التعالى [و - [٣]] الجلال .

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : الذارع ارباب (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الحاجة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: القلب (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : و رود (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : صفات .

/٤٢٠ و لما كان قد[1] / أوقع فى آخر سورة التحريم ما فيه اعظم عبرة لمن تذكر، و اعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين قد بعثهما الله [تعالى رحمة لعباده - [2]] و اجتهدا فى دعاء الخلق، فحرم الاستنارة بنورهما و العياذ بهداهما من لم يكن احد
٥ من جنسهما أقرب إليهما منه و لا أكثر مشاهدة لما مدا به من الآيات و عظيم المعجزات، و مع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، ثم أعقبت[3] هذه العظة بما جعل فى طرف منها و نقيض من حالها[4]، و هو ذكر امرأة فرعون التى لم يغرها مرتكب صاحبها و عظيم جرأته مع شدة الوصلة و استمرار الألفة لما سبق لها فى العلم القديم من[1] السعادة و عظيم الرحمة
١٠ فقالت "رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة" و حصل فى هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك به أولى الناس فى ظاهر الامر و تقديم سبب امتحان[5] عصم منه أقرب الناس إلى التورط [فيه - [2]]، ثم أعقب ذلك بقصة[6] عريت عن مثل هذين [السببين - [7]] و انفصلت فى[8] مقدماتها عن تينك القصتين، و هو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم
١٥ العاقل حيث يضع الأسباب، و أن القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق "تبارك الذى بيده الملك و هو على كل شىء

---

(١) سقط من ظ وم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ وم، وفى الأصل: اعقب. (٤) من ظ وم، وفى الأصل: حالهما (٥) من ظ وم، وفى الأصل: الامتحان. (٦) من ظ وم، وفى الاصل: قصة (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، وفى الأصل: عن.

قدير

قدير" و إذا كان الملك سبحانه و تعالى بيده الملك فهو الذى يؤتى الملك و الفضل من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء كما صرحت به الآية الآخرى فى آل عمران، فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها ثم بنيت سورة الملك على التنبيه [1] و الاعتبار [1] ببسط الدلائل و نصب البراهين حسبما يبسطه التفسير - انتهى. ٥

و لما كان المتصرف فى الملك قد لا يكون قدرته تامة و لا عامة قال تعالى: ﴿ و هو ﴾ أى وحده له عظمة تستولى على القلوب و سياسة تعم كل جلب نفع [2] و دفع ضرر [2] لأنه ﴿ على كل شیء ﴾ أى يمكن يشاؤه من الملك و غيره من باطنه و [3] هو الملكوت و غيره [3] مما وجد و ما لم يوجد ﴿ قدير ﴾ أى تام القدرة. و دل على ذلك بقوله: ١٠ ﴿ الذى خلق ﴾ أى قدر و أوجد.

و لما كان الخوف من إيقاع المؤلم أدعى إلى الخضوع لأنه أدل على الملك مع أن الأصل [4] فى الأشياء العدم [4]، قدم قوله: ﴿ الموت ﴾ أى هذا الجنس و هو زوال الحياة عن الحي الذى هو فى غاية الاقتدار على التقلب بجعله جمادا كأن لم يكن به حركة اصلا، أول ما يفعل ١٥ فى تلك الدار بعد / استقرار [5] كل فريق فى داره و أن [6] يعدم هذا / ٤٢١ الجنس فيذبح بعد أن يصور فى صورة كبش ﴿ و الحيوٰة ﴾ أى هذا

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بالاعتبار (٢) سقط من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: هم الملوك و غيرهم (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: شيئا الا لعدم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: استغراق (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بأن.

الجنس و هو المعنى الذى يقدر الجماد به على التقلب بنفسه و بالإرادة [١]،
و قال ابن عباس رضى الله عنهما: الموت خلقه الله على صورة كبش
أملح لا يمر بشيء و لا يجد ريحه إلا مات، و الحياة على صورة
فرس بلقاء و هى التى كان جبريل و الأنبياء يركبونها فلا يجد ريحها
٥ شيء إلا حي، و هى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها و ألقاه على
الحلى الذى ألقاه بنو إسراءيل و نوى أن يكون عجلا [فصار عجلا - [٢]].

و لما ذكر الدال على القدرة أتبعه غايته، و هو الحكم الذى هو
خاصة الملوك فقال تعالى: ﴿ ليبلوكم ﴾ أى يعاملكم و هو [٣] أعلم بكم [٣]
من أنفسكم معاملة المختبر لإظهار ما عندكم من العمل بالاختيار
١٠ ﴿ ايكم احسن عملا [٤] ﴾ أى من جهة العمل أى عمله أحسن من عمل
غيره، و عبارة القرآن فى إسناد [٤] الحسن إلى الإنسان تدل على أن
من كان عمله أحسن [٥] كان هو احسن ولو أنه أبشع الناس منظرا،
و من كان عمله أسوأ [٦] كان بخلاف ذلك، و الحسن إنما يدرك
بالشرع، فما حسنه الشرع فهو الحسن [٥] و ما قبحه فهو القبيح، وكان ذلك
١٥ مفيدا للقيام بالطاعة لأن من تفكر فى حاله علم أنه مباين لبقية
الحيوانات بعقله و للنباتات بحياته، و للجمادات بنموه، و أن ذلك
ليس [٧] له من [٧] ذاته بدليل موته، فما كان له [٨] ذلك إلا بفاعل مختار،
له الحياة من ذاته، فيجتهد فى رضاه باتباع رسله إن كان عاقلا،

(١) من ظ وم، و فى الأصل: الارادة (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل: لكم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: سناد (٥) من ظ و م، وفى الأصل: حسن (٦) من ظ وم، و فى الأصل: ساء (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: بعض (٨) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.

فيشكره إذا أنعم ، و يصبر إن[1] امتحن و انتقم ، و يخدمه بما أمر و ينزجر عما عنه زجره ، فهذه الآية مشتملة على وجود المقتضى للسعادة و انتفاء المانع[2] منها و وجود المقتضى إعداد و إرشاد ، فالإعداد إعانته سبحانه للعبد باعداده لقبول السعادة كالحداد يلين الحديد[3] بالنار ليقبل أن يكون سكينا ، و الإرشاد أخذه بالناصية إلى ما أعد له كالضرب[4] بالسكين ٥ و إصلاحها للقطع بها ، و انتفاء المانع هو الموقف[5] عن ذلك و هو دفع[6] المشوشات و المفسدات[6] كتثلم السكين و هو يجرى مجرى السبب و سبب السبب ، و هو ما اشتمل [عليه - [7]] قوله صلى الله عليه و سلم « اللهم أعنى و لا تعن عليّ » الحديث[8] ، فذكره لتمام القدرة و العزة مع ذكر الأحسن دال على توفيقه بما ذكر ، و من تأمل الآية ١٠ عرف أنه ما خلق إلا ليتميز جوهره من صدق غيره او صدقه من جوهر غيره ، و أن الدنيا مزروعة ، و [أن - [9]] الآخرة محصدة ، فيصير من نفسه على بصيرة ، و ثارت[10] إرادته لما خلق له تارة بالنظر إلى جمال ربه من حسن و إحسان ، / و أخرى إلى جلاله من قدرة / ٤٢٢ و إمكان[11] ، و تارة بالنظر لنفسه بالشفقة عليها من خزى الحرمان ، ١٥ فيجتهد فى رضا ربه و صلاح نفسه خوفا من عاقبة هذه البلوى .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اذا (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : الموانع .
(٣) من ظ وم ، و فى الأصل : الحديدة (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : بالضرب .
(٥) من ظ و م ، و فى الاصل : المتوقف (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الاصل ، المفسدات المشوشات (٧) زيد من ظ وم (٨) راجع سنن ابن ماجه - الدعاء .
(٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : تأثرت (١١) من ظ و م ، فى الأصل : احكام .

و لما كان لا يتفل الابتلاء منا إلا جاهل بالعواقب و عاجز عن رد المسيء عن[1] إساءته و جعله محسنا من أول نشاءته، قال نافيا لذلك عن منيع جنابه بعد أن نفاه بلطيف تدبيره و عظيم أمره فى [خلق - [2]] الموت و الحياة، و مزيلا بوصف العزة لما قد يقوله من يكون قوى
٥ الهمة : أنا لا أحتاج إلى تعب كبير فى الوصول إليه سبحانه بل أصل إليه[3] أى وقت [شئت - [2]] بأيسر سعى ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ [أى - [2]] الذى يصعب الوصول إليه جدا، من العزاز و هو المكان الوعر [و - [4]] الذى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء، فلو أراد جعل الكل محسنين، و لا يكون كذلك[5] إلا
١٠ و هو تام القدرة فيلزم تمام[6] العلم و الوحدانية و وجوب الوجود أزلا و أبدا.

و لما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم مخالفته[7]، قال مبينا سبب إمهاله للعصاة مرغبا للمسيء فى التوبة، بعد ترهيبه من الإصرار على الحوبة، لأنه قد يكون مزدرئا لنفسه قائلا : إن مثلى لا يصلح
١٥ للخدمة لما لى من الذنوب[8] القاطعة و أين التراب من [رب - [2]] الأرباب ﴿ الغفور ﴾ أى [أنه - [2]] مع ذلك يفعل فى محو الذنوب عينا و أثرا فعل المبالغ فى ذلك و يتلقى من أقبل إليه أحسن تلقى كما

(١) من ظ و م، و الأصل : الى (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : ذلك (٦) من ظ و م، و فى الأصل : تام (٧) من ظ و م، و فى الأصل : بمخالفته (٨) من ظ و م، و فى الأصل : الذنوبة.

قال تعالى فى الحديث القدسى "و من اتانى يمشى اتيته هرولة"[١] .

و لما أثبت له سبحانه صفتى العز و الغفر[٢] على أبلغ ما يكون ، دل على ذلك بقوله دالا على كمال تفرده بعد آيات الأنفس بآيات الآفاق إرشادا إلى معالى الأخلاق : ﴿ الذى خلق ﴾ أى أبدع [على - ٣] هذا التقدير من غير مثال سبق ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ حال كونها ﴿ طباقا[٤] ﴾ جمع طبق ٥ كل واحدة منها كأنها لشدة مطابقتها للاخرى طالبة مطابقتها بحيث يكون كل جزء منها مطابقا لجزء من الآخرى ، و لا يكون جزء منها خارجا عن ذلك[٤] و هى لا تكون كذلك إلا بأن تكون الأرض كرة و السماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب و الثانية محيطة بالدنيا و[٥] هكذا إلى ان يكون العرش ١٠ محيطا بالكل ، و الكرسى الذى هو اقربها إليه بالنسة إليه كحلقة ملقاة فى فلاة ، فما ظنك بما تحته ، و كل سماء فى التى فوقها بهذه النسبة ، و قد قرر أهل الهيئة أنها كذلك ، و ليس فى الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه و لاسيما التشبيه بالحلقة [الملقاة - ٣] فى فلاة كما مضى بسط ذلك فى سورة السجدة . و أحاط سبحانه بالأرض منافعها من جميع الجوانب ، و جعل ١٥ المركز بحيث يجذب إليه الأسفل فكيفما مشى الحيوان فى[٦] جوانبها اقتضى المركز أن تكون رجلاه الى الأرض و رأسه الى السماء لتكون السماء فى رأيه دائما / أعلى ، و الأرض أسفل فى أى جانب كان /٤٢٣

(١) الحديث مستفيض (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : العفو (٣) زيد من ظ و م. (٤) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : بسمائها و ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من م ، وفى الأصل وظ : من.

هو عليها، فسبحان اللطيف الخبير، و لا شك ان من تفكر فى هذه العظمة مع ما لطف بنا فيما هيأه [1] فيها لنا [1] من المنافع، آثره سبحانه بالحب و أفرده عن كل ضد، فانقطع [2] باللجاء إليه و لم يعول [3] إلا عليه فى كل [4] دفع و نفع [4]، و سارع فى مراضيه [5] و محابه فى كل خفض و رفع .

و لما كان [ذلك - [6]] فى حد ذاته خارجا عن طوق المخلوق، و كان سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، و [ما - [6]] بين كل سمائين كذلك مع عدم الفروج و العمد و الأطناب، [7] فكان ذلك [7] النهاية فى الخروج عن العادة فى حد ذاته و لأنه قيل: إن القبة إذا بنيت بلا فروج و لا شيء يدخل [8] الهواء منه تفسد و تسقط، دل على عزته بعظيم صنعه فى ذلك بقوله واصفا لها: ﴿ ما ترى فى ﴾ و كان الأصل: خلقها. و لكنه [9] دل على عزته و عموم عظمته بقوله: ﴿ خلق الرحمن ﴾ أى لها و لغيرها و لولا [10] رحمته و عموم عظمته [11] التى اقتضت إكرامه لخلقه بعد غفرانه لما لهم من النقائص ما أحسن إليهم [بها - [6]] فى اتساعها [12] و زينتها و ما فيها من المنافع، و أعرق فى النفى بقوله:

(١-١) من ظ وم، و فى الأصل: فيه (٢) من ظ وم. وفى الأصل: فاتضع. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لم فى كل اموره (٤ - ٤) من ظ و م. وفى الأصل: نفع و ضر (٥) من ظ و م. و فى الاصل: مرضاته (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: فذلك (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لا يدخل (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لكن (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: لا (١١) فى م: رحمته (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: ابتداعها.

﴿ من تفوت[1] ﴾ بين صغير[2] ذلك الخلق وكبيره بالنسبة إلى الخالق في إيجاده له على حد سواء، إنما قوله [له -] إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، لا فرق[3] في ذلك بين الذرة مثلا و الفرس ولا بالنسبة إلى الخالق من عجز صغيرهم و كبيرهم عن إيجاد شيء من العدم صغيرا كان أو كبيرا جليلا كان أو حقيرا، و لا ترى تفاوتا في ٥ الخلق بأن [4]يكون شيء منه[4] فائتا للآخر[5] بالمخالفة و الاضطراب و التناقض في الخلقة غير مناسب له بأن يكون خارجا عنه أو منافرا له في مقتضى الحكمة، و آثار الإحسان في الصنعة، و النزول عن الإتقان و الاتساق، و الخروج عن الإحكام و الاتفاق، و الدلالة للخالق على كمال القدرة و للمخلوق على الحدوث بنوع من ضعف البنية بحيث يكون ١٠ [كل -[2]] واحد كالطالب لأن يخالف الآخر، أو تعمد لأن يفوت الآخر و يخالفه - على قراءة حذف الألف و التشديد بحيث يكون التفاضل[6] في المزدوجات و عدم المساواة كأنه مقصود بالذات و بالقصد الأول، بل لا توجد المخالفة إلا نادرا بحيث يعلم أن المشاكلة هي المقصود بالذات [7]و بالقصد الأول، فإذا وقع في شيء منه مخالفة كان على وجه الندور ١٥ ليعلم أنه ليس مقصودا بالذات[7]، و إنما أريد به الدلالة على الاختيار و أن الفاعل هو القادر المختار لا الطبيعة، قال الرازي: كأن التفاوت الشيء

---

(١) من ظ وم، و في الأصل: صغر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: فرقة (٤ - ٤) من ظ و م: و في الأصل: منه شيء (٥) من م، و في الأصل و ظ: بالآخر (٦) من ظ و م، و في الأصل: التفاوت.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

المختلف لأعلى النظام، و قال[1] البغوى : من اعوجاج و اختلاف و تناقض، و قال غيره : [عدم -[2]] التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا و لا يلائمه، و هو من الفوت / و هو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها، و قال أبو حيان[3] : و التفاوت [4]تجاوز الحد[4] الذى يجب له زيادة أو نقصان - انتهى. يظهر ذلك بأن أغلب[5] الخلق أجوف، و الأجوف يعمل مبسوطا ثم يضم و يوصل أحد جانبيه بالآخر فيكون ثم نوع فطر[6] يعرفه أهل الحذق و إن اجتهد صانعه فى إخفائه و إن كان فيه أشياء متقابلة كان فيها تفاوت و لو قل و إن اجتهد الصانع فى المساواة، و خلق الله لا تفاوت فيه بوجه، فالسماوات كرية و لا ترى [7]فى جانب منها[7] شقا و لا فطرا ظاهرا و لا خفيا، و الحيوان أجوف[8] و لا ترى فى شيء من جسده فصما يكون الضم و التجويف وقع به. و كل من متقابليه مساو للآخر كالعينين و الأذنين و المنخرين و الساقين و نحوها مما يقصد فيه التساوى لا تفاوت فيه أصلا - إلى غير ذلك مما يطول شرحه، و لا يمكن ضبطه، فسبحان من لا تتناهى قدرته فلا تتناهى مقدوراته، و لا تحصى بوجه معلوماته، و كل ذلك عليه هين، و الأمر فى ذلك واضح بين، هذا[9] مع الاتساع الذى لا يدرك مقداره بأكثر

(١) فى المعالم بهامش اللباب ٧/١٠٤ (٢) زيد من ظ (٣) فى البحر المحيط ٨/٢٩٨. (٤-٤) من ظ و م و البحر، و فى الأصل، التجاوز (٥) من ظ و م، و فى الأصل : غالب (٦) من ظ و م، و فى الأصل : نظر (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : منها فى جانب (٨) من ظ و م، و فى الأصل : جوف (٩) زيد فى الأصل : ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

من

متى [أن - [1]] كل سماء بالنسبة إلى التى فوقها كحلقه ملقاة فى فلاة إلى أن يوصل إلى الكرسى ثم العرش العظيم، و من سر كونها كذلك حصول النفع بكل ما فيها من كواكب[2] مرطبـة أو ميبسة أو منورة و اتصالات ممطرة و منبتة يجرى كل ذلك منهـا على ترتيب مطرد، و نظام غير منخرم مقدر جريـه بالقسط مرتب[3] على منافع الوجود ٥ و مصالح الكائنات كلها مكفوفة على هواء لطيف بتدبير شريف[4] لا يتعدى شيء منها طوره و لا يتخطى حده، و لا يرسب فيما تحته من الهواء فيهوى، و لا يرتفع عن محله بمقدار ذرة فيطفو، قد أحاط بكلها الأمر[5]، و ضبطها صاغرة القهر .

و لما كان العلم الناشيء عن الحس أجل[6] العلوم، دل عـلى بديع ١٠ ما ذكره بمشاهدة الحس له كذلك، فسبب عنه قوله منبها بالرجع الذى هو تكرير الرجوع على أن كل أحد يشاهد ذلك كذلك من حين يعقل إلى أن يبلغ حد التكليف المقتضى للمخاطبة بهذا الكلام[7]: ﴿ فارجع البصرلا ﴾ أى بعد ترديدك له قبل ذلك، و دل بتوجيه[8] الخطاب نحو أكمل الخلق صلى الله عليه و سلم فى السمع و البصر و البصيرة ١٥ و كل معنى إلى أن ذلك لا شبهة فيه .

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل : كوكب (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : مركب (٤) من ظ وم، وفى الأصل : الشريف (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : الأرض (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : ابل (٧) زيد فى الأصل : فانهم، و لم تكن الزيادة فى ظ وفى م فحذفناها (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : توجيه.

و لما كان السؤال عن[1] الشيء يدل على شدة الاهتمام بالبحث عنه، نبه[2] على أن هذا [مما -[3]] اشتدت عناية الأولين بـه فقال: ﴿ هل ترى ﴾ أى فى شيء منها.

و لما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفى، أعرق [فى النفى -[3]] بقوله:

٥ ﴿ من فطور ◌ ﴾ أى خلل بشقوق و صدوع أو غيرها لتغاير ما [هى-[3]] عليه و أخبرت به من تناسبها و [4]استجماعها و استقامتها[4] ما يحق لها مما يدل على عزة ما فيها و بليغ غفرانه، و هذا أيضا يدل على إحاطة كل[5] منها بما دونه فانه لو كان لها[6] فروج لفاتت / المنافع التى رتبت لها النجوم المفرقة فى طبقاتها[7] أو بعضها أو كالها، فالهواء و جميع المنافع منحبسة[8] فيها ١٠ محوطة [بها -[3]] مضطربة متصرفة[9] فيها على حسب التدبير و الحيوان فى الهواء كالسمك فى الماء، لو احبس الهواء عنه لمات كما أنه لو انكشف الماء عن السمك لمات[10].

٤٢٥ /

و لما كان فى سياق المجازاة بالأعمال الصالحة و الطالحة التى دل[11] عدم الانتصاف من الظالمين فى هذه الدار على أنها تكون بعد البعث

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: على (٢) من ظ و م، و فى الأصل: معه.
(٣) زيد من ظ وم (٤-٤) فى ظ و م: استقامتها و استجماعها (٥) زيد فى الأصل: شيء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ وم، و فى الأصل: فيها.
(٧) من ظ وم، و فى الأصل: طباقها (٨) من ظ وم، و فى الأصل: محسبه (٧)
(٩) من ظ وم، و فى الأصل: منفردة (١٠) زيد فى الأصل: أو لفات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) زيد فى الأصل: عليها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و كانت العزة مقتضية لذلك، و كان خلقه سبحانه و تعالى لهذا الوجود على هذا النظام مثبتا لها، و كانت أعمالهم أعمال المنكر لها، و لاسيما تصريحهم بأنه لا بعث، دل على عظمة عزته[1] بما أبدعه من هذا السقف الرفيع البديع، ثم بجعله محفوظا هذا الحفظ المنيع، على تعاقب الأحقاب[2] و تكرر[3] السنين، فقال معبرا بأداة التراخي دالا على جلاله بإدامة ٥ التكرير طول الزمان: ﴿ ثم ارجع البصر ﴾ و أكد ما[4] أفهمته الآية من طلب التكرير بقوله تعالى: ﴿ كرتين ﴾ أى مرتين أخريين - هذا مدلولها لغة، و بالنظر إلى السياق علم أن المراد مرة بعد مرة لا تزال[5] تكرر ذلك لارتياد الخلل لا إلى نهاية، كما أن «لبيك» مراد به إجابة إلى غير غاية، و على ذلك دل قوله سبحانه و تعالى: ﴿ ينقلب اليك ﴾ أى من غير ١٠ اختيار بل غلبة و إعياء و انكسار ﴿ البصر خاسئا ﴾ أى صاغرا مطرودا [ذليلا -[6]] بعيدا عن إصابة المطلوب ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ حسير ﴾ أى كليل تعب معي من طول المعاودة و تدقيق النظر و بعد المسرح، و إذا كان هذا الحال فى بعض المصنوع فكيف يطلب[7] العلم بالصانع فى كماله من جلاله و جماله، فكيف بمن يتفوه بالحلول ١٥ أو الاتحاد حسبه جهنم و بئس المهاد.

و لما أخبر سبحانه و تعالى عن بديع هذا الخلق، و نبه على بعض

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عزة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاحكام.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: تكرير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بما.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا ترك (٦) زيد من ظ و م (٧) فى م: عند طلب.

دقائقه و أمر بالإبصار[1] و تكريره، و كان السامع اول ما يصوب نظره إلى السماء لشرفها و غريب صنعها و بديع وضعها و منيع رفعها، فكان بحيث يتوقع الإخبار عن هذه الزينة التى رصعت بها، قال فى جواب [من - ٢] توقعه مؤكدا بالقسم إعلاما بأنه ينبغى أن يبعد العاقل عن
٥ إنكار شيء مما ينسب إلى صاحب هذا الخلق من الكمال، [عاطفا - ٢] على ما تقديره : لقد كفى هذا القدر فى الدلالة على عظمة [3]مبدع هذا الصنع[3] و تمام قدرته : ﴿ و لقد ﴾[4] و استجلب الشكر بجلب المسار فقال ناظرا إلى مقام العظمة صرفا للعقول عما اقتضاه «الرحمن» من عموم الرحمة تذكيرا بما فى الآية الماضية، و تنبيها على ما فى الزينة بالنجوم من مزجها
١٠ بالرجوم الذى هو عذاب [5]الجن المتمردين الطاغين[5] : ﴿ زينا ﴾ دلالة أخرى [5]تدل على العظمة[5] بعد تلك الدلالة الأولى /[6] ﴿ السمآء الدنيا ﴾ [7]أى أدنى السماوات إلى الأرض و هى التى [5]تشهد و أنتم دائما[5] تشاهدونها وهى سقف الدار التى اجتمعتم فيها فى هذه الحياة الدنيا[7] ﴿ بمصابيح ﴾ أى نجوم متقدة عظيمة جدا، كثرتها تفوت الحصر، ظاهرة سائرة مضيئة
١٥ زاهرة. و هى الكواكب التى تنور الأرض بالليل إنارة السرج التى تزينون بها سقوف دوركم، فتفيد شعبة من ضوء الصباح، و التزيين بها لا يمنع أن تكون مركوزة فيما فوقها [من السماوات - ٢] و هى تترآى لنا بحسب الشفوف

/٤٢٦

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل : بالاستبصار (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م : مبدعه (٤) زيد فى الأصل : فقال اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) سقط مابين الرقمين من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) سقط من ظ و م .

بما

بما للاجرام السماوية من الصفاء، و لتلك المصابيح من شدة الإضاءة.

و لما أخبر -[1]جلت قدرته[1]- بعظيم قدرته فيها منبها على ما فيها من جلب المسار بتلك الأنوار و الهداية فى الدين و الدنيا التى لولا هى لما انتفع أحد فى ليل انتفاعا تاما، أخبر بما فيها مع الزينة من دفع المضار بعبارة عامة و إن كان المراد البعض[2] الأغلب فان ما للرجوم منها غير ٥ ما للاهتداء و الرسوم فقال: ﴿ و جعلنها ﴾ أى النجوم من حيث [هى - [3]] بعظمتنا مع كونها زينة و أعلاما للهداية ﴿ رجوما ﴾ جمع رجم و هو مصدر و اسم لما يرجم به ﴿ للشيطين ﴾ الذين يستحقون[4] الطرد [1]و البعد و الحرق[1] من الجن لما لهم من الاحتراق، [1]و ذلك بيانا لعظمتنا[1] وحراسة للسماء الدنيا التى هى محل تنزل أمرنا بالقضاء و القدر، ١٠ و إنزال هذا الذكر[5] الحكيم لئلا يفسدوا باستراق السمع منها على الناس دينهم الحق، و يلبسوا عليهم أمرهم بخلط الحق الذى ختمنا به الأديان بالباطل، فيخرجوهم - لانهم أعداؤهم - من النور إلى الظلمات [كما - [3]] كانوا فى الجاهلية مع ما فيها بما خلق سبحانه فى أمزجتها من ترطيب و تجفيف و حر و برد و اعتدال ينشأ عنه الفصول الاربعة و قهرها به ١٥ من شروق و غروب و حركة و سكون يعرف بها ما إليـــه المآل، مما أخبرت به الرسل من الزوال، مع ما يدل من الليل و النهار و العشى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: اعم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م: يحق لها.
(٥) زيد فى الأصل: حراسة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و الأبكار و اشياء يكل عنها الوصف فى ذواتها و عن إحصاء منافعها حتى لو عدم[1] شيء مما فى السماوات مما دبره الحكيم لصلاح[2] هذا العالم يهلك كل جيوان و نبات على وجه الأرض، و الشهاب المرجوم به منفصل من نار[3] الكواكب و هو قار[4] فى فلكه على حالة كقبس النار يؤخذ ٥ منها و هى باقية [5]على حالها[5] لا تنقص، و ذلك مسوغ لتسميتها بالرجوم، فمن لحقه الشهاب منهم قتله أو ضعضع أمره و خبله، و يحتمل مع ذلك أن يكون المراد: ظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب فى أشياء هى [6]من عظيم[6] الابتلاء ليتبين الموقن من المزلزل و العالم من الجاهل؛ و فى البخارى[7]: قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث: زينة ١٠ للسماء، و رجوما للشياطين، و علامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير[8] ذلك أخطأ و أضاع نصيبه و تكلف بما لا علم له به. / و لما كان التقدير: ٤٢٧ / و رجمناهم بها بالفعل عند استراقهم للسمع إبعادا لهم عن مسكن المكرمين و محل النزاهة و الأنس و مهبط القضاء و التقدير، و نكالا لغيرهم من أمثالهم عذابا لهم فى الدنيا، عطف عليه قوله ترهيبا من جلاله بعد ١٥ ما رغب فى عظيم جماله[9]: ﴿و اعتدنا﴾ أى[10] هيأنا فى الآخرة مع هذا

(١) من ظ وم، وفى الأصل: ان (٢) من ظ وم، وفى الأصل: من صلاح.
(٣) زيد فى الأصل: اى من نار، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ وم، و فى الأصل: مادر (٥-٥) سقط مابين الرقمين من ظ وم.
(٦-٦) من ظ وم، و فى الأصل: عظيمة (٧) راجع ١/٤٥٤ (٨) من ظ وم، وفى البخارى: بغير، وفى الأصل: خلاف (٩) من ظ وم، وفى الأصل: جلاله.
(١٠) زيد فى الأصل: بما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الذى فى الدنيا بما لنا من العظمة ﴿لهم﴾ اى الشياطين [1] الذين يسترقون [1] السمع [1] ﴿عذاب السعير﴾ أى [النار - [2]] التى هى فى غاية الاتقاد ، [3] ففى الآية [3] بشارة لأهل السمع و البصر و العقل [4] و فيها من التنبيه ما لا يخفى [4] .

و لما أخبر سبحانه عن تهيئته العذاب لهم بالخصوص، أخبر أيضا [5]

٥ [6] عن تهيئته [6] لكل عامل باعمالهم على وجه اندرجوا هم فيه فقال حاثا على التفكر فى عظيم انتقامه الخارج عن العادة [4] فى عدم الانطفاء [4] ، لكونه [ليس - [7]] بسيف و لا عصا . و لا بسوط و نحوه بل النار الخارجة عن العادة فى [8] عدم الانطفاء . و لا للعذب من الخلاص منها [1] مسلك و لا رجاء [1] . [بل - [2]] كلما طال الزمان تلقته بالشدة

١٠ و الامتداد ، بئس الجامعة [9] للذام [10] فى كل انتقام مع الإهانة و الاحتقار ﴿ و للذين كفروا ﴾ [أى اوقعوا - [2] التغطية لما [من - [2]] حقه أن يظهر و يشهر من الإذعان للاله ، فقال صارفا القول عن مقام العظمة إلى صفة الإحسان الخاصة بالتربية تنبيها على ما فى إنكاره من عظيم الكفران : ﴿ بربهم ﴾ أى الذى تفرد بإيجادهم و الإحسان اليهم فانكروا

١٥ إيجاده لهم بعد الموت و ذلك كفرا منهم بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم ﴿ عذاب جهنم ﴾ أى الدركة النارية التى تلقاهم بالتجهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م: فالآية (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) سقط من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بتهيئته (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الجامع (١٠) زيد فى الأصل : بل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و العبوسة و الغضب .

و لما كان التقدير : هى مصيرهم ، قال دالا على عدم خلاصهم منها أصلا أزلا و أبدا : ﴿ و بئس المصير ﴾ أى هى [1].

و لما عبر [2] عن ذمها [2] بمجمع المذام ، اتبعه الوصف لبعض
٥ تجهمها على وجه التعليل ، فقال دالا بالإلقاء على خساستهم و حقارتهم معبرا بأداة التحقيق دلالة على أنه أمر لابد منه ، و بالبناء للفعول على أن إلقاءهم فى غاية السهولة على كل من يؤمر به : ﴿ اذا القوا ﴾ أى طرح الذين كفروا [و ـ [3]] الأخساء من أى [4] طارح أمرناه بطرحهم ﴿ فيها ﴾ حين تعتلهم [5] الملائكة فتطرحهم كما تطرح الحطب [6] فى النار [6]
١٠ ﴿ سمعوا لها ﴾ أى جهنم نفسها ﴿ شهيقا ﴾ أى صوتا هائلا أشد نكارة من أول صوت الحمار لشدة توقدها و غليانها ، أو لأهلها ـ على حذف مضاف ﴿ و هى تفور ﴾ أى تغلى بهم كغلى المرجل بما فيه [من ـ [7]] شدة التلهب و التسعر ، فهم لا يزالون فيها صاعدين هابطين كالحب إذا كان [الماء ـ [7]] يغلى به ، لا قرار لهم أصلا .

١٥ و لما وصفها بالفوران ، بين سببه تمثيلا لشدة [8] اشتعالها عليهم فقال : ﴿ تكاد تميز ﴾ أى تقرب [من ـ [7]] أن ينفصل بعضها من

---

(١) زيد فى الأصل : النار ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢ ـ ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بذمها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: كل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تعلهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (٧) زيد من ظ و م (٨) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .

/ بعض كما يقال: يكاد فلان ينشق من غيظه و فلان غضب فطارت /٤٢٨
شقه منه فى الأرض و شقه فى السماء - كناية عن شدة الغضب ﴿من الغيظ﴾
أى عليهم، وكأنه حذف إحدى التائين إشارة إلى أنه يحصل [منها -[1]]
افتراق و اتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الإدراك ،
و ذلك كله لغضب سيدها ، و تأتى يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف ٥
زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها به ، و هى شدة الغيظ
تقوى على الملائكة و تحمل على الناس فتقطع الأزمة[2] جميعا و تحطم
أهل المحشر فلا يردها عنهم إلا النبى صلى الله عليه و سلم يقابلها بنوره
فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر [به -[1]] أن يقتلع
الأرض و ما عليها من الجبال و[3] يصعد بها فى[4] الجو فعل من غير ١٠
كلفة ، و هذا كما أطفأها فى الدنيا بنفخة كما رواه الجماعة إلا الترمذى
و هذا لفظ أبى داود[5] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :
انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم - فذكر صلاته
الى أن قال: ثم نفخ فى آخر سجوده فقال: أف أف ألم تعدنى أن لا تعذبهم
[6]و أنا فيهم[6] و هم يستغفرون ، و فى رواية النسائى أنه قال : قال صلى الله ١٥
عليه و سلم : لقد أدنيت منى النار حتى جعلت ألفتها خشية أن تغشاكم .

و لما ذكر سبحانه حالها ، اتبعه حالهم فى تعذيب القلب باعتقادهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الامته (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم (٤) من ظ و م، و فى الأصل الى (٥) راجع السنن ١ / ١٧٦ .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

أنهم ظلمة على وجه، بين السبب فى عذابهم زجرا عنه فقال: ﴿ كلمآ ﴾ و لما[1] كان المنكى مجرد الإلقاء بنى للفعول دلالة على ذلك و على حقارتهم بسهولة إلقائهم قوله[1]: ﴿ ألقى فيها ﴾ أى[3] جهنم بدفع الزبانية بهم الذين هم اغيظ عليهم من النار ﴿ فوج ﴾ اى جماعة هم فى غاية ٥ الإسراع موجفين مضطربى الأجواف من شدة السوق[4] ﴿ سألهم ﴾ أى ذلك الفوج ﴿ خزنتهآ ﴾ أى[5] النار سؤال توبيخ و تقريع و إرجاف.

و لما كان ذلك قيل: ما كان سؤالهم؟ قال: قالوا موبخين لهم مبكتين محتجين عليهم فى استحقاقهم العذاب زيادة فى عذابهم بتعذيب أرواحهم بعد تعذيب اشباحهم: ﴿ الم ياتكم ﴾ اى فى الدنيا ﴿ نذيره ﴾ أى يخوفكم ١٠ هذا العقاب و يذكركم بما حل بكم وبما حل بمن[6] قبلكم من المثلات، لتكذيبهم بالآيات، و يقرأ عليكم الكتب المنزلات ﴿ قالوا بلى ﴾ و لما طابق هذا الجواب فتوقع السامع إيضاحه، افصحوا بما أفهمه و شرحوه تأسفا على انفسهم بما حل بهم و تحسرا فقالوا: ﴿ قد جآءنا ﴾ واظهروا موضع الإضمار تأكيدا و تنصيصا فقالوا[7]: ﴿ نذيرٌ ﴾ اى مخوف بليغ ١٥ التحذير ﴿ فكذبنا ﴾ اى فتسبب عن مجيئه أنا اوقعنا التكذيب بكل

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: كلما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فيهما.
(٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م و فى الاصل: الاسواق (٥) زيد فى الاصل: خزنه، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) زيد فى الاصل: اطاق و، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.
(٧) زيد فى الأصل: جاءنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ما قاله النذير ﴿ و قلنا ﴾ اى زيادة فى التكذيب [1] و النكاية له و العناد الذى حل شؤمه بنا [1]: ﴿ ما نزل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله عليكم و [لا - [2]] على غيركم، و لعل التعبير بالتفعيل إشارة إلى إنكارهم الفعل بالاختيار الملازم للتدريج - تعالى الله عن / ذلك علوا كبيرا، و أعرقنا /٤٢٩ فى النفى فقلنا: ﴿ من شىء ج صلے ﴾ لا وحيا و لا غيره، و ما كفانا هذا الفجور ٥ حتى قلنا مؤكدين: ﴿ ان ﴾ أى ما .

و لما كان تكذيبهم برسول واحد تكذيبا لجميع الرسل قالوا عنادا [3]: ﴿ انتم ﴾ أى ايها النذر المذكورون فى «نذير» المراد به الجنس، و فى خطاب الجمع إشارة ايضا إلى ان جواب الكل للكل كان متحدا مع افتراقهم فى الزمان حتى كأنهم كانوا [على - [4]] ميعاد ١٠ ﴿ الا فى ضلٰل ﴾ أى بعد عن الطريق و خطأ و عمى محيط بكم ﴿ كبير ٥ ﴾ فبالغنا فى التكذيب و السفه بالاستجهال و الاستخفاف .

و لما حكى سبحانه ما قالوه للخزنة تحسرا على انفسهم حكى ما قالوه بعد ذلك فيما بينهم زيادة فى التحزن و مقتا لأنفسهم بأنفسهم فقال تعالى: ﴿ و قالوا ﴾ أى الكفرة زيادة فى توبيخ أنفسهم: ﴿ لو كنا ﴾ أى ١٥ بما هو لنا كالغريزة .

و لما كان السمع أعظم مدارك العقل الذى هو مدار التكليف قالوا: ﴿ نسمع ﴾ أى سماعا ينفع بالقبول للحق و الرد للباطل ﴿ او نعقل ﴾ أى بما أدته إلينا حاسة السمع و غيرها عقلا ينجى و إن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م.
(٤) زيد من ظ و م .

لم يكن سمع، و إنما قصروا الفعلين إشارة إلى إن ما كان لهم من السمع
و العقل عدم لكونه لم يدفع عنهم هـذا البلاء بالقبول من الرسل لما
ذكروهم به من نصائح ربهم و شهادة الشواهد من الآيات البينات
﴿ ما كنا ﴾ أي كونا دائما ﴿ في أصحٰب السعير ﴾ أي في عداد من
٥ أعدت له النار التي هي في غاية الاتقاد و الحر و التلهب [1] و التوقد [1]
حتى كأن بها جنونا، و حكم بخلودهم في صحبتها، و اعظم ما في هـذا من
العذاب بكونهم الجئوا إلى آن باشروا [2] توبيخ أنفسهم و مقتها بأنفسهم
انه لا يقبل منهم خروجا عن العادة في الدنيا [3] من أن الانسان إذا
اظهر الخضوع باعترافه و لومه نفسه و إنصافه رحم و قبل، و في الآية
١٠ أعظم فضيلة للعقل [4]، روى ابن المحبر في كتاب العقل و الحارث عن
أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال «لكل
شيء دعامة و دعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته، اما [5] سمعتم
قول الفجار لو كنا [6] نسمع [6] او نعقل ما كنا في أصحٰب السعير» .

و لما كان هذا الإقرار زائدا في ضررهم، و إنما كان يكون نافعا
١٥ لهم لو قالوه في دار العمل و ندموا عليه و أقلعوا عنه، سبب عنه قوله
ضاما - إلى ما تقدم من تعذيب أرواحهم بمقت الملائكة لهم ثم مقتهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: يباشروا.
(٣) من ظ و م. و في الاصل: الدين (٤) زيد في الاصل: انتهى، و لم تكن
الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و في الأصل: لها (٦-٦) في ظ
و م: الآية.

لأنفسهم

لأنفسهم[1] - مقت الله لهم : ﴿ فاعترفوا ﴾ اى بالغوا جامعين إلى مقت[2] الله و ملائكته لهم مقتهم لأنفسهم فى الاعتراف و هو الإقرار عن معرفة[2].

و لما كان الذى أوردهم المهالك هو الكفر الذى تفرعت عنه جميع المعاصى ، أفرد فقال تعالى : ﴿ بذنبهم ج ﴾ أى فى دار الجزاء كما كانوا يبالغون فى التكذيب فى دار العمل فلم [يكن -[3]] ينفعهم لفوات محله ، ٥ أو أنه لم يجمع الذنب إشارة إلى أنهم كانوا كلهم فى المبالغة فى التكذيب على حد واحد ، كما قال تعالى « كذلك ما أتى الذين / من قبلهم من رسول / ٤٣٠ الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون » أو أن الإفراد[4] اشد فى التحذير من كثير[5] الذنوب و قليلها[6] حقيرها و جليلها .

و لما كانوا قد أبلغوا فى كلتى[7] الدارين فى إبعاد انفسهم عن مواطن ١٠ الرحمة و تسفيلها إلى محال[8] النقمة أنتج ذلك و سبب قوله : ﴿ فسحقا ﴾ أى بعدا فى جهة السفل و هو دعاء عليهم مستجاب[9] ﴿ لاصحٰب ﴾ و أظهر تنبيها على عظيم توقدها و تغيظها و تهددها فقال : ﴿ السعير ﴾ أى الذين قضت عليهم أعمالهم بملازمتها .

---

(١) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى الاصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: الانفراد (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : تلك (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : محالة (٩) زيد فى الأصل : و ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .

و لما ذكر سبحانه اهل المعاملة بصفة العزة لما حصل لهم من العزة، أتبعهم أضدادهم المطوعين أنفسهم [1] لإشارة العقل [1] المتأهلين لنعت المعرفة، فقال مؤكدا لما للأضداد من التكذيب: ﴿ ان الذين يخشون ﴾ اى يخافون [خوفا - [2]] أرق [3] قلوبهم و أرق [3] غيرهم بحيث كانوا كالحب
٥ على المقلى لا يقرلهم قرار من توقعهم العقوبة، كلما [4] ازدادوا طاعة ازادوا خشية، يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة فوقوا أنفسهم فوران النار بهم، و عدل عن سياق الجلالة الجامع إلى صفة الإحسان تنبيها على أنهم غلب عليهم النظر إلى الإحسان فقادهم إلى الشكر مع ما نبهت [5] عليه الخشية من اتصافهم بالفرق الذى أداهم إلى الذعر فقال: ﴿ ربهم ﴾
١٠ الذى أحسن إليهم بتطويرهم بما جعل لهم من الأسباب فى أطوار الخير و إذا كانوا يخشونه مع نظرهم [6] إلى صفة إحسانه فما ظنك بهم عند النظر إلى صفات انتقامه ﴿ بالغيب ﴾ أى حال كونهم غائبين عنه سبحانه و وعيده غائبا عنهم وهم غائبون عن أعين الناس و قد ملأ الخوف ما غاب عنهم عن الناس و هى قلوبهم فهم مع الناس يتكلمون و قلوبهم تتلظى
١٥ بنيران [7] الخوف و تكلم بسيوف الهيبة، فيتركون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس! و لا يكون لهم هذا إلا برياضة عظيمة لما عند

(١-١) من ظ وم، و فى الاصل: اشارة العقل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ وفى الأصل: وم، رقة (٤) من ظ وم، وفى الأصل: فكلما (٥) من ظ وم، وفى الأصل: زيد نبهنا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم (٦) من ظ وم، وفى الأصل: فطرهم (٧) من ظ وم، و فى الأصل: نبار.

الناس من القوى الموجبة للطغيان ، قال بعض العارفين : فى الإنسان [خواص - ١] تستدعى العلم بما يشوبها من الحظوظ فتنشأ منها - و العياذ بالله - المنازعة فى الكبرياء و العظمة و الجلال و الجمال ، فالقلب يستدعى التفرد بالوجود و الأمر و النهى ، فما من احد إلا و هو مستبطن ما قال فرعون ، و لكن لا يجد له مجالا كما وجد[٢] فرعون ، و العقل ٥ يستدعى فى تدبيره و تاثيره اعتقاد أنه لو مكن من الوجود لدبره ، و يرى أن تدبيره هو التدبير و إن كان أفسد الفاسد ، وكذلك[٣] لا يزال يقول : لو[٤] كان كذا[٥] لكان كذا ، و النفس لا تتخيل أنها من القوة و الاقتدار بحيث لو ارادت ان تخرب مدنا و تبنيها / فعلت ، فليحذر الإنسان / ٤٣١ فان أعدى عدوه[٦] نفسه [٧]التى هى بين جنبيه[٧] ، فمهما تركها انتشرت ، ١٠ [٧]قال تعالى[٧] «كلا ان الإنسان ليطغى ان راه استغنى» و ينسى ما بعدها «إن إلى ربك الرجعى» ولهذا كان بعض الأكاسرة - وكانوا أعقل الملوك - رتب واحدا يكون وراءه بالقرب منه ، [يقول له -[٨]] إذا اجتمعت جنوده بعد كل قليل[٨]: أنت عبد ، لا يزال [٩]يكرر ذلك[٩] ، و الملك يقول له كلما قاله[١٠] : نعم ، فعلى العاقل أن يطوع نفسه لأن ترجع مطمئنة بان ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : قال (٣) من ظ و م ، وفى الاصل : لذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لولا (٥) تكرر فى الأصل فقط .
(٦) فى ظ و م : عدو له (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : يقول ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م ، وفى الأصل : يكررها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : قالها .

يرضى بالله ربا ليدخل فى رق العبودية ، و بالإسلام دينا ليصير عريقا فيها ، فلا ينازع الملك فى ردائه الكبريا و إزاره العظمة و تاجه الجلال و حلته الجمال ، و لا ينازعه فيما يدبره[1] من الشرائع[2] ، و يظهره من المعارف ، و يحكم به على[3] عبيده من قضائه و قدره .

٥ و لما كانت الخشية مشيرة إلى[4] الذنوب ، فكان[5] أهم ما إليهم [6] الإراحة منها[6] قال تعالى : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى سترة[7] عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم .

و لما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال : ﴿ واجر ﴾ أى من فضل الله ﴿ كبيره ﴾ يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه ١٠ فى الدنيا من شدائد الآلام ، و تصغر فى جنبه لذائذ الدنيا العظام[8] .

و لما كانت الخشية من الأفعال الباطنة ، و كان كل احد يدعى أنه يخشى الله ، قال مخوفا لهم بعلمه نادبا إلى مراقبته لئلا يغتروا بحلمه ، عاطفا على ما تقديره لإيجاب المراقبة : فأبطنوا أفعالهم[9] و أظهروها : ﴿ و اسروا ﴾ أى أيها الخلائق .

١٥ و لما كان إفراد الجنس دالا على قليله و كثيره قال : ﴿ قولكم ﴾

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : دبر (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ابدائع .
(٣) زيد فى الأصل : عبد من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : ترك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فكانت (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الزحة (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٩) من ظ وم ، و فى الأصل : أعمالهم .

أى

أى خيرا كان او شرا ﴿ او اجهروا به ﴾ فانه يعلمه و يجازيكم به لأن
علمه لا يحتاج إلى سبب، و ذلك أن المشركين كانوا يقولون: أسروا
و إلا يسمع إله محمد: ثم علل ذلك مؤكدا لأجل ما للناس من استبعاد
ذلك بقوله: ﴿ انه ﴾ أى ربكم ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم ﴿بذات الصدور ﴾
أى بحقيقتها و كنهها و حالها و جبلتها و ما يحدث عنها سواء كانت قد ٥
تخيلته و لم[1] تعبر عنه، أو كان مما لم تتخيله بعد بدليل ما يخبر به سبحانه
و تعالى عنهم مما وقع و هم يخفونه، أو لم يقع بعد ثم يقع كما أخبر به سبحانه؛
ثم دل على ذلك بقوله معجبا ممن يتوقف فيه[2] أدنى توقف و منكرا عليهم
باثبات العلم و نفى ضده على أبلغ وجه: ﴿ الا يعلم ﴾ أى و كل ما يمكن
ان يعلم، و حذف المفعول للتعميم[3]، ثم ذكر الفاعل واصفا له بما يقرب ١٠
المخبر [به - [4]] للافهام فقال: ﴿ من خلق ﴾ أى الذى أوجد الخلق
من القلوب الحاوية للأسرار و الأبدان و غير ذلك، و طبع فى كل
شيء من ذلك ما طبع مما قدره بعلمه و أتقنه بحكمته، فان كل صانع
أدرى بما صنعه، و يجوز - و هو احسن - أن يكون «من» مفعولا و الفاعل
مستترا، أى [5]ألا يعلم[5] الله مخلوقه على الإطلاق و له صفتا[6] اللطف و الخبر ١٥ /٤٣٢
اللتان شأنهما إدراك البواطن إدراكا لا يكون مثله لأن الغرض إثبات
العلم لما أخفوه لظنهم انهم إذا أسروا يخفى، لا إثبات مطلق العلم فانهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للتفهيم (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا يعلمه (٦) فى الأصول: صفة.

لم ينكروه ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه هو ﴿ اللطيف[1] ﴾ [اى - [2]] الذى يعلم ما به [3] فى القلوب[3] لأنه يصل إلى الأشياء بأضدادها فكيف بغير ذلك[4] ﴿ الخبير ﴾ ؏ أى بالغ العلم بالظواهر و البواطن فكيف يخفى عليه شىء من الأشياء، و هو أعظم تهديد يكون، فان من علم[5] أن ٥ من يعصيه عالما به و هو قادر عليه لا يعصيه أبدا .

و لما كان ذلك أمرا غامضا، دل عليه بأمر مشاهد أبدعه بلطفه و أتقنه بخبرته لاستدعاء الشكر من عباده على ما أبدع لهم و من عليهم[6] به من النعم الباهرة التى بها قوامهم[7]. و لولاه لما كان لهم بقاء فقال مستأنفا : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى جعل لكم ﴾ لتتوصلوا إلى ما ينفعكم[8] ١٠ ﴿ الارض ﴾ على سعتها و عظمها[9] و حزونة كثير منها ﴿ ذلولا ﴾ اى مسخرة لا تمتنع، قابلة للانقياد لما تريدون[10] منها من مشى و إنباط مياه و زرع حبوب و غرس اشجار و غير ذلك غاية الانقياد، بما تفهمه صيغة المبالغة مع أن فيها أماكن خوارة تسوخ فيها الأرجل و يغوص فيها ما خالطها، و مواضع مشتبكة بالأشجار يتعذر أو يتعسر سلوكها، و أماكن

---

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الخبير (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم (٤) زيد فى الأصل : وانه تعالى هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : قواهم (٨) زيد من الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ وم ، و فى الاصل : عظمتها . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : يريدونه .

[1]ملآى سباعا و حيات[1] و غير ذلك من الموانع، و اما كن هى جبال شاهقة إما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا و بين ياجوج و ماجوج[2]، ورد فى الحديث أنه تزلق عليه الأرجل و لا تثبت، أو يشق سلوكها، و مواطن[3] هى بحور عذبة أو ملحة فلو شاء لجعلها كلها كذلك ايكون بحيث لا يمكن الانتفاع بها، فما قسمها إلى سهول و جبال و برور ٥ و بحور و أنهار و عيون و ملح و عذب و زرع و شجر و تراب و حجر و رمال و مدر و غير ذلك إلا لحكمة بالغة و قدرة باهرة، لتكون قابلة لجميع ما تريدون منها، صالحة لسائر ما ينفعكم فيها[4].

و لما كان معنى التذليل ما تقدم، سبب عنه قوله تمثيلا لغرض التذليل لأن منكبى البعير و ملتقاهما من الغاربين أرق[5] شيء و أنباه ١٠ عن ان يطأه الراكب بقدمه و يعتمد عليه: ﴿فامشوا﴾ [أى - [6]] الهوينا مكتسبين و غير مكتسبين إن شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثبا أو حبوا ﴿فى مناكبها﴾ أى أماكنها التى هى لولا تسهيلنا لمناكب الحيوانات لكانوا[7] ينتكبون عن الوقوف عليها، فكيف بالمشى، [و - [6]] قال ابن عباس رضى الله عنهما[8]: إنها[9] الجبال - لأن تذليلها أدل دليل[7] ١٥

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: قدملئت من الحيات و السباع (٢) زيد فى الأصل: لانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الاصل: مواضع (٤) من ظ و م، و فى الاصل: منها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ادق (٦) زيد من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٠٥ (٩) من ظ و م، و فى الاصل: هى.

على تذليل غـــيرها ، و لـكن مشيتكم فيها و تصرفكم بذل و إخبات و سكون [١] استصغارا لأنفسكم و شكرا لمن سخر لكم ذلك - [٢]والله الهادى [٢] .

و لما ذكر سبحانه انه يسرها للشى ، ذكرهم بأنه سهلها لإخراج الخيرات و البركات / فقال : ﴿ و كلوا ﴾ و دل على أن الرزق فوق الكفاية [٣] بقوله : ﴿ من رزقه [٤] ﴾ أى الذى أودعه لكم فيها و أمكنكم من إخراجه بضد ما تعرفون [٥] من أحوالكم فان الدفن فى الأرض مما يفسد المدفون و يحيله إلى جوهرها كما يكون لمن قبرتموه فيها ، و مع ذلك فأنتم تدفنون الحب و غـــيره مما ينفعكم فيخرجه لكم سبحانه على أحسن ما تريدون و يخرج لكم [٥] من [٦] الأقوات و الفواكه و الأدهان و الملابس ما تعلمون ، و كذلك النفوس هى صعبة كالجبال و إن قدتها للخير انقادت لك كما قيل « هى النفس ما [٧] عودتها تتعود » .

/٤٣٣

و لما كان التقدير للبعث على الشكر و التحذير [٨] من الكفر : و اعبدوه جزاء على إحسانه إليكم و تربيته لكم . فمنه مبدأ [٩] جميع ذلك ، عطف عليه ما يدعو إلى الحياء من السيد و الخجل من توبيخه عند لقائه فقال : ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ النشور ﴾ و هو إخراج جميع الحيوانات التى أكلتها الأرض و أفسدتها ، يخرجها فى الوقت الذى يريده

---

(١) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الكفاف (٤) من ظ و م . و فى الأصل : تعرفونه (٥) فى م : لهم (٦) من ظ ، و فى الأصل وم : منه (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : ان (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : التحديد . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : مبتدأ .

على

على ما كان كل منها [عليه ـ ١] عند الموت كما أخرج تلك الارزاق، لا فرق بين هذا و ذاك، غير أنكم لا تتأملون [فيسألكم ـ ١] عما كنتم تعملون، فيا فوز من شكر و يا هلاك من كفر، فان هذا أبعث شيء على الشكر، و أشد شيء إبعادا عن العصيان لا سيما الكفر، لما قرر من حاجة الإنسان، [و ـ ١] الإحسان [إليه ـ ١] بأنواع الإحسان . ٥

و لما لم يكن بعد الاستعطاف إلا الإنذار على الخلاف، قال مهددا للمكذبين بعذاب دون عذاب جهنم، منكرا عليهم الأمان بعد إقامة الدليل على أن بيده الملك، و أنه قادر على ما يريد منه بأسباب جنوده ٢و بغير سبب، مقررا ٢ بعد تقرير حاجة الإنسان و عجزه أنه [لا حصن له و ـ ١] لا مانع له بوجه من عذاب الله، فهو دائم الافتقار ملازم ١٠ للصغار: ﴿ ءامنتم ﴾ أى ايها المكذبون. و خاطبهم بما كانوا يعتقدون مع أنه [إذا ـ ١] حمل على الرتبة و أول السماء بالعلو أو جعل كناية عن التصرف لأن العادة جرت غالبا أن من كان فى شيء كان متصرفا فيه صح من غير تأويل فقال: ﴿ من فى السمآء ﴾ أى على زعمكم العالية قاهرة لكم، أو٣ المعنى: من الملائكة الغلاظ الشداد الذين صرفهم فى ٤مصالح ١٥ العباد ٤، أو المعنى: فى غاية العلو رتبة، أو أن ذلك إشارة إلى أن فى السماء أعظم أمره لأنها ترفع إليها أعمال عباده و هى مهبط الوحى

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: مقررا بغير سبب تقريرا.
(٣) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤-٤) من ظ وم، وفى الأصل: المصالح .

و منزل القطر و محل القدس و السلطان و الكبرياء و جهة العرش و معدن المطهرين و المقربين من الملائكة الذين أقامهم الله في تصريف أوامره و نواهيه ، و الذي دعا إلى مثل هذا التأويل السائغ الماشي على لسان العرب [قيام - ١] الدليل / القطعي على أنه سبحانه ليس بمتحيز في جهة لأنه ٤٣٤ /
٥ محيط فلا يحاط به، لأن ذلك لا يكون إلا لمحتاج ؛ ثم أبدل من «من» بدل اشتمال فقال : ﴿ ان ﴾ .

و لما كانت قدرته على ما يريد بلا واسطة كقدرته بالواسطة ، و قدرته إذا كان الواسطة جمعا كقدرته إذا كان واحدا، لأن الفاعل على كل تقدير حقيقة هو لا غيره ، وحد بما يقتضيه لفظ "من" إشارة إلى
١٠ هذا المعنى سواء أريد بـ "من" هو سبحانه او ملائكته أو واحد[٢] منهم [فقال - ١] : ﴿ يخسف ﴾ أي أ أمنتم خسفه ، و يجوز أن يراد بـ "من" الله سبحانه و تعالى كما مضى خطابا على زعمهم و ظنهم أنه في السماء و إلزاما لهم بأنه كما قدر على الإمطار و الإنبات و غيرهما من التصرفات في الأرض فهو يقدر على غيره ﴿ بكم الارض ﴾ كما خسف بقارون و غيره .

١٥ و لما كان الذي يخسف به من الأرض يصير كالساقط في الهواء [و كان الساقط في الهواء - ١] يصير يضطرب[٣] ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاذا هى ﴾ أي الأرض التي أنتم بها ﴿ تمور ﴾ أي تضرب و هي تهوى بكم و تجري هابطة في الهواء و تتكفأ إلى حيث شاء سبحانه ،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، في الأصل و ظ : واحدا (٣) من ظ و م ، و في الأصل : يخبط .

قال فى القاموس : المور الاضطراب و الجريان على وجه الأرض و التحرك .

و لما كانوا ربما استبعدوا الخسفة ، و كانوا يعهدون ما ينزل من السماء من الندى و الأمطار و الصواعق ، عادل بذلك قوله : ﴿ام امنتم﴾ أى أيها المكذبون ، و كرر لهم ذكر ما يخشونه زيادة فى الترهيب فقال : ٥ ﴿ من فى السمآء ﴾ على التقدير ﴿ أن يرسل[1] عليكم ﴾ [2]أى من السماء[2] ﴿حاصبا﴾ أى [حجارة -[3]] يحصبكم - أى يرميكم - بها مع ريح عاصف بقوتها كما وقع لقوم لوط و اصحاب الفيل .

و لما كان[4] هذا الكلام إنذارا عظيما و وعظا بليغا شديدا[5] ، و كان حالهم عنده[6] مترددا بين إقبال و إدبار ، سبب عنه على تقدير ١٠ إدبارهم بتماديهم بما للانسان من النقصان قوله متوعدا بما يقطع القلوب ؛ و لفت القول إلى مقام التكلم إيذانا بشديد الغضب : ﴿ فستعملون ﴾ أى عن قريب بوعد[7] لا خلف فيه فى الدنيا ثم[8] فى الآخرة .

و لما كان العلم بكيفية الشيء أعظم من العلم بمطلق ذلك الشيء لأنه يلزم من العلم بها العلم [9]بمطلق ذلك الشيء[9] ، و كان ما هو ١٥

---

(١) زيد فى الأصل : اى من السماء ان يسلط ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بقدرته (٣) زيد من ظ و م . (٤) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من ظ وم (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : عندهم (٧) فى ظ وم : بوعيد (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : و لا (٩-٩) فى ظ و م : به.

بحيث يسأل عنه لا يكون إلا عظيما قال: ﴿ كيف نذيره ﴾ اى
إنذارى البليغ إذا شاهدتم العذاب و هو بحيث لا يستطاع ، و لا تتعلق
الأطماع بكشف له و لا دفاع ، و حذف الياء منه [و - [1]] من « نكير »
إشارة إلى أنه و إن كان خارجا عن الطرق ليس منتهى مقدوره بل
٥ لديه مزيد ، لا غاية له بوجه و لا تحديد .

و لما كان من المعلوم أن المأمور بابلاغهم [2]و إنذارهم[2] هذا
الإنذار[3] صلى الله عليه و سلم[4] فى غاية[5] / الرحمة لهم [و الشفقة عليهم - [1]] ٤٣٥ /
فهو بحيث يشق عليه غاية المشقة ما أفهمه هذا الكلام من إهلاكهم
أن يصدقوا ، [و - [6]] يحب التأنى بهم ، لفت سبحانه الخطاب إليه
١٠ عاطفا على ما تقديره: فلقد طال إمهالنا لهم و حلمنا عنهم و تعريفنا لهم
بعظيم قدرتنا و هم لا يرجعون و كثر وعظنا لهم و تصريفنا القول
بينهم [2]على ألسنة رسلنا عليهم الصلاة و السلام[2] و هم يتمادون و لا ينتهون ،
قوله مصورا [لهم - [1]] ما توعدهم به فى أمر محسوس لأن الأمور
المشاهدات اروع للانسان لما له من التقيد بالوهم مؤكدا للاشارة إلى
١٥ أن التكذيب مع إقامة البراهين أمر يجب إنكاره فلا يكاد يصدق :
﴿ و لقد كذب ﴾ [2]و طغى و بغى و أعرض و تجبر و تمرد و ولى بوجهه[2]

---

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٣) زيد فى الأصل : هو الرسول ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : الشفقة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) زيد من م .

و قلبه

[1]و قلبه[1] ﴿ الذين ﴾ .

و لما كان هـــذا[2] التكذيب لم يعم الماضين بعض فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ يعنى كفار الأمم الماضية .

و لما كان سبحانه قد[3] أملى لهم ثم أخذهم بعد طول الحلم أخذا بقيت أخباره ، و لم تندرس إلى الآن على تمادى الزمان آثاره ، فكان ٥ بحيث يسأل عنه لعظم أحواله ، و شدة زلازله و فظاعة أهواله ، سبب عن ذلك قوله منبها عـــلى استحضار ذلك العذاب و لو بالسؤال عنه: ﴿ فكيف كان نكيره ﴾ أى إنكارى عليهم بما أصبتهم به من العذاب فى تمكن كونه و هول أمره ، فقد جمع إلى التسلية غاية التهديد[4] .

و لما ذكر بمصارع الأولين ، و كان التـــذكير بالحاصب تذكيرا ١٠ لقريش بما حصب به على قرب الزمان عدوهم أصحاب الفيل بما أرسل عليهم[5] من الطير الأبابيل تحذيرا لهم من ذلك إن تمادوا على كفره[6] ، و لم ينقادوا إلى شكره ، فكان التقدير تقريرا لزيادة قدرته و حسن تدبيره و لطف تربيته حيث جبر الطير لضعفها[7] بالطيران ليكمل بعموم رحمانيته[8] أمر معاشها تقريرا لأن بيده الملك و ترهيبا من أن ينازعه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢) سقط من ظ وم (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : قدم (٤) زيد فى الأصل: انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
(٥) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : كفرهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الى اضعفها .
(٨) من ظ وم ، و فى الأصل : رحمته .

احد فى تدبيره مع تبقية القول مصروفا عن خطابهم، إيذانا بشدة حسابهم و سوء منقلبهم و مآبهم: ألم يروا إلى قدرتنا على مصارع الأولين و إهلاك المكذبين و إنجاء المؤمنين، عطف عليه قوله معرضا عنهم زيادة فى الإنذار بالحصب من الطير و غيرها: ﴿ او لم يروا ﴾ و أجمع ٥ القراء على القراءة هنا بالغيب لأن السياق للرد على المكذبين بخلاف ما فى النحل. و اشار إلى بعد الغاية بحرف النهاية فقال: ﴿ الى الطير ﴾ و هو جمع طائر.

و لما كان الجو كله مباحا للطيران نزع الجار فقال: ﴿ فوقهم ﴾ و بين حال الطير فى الفوقية بقوله واصفا لها بالتانيث إشارة إلى ضعفها ١٠ فى أنفسها[1] لولا تقويته[2] لها ﴿ صٓفّٰت ﴾ أى باسطات أجنحتها تمدها غاية المد بحيث تصير مستوية / لا اعوجاج فيها مع أنه إذا كان جماعة /٤٣٦ منها كانت صفوفا أو صفا واحدا فى غاية الانتظام تابعة لإمام منها.

و لما عبر عن الصف بالاسم لأنه الأصل الثابت، عبر عن التحريك بالفعل لأن الطيران فى ساحة الهواء كالسباحة فى باحة الماء، و الأصل ١٥ فى السباحة مد الأطراف و بسطها، و القبض طارئ على البسط فقال: [﴿ و يقبضن ﴾ أى يوقعن قبض الأجنحة و بسطها وقتا بعد وقت للاستراحة و الاستظهار به على السبح فى الهواء. و لما تم هذا التقدير على هذا الوجه الرائع للقلوب ترجمه بقوله -[3]]: ﴿ ما يمسكهن ﴾ أى فى

(١) من ظ و م، وفى الاصل: نفسهم (٢) زيد فى الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م.

الجو فى حال القبض و البسط عن السقوط على خلاف ما يقتضيه الطبع.

و لما كان هذا من التدبير المحكم الناظر إلى عموم الرحمة قال: ﴿ الا الرحمن ﴾ أى الملك الذى رحمته عامة لكل شىء بأن هيأمن - بعد أن أفاض عليهن رحمة الإيجاد - على أشكال مختلفة و خصائص مفترقة للجرى فى الهواء بما أوجد لها من القوادم و الخوافى و غير ذلك[1] ٥ من الهيئات المقابلة لذلك، وكذا جميع العالم لو امسك عنه حفظه[2] طرفة عين لفسد بتهافت الأفلاك و تداعى الجبال و غيرها، و عبر فى النحل بالاسم الأعظم لأن سياقها للرد على أهل الطبائع[3] و هم الفلاسفة الذين لا يقوم بالرد عليهم إلا المتبحر فى معرفة[4] جميع أصول الدين بمعرفة جميع معانى الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى[5] جمعها اسم الذات. ١٠

و لما كان هذا أمرا رائعا للعقل، و لكنه لشدة الإلف صار لا يتنبه له إلا بالتنبيه، و كان الجاهل ربما ظن أن التقدير على الطيران خاص بالطير، نبه سبحانه على عظمة ما هيأ الطير له و على أنه يقدر أن يجعل ذلك لغيره بقوله مؤكدا لأجل قصور بعض العقول عن التصديق بذلك و تضمن الإشراك للطعن فى تمام الاقتدار المتضمن للطعن فى تمام ١٥ العلم: ﴿ انه ﴾ أى الرحمن سبحانه ﴿ بكل شىء ﴾ [6]قل أو كثر جليل و حقير ظاهر و باطن[6] ﴿ بصيره ﴾ بالغ البصر و العلم بظواهر الأشياء

---

(١) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: حفظته (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الطباع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المعرفة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٦-٦) سقط مابين الرقمين من ظ و م.

و بواطنها ، فمها أراد كان و هو يخلق العجائب و يوجد الغرائب ، فيهيئ من أراد من الآدميين و غيرهم لمثل [1] ذلك .

و لما كان التقدير تقريرا لذلك : فمن يدبر مصالحكم ظاهرا و باطنا، و فعل هذه الأنواع من العذاب بالمكذبين من قبلكم ، عطف عليه

٥ قوله عائدا إلى الخطاب لأنه [2] أقعد فى التبكيت [2] و التوبيخ ، و أدل على أن المخاطب ليس بأهل لأن يهاب مقررا لأنه مختص بالملك : ﴿ أمن ﴾ و نبه على أن المدبر للأشياء لابد أن يكون فى غاية القرب و الشهادة لها ليكون بصيرا برعيها، و يكون مع مزيد قربه عالى الرتبة بحيث يشار إليه، فقال مقررا لعجز العباد : ﴿ هذا ﴾ باشارة الحاضر ﴿ الذى ﴾ و أبرز

١٠ العائد لأنه لابد من إبرازه مع الاسم بعدم صلاحه لتحمل الضمير فقال : ﴿ هو جند ﴾ أى عسكر وعون ، و صرف القول عن الغيبة إلى الخطاب لأنه أبلغ فى التقريع فقال : ﴿ لكم ينصركم ﴾ أى على من يقصدكم / بالخسف و الحصب و غيرهما ، و يجوز أن يكون التقدير : ألكم إله يدبر / ٤٣٧ مصالحكم غيرنا ام كان الذى عذب من كذب الرسل سوانا أم لكم

١٥ جند يصار إليه ينصركم دوننا كما قال تعالى « أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا [3] » ، و لكنه أخرجه مخرج الاستفهام عن تعيين الجند تعريفا بأنهم لغاية جهلهم اعتقدوا [4] أن لهم من أجناد [5] الارض أو السماء من ينصرهم و إلا لما كانوا آمنين .

---

(١) من ظ وم فى الاصل : مثل (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بالتبكيث.
(٣) من ظ وم ، و فى الأصل : دونها (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : جند .

و لما

و لما كانت المراتب متضائلة عن جنابه متكثرة جدا، قال تعالى مشيرا بالحرف و الظرف إلى ذلك منبها على ظهوره سبحانه فوق كل شيء، لم يقدر أحد و لا يقدر أن ينازعه في ذلك و لا في أنه مستغرق لكل ما دونه من المراتب: ﴿من دون الرحمن[4]﴾ إن[1] أرسل عليكم[2] عذابه، و أظهر و لم يضمر بعثا على استحضار ما له من شمول الرحمة[3]، و تلويحا ٥ إلى التهديد[4] بأنه لوقطعها [عن -[5]] أحد ممن أوجده عمه الغضب كله، و لذلك قال مستنتجا عنه تنبيها على أن [6]رفع المضار و جمع المسار[6] ليس إلا بيده لأنه المختص [بالملك -[5]]: ﴿ أن ﴾ أي ما، و أبرز الضمير تعميما و تعليقا للحكم بالوصف[7] و مواجهة بذلك لأنه أقعد [8]في التوبيخ[8] فقال: ﴿ الكفرون ﴾ أي العريقون في الكفر و هم ١٠ من يموت عليه ﴿ الا في غرور ﴾ أي قد أحاط بهم فلا خلاص لهم منه و هو أنهم يعتمدون على غير معتمد .

و لما قدم أعظم الرحمة بالحياطة و النصرة الموجبة للبقاء، أتبعه ما يتم به البقاء فقال: ﴿ امن ﴾ و أشار إلى القرب بالعلم و البعد بالعلو و العظمة بقوله: ﴿ هذا ﴾ و أشار إلى معرفة كل أحد له بصفاته العلية التي ١٥

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: اى (٢) من ظ و م، و في الأصل: عليهم. (٣) من ظ وم، و في الأصل: الرحمن (٤) من ظ وم، و في الأصل: التشديد. (٥) زيد من ظ وم (٦ - ٦) من ظ وم، و في الأصل: جميع المسار والمضار ليس لشيء منها (٧) من ظ وم، و في الأصل: للوصف (٨ - ٨) من ظ وم، و في الأصل: للتوبيخ .

تنشأ عنها أفعاله المحكمة السنية، فقال: ﴿ الذى ﴾ [و أسقط العائد لتحمل الفعل له فقال: ﴿ يرزقكم ﴾ -[1]] أى على[2] سبيل التجدد و الاستمرار، لا ينقطع معروفه أبدا [3]مع أنه[3] قد وسع كل شيء و لا غفلة له عن شيء ﴿ ان امسك رزقه ج ﴾ بامساك الأسباب التى تنشأ عنها و يكون

٥ وصوله إليكم منها كالمطر، و لو كان الرزق موجودا أو كثيرا و سهل التناول فوضع الآكلة فى فيه فأمسك الله عنه قوة الازدراد عجز أهل السماوات و الأرض عن أن يسوغوه[4] تلك اللقمة[5].

و لما قامت بهـذا دلائل قدرته و شمول علمه على سبيل العموم فالخصوص، فكان ذلك مظنة أن يرجع الجاحد و يخجل المعاند، و يعلم

١٠ الجاهل و يتنبه الغافل، فكان[6] موضع أن يقال: هل رجعوا عن تكذيبهم، عطف عليه قوله لافتا الكلام إلى الغيبة[7] إعراضا عنهم تنبيها على سقوط منزلتهم و سوء أفهامهم و قوة غفلتهم: ﴿ بل لجوا ﴾ أى تمادوا سفاهة لا احتياطا و شجاعـة، قال الرازى فى اللوامع: و اللجاج تقحم الأمر مع كثرة الصوارف عنـه ﴿ فى عتو ﴾ أى مظروفين لعناد

١٥ و تكبر عن الحق و خروج[8] إلى فاحش الفساد[9] ﴿ و نفوره ﴾ أى

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يسوغوا (٥) زيد فى الأصل لعجزوا عن اساغتها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: و كان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الغيب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: خروجا (٩) من ظ و م، و فى الأصل: العباد.

شراد عن حسن النظر / و الاستماع، دعا إليه الطباع، و استولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع أنه لا قوة لأحد منهم فى جلب سار و لا دفع ضار، و الداعى إلى ذلك الشهوة و الغضب .

و لما كان هذا فعل من لا بصر له و لا بصيرة، سبب عنه قوله ممثلا للموحد و المشرك بسالكين و لدينيهما بمسلكين: ﴿ افمن يمشى ﴾ أى ٥ على وجه[1] الاستمرار ﴿ مكبا ﴾ أى داخلا بنفسه فى الكب و صارا إليه، و هو السقوط ﴿ على وجهه ﴾ و هو كناية عن السير على رسم مجهول و أثر [معوج -[2]] معلول، على غير عادة العقلاء لخلل فى أعضائه، و اضطراب فى عقله و رأيه، فهو كل حين يعثر فيخر[3] على وجهه، لأنه لعدم نظره يمشى فى أصعب الأماكن[4] لإمالة الهوى له عن المنهج المسلوك، ١٠ و غلبة الجهل عليه فهو بحيث لا يكون تكرار[5] المشاق عليه زاجرا[6] [له - [2]] عن السبب الموقع له فيه، و لم يسم سبحانه و تعالى ممشاه طريقا لأنه لا يستحق ذلك .

و لما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل اتفاقا قال: ﴿ اهدى ﴾ أى أشد هداية ﴿ امن يمشى ﴾ دائما مستمرا ﴿ سويا ﴾ قائما ١٥ رافعا رأسه ناصبا وجهه سالما من العثار لأنه لانتصابه يبصر ما أمامه و ما عن يمينه و ما عن شماله ﴿ على صراط ﴾ أى طريق موطأ واسع[7]

(١) فى ظ و م: سبيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيخروج (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المسالك (٥) فى ظ و م: تكرر . (٦) من ظ و م، وفى الأصل: زجرا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: واسعا.

مسلوك [١] سهل قويم [١] ﴿مستقيم ه﴾ اي هو فى غاية القوم ، هذا مثل من رضى بالله ربا و بالإسلام دينا فانه يتبع الفطرة الأولى السليمة عن شهوة أو غضب أو شائبة حظ ، و الأول مثل الكافر ، حاله فى سيره إلى الله حال المكب أى الذى كب نفسه بغاية الشهوة [٢] على وجهه ، لا يرى ما حوله

٥ و لا يشعر بما أحاط به ، و لا ينظر فى الآيات و لا يعتبر بالمسموعات [٣] ، فهو اليوم شىء باطن لظهر يوم القيامة فيحشر على وجهه إلى النار جزاء لرضاه بحالته هذه فى هذه الدار فيظهر له سبحانه ما أبطن [له - [٤]] اليوم ، و المؤمن بخلاف ذلك فيهما ، و الآية من الاحتباك : ذكر الكب أولا دليلا عل ضده ثانيا ، و المستقيم ثانيا دليلا على المعوج أولا ، و سره

١٠ أنه ذكر أنكأ ما للجرم و أسر ما للسلم .

و لما كان العرب الموعوظون بهذا الذكر [٥] يتغالون فى التفاخر بالهداية [٥] فى الطرق المحسوسة و عدم الإخلال بشكر المعروف لمسديه و لو قل ، فنفى عنهم الأول بقيام الأدلة على خطائهم الفاحش فى كل ما خالفوا فيه الرسول صلى الله عليه و سلم من طريقهم المعنوى الذى

١٥ /٤٣٩ اتخذوه دينا ، فهو اشرف من الطريق المحسوس ، أتبعه / بيان انسلاخهم من [الثانى مع التأكيد لانسلاخهم من - [٤]] الأول ، قال آمرا للرسول صلى الله عليه و سلم بتنبيههم لأن الإنسان على نوعه أقبل لأنه إليه أميل ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : السهولة .
(٣) من ظ وم ، و فى الاصل : فى المسموعات (٤) زيد من ظ وم (٥-٥) من ظ وم ، وفى الأصل : يتفافلون بالتفاذ فى الهداية .

إسقاطا

إسقاطا[1] لهم من رتبة الفهم عن الله سبحانه و تعالى لسفول هممهم[2] و لقصور نظرهم مع أنه جعل لهم حظا ما من الحضور بتأهيلهم لخطاب الرسول صلى الله عليه و سلم لإقامتهم بالمذكور فى الآية فيما[3] يرجى معه العلم و يورث الفطنة [و - [4]] الفهم: ﴿ قل ﴾ أى يا أشرف الخلق و أشفقهم[5] عليهم مذكرا لهم بما[6] دفع عنهم الملك من المفسدات و جمع ٥ لهم من المصلحات و القوى و العقل ليرجعوا إليه، و لا يعولوا فى حال من أحوالهم إلا عليه، و ينظروا فى لطيف صنعه و حسن تربيته فيمشى كل منهم سويا: ﴿هو ﴾ أى الله سبحانه و تعالى ﴿ الذىٓ ﴾ شرفكم بهذا الذكر و بين لكم هذا البيان وحده الذى[7] ﴿ انشأكم ﴾ أى أوجدكم و درجكم فى مدارج التربية حيث طوركم فى أطوار الخلقة فى ١٠ الرحم و يسر لكم بعد خروجكم [الخروج - [4]] اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن أكثف منه.

و لما كان من[2] أعظم النعم الجليلة[2] بعد الإيجاد العقل، اتبعه به، [و بدأ - [4]] بطريق تنبيهه فقال: ﴿ و جعل لكم ﴾ أى خاصة مسببا عن الجسم الذى أنشأه ﴿ السمع ﴾ [أى - [4]] الكامل لتسمعوا ١٥

---

(١) من ظ، و فى الأصل و م: اسقط (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مع ما (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: شفقتهم (٦) زيد فى الأصل: تبسح عليهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: بقوته الباهرة.

ما [1] تعقله قلوبكم [1] فيهديكم، و وحده لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه فى القلوب بغاية المفاوتة مع أنه أعظم الطرق الموصلة للمعانى إليها ﴿ و الابصار ﴾ لتنظروا صنائعه فتعتبروا و تزدجروا [2] عما يرديكم [3] ﴿ و الافئدة [4] ﴾ أى القلوب التى جعلها سبحانه فى غاية التوقد [4]

٥ بالإدراك لما [لا - [5]] يدركه بقية الحيوان لتتفكروا فتقبلوا على ما يعليكم، و جمعا لكثرة التفاوت فى نور الأبصار و إدراك الأفكار، و هذا تنبيه على [إكمال - [5]] هذه القوى فى درك الحقائق بتلطيف السر لتدقيق الفكر، قال الشيخ ولى الدين الملوى: انظر إلى الأفئدة كيف تحكم بأن الاثنين أكثر من الواحد، و أن الجسم الواحد

١٠ لا يكون فى مكانين [6] فى آن واحد، و أن الضدين لا يجتمعان - و غير ذلك مما لا يخفى.

و لما كان التقدير: فشيتم [7] مشى المكب على وجهه فلم تستعملوا شيئا من هذه الأسرار الشريفة فيما خلق [8] له، كانت ترجمة ذلك: ﴿ قليلا ﴾ و أكد المعنى بما صورته صورة النافى فقال: ﴿ ما ﴾ و لما زاد تشوف

١٥ النفس إلى العامل فى وصف المصدر دل عليه سبحانه و تعالى بقوله:

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: تعقلون بقلوبكم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تنزجروا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يردكم (٤) زيد فى الأصل: بالنفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المكانين (٧) من م، و فى الأصل و ظ: مشيتم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: خلقت.

﴿ تشكرون ﴾ اى توقعون الشكر لمن أعطاكم ما لا تقدرون قدره باستعماله /فيما خلق لأجله و أنكم تدعون أنكم أشكر الناس للإحسان و أعلام /٤٤٠ [في - ١] العرفان .

و لما دل سبحانه على بعدهم عن الهداية وعن الشكر الذين[٢] يفخرون على[٣] الناس كافة بكل منهما ، واستعطفهم بما أودع فيهم من اللطائف ٥ الربانية الروحانية المقتضية بنورانيتها للعروج إلى مواطن القدس و معادن الأنس ، دل على قدرته على حشرهم تحذيرا لهم من التمادي في الإعراض بمعنى يجده كل منهم في نفسه على وجه دال على كمال قدرته بما أودع فيهم مع تلك اللطائف من كثائف طباع الارض الموجبة للسفول ليكون - إذا أعلته تلك اللطائف بالتوبة - مجتهدا في تنقية آثار تلك الكثائف ١٠ المسفلة كما يكون للزرع إذا حصد من بقايا تلك الجذر التى إن لم تقلع من أصلها عادت بالنبات إلى ما كان عليه الزرع أولا ، فقال مستأنفا بيانا لأنه دليل برأسه كاف فيما سبق له : ﴿ قل هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ذرأكم ﴾ أى خلقكم و بثكم و نشركم وكثركم و أنشأكم بعد ما كنتم كالذر أطفالا ضعفاء ، ثم قواكم ثم جعلكم شيبا ضعفاء و أسكنكم الغضب[٤] والذعر و اللجاج ١٥ الحامل لكم على الولوع بما يلجيء إليه الطباع المثيرة ﴿ فى الارض ﴾ التى تقدم أنه ذللها لكم و رزقكم منها النبات الذى تقدم أن[٥] إبداءه منها

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : الذى (٣) من ظ و م ، وفي الأصل : عنه (٤) من ظ و م ، و في الأصل : الشيب (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : انه .

ثم رده إليها [و ـ [1]] إفنأته فيها ثم إعادته كما كان بعد ان صار رفاتا وشيئا فانيا مماتا دليل على القدرة[2] عـلى البعث، لا فرق فى ذلك بينه وبينكم أصلا، فكان منه البدأ ﴿واليه﴾ [3] وحده ﴿تحشرون ه﴾ شيئا فشيئا إلى[4] البرزخ [و ـ [5]] دفعة واحدة يوم البعث على أيسر وجه بمن[6]
٥ أراد من عباده كرها منكم كما كان أمركم فى الدنيا، فانه لم يكن إلى الإنسان منكم أحب من الدعة والسكون، فكأن سبحانه يضطره بما أودعه من الطبائع المتضادة وأثار له من الأسباب فى طلب رزقه وغير ذلك من أمره إلى السعى إلى حيث يكره، فكما أنه قدر على ذلك منكم فى الابتداء فهو يقدر على مثله فى الانتهاء، ليحكم[7] بينكم ويجازى كلا
١٠ [8]على عمله[8] كما يفعل كل ملك برعيته، وكل إنسان منكم بجماعته.

ولما كان التقدير: فلقد أبلغ سبحانه فى وعظهم بنفسه وعلى لسانك يا أشرف الخلق[9] [10]صلى الله عليه وسلم وذلك[10] بما هدى إليه السياق قطعا، ذكر حالهم عند ذلك فقال إعلاما بكثافة طباعهم حيث لم تلطف / أسرارهم لقبول محبة الله تعالى وإثارة[11] الأحوال الحسنة /٤٤١

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: ودليل القدرة، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها. (٤) من ظ وم، وفى الأصل: عـلى (٥) زيـد من ظ وم (٦) من ظ وم، وفى الأصل: بما (٧) من ظ وم، وفى الأصل: ويحكم (٨-٨) من ظ وم، وفى الأصل: بعمله (٩) فى ظ وم: العباد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (١١) من ظ وم، وفى الأصل: امارة.

من

من الصبر المثبت و اليقين وحسن الانطباع لقبول النصائح و الخوف
وعدم الاعتزاز بأحد غير الله تعالى من جهة نفع أو ضر ، [1]وكذلك[1]
لفت القول إلى الإعراض إيذانا بشديد الغضب منهم[2] : ﴿ويقولون﴾
أي يجددون هذا القول تجديدا مستمرا استهزاء و تكذيبا ، ويجوز أن
يكون[3] حالا من الواو في [« بل -[4]] لجواء : ﴿ متى هذا ﴾ و زادوا ٥
في الاستهزاء بقولهم: ﴿ الوعد ﴾ و ألهبوا و هيجوا إيضاحا للتكذيب
[على زعمهم - [4]] بقولهم: ﴿إن كنتم ﴾ جبلة و طبعا[5] ﴿صدقين ﴾
في أنه لابد لنا منه ، و أنكم مقربون عند الله ، فلوكان لهم ثبات الصبر
و اليقين لما طاشوا هذا الطيش بابراز هذا القول القبيح الذي ظاهره طلب
الإخبار بوقت الأمر المتوعد به ، و باطنه الاستعجال به استهزاء و تكذيبا. ١٠

و لما كان قولهم هذا مع أنه استعجال بأمر الساعة استهانة بها حتى
أنه[6] عندهم كأنها من قبل الوعد الحسن و هو متضمن لإيهام أنها مما
يطلع [الخلق - [4]] على تعيين وقته ، نفى ذلك بيانا لعظمتها بعظمة من
أمرها بيده فقال آمرا له بجوابهم مؤذنا [7]بدون ذلك[7] الإعراض
لأنهم لا ينكرون عليه تعالى ذلك الإنكار: ﴿ قل ﴾ يا أكرم الخلق ١٥
منبها لهم على تحصيل[8] اليقين بأن ما علموه و حكموا بعلمهم فيه و ما لا

(١-١) من ظ وم ، وفي الاصل : فلذلك (٢) زيد في الأصل: فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد في الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد في الأصل : خبيثا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) في م : انها (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : بذلك (٨) من ظ و م ، و في الأصل : سبيل .

ردوا علمه إلى الله : ﴿ انما العلم ﴾ أي[1] المحيط من جميع الوجوه بما سألتم عنه من تعيين زمان هذا الوعد و غيره ، و لأجل إظهار فضل العلم اللازم من كماله تمام القدرة صرف القول عن عموم الرحمة إلى إفهام العموم المطلق بالاسم الأعظم فقيل : ﴿ عند الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بجميع
٥ صفات الكمال، فهو الذي يكون عنده و بيده جميع ما يراد منه ، لا يطلع عليه غيره ، و هيبته تمنع العالم بما له من العظمة[2] أن يجترئ على سؤاله عما لم[3] يأذن [فيه - [4]] ، و عظمته تقتضى الاستئثار بالأمور العظام ، و إلى ذلك يلوح قوله تعالى : ﴿ و انمآ انا ﴾ و لما كان السياق للتهويل و التخويف ، و كانت النذارة يكفى فيها تجويز [5] وقوع المنذور[5] بـه
١٠ فكيف [إذا - [6]] كان مظنونا فكيف إذا كان معلوم الوقوع فى الجملة ليكون العاقل متوقعا له فى كل وقت قال : ﴿ نذير ﴾ أي[7] كامل فى أمر النذارة التى يلزم منها البشارة لمن أطاع النذر[8] لا وظيفة لى عند هذا الملك الأعظم غير ذلك ، فلا وصول لى إلى سؤاله عما لا يأذن لى فى السؤال عنه .
١٥ و لما كان النذير قد لا يقدر على إقامة الدليل على ما ينذر به لأنه يكفى العاقل فى قبوله غلبة الظن بصدقه بل إمكان صدقه فى التحرز[9]

---

(١) زيد فى الأصل : العلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الوقوع للمنذور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : النذارة (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : التحذر .

عما ينذر به، بيّن انه ليس كذلك فقال: ﴿مبين ٥﴾ أى كاشف للنذرى غاية الكشف باقامة / الأدلة عليها حتى تصير كأنها مشاهدة لمن له قبول للعلم .

/٤٤٢

و لما كان ما ينذر به لابد من وقوعه، و كان كل آت قريبا، عبر عن ذلك بالفاء و الماضى فقال صارفا المقول إلى الإعراض لأن وقت ٥ الرؤية للعذاب فى غايـة المناسبة للاهانة: ﴿ فلما رأوه ﴾ أى الوعد بانكشاف الموعود به عند كونه، و حقق معنى الماضى و الفاء بقوله: ﴿ زلفة ﴾ أى ذا قرب عظيم منهم، و ذلك بالتعبير عن اسم الفاعل بالمصدر إبلاغا فى المعنى المراد و أكد المبالغة [بالتاء لأنها ترد للمبالغة - [1]] إذا لم يرد منها التأنيث، و لا سيما إن دلت قرينة أخرى على ذلك. ١٠

و لما كان المخوف فى النذرى الوقوع فى السوء لا بقيد كونه من معين قال: ﴿سيئت﴾ و لما كان السوء يظهر فى الوجه قال[2]: ﴿ وجوه ﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين كفروا ﴾ أى ظهر السوء و غاية الكراهة فى وجوه من أوقع هذا الوصف و لو على أدنى وجوه الإيقاع و علتها الكآبة . ١٥

و لما كان لا أوجع من التبكيت عند إحاطة المكروه من غير حاجة إلى تعيين فاعله، بنى للمفعول قوله: ﴿ و قيل ﴾ أى لهم تقريعا و توبيخا: ﴿ هذا الذى ﴾ [3] أى تقدم من عنادكم و مكركم و استكباركم[3]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فقال (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

﴿ كنتم ﴾ أي جبلة و طبعا ﴿ به ﴾ اى بسببه و من اجله ، و صرف القول إلى الخطاب لأن[1] التقريع به أنكأ [2] فى العذاب[2]: ﴿ تدعون ﴾ أى تطلبون و توقعون[3] الطلب له طلبا شديدا تبلغون فيه غاية الجهد على وجه الاستعجال أن يستنزل بكم مكروهه[4] فعل من لا يبالى به بوجه، ٥ و تكررون ذلك الطلب و تعودون إليه فى كل وقت معرضين عن[5] السعى فى الخلاص فيه[6] من عدوان العذاب و نيل الوعد الحسن بجزيل الثواب لبيان[7] قوة طلبهم له[8] و تداعيهم إليه استهزاء به حتى كأنهم لا مطلوب لهم غيره. قدم الجار المفيد غالبا للاختصاص فهو افتعال من دعا الشيء - [و -[9]] بالشيء إذا طلبه، و دعاه الله بمكروه: ١٠ أنزله به.

و لما كان من المعلوم أن من نهى آخر عن هواه و بالغ فى ذلك أبغضه ذلك الناهى و تمنى هلاكه، فكيف إذا والى عليه الإنذار و التخويف بما لا يصل إلى دركه عقله و لا يرى له مقدمة[10] بتحققها، و كان الكفار يسعون فى هلاك النبى صلى الله عليه و سلم و من تبعه ١٥ كل سعى، و كان هلاك[11] النذر إنما ينفع المنذر على تقدير نجاته من

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لا (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : العذاب. (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : تتوقعون (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : مكروه (٥) من ظ وم ، وفى الاصل : من (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : منه (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : بيان (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : به . (٩) زيد من ظ وم (١٠) من ظ وم ، وفى الأصل : مقدمته (١١) من ظ وم ، وفى الأصل : اهلاك .

هول ما كان يحذره منه النذير، امره سبحانه ان[1] يذكرهم بهذا لينظروا في ذلك المتوعد به، فان كان ممكنا سعوا في الخلاص مما قد يكون منه من العذاب، و سلكوا / في الهرب منه مسلكا سهلا بعيدا من سوء الانقلاب، و دخلوا إلى فسيح المانع منه من أوسع باب، أو كفوا[2] عن السعي في هلاك النذير و طووا ما مدوا له من الأسباب، ليدلهم ٥ إذا كان صادقا على شيء يحميهم أو يخفف عنهم ذلك المصاب، فقال منبها على شدة الحذر من مكر الله و عدم الاغترار [به - [3]] للمؤمن الطائع لعلمه، أنه لا يقدر أن يقدر الله حق قدره فكيف بالعاصي فضلا عن الكافر مكررا للامر بالقول تنبيها على أن كل جملة صدرت به كافية في الدلالة على مقصود السورة و عائدة إليه لما[4] اشتملت عليه ١٠ من باهر القدرة و وافر العظمة: ﴿ قل ﴾ أي [5] يا أفضل الخلق كلهم و أشرفهم و أعظمهم و أتقاهم [5] لهؤلاء الذين طال تضجرهم منك و هم يتمنون هلاكك [5] حسدا منهم و عمى في قلوبهم و بعدا و طردا، قد استحكم و استدار بهم ذلك تقدير العزيز العليم [5] ﴿ ارءيتم ﴾ أي أخبروني خبرا أنتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية. ١٥

و لما كانوا غير عالمين بعاقبة الأمر في هلاكه و من معه بما يقصدونهم به، حذرهم عاقبة ذلك بالتعبير بأداة الشك، و إسناد الإهلاك

/ ٤٤٣

---

(١) من ظ و م، وفي الأصل: بأن (٢) من ظ و م، وفي الأصل: و كفوا.
(٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، و في الأصل: الى ما (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

إلى اقه معبرا عن الإسم الدال على تناهي العظمة إلى حد لا يدع لغيره منها شيئا إعلاما بأنه على القطع بأنه لا شيء في أيديهم فهو لا يخافهم بوجه فقال : ﴿ إن اهلكني ﴾ أي أماتني بعذاب أو غيره ﴿ الله ﴾ [أي - [1]] الذي له من صفات [2] الجلال و الإكرام ما يعصم به وليه

٥ و يقصم به عدوه ﴿ و من معي ﴾ أي من المؤمنين و الناصرين رضي الله عنهم أجمعين بغضبه علينا مـــع ما لنا من الأسباب بالطاعة بالأعمال الصالحة التي رتب سبحانه عليها الفوز و النجاة حتى لا يبقى أحد [3] ممن يكدر عليكم بالمنع من الهوى القائد إلى [4] القوي و الحث على العقل الضامن للنجاة ﴿ او رحمنا ﴾ بالنصرة و إظهار الإسلام كما نرجو

١٠ فأنجانا [5] بـذلك من كل سوء و وقانا كل محذور و أنالنا كل سرور ، فالآية من الاحتباك : ذكر الإهلاك أولا دليلا عـلى النجاة ثانيا ، و الرحمة ثانيـا دليلا على الغضب أولا ﴿ فمن ﴾ و كان ظاهر الحال يقتضي : يجيركم مع طلبكم المسببات من الفوز و النجاة بغير أسباب بل بأسباب [6] منافية للنجاة جالبـــة للعذاب ، فوضع الظاهر موضع الضمير [7] تعميما

١٥ و تعليقا [7] للحكم بالوصف و استعطافا لهم إلى إيقاع الإيمان و الرجوع عن الكفران فقال : ﴿ يجير الكفرين ﴾ أي العريقين في الكفر بأن

---

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : احدا (٤) من ظ و م ، و في الأصل : علي (٥) من ظ و م ، و في الأصل : فأنجدنا . (٦) من ظ و م ، و في الأصل : اسباب (٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : تعليقا و تعميما .

يدفع[1] عنهم ما يدفع الجار عن جاره ﴿ من عذاب اليم ه﴾ يصيبهم به الذى[2] هم عالمون بأنه لا شيء [إلا - [3]] بيده، و إلا لنجى أحد من الموت الذى خلقه و قدره بين عباده جزاء على ما كانوا يؤلمون من يدعوهم إليه و ينصحهم فيه، فاذا كان لا / ينجيهم من عذابه شيء /٤٤٤
سواء متنا أو بقينا فالذى ينبغى لهم إن كانوا عقلاء السعى فيما ينجى من ٥ عذابه، لا السعى فى إهلاك من هو ساع فى خلاصهم من العذاب، و لا يقدرون على إهلاكه أصلا إلا بتقدير الذى أمره بانذارهم .

و لما كان لا يقدر على التعميم [بالنعمة - [3]] إلا من كان عام [4]القدرة و النعمة[4] و الرحمة، و كان التذكير بالنعم أشد استعطافا، صرف القول إلى التعبير بما هو صريح فى ذلك، فقال مذكرا بذلك لعلمهم بأنه ١٠ لا نعمة عليهم إلا منه واعترافهم بذلك ليحذروه و يتذكروا[5] عموم قدرته فيعلموا [قدرته - [3]] على البعث فينفصل النزاع: ﴿قل﴾ يا خير الخلق: ﴿هو﴾ أى الله وحده ﴿ الرحمٰن﴾ اى الشامل الرحمة لكل ما تناولته الربوبية، فلا يليق بعقل[6] عاقل أن يدع احدا من خلقه فى ظلم ظالمه فلا يأخذ له بحقه، لأن ذلك لا يرضاه أقل [7] الناس لنفسه [7] مع عجزه ١٥ فكيف بمن هو كامل القدرة و إلا لما قدر[8] على عموم الرحمة ﴿ 'امنا به ﴾

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بدبع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذين .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، وفى الأصل: يذكروا (٦) فى ظ و م: فى عقل (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: خلقه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: قدره .

أى أنا ومن آمن بى لهذا البرهان القاطع بأنه لايكافئه شيء فهو كاف فى الإيمان به ﴿ و عليه ﴾ أى وحده ﴿ توكلنا ج ﴾ لأنه لاشيء فى يد غيره و إلا لرحم من يريد عذابه أو عذاب من يريد رحمته، فكل ما جرى على أيدى خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذى أجراه لأنه الفاعل بالذات[1] المستجمع لما يليق به من الصفات، فنحن نرجو خيره و لا نخاف غيره، و قد أقررنا له بهذه[2] العبارة على وجه الحصر بالألوهية و الربوبية فلا نحتج [3]فى السلوك[3] إليه إلى معوق عن ذكره و التفكر فى آلائه و لو كان المعوق نفيسا فى ظاهر الحياة الدنيا و لو كان [4]مخوفا فانه[4] لا خوف معه سبحانه، فالتوكل[5] عليه منجاة[6] من كل هلكة مجلبة لكل ملكة، و لم يفعل كما تفعلون أنتم فى توكلكم على رجالكم و جاهكم و أموالكم.

و لما أبان هذا[7] طريق الصواب، و جلى كل ارتياب، و كان لابد من الرجوع إليه و الانقلاب، لإتمام الرحمة بالثواب و العقاب، سبب عنه قوله: ﴿ فستعلمون ﴾ اى عند[8] التجلى عليكم بصفة[9] القهر عما قليل بوعد لا خلف فيه ﴿ من هو ﴾ اى منا و منكم متداع بذاته ظاهرا و باطنا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: للذات (٢) من ظ و م، و فى الأصل: هذه.
(٣-٣) من ظ و م. و فى الأصل: بالسلوك (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: محقوقا لانه (٥) فى ظ و م: و التوكل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نجاة.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: بهذا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: عن.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: بصفات.

﴿ فى ضلٰل ﴾ أى[1] أخذ فى [غير -[2]] مسلك موصل إلى مقصد محيط به الضلال بحيث أنه لا قدرة له على الانفكاك منه إلا إن أطاع من يخرجه بيده فيخرجه منه ، و لما كان الشىء إذا كان فيه نوع لبس كان ربما اقتضى قبول العذر قال : ﴿ مبين ﴾ أى بين فى نفسه موضح لكل أحد أنه لا خفاء به. ٥

و لما افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته و تمام قدرته و تفرده فى مملكته ، و دل على ذلك بتفرده بالإماتة و الإحياء ، ختم بمثل ذلك بالماء الذى وجوده هو [3] سبب للحياة[3] / و عدمه سبب للموت ، فقال قارعا ٤٤٥ / بالتنبيه مشيرا بتكرير الأمر إلى مزيد التوبيخ و الزجر و التبكيت دالا على تعيين ما أبهم من اهل الضلال ، و مصرحا بما لوح [إليه -[2]] من ذلك ١٠ الإجمال : ﴿ قل ﴾ اى يا أعظم خلقنا و أعلمهم بنا : ﴿ ارءيتم ﴾ اى أخبرونى إخبارا لا لبس فيه [4] و لا خفاء[4] ، و لما كان شديد العناية بهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم ، سكن قلبه فى وعيدهم بالإشارة إلى الرفق بهم لأجله ، فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال : ﴿ ان ﴾ و لما كانت[5] النعمة أشد ما يكون إذا كانت فى الصباح الذى هو موضع ارتقاب[6] الفلاح قال : ١٥ ﴿ اصبح مآؤكم ﴾ أى الذى تعدونه فى أيديكم - بما نبهت عليه الإضافة .

و لما كان المقصود المبالغة ، جعله نفس المصدر فقال : ﴿ غورا ﴾

---

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ارتفاق .

أى نازلا فى الأرض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة - بما دل على ذلك الوصف[1] بالمصدر ﴿ فمن ياتيكم ﴾ على ضعفكم حينئذ و افتقاركم و انخلاع قلوبكم و اضطراب أفكاركم ﴿ بمآء معين ﴾ أى جار دائما لا ينقطع أو[2] ظاهرا للأعين[3] سهل المأخذ[4] إلا الله رب العالمين فانه هو
٥ القادر على ذلك[4]، فقد رجع ذلك الآخر كما ترى على ذلك الأول، و عانقه على أحسن وجه و أكمل - و الله أعلم .

سورة ن° و تسمى سورة القلم

مقصودها إظهار ما استتر، و بيان ما ابهم فى آية " فستعلمون من هو فى ضلال مبين " بتعيين المهتدى[6] الذى برهن على هدايته حيازته
١٠ العلم الذى هو النور الأعظم الذى لا يضل بمصاحبته بتقبل القرآن و التخلق بالفرقان الذى هو صفة الرحمن بقدر[7] الإمكان الذى تصل إليه قوة الإنسان، و أدل ما فيها على هذا الغرض «ن» و كذا و «القلم» فلذا سميت بكل منهما، و بالكلام على كل منهما يعرف ذلك[8]، و حاصله أن النون[9] مبين محيط[9] فى بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره

(١) من ظ وم، وفى الاصل: بالوصف (٢) من ظ وم، وفى الاصل: «و». (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٥) الثامنة و الستون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٥٢ (٦) من م، وفى الأصل و ظ: المبتدى (٧) زيد فى الأصل: صفة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الاصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: محيط معين .

و كما تحيط الدواة بمدادها بآية ما دل عليه [1] بمخرجه وصفاته [1]، و استقر الكلام الواقع فيها [2] و فى المعانى التى اشتركت فى لفظه، و أما [3] القلم فابانة للمعارف [4] أمر لا ينكر ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الإحاطة الكاملة فهو على كل شىء قدير لأنه بكل شىء عليم ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إيجاده لأهل معاده البرىء منهم و السقيم ﴿ الرحيم ﴾ الذى / أتم ٥ / ٤٤٦ تلك النعمة عـلى من وفقه لطاعته فألزمه الصراط المستقيم .

لما أبهم الضال و المهتدى فى آخر «الملك» و المسىء و المحسن فى العمل أولها، وختم بآية الماء المعين الذى دلت حروفه بمجموعها على تمام معناه، و دل كل واحد منها على شىء منه، فدلت ميمه على تمام شىء ظاهر، و عينه على آية هادية، و ياؤه على قائم ملطف متنزل مع كل مقام، ١٠ و نونه على مظهر مبين محيط بما أظهره، و ردهم سبحانه إليه بعد شرادهم [5] عنه بالاستفهام فى هذه الآية بما نبههم عليه من عجزهم و عجز كل من يدعونه من دونه و أنه لا يقدر على الإتيان بذلك الماء الذى هو حياة الأشباح بعد ذهابه إلا من تمت قدرته، فكان قادرا على كل ما يريد، و كان لا يقدر على [كل - [6]] ما يريده إلا من كمل علمه الذى يحيي ١٥ به ميت [7] الأرواح، دل على شمول قدرته بكمال علمه بما أفاده على هذا النبي الكريم الأمى من العلوم التى زخرت بحارها، فأحيي مدرارها،

(١-١) من ظ وم، وفى الأصل: صفاته ومخرجه (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بينهما (٣) من ظ وم، وفى الأصل: امر (٤) زيد فى الأصل: التى أشركت، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ، وفى الأصل وم: شواهدهم. (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفى الأصل: موت.

و أغرق تيارها، فافتتح هذه السورة بكلمة البيـان و هو اسم الحرف الذى هو آخر حروف تلك، و من لوازم بعض ما دل عليه الماء الذى هو الحياة المصححة، و نبه عـلى [1] نصبه له [1] سبحانه دليلا على العلم [2] بما دل عليـــه من مخرج مسماه و صفاته و مواقعه فى الكلم فى جميع
٥ تقلباته فقال: ﴿ نٓ ﴾ هذه الكلمة حرف من حروف المعجم و هى [3] اسم لمسمى به ظهور الأشياء و علمها و إدراكها كما دل عليه موقعه فى اسم النور و النار و النيل و النمو و النباهـــة و النقاء و النصح و النبأ و النجابة و النجاة و النحت و النحت و الندم، و قد تقدم فى البقرة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال: لكل كتاب سر و سر القرآن
١٠ هذه الحروف، و لا يعلم ما هى إلا واضعها سبحانه.

و لما كان هذا الحرف مشتركا فى اللغة بين حرف المعجم و الدواة و الحوت و شفره السيف، سكن للدلالة بادىء بدىء على أنه حرف، و لا يمنع إسكانه المتأصل فى البنـاء من إرادة بقية المعانى لأن العرب ربما سكنت الكلمة بنية الوقف تنبيها على عظمة معناها، فلا يلزم من
١٥ الإسكان عن غير عامل البناء، و قيل: النون اللوح، و النونة الكلمة من الصواب، و السمكة، فهو صالح لحرف المعجم الكلى الصالح [لكل- [4]] فرد، و عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اخر حروف [الرحمن- [4]] و الدواة لما يتأثر عنها من العلوم، و الحوت الذى على ظهره الكون

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: نفسه به (٢) من ظ و م، و فى الأصل: القلم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٤) زيد من ظ و م.

واسمه

واسمه اليهموت لما فى ذلك من عجائب القدر و الأسرار، و يكون الإقسام [1]وقع بالنون[1] سفلا و القلم علوا للاحاطة، و السيف لما يتأثر عنه[2] من جليل الآثار، و كيفما كان المراد فهو الإحاطة، و هو سر باطن لا يظهر، و إنما تظهر نتائجه، فهو[3] الحكم ونتائجه القضاء و القدر بالإشقاء أو[4] الإسعاد. ٥

و لما كان هذا الحرف آية الكشف للأشياء كان مخرجه أمكن المخارج و أيسرها و أخفها و أوسعها[5] و هو رأس المقول، فانه يخرج مما[6] بين طرف اللسان و فويق الثنايا[7] من اللثة، و هو أخرج من مخرج اللام و من مخرج الراء أيضا، و تسمى هذه الحروف [الثلاثة - [8]] الزلقية مع بقية حروف «فر من لب» لأن طرف كل شيء زلقة، ١٠ و النون أمكنها فى هذا المخرج و أشدها انطباقا فيما بين اللسان و اللثة، و هو مما كرر مسماه فى اسمه فانتهى إلى حيث ابتدأ، و اختص بكون عماده و قوامه الحرف الأقوى الأظهر ذا الرفعة و العلو و هو الواو و الزلقية التى هو أحدها ضد المصمتة [9] و هى أخف الحروف على اللسان و أكثرها امتزاجا بغيرها، و اما المصمتة فنعت[9] أن تنفرد بنفسها ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: وعلى النون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: و هو (٤) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هو أو سع (٦) فى م: ما (٧) زيد فى الأصل: و اللثة، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) زيد من ظ وم (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل.

فى لغة العرب فى كلمة هى أكثر من ثلاثة أحرف، بل لابد أن يكون
معها بعض الزلقية، و الألف خارجة [1]عن الصنفين[1] لأنها مجرد هواء
لا مستقر لها، فقد ناسبت بمخرجها لسعته و خفته و وصفها بالزلاقة التى
تقع لما اتصف بها من الحروف الكمال[2] غنية عن سواها و لا يقع
٥ لما لم يخالطها كمال فيما ذكر ما[3] ذكر من أن معناها البيان و الإظهار
و من صفاتها الجهر و بين الشدة و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال،
و الغنة الخارجة من الخيشوم إذا سكن، و كل هذا واضح فى العلم
الذى له الاتساع و الانتشار و التغلغل فى الأشياء الباطنة، و يشاركه الميم
فى الغنة كما أنه [يشاركه فى أن له حظا من الظهور و النون و هو
١٠ الأصل فى الغنة كما أنه -[4]] الأصل فى الظهور لما له من العلو بالعماد،
و هو أيضا من حروف الذبذبة و الزيادة التى لا تستقر / على حال فتقع /٤٤٧
مرة زوائد و أخرى اصولا كما أن العلم أيضا كذلك لا استقرار له بل مهما
وسعته اتسع، و مهما تركته اضمحل و انجمع، و هو من حروف الأبدال
التى تبدل من غيرها و لا يكون غيرها بدلا منها فلازب و لازم الميم
١٥ بدل من الباء بخلاف العكس كما أن العلم أصل يتبعه غيره و لا يكون
هو تابعا لغيره، و هى[5] من الحروف الصحيحة و ليست معتلة، و العلم
جدير بهذا الوصف و هو إذا كان مخفى[6] من الحروف المشربة و يقال

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : من الصفتين (٢) من ظ و م ، و فى الأصل بياض (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : يخفى .

لها المخالطة - بكسر اللام و فتحها، و هي التي اتسعت فيها العرب فزادتها
على التسعة و العشرين المستعملة / وهي[1] من الحروف الصم و هي ماعدا ٤٤٨/
الحلقية، [2]سميت بذلك لتمكنها في خروجها[3] من الفم و استحكامها
فيه، يقال للحكم المصتم [و - [3]] العلم أشد ما يكون مناسبة لهذا الوصف،
فقد انطبقت بمخرجها و جميع صفاتها على العلم الذي هو مقصود السورة ٥
فتبين حقا أنه مقصودها، و أما رتبة القلم في بيان[4] العلم و إظهاره
وكشف خفاياه و أسراره و بثه و إشهاره فهي بحيث لا يجهلها أحد
اتصف بالعقل، و مما يختص به هذا الحرف أنه يصحب كل حرف لأن
حده هو ما يعبر عنه التنوين الذي انتظامه بالحركات هو ما آيته العلم
المكمل [5] به الحياة [5] التي هي آية ما يعبر عنه هذه الحركات، فلما كانت ١٠
هذه الحركات آية على ما هو الحياة كان التنوين عقبها آية على ما به
كمال الحياة من العلم، و هو سبب لما به القيام من[6] الظهور، و من معناه
اسمه تعالى النور، ثم[7] هو اسم لكل ما يظهر ما[8] خفي باطنا كالعلم في
الإدراك الذي تظهر حقائق الأشياء بـه، و ظاهرا كالنيرين للعيون،
و سائر الأنوار الظاهرة و الباطنة، و ما هو وسيلة الظهور كالعيون مما ١٥

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: هو (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في الأصل.
(٣) زيد من ظ (٤) زيد في الأصل: اظهار، لم تكن الزيادة في ظ و م
فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، وفي الأصل: بالحياة (٦) من ظ و م، و في
الأصل: بل (٧) من م، وفي الأصل و ظ «و» (٨) من م، و في الأصل
و ظ: من.

به تشاهد الأشياء و يظهر [به - ١] صورها ، و الدواة التي منها مداد
ما كتب بالقلم في العوالم أعلاها و ادناها و كل آلة يتوصل بها إلى
إظهار صورة تكون تماما كماء المزن الذي هو مداد كل شيء كوّن الله
به الكائنات و البادئات « و جعلنا من الماء كل شيء حي » و منه معنى
٥ النجم النباتي الذي هو للشجر بمنزلة الفول للبشر متلبسا[٢] بالنور - بالفتح -
الذي فيه حظ من النور - بالضم - و الذرء الذي هو ظاهر في نفسه مظهر
لطرق الاهتداء ، وكذلك الأمر في النار المخلصة من رتبة ظلمتها التي
هي غايتها بالرماد ، و ابتداؤها بما يخرج منه من شجر و حديد و حجر .
و لما كان هذا الحرف اسما لما به ظهور أمر لم يختص بشيء من
١٠ المظهرات دون آخر بل شمل النور و الحاسة و المراد و المادة ، و لذلك
كان مع الكاف الذي هو علم التكوين سبب ظهور كل شيء " انما
قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون " و لصدقه على
[كل -[٣]] مظهر فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالدواة ففسر بما يستمد
منه القلم ، و ليلحظ موقعه في نجد فانه اسم لما ارتفع من الأرض
١٥ و ظهر في نفسه و أظهر غيره ، و في نهود الجارية و هو ظهور نهدها ،
[٤]و في[٤] النهب و هو ما أخذ أخذا ظاهرا كما قال صلى الله عليه و سلم[٥]
« و لا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم » و في
النفخ و النفع و النصر و النقر و النقب و ما أشبهها فانها كلها ظهور

---

(١) زيد من م (٢) في ظ و م : ملتبسا (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ
و م ، و في الأصل : وفق (٥) راجع صحيح مسلم - كتاب الإيمان .

و إظهار

و إظهار كالم و المن و النمؤ و لأجل علوه و استبطانه و أنه استغراق المظهر المبين كانت إقامته [1] يتعالى [2] الألف و هو الواو و انتهاؤه إلى مثل ما بدأ به ، و لكون الميم تماما كان قوامه بمتنزل كالألف التى هى الياء [3] فى قولك ميم ، و لرجوع الواو إلى علو الألف كان عمادها الألف فى قولك «واو» و هذه الحروف الثلاثة ظاهرة فى عالمين ظاهرهما المبدوء ٥ به [4] و باطنهما المختوم به ، فالنون الأولى يعبر بها عن نور الأبصار ، و الخاتمة يعبر بها عن نور القلب ، و لما كان الهاء وتر الدال ، و كان محيطا باطنا غيبا وجب أن يكون محل تضعيفه بالياء محل محيط [باطن - [5]] نازل الرتبة فى الغيب عن الهاء لوقوعه فى رتب العشرات و هو النون ، فكان ظاهرا بالإضافة [6] إلى خفاء الهاء باطنا بالإضافة [6] إلى ظهور الميم ، ١٠ فيكون بالنون ظهور الميم المعبر عن "الملك" الذى سبق فى السورة الماضية كما كان [7] شهادة الدال و ثبوته بالهاء . و لذلك انبنى تمام كل عمل على نور علم كما كان قوام ظاهر كل دال غيرها ، و كان النون مدادا [8] لمثل العلم الذى يظهر صورها بسطر القلم حتى أن آية ما بطن منه فأظهره القلم هو ما بطن دون الأرض من النون الذى عليه الأرض ١٥

---

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تعالى (٣) من م ، و فى الأصل : فى اليد ، و فى ظ : كانت هى الياء (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بها (٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧) زيد فى الأصل : قوام ظاهر كل ذال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مرارا .

الذى أول ما يطعمه أهل الجنة زيادة كبده مع الثور الذى عليه الأرض [أيضا -[1]] الذى يذبح لهم - على ما ورد فى الخبر، و قابل استبطان النون فى الأرض ظهور القاف على ظاهرها الذى هو جبل الزبرجد المحيط بالدنيا، و عن ذلك الاستيلاء على القلوب فى الدنيا إنما يكون
٥ بالعلم الذى هو حقيقة نون كما أن الاستيلاء على الأجسام فى ظاهر الدنيا إنما يكون بالقدرة التى هى حقيقة قاف على ما يظهر من إجالتى العلماء فى النون الأبطن و الملوك فى القاف الأظهر، و هذان الصنفان[2] من الخلق هما المستوليان على الناس بالإيالة و نفوذ الأمر، و لذلك أقيم المفصل من القرآن بحرفى قاف و نون، و اقترن أيضا هذان[3]
١٠ الحرفان فى كلمة القرآن و لفظ الفرقان اللذين هما فى ظواهر أسمائه، و إنما كان أول ما يطعمه أهل الجنة من الثور الذى عليه الدنيا الذى [كان -[4]] يرعى فى أطراف الجنة - على ما ورد عنه عليه أفضل الصلاة و السلام، لأن صورة الثور هى معنى ما هو الكد و الكدح[5] وجهد[6] العمل فى الأرض الذى قام عليه امر الدنيا، و لما كان أهل الدنيا أول
١٥ ما يراحون منه من أمر الدنيا تقديم أمر الكد بين يدى معاشهم فى الجنة، كان الذى [يذبح -[4]] لهم الثور الذى هو صورة ندم فيأكلونه فهو جزاء ما عملوا به فى دنياهم من حيث كانوا ذوى دين،

---

(١) زيد من م (٢) من ظ وم، و فى الأصل: الصفتان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، وفى الأصل: القدح. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: حمل.

فاستحقوا بذلك جزاء كدهم بما هو صورته، و اضيف لذلك زيادة[١] كبد النون التي[٢] هي صورة حظهم من أصل العلم فأطعموها و جوزوا بها، و روعي في أعمالهم حسن نيتهم في أصل دينهم، فلما اتوا عليها استقبلوا الراحة و الخروج عن الكلفة في معاشهم في الجنة، و الذي /جرهم به سبحانه إلى سنيّ هذه الرتبة ما أتقنه بحكمته من ثناء المفصل ٥ /٤٥٠ القرآني على حرفي القاف الذي به [٣]القوة و القهر[٣] و القدرة، و النون الذي بــه إظهار ذلك للعقل بنور العلم، [و -[٤]] ذلك أن القرآن نزله سبحانه مثاني، ضمّن ما عدا المفصل منه الذي [هو -[٤]] من قاف إلى خاتمة الكتاب العزيز، و فاتحته ما يختص بأولي العلم و الفقه من مبسوطات الحكم و محكمات الأحكام و مطولات الأقاصيص و متشابــه الآيات، ١٠ و السور المفتتحة بالحروف العلية[٥] الإحاطة الغيبيـة المنحى المستندة إلى آحاد الأعداد مما يختص بعلم ظاهرها خاصة الأمة، و يختص بأمر باطنها آل محمد صلى الله عليه و سلم، فلعلو رتبة إيراد ما عــــدا المفصل ثنى [٦]الحق تعالى[٦] الخطـاب و انتظمه في سور[٧] كثيرة العدد يسيرة عد الآي هي المفصل، ذكر فيها من أطراف القصص و المواعظ و الأحكام ١٥ و الأنباء و أمر الجزاء ما يليق بسماع العامة ليسهل عليهم سماعه و ليأخذوا

(١) من ظ و م، و في الأصل: لزيادة (٢) من ظ و م، و في الأصل: الذي.
(٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: القهر و القوة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: العالية (٦-٦) من م، و في الأصل: معالي، و العبارة من «ثنى» إلى «هي المفصل» ساقطة من ظ (٧) من م، و في الأصل: سيرة.

بحظ مما أخذ الخاصة ، و يتكرر على أسماعهم فى قراءة الأئمة له فى الصلوات المفروضة[1] التى لا مندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلقا مما يفوتهم من مضمون سائر السور المطولات ، فكان أحق ما افتتح به مفصلهم حرف القاف الذى هو وتر الآحاد حتى صارت عشرة ، ثم إذا ضربت[2] فى ٥ نفسها صارت مائة ، فافتتح به المفصل ليكون مضمون ما يحتوى عليه أظهر مما يحتوى عليه ما افتتح بالٓمٓ ، و لذلك كان صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقرأ فى خطبة يوم الجمعة سورة ["ق" -[3]] فيفتتح للعامة المتوجه بخطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص ، و فى مضمونها من معنى القدرة و القهر المحتاج إليه فى إقامة أمر ١٠ العامة ما فيه كفاية ، وشفعت بسورة «ن»[4] المظهرة ظاهر "ق" فخصوا بما فيه القهر و الإبانة ، و اختصت سورة «ن» من مقتضى العلم بما هو محيط بأمر العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين ، لأن القوة المعربة عن العلم ربما كان ضررها أكثر من نفعها ، كما قال بعض السلف : كل عز لم يوطده علم فالى ذل يؤول ، و كما كان جميع السور[5] ١٥ التسع و العشرين المفتتحة بالحروف المتضمنة للمراتب التسع فى التسعة و للعاشر الجامع للمراتب التسع بايتار[6] آحادها و العاشر الجامع يضرب

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المفروضات (٢) زيد فى الأصل : مثلها وفى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل من مقتضى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : المفصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تيار .

العشر

العشر الموتر فى نفسه قواما و إحاطة [فى جميع القرآن كذلك كان سورة «ق» و سورة «ن» قواما خاصا و إحاطة -[1]] خاصة بما يخص العامة من القرآن الذى يجمعهم الأرض بما أحاط من ظاهرها من صورة جبل "ق" و ما أحاط بباطنها من صورة حيوان «ن» الذين تمام أمرهم بما بين مددى إقامتها[2]، و بهذه السورة المفتتحة [بالحروف -[1]] ظهر ٥ اختصاص القرآن و تميز عن سائر الكتب لتضمنه الإحاطة / التى / ٤٥١ لا تكون إلا [3] للخاتم الجامع[3]، و اقترن من التفصيل فى سورها ما يليق باحاطتها، و لإحاطة معانيها و إبهامها كان كل ما فسرت به من معنى يرجع إلى مقتضاها صحيحا فى إحاطتها بمتنزلها[4] من أسماء الله و ترتبها فى[5] جميع العوالم فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لأنه كلما قصد وجها من التفسير لم يخرج ١٠ عن إحاطة ما يقتضيه، و مهما فسرت به [من -[6]] أسماء الله أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من [مثل -[5]] الأشياء أو صور الموجودات أو من أنها أقسام أقسم بها أو فواتح عرفت بها [7] السور أو [7] أعداد تدل على حوادث و حظوظ من ظاهر الأمر أو[8] باطنه على اختلاف رتب و أحوال مما أعطيه المنزل عليه صلى الله عليه و سلم ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اقامتها (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الاصل : للجامع الخاتم (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : مترتبها . (٥) من م ، و فى الأصل : من ، و العبارة من « و ترتبها » الى «أسماء الله» ساقطة من ظ (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة و (٨) من م ، و فى الأصل و ظ «و» .

من مقدار أمد الخلافة و الملك و السلطنة و ما ينتهى إليـــه أمره من ظهور الهداية و نحو ذلك بما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك وكل داخل فى إحاطتها ، و لذلك أيضا لا يختص بمحل مخصوص يلزمه علامة إعراب مخصوصة ، فمهما قدر[1] فى مواقعها من هذه السور[2] جرا أو رفعا أو نصبا فداخل فى إحاطة رتبتها و لم يلزمها[3] معنى خاص لما لم يكن لها انتظام ، لانها[4] مستقلات محيطات ، و إنما ينتظم [5]ما يتم معنى[5] كل واحد من المنتظمين بحصول الانتظام ، و ذلك يختص من الكلم بما يقصر[6] عن إحاطة مضمون الحروف حتى أنه متى[7] وقع استقلال و إحاطة فى كلمة لم يقع فيها انتظام[8] .

و لما كان قوام هذا الوجود بالسيف و القلم ، و كان ["نون"-[9]] مشتركا بين معان منها السيف و الدواة التى هى آلة القلم ، و اللوح الذى هو محل ما يثبت [10]من العلم[10] ، و كان السيف قد تقدم فى حيز القاف الذى افتتحت به سورة "ق" كما هو أنسب لتضمنه [11]القوة و القدرة و القهر[11] فى سورة الحديد بعد الوعظ و التهديد و التذكير بالنعم فى

---

(١) زيد فى الاصل : شك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : يكن منها (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : لأنه (٥-٥) من ظ و م ، و فى الاصل : معنى ما لا يتم . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يقتصر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من . (٨) زيد فى الأصل : و الله الهادى عنه للصواب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد من ظ و م (١٠ - ١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : القلم . (١١-١١) من ظ و م ، و فى الأصل : القهر و القوة .

السورة الواقعة بينهما ، ذكرهنا ما هو لحيز النون من آية العلم فقال مقسما [1]بعد حرف "ن" [1]: ﴿ و القلم ﴾ أى قلم القدرة الذى هو أول ما أبدعه الله، ثم قال له : اكتب ، فخط جميع الكائنات[2] إلى يوم القيامة فى اللوح المحفوظ حقيقة ، و فى ألواح صفحات الكائنات حالا ومجازا ، فأظهر جميع العلوم ، ثم ختم على فيه فلم ينطق و لا ينطق إلى يوم القيامة ، و الذى يكتب فيه[3] ٥ الخلق ما نولهم الله من تلك المعارف و الفهوم[4] ، و ذلك هو قوام أمور الدنيا ، و الإشارة به إلى القضاء الذى هو من نتائج «ن» لأنه من مصنوعات[4] الله الظاهرة التى اقتضت[5] حكمته سبحانه إيجادها و وجهه إلى تفصيل ما جرى به الحكم .

و لما كان الحاصل بالقلم من بث الأخبار و نشر العلوم على تشعبها ١٠ و الأسرار ما يفوق الحصر ، فصار[6] كأنه العالم المطيق و اللسن المنطيق ، و كان المراد به الجنس أسند إليه / كما يسند [إلى - [7]] العقلاء فقال: /٤٥٢ ﴿ و ما يسطرون ﴾ أى قلم القدرة ، و جمعه و أجراه مجرى أولى العلم للتعظيم لأنه فعل أفعالهم ، أو الأقلام على إرادة الجنس ، و يجوز أن يكون[8] الإسناد إلى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره ، إما الملائكة ١٥ إن كان المراد ما كتب فى الكتاب المبين و اللوح المحفوظ و غيره مما

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : على ما فيه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : له (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : منصوبات (٥) من ظ و م ، و الأصل : اختصت (٦) فى م : فكان (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : المراد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

يكتبونه ، و إما كل من يكتب منهم و من غيرهم حتى أصحاب الصحيفة الظالمة التى تقاسموا فيها على أن يقاطعوا بنى هاشم و [من - [1]] لافهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعون به ما شاؤا ، وكيف ما كان فهو إشارة إلى المقدر[2] لأنه إنما[3] يسطر ما قضى به و حكم .

٥ و لما كان المخاطب بهذا[4] صلى الله عليه و سلم قد عاشر المرسل إليهم دهرا طويلا و زمنا مديدا أربعين سنة و هو أعلاهم قدرا و أطهرهم خلائق و أمتنهم عقلا و أحكمهم رأيا [5]و أرأفهم[5] و أرفعهم[6] عن شوائب الادناس همة و أزكاهم نفسا بحيث أنه لا يدعى بينهم إلا بالأمين و لم يتجدد له شيء يستحق به أن يصفوه بسببه بالجنون الذى ينشأ عنه

١٠ الضلال عن المقاصد المذكور آخر الملك فى قوله " فستعلمون من هو فى ضلل مبين" إلا[7] النعمة التى ما نال أحد [قط - [1]] مثلها فى دهر من الدهور و لا عصر من الأعصار ، قال مجيبا هذا القسم العظيم[8] رادا عليهم بأجلى ما يكون و أدله على المراد تأنيسا له صلى الله عليه و سلم مما أوجب افتراؤهم عليه [له - [1]] من الوحشة و شرحا

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المقدور (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٤) زيد فى الأصل : النبى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ارفهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى هو (٨) زيد فى الأصل : ن و القلم و ما يسطرون ما انت بنعمه ربك بمجنون و انك لعلى خلق عظيم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لصدره

لصدره و تهدئـــة لسره: ﴿ مآ انت ﴾ أى يا اعلى المتأهلين لخطابنا ﴿ بنعمة ﴾ أى بسبب إنعام[1] ﴿ ربك ﴾ المربى لك بمثل[2] تلك الهمم العالية و السجايا الكاملة بأن خصك بالقرآن الذى هو جامع لكل علم و حكمة، و أكد النفى زيادة فى شرفه صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿ بمجنون ج ﴾ أى [بل - [3]] الذى وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون و معناه ٥ فضلا عن الضلال الذى[4] ردد فى آخر تلك بينك و بينهم فيه سلوكا لسبيل الإنصاف لينظروا فى تلك بالأدلة فيعلموا[5] ضلالهم و هدايتك بالدليل القطعى بالنظر فى الآثـار المظهرة لذلك غاية الإظهار، فنفى عنه صلى الله عليه و سلم الشقاوة التى سببها[6] [فساد العقل فثبتت السعادة التى سببها - [3]] صلاح العقل و نعمة الرب له. ١٠

[و - [3]] قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما تضمنت سورة الملك[7] من عظيم البراهين ما يعجز العقول عن استيفاء الاعتبار ببعضه كالاعتبار بخلق السماوات فى قوله تعالى " الذى خلق سبع سمٰوٰت طباقا " أى يطابق بعضها بعضا[8] من طابق النعل - إذا خصفها طبقا على طبق، و يشعر هذا بتساويها فى مساحة أقطارها و مقادير أجرامها - و الله أعلم، و وقع / الوصف ١٥ /٤٥٣

(١) من ظ وم، و فى الأصل: معرفتك (٢) من ظ وم، و فى الأصل: بمثلك.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ وم، وفى الأصل: التى (٥) زيد فى الأصل: فى ذلك. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: به سلبها (٧) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: من بعض.

بالمصدر يشعر باستحكام مطابقة بعضها لبعض إنباءاً منه سبحانه و تعالى
أنها من عظم أجرامها و تباعد أقطارها يطابق بعضها [بعضا - [1]] من
غير زيادة و لا نقص " ما ترى فى خلق الرحمٰن من تفاوت " أى
من اختلاف و اضطراب فى الخلقة أو تناقض، إنما هى مستوية مستقيمة،
٥ و جىء بالظاهر فى قوله تعالى " ما ترى فى خلق الرحمٰن من تفاوت "
و لم يقل : ما ترى فيه من تفاوت - ليشعر أن جميع المخلوقات جار على هذا،
كل شكل يناسب شكله ، لا تفاوت فى شىء من ذلك و لا اضطراب،
فأعطى الظاهر [2] من التعميم [2] ما لم يكن يعطيه الإضمار كما أشعر خصوص
اسم الرحمن بما فى هذه الأدلة المبسوطة [3] من الرحمة للخلائق لمن رزق
١٠ الاعتبار، ثم نبه تعالى على ما يرفع الريب و يزيح [4] الإشكال فى ذلك
فقال : " فارجع البصر " أى عاود الاعتبار [5] و تأمل ما تشاهده من
هذه [6] المخلوقات حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة و لا يبقى معك
فى ذلك شبهة " هل ترى من فطور " أى [من - [1]] صدوع
و شقوق ، ثم أمر تعالى بتكرير البصر [7] فيهن متصفحا و متمتعا هل تجد
١٥ عيبا أو خللا " ينقلب اليك البصر خاسئا " أى إنك إذا فعلت هذا
رجع بصرك بعيدا عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : للتعميم (٣) زيد فى الأصل : من الرحمن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يزيل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : البصر (٦) سقط من ظ وم (٧) زيد فى الأصل : وترد ده مرتين، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.

بالصغار

بالصغار و بالإعياء و بالكلال[1] لطول الإجالة و الترديد، وأمر برجوع البصر[2] ليكون فى ذلك استجمامه و استعداده حتى لا يقع بالرجعة الأولى [التى - [3]] يمكن فيها [الغفلة و - [3]] الذهول إلى أن يحسر بصره من طول [المعاودة إذ معنى التثنية فى قوله «كرتين» التكرير كقولهم : لبيك و سعديك، فيحسر البصر من طول - [3]] التكرار و لا يعثر على ٥ شىء من فطور، فلولم تنطو السورة على غير ما وقع من أوله إلى هنا لكان فى ذلك أعظم معتبر، و أوضح دليل لمن استبصر، إذ هذا الاعتبار بما ذكر من عمومه جار فى[4] كل المخلوقات و لا يستقل بفهم مجاريه[5] إلا أحاد من العقلاء بعد التحريك و التنبيه، فشهادته بنبوة الآتى به قائمة واضحة، ثم قد تكررت فى السورة دلالات[6] كقوله "و لقد زينا السماء ١٠ الدنيا بمصابيح" و قوله " الايعلم من خلق [7]و هو اللطيف[7] الخبير" الآيات إلى آخر السورة، و أدناها كاف فى الاعتبار فانى يصدر بعض عن متصف ببعض ما هزؤا به فى قولهم : مجنون [و - [3]] ساحر و شاعر [7]و كذاب، "كلا[7] بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين اتبعت بتنزيه الآتى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل : بالكلام (٢) زيد فى الأصل : و تردده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ : على (٥) من ظ و م، و فى الأصل : مجارى (٦) من ظ و م، و فى الأصل : دلالة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

بها محمد صلى الله عليه و سلم عما تقوله المبطلون مقسما على[1] ذلك زيادة فى التعظيم، تأكيدا / فى [2] التعزيز و التكرير[2] فقال تعالى: ["ن - [3]] و القلم و ما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون" و أنى يصح [من مجنون - [3]] تصور بعض تلك البراهين قد انقطعت دونها أنظار العقلاء فكيف ٥ ببسطها و إيضاحها فى نسق موجز، و نظم معجز، و تلاؤم يبهر العقول، و عبارة تفوق كل مقول[4]، تعرف و لا تدرك، و تستوضح سبلها فلا تسلك "قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله" فقوله سبحانه و تعالى "ما أنت بنعمة ربك بمجنون" جوابا لقوله تعالى [فى - [3]] آخر السورة إنه لمجنون. و تقدم الجواب بنفى ١٠ قولهم و التنزيه عنه على حكاية قولهم ليكون أبلغ فى إجلاله صلى الله عليه و سلم و أخف وقعا عليه و أبسط لحاله فى تلقى[5] ذلك منهم، و لهذا قدم مدحه صلى الله عليه و سلم بما خص به من الخلق العظيم، فكان هذا أوقع فى الإجلال من تقديم قولهم ثم رده إذ كسر سورة تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزيه عنها أتم فى الغرض و أكمل، و لا ١٥ موضع أليق [6] بذكر تنزيهه[6] عليه الصلاة و السلام، و وصفه من الخلق و المنح الكريمة بما وصف بما[7] أعقب به ذلك إذ بعض ما تضمنته

٤٥٤ /

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: التعرير و التكريم (٣) زيد من ظ و م (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تلك (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: تنزيهه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بما.

سورة الملك بما تقدم الإيماء إليه شاهد قاطع لكل عاقل متصف بصحة نبوته صلى الله عليه و سلم و جليل صدقه " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " فقد تبين موقع هذه السورة هنا، و تلاؤم ما بعده من آيها يذكر في التفسير - انتهى.

و لما نفى سبحانه عنه صلى الله عليه و سلم ما قالوه مما تواقحوا به، ٥ فثبت له صلى الله عليه و سلم كمال العقل، و كان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم و لا قول يرتبط، فلا يستعمله أحد في شيء ليكون له عليه أجر، أثبت له الأجر[1] المستلزم للعقل فيتحقق إثباته من أحكم الحكماء على وجه أبلغ مما [لو -[2]] صرح به، فقال على وجه التأكيد لإنكارهم[3] له بما ادعوا فيه من البهت: ﴿ و ان لك ﴾ أى على ١٠ ما تحملت[4] من اثقال النبوة و على صبرك عليهم بما يرمونك به و هو تسلية له صلى الله عليه و سلم ﴿ لاجرا ﴾ و لما اثبت له ما يلازم[5] العقل و يصلح لأن يكون في الدنيا و أن يكون في الآخرة دالا بتنوينه و ما أفهمه السياق من مدحه صلى الله عليه و سلم على عظمته، و كان الأجر لا يستلزم الدوام، وقد يكون منغصا بنوع /منة قال: ﴿ غير ممنون ج ﴾ ١٥ / ٤٥٥ أى مقطوع و لا منقوص في دنياك[6] و لا في آخرتك[7] و لا لأحد

(١) زيد في الأصل: المستعمل، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م، و في الأصل: لا بكلام (٤) زيد في الأصل: به، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و في الأصل: يلايم.
(٦) في ظ و م: دينا (٧) في ظ و م: آخرة.

من الناس عليك [به - [1]] صنيع [2] يمتن به بأن يذكره [3] على سبيل اللوم و التقريع ، فهذا [4] بيان السعادة ، و الآجر لا يكون إلا على [5] العمل الصالح ، و العمل رشح الأخلاق ، فصالحه نتيجة الأخلاق الحسنة و العقل الراجح .

٥ و لما ثبت بهذا العقل مع ما أفاده من الفضل ، و كان الذى يؤجر قد يكون فى أدنى رتب العقل ، بين أنه صلى الله عليه و سلم فى اعلاها بقوله مؤكدا لما مضى : ﴿ و انك ﴾ و زاد فى التأكيد لزيادتهم فى المكابرة فقال : ﴿لعلى خلق﴾ و لما أفهم [6] السياق التعظيم، صرح به فقال : ﴿عظيم ۝﴾ و هو الإسلام الذى دعا إليه القرآن، لا بالبلاء

١٠ ينحرف [7] ، و لا بالعطاء ينصرف ، لأن خلقه - بشهادة أعرف الناس به زوجه أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنهما - القرآن ، فلا يتحرك و لا يسكن إلا بأمره و نهيه ، فهذا الخلق نتيجة الهدى و الهدى نتيجة العقل ، و هو سبب السعادة ، فأفهم ذلك عدم [8] سعادتهم لعدم عقولهم . [و - [1]] قال الواسطى : أظهر الله قدرته فى

١٥ عيسى عليه الصلاة و السلام و نفاذه فى آصف ، و سخطه و قهره فى

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الاصل : حتى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يذكر (٤) زيد فى الأصل : على سبيل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اعلى (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المعرف (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : سبب عداوتهم .

عصى موسى عليه الصلاة و السلام و أطهر اخلاقه و نعوته فى محمد صلى الله عليه و سلم ، فكان متخلقا بأخلاق الله تعالى و التخلق بأخلاقه أن ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم و حلمه عن السفه ، و اعلم أن الخلق و الخلق صورتان : الخلق صورة الظاهر ، و الخلق صورة الباطن ؛ فتناسب[1] الأعضاء الظاهرة يعبر به عن الخلق ٥ الحسن ، و تناسب المعانى الباطنة يعبر به عن الخلق الحسن ، ثم الخلق الحسن تارة مع الله ، و تارة مع حكم الله ، و تارة مع الخلق ، فمع الله بالتعظيم و الإجلال و مع حكمه[2] بالصبر[3] فى الضراء و البأساء[3] و الشكر فى الرخاء و الامتثال للأوامر و الانزجار عن النواهى عن طيب قلب مسارعة و سماحة ، و حسن الخلق مع الخلق بث النصفة فى المعاملة و حسن ١٠ المجاملة فى العشرة[4] ، روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم [أنه -[5]] قال : الخلق وعاء الدين ، لأن من الخلق يخرج الدين ، و هو الخضوع و الخشوع و بذل النفس لله و احتمال المكروه .

و لما كان الإسلام أشرف الأديان ، أعطاه الله تعالى أقوى الأخلاق و أشرفها و هو الحياء كما روى أن لكل دين خلقا و خلق الإسلام ١٥ الحياء ، و من الحياء حياة القلب ، فكان صلى الله عليه و سلم يأخذ العفو[6]

---

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : فناسب (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : حكم الله.
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالبأساء و الضراء (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العرف .

و يامر بالعرف[1] و يعرض عن الجاهلين و لا يجزى [2] بالسيئة السيئة[2] لكن يعفو و يصفح و يحسن مع ذلك و يجذب[3] بردته حتى يؤثر فى عنقه فيلتفت و هو يضحك و يقضى حاجة الجاذب[4] و يحسن إليه، فقد اشتمل الكلام التدبيرى المشار إليه بالنون و القضاء الكلى التأثيرى[5]

٥ المشار إليه بالقلم و القدر المبرم التفصيلى الواقع على وفق القضاء المشار إليه بالسطر، و مثال ذلك أن[6] من أراد بناء دو لاب احتاج [أولا - [7]] إلى مهندس يدبر له بعلمه موضع [8] البئر و المدار[8] و موضع المحلة[9] و موضع السهم و موضع الجداول، و نحو ذلك و هو الحكم التدبيرى[10]، و ثانيا إلى صانع يحفر البئر و يبنى و نجار يركب الأخشاب على وفق حكمة

١٠ المهندس، و هو القضاء التأثيرى، وثالثا إلى إقامة الثور فى موضعه و دوران المحلة بما عليها من القواديس و جرى الماء فى الجداول على وفق القضاء و هو القدر، و يحتاج رابعا و خامسا إلى بيان انقسام المقدر له إلى شقى و سعيد، فالحكم باطن و هو سر من أسراره سبحانه و تعالى - [11] سبحان من لا يعلم قدره غيره[11] .

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بالمعروف (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: السيئة بالسيئة (٣) من ظ و م، وفى الأصل: يحمل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الحاجب (٥) من م، و فى الأصل و ظ: التأثير (٦) فى ظ و م: بأن . (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: المدار و البئر (٩) من ظ و م، وفى الاصل: القالة (١٠) زيد فى الأصل: و تحتاج، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

و لما

و لما أقسم سبحانه على نفى ما بهتوه به و دل على [1] ما وهبه [1] له من كمال العقل و تمام الشرف و النبل تصريحا و تلويحا فثبت غاية الثبات باخبار العالم الحكيم [2]، دل عليه بالمشاهدة على وجه هو من أعلام النبوة للحكم على المستقبل فقال مسببا عن صادق هذا الإخبار: ﴿ فستبصر﴾ أى ستعلم [3] يا أعلى الخلق و أشرفهم و أكملهم [3] عن قريب بوعد لاخلف ٥ فيه علما أنت فى تحققه كالمبصر بالحس الباصر ﴿ و يبصرون ۙ﴾ أى يعلم [4] الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك.

و لما كان صلى الله عليه و سلم هو و من معه فريقا و الأعداء فريقا، و قد أبهم آخر الملك الضال فى الفريقين قال: ﴿بايكم ﴾ أى فى أى فريقكم [5] ﴿ المفتون ﴾ [أى - [6]] بالضلال و الجنون [7] حتى صد ١٠ عن الهدى [8] و دين الحق، أو بأيكم الفتنة بالجنون و غيره على أن يكون مصدر فتن، قال الرازى: مصدر مثل المفتون و هو الجنون بلغة قريش كما يقال: ما له معقول و ليس له مجلود، أى عقل و جلادة.

و لما كان هذا إخبارا بجنونهم المستلزم لضلالهم [9] على هذا الوجه المتصف، و كان مثل هذا [قد - [6]] يقع فى محاورات الناس بضرب ١٥ من الظن، استأنف تعالى ما هو كالتعليل لما أفاده السياق من هذا الحكم

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: رهبته (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: يعلمون (٥) زيد فى الأصل: من هو، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفى الأصل: كان قد ابهم. (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الهوى (٩) من ظ وم، وفى الأصل: اضلالهم.

عليهم إعلاما بأنه ناشىء عن علم قطعي لا مرية فيه بوجه، فقال موكدا لأجل إنكارهم لأن يكون الأمر على ما أفاده ما تقدم: ﴿ان ربك﴾ أي الذى رباك أحسن تربية و جبلك على[1] أعظم الخلائق ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ أعلم ﴾ [أى - [2]] من كل أحد لا سيما من يتحرض ٥ ﴿ بمن ضل ﴾ أى حار و جار[3] و ذهب و زل و ضاع و غاب غيبة عظيمة لا يهتدى منها، و سلك غير سبيل القصد، و أخطأ موضع الرشد، معرضا ﴿عن سبيله ص﴾ فكان أجن المجانين لأنه سبحانه و تعالى خالقهم، و شارعه «الا يعلم من خلق [4] و هو اللطيف الخبير [4]» و لا سيما و هو الحى القيوم الذى لا يغفل[5] ﴿ وهو ﴾ أى خاصة ﴿اعلم بالمهتدين ٥﴾ ١٠ أى الثابتين [6] على الهدى[6] و هم أولو الأحلام و النهى، و هذا سر القدر الذى يقال: إنه[7] إنما يظهر يوم الحاقة.

و لما كان من طبع البشر أن الحليم منهم الرزين إذا اشتد [عليه - [8]] الأذى ممن لم تجر[9] العادة بأن مثله يطيق مثلهم قاربهم و لاينهم فيما وقع الخلاف بسببه بعض المقاربة، و كان سبب تلك ١٥ المقاربة إنما هو عدم علمه بالعواقب، سبب[10] سبحانه ما مضى من إعلامه

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: خاف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا ينجل (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالهدى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٨) زيد من ظ و م (٩) من م، و فى الأصل و ظ: لايجرى. (١٠) زيد فى الأصل: عنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

بحقائق الأمور و كشفه لمستورها[1] قوله إلهابا و تهييجا على الثبات على معاصاتهم إعلاما للضال بأماراته ليعلم المهتدى لأن الأمور تعلم بأضدادها، و هو خطاب له صلى الله عليه و سلم و المراد أمته ليكون ذلك أبلغ فى سماعهم[2]: ﴿ فلا تطع ﴾ اى أيها المأمور بانقاذهم[3] من غوائل اهوائهم[4] و أشراك اهلاكهم[5] ﴿ المكذبين ﴾ أى العريقين فى التكذيب، ٥
قال الملوى: و لا يخفى أن كل كفر ظهر و كل ضلالة ظهرت، و كل بدعة و [كل -[6]] شر إنما كان سببه إفساد القوة العلمية و النطقية، و هو يكون بالتكذيب[7]، ثم علل ذلك بما يكون بمجموعه على وقوعه منهم من مدة طويلة و هم مستمرون عليه بقوله: ﴿ ودوا ﴾ أى احبوا محبة عظيمة[8] واسعة متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك[9] ١٠
و أكد تهالكهم على هذه الودادة[10] بما يفهم التمنى و إن ذلك مستمر منهم [11]لا أنه[11] وقع و مضى، فقال مشيرا إلى إفسادهم القوة النطقية و خلق الشجاعة الغريزية: ﴿ لو تدهن ﴾ أى تلاين فتوافق على[12] بعض

(١) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اسماعهم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بابعادهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ايهانهم (٥) فى ظ و م: هلاكهم (٦) زيد من ظ و م.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالتهذيب (٨) سقط من ظ و م (٩) زيد فى الأصل: بما يكون بمجموعه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الوازدة (١١ - ١١) من ظ و م، و فى الأصل: لانه.
(١٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا.

ما يريدون فتهادنهم[1] على ترك نهيهم عن الشرك و ترك التعرض لسب آلهتهم و تسفيه[2] أحلامهم و تضليل آبائهم ؛ قال ابن برجان : و الادهان ملاينة [3]و انجرار[3] بالباطل و إغماض عن الحق مع المعرفة بذلك - انتهى. و هو من الدهن لأنه يلين ما يدهن به[4].

٥ و لما [5]كان من طبعهم أنهم[5] كانوا يلينون له صلى الله عليه و سلم بعض الأوقات [خداعا -[6]] كما قيل في سبب نزول «الكافرون» من انهم قالوا له صلى الله عليه و سلم : تعال فلنصطلح على أن نعبد إلهك سنه و تعبد آلهتنا سنة، و نحو هذا من الأباطيل حتى[7] أنهم سجدوا وراءه صلى الله عليه و سلم لما تلا عليهم سورة النجم فسجد فيها فسجد وراءه

١٠ /٤٥٨ الكفار و المؤمنون / و الجن و الإنس حتى سمع المهاجرون إلى الحبشة و هم بالحبشة فرجع بعضهم[8] [ظنا -[6]] منهم[9] انهم قد اسلموا فوجدوهم على أخبث ما كانوا عليه أولا[10]، قال سبحانه معرفا بأن ذلك منهم خداع : ﴿فيدهنون ۝﴾ أي فبسبب ودادتهم أنك تدهن [هم -[6]] يدهنون، فهو عطف على [«ودوا» لا -[6]] جواب «لو» لأجل تنبيهه

(١) من ظ و م ، و في الأصل : فتهاون (٢) من ظ و م ، و في الأصل : سفه.
(٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : القول و الانجرار (٤) من ظ و م ، و في الأصل : فيه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) زيد من ظ و م.
(٧) من ظ و م ، و في الأصل : عقول ضل باريها على (٨) من ظ و م ، و في الأصل : بعض (٩) زيد في الأصل : على ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.
(١٠) سقط من ظ و م.

صلى الله عليه و سلم على ان لينهم إنما هو خداع لم يرد به غير الفساد ، و قد أخروا الإدهان و إن كانوا قديما فى[1] وداده طمعا فى أن تبدأ به فيظهروه[2] حينئذ ، قال القشيرى : من أصبح عليلا تمنى أن يكون الناس كلهم مرضى .

٥ و لما نهاه[3] عن طاعة المكذب و علله ، و كان من الناس من يخفى تكذيبه ، قال ناصبا علامات المكذب : ﴿ و لا تطع ﴾ اى فى وقت من الأوقات [4]منهم و لا من غيرهم[4] ﴿ كل حلاف ﴾ أى مبالغ[5] فى الاجتراء على الايمان و إن لم يظهر لك تكذيبه ، و ليس المراد النهى عن العموم بل عموم النهى ، أى انته عن كل حلاف فالنهى أصل و الكل وارد عليه ، كما تقدم[6] تخريج مثله فى آخر البقرة فى قوله تعالى ١٠ " و الله لا يحب كل كفار اثيم " و هذه الأوصاف متفرخة من الكذب و خبث السجية ، فهى كالتفصيل ، فكثرة الحلف دالة على فساد القوة العلمية فنشأ عنها سقوط تعظيم الحق ، فصار صاحبها لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا ، فلذلك يحلف صادقا و كاذبا كيفما اتفق ﴿ مهين لا ﴾ ١٥ أى حقير ضعيف وضيع سافل الهمة و المروۃ سافل الرأى ، لأن الإنسان لا يكثر الحلف إلا و هو يتصور فى نفسه أنه لا يصدق إلا بذلك ، لأنه ليس له من المهابة عند من يحدثه و الجلالة ما يصدقه

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : عن (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فيظهره .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نهى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ وم .
(٥) من ظ وم ، و فى الأصل : بالغ (٦) زيد فى ظ و م : و تخريجه كما تقدم .

بسنيه، و هو مؤثر للبطالة لما فيها من موافقة طبعه، و ذلك هو الحقارة الكبرى[1].

و لما كان كل[1] من اتصف بصفة: أحب أن يشاركه الناس [فيها -[2]] أو يقاربوه لا سيما إن كانت تلك الصفة دنية ليسلم من
٥ العيب أو الانفراد به و لأن الشيء لما داناه ألف قال: ﴿ هماز ﴾ أي كثير العيب للناس في غيبتهم، و قال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، أي لأن الهمز العض و العصر[3] و الدفع - من المهماز الذي يطعن [به -[4]] في بطون الدواب، و هو مخصوص بالغيبة كما أن اللمز مخصوص بالمواجهة.

١٠ و لما كانت النميمة - و هي نقل الحديث على وجه السعاية - أشد الهمز[5] أفاد أنه يفعله و لا يقتصر على مجرد النقل بل يسعى به إلى غيره [و إن بعد -[2]] فقال تعالى[6]: ﴿ مشآء ﴾ أي كثير المشي ﴿ بنميم ﴾ أي ينقل ما قاله الإنسان [في آخر -[2]] و أذاعه سرا، لا يريد صاحبه إظهاره على وجه الإفساد للبين مبالغ في ذلك
١٥ بغاية جهده.

/٤٥٩ و لما كان من كان هكذا يريد إعلاء نفسه بهضم الناس/، و كان المنع لإرادة الاستئثار بالممنوع ليكون الغير محتاجا إليه و عاكفا عليه

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: العرض (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و في الأصل: اللمز (٦) زيد في الأصل: مبينا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

لأن من طبعه [1]أنه لا[1] يرتبط إلا طمعا لا شكرا بضد الجواد ، فانه يرفع[2] نفسه عن المطامع، و لا يرتبط إلا شكرا على الصنائع فيجود ظنا منه أن الناس كذلك ، قال: ﴿مناع﴾ أى كثير المنع شديده ﴿للخير﴾ أى كل خير من [3]المال و الإيمان[3] و غيرهما من نفسه و من غيره من الدين و الدنيا - [4]إلى غير ذلك[4] . ٥

و لما كان من يفعل هذه[5] المخازى من الناس و يقتصر فى الهمز و النم على الواقع، و فى المنع على ما له منعه - لئيما ، بين أنه لا يقنع[6] بذلك ، بل زاد عليه ببذل الجهد فيما يصير به ألام فقال: ﴿معتد﴾ أى[7] ثابت التجاوز للحدود فى كل ذلك ﴿اثيم ۙ﴾ أى مبالـــغ[8] فى ارتـكاب ما يوجب الاثم فيترك الطيبات و يأخذ الخبائث و[7] يرغب فى المعاصى ١٠ و يتطلبها، و يدع الطاعات و يزهد فيها .

و لما كان كل من[9] يتصف بهذه الدنايا التى من شأنها إبعاد الناس عنه و [10]نفرتهم منه[10] يسعى فى سترها إن كان عاقلا بلين و تواضع

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : الا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يدفع . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الإيمان و المال (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا ينفع (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالغ (٩) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : تفرقهم عنه .

و خداع و سهولة انقياد، بين ان هذا على [غير - [1]] ذلك فقال منبها على هذا بالبعدية : ﴿ عتل ﴾ أى أكول شديد الخصومة جاف غليظ [2] فى خلقه و خلقه ثقيل مر، كأنه قطعة جبل [3] قد انقطع [3] عن سائره لا ينجر إلى خير إلا بعسر و صعوبة و عنف، من عتله - إذا قاده بغلظة، فهو فى غاية ما يكون من يبس الطباع و عدم الطواعية فى الخير و الانطباع ، قال الرازى : و سئل عنه [4] رسول الله صلى الله عليه و سلم - أى عن العتل - فقال : هو الشديد [5] الخلق الرحيب الجوف الأكول الشروب الظلوم ، و نبه سبحانه على ثباته فى تلك المخازى الموجب لاستغراق أوقاته و أحواله بها بنزع الخافض فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ الخلق الجدير بتكلف الإبعاد عنه الذى تجمع من هذه الأوصاف التى بلغت نهاية القباحة حتى صارت كأنها خلق واحد ثابت راسخ لا حيلة [له - [6]] فى مداواته ، و على ذلك نبه قوله : ﴿ زنيم ﴾ أى صارت له علامة سوء و شر و ثناء قبيح و لأمة بينة [7] و معرفة [7] يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها ، و هى الجلدة التى تكون تحت حلقها مدلاة تنوس ، و العبد بمعايبه و سفساف [8] أخلاقه ، و قيل : هو الذى يتشبه بقوم و ليس منهم فى شيء ، و لا يخلو التعبير به من إشارة [9] إلى أنه دعى ليس ثابت النسب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شديد (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قطع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : شديد (٦) زيد من م (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : سفاف (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اشار .

إلى

إلى من ينتسب إليه، ليكون منقطعا عن كل خير و إن كان ينسب إلى آباء كرام، أخذا من زنمة البعير، و هى جلدة تقطع من أذنه فترك[1] معلقة، و لا يفعل ذلك إلا بكرام الإبل، و هذه الأفعال كلها تنافى الشجاعة المقتضية / لإحسان صاحبها إلى كل أحد وأن لا يحسب له حسابا و لا يوصل ٤٦٠ إليه[2] أذى إلا بعد ظهور شره فيعامله حينئذ بحسب العدل بما لا يرزئ بالمروءة ٥ و المشار إليه بهذا مع إرادة العموم قيل: الوليد بن المغيرة، و قيل: الأخنس ابن شريق[3]، و قيل: الأسود بن عبد يغوث، و[4] قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله تعالى وصف أحدا و لا ذكر [من -[5]] عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة.

و لما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا و ظلا متقلصا زائلا، ١٠ لا يفتخر[6] به بل و لا يلتفت إليه إلا من كان بهذه الأوصاف، فاذا كان أكبر همه و مبلغ[7] علمه أثمر[8] له[9] الترفع [10]على الحقوق[10] و التكبر على العباد قال[11]: ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ كان ﴾ هذا الموصوف ﴿ ذا مال ﴾ أى مذكور بالكثرة ﴿ و بنين ﴾ انعمنا عليه بهما فصار يطاع لأجلهما،

(١) من م، و فى الأصل و ظ: و ترك (٢) من ظ و م، و فى الأصل: له.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: يوق (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا يلتفت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابلغ (٨) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٩) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠-١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الحقوق.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل: فقال.

فكان بحيث يجب عليه شكرنا بسببهما ﴿ اذا تتلى ﴾ اى تذكر على سبيل المتابعة ﴿عليه﴾ ولو كان ذلك[١] على سبيل الخصوص له[٢] ﴿ايٰتنا﴾ اى العلامات[٣] الدالة دلالة فى غاية الظهور على الملك الأعلى وعلى ما له من صفات العظمة ﴿ قال ﴾ أى فاجا هذا القول من غير تأمل و لا توقف

٥ [عوضا -[٤]] عن الشكر ، فـ «ان» مع جاره متعلق بما دل عليه الكلام نحو كذب لأجل كونه متمكنا، و لا يتعلق بقال لأنه جزاء الشرط ، و يجوز ان يتعلق بلا تطع أى لا توجد طاعته لأجل[٥] أن كان كذا ، و قرئ بالكسر على أنها شرطية ، فيكون النهى عن طاعته لعلة الغنى مفهما للنهى عن طاعته عند الوصف بغيره من باب الأولى كالتعليل

١٠ بالملاق فى الوأد: ﴿ اساطير﴾ جمع سطور جمع سطر ﴿ الاولين ۝﴾ أى أشياء سطروها و دونوها و فرغوا منها لحمله دنئ طبعه على تكبره[٦] بالمال فورطه فى التكذيب بأعظم ما يمكن سماعه لجعل الكفر موضع الشكر و لم يستح من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه ، فأعرض عن الشكر و وضع موضعه الكفر ، فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة

١٥ مع التعليل بالإسناد إلى ما هو عند العاقل [٧] أوهم و[٧] أوهى من بيت

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٢) تكررت العبارة هنا من « اذا تتلى » إلى «صفات العظمة» فى الأصل فقط (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : علاماتنا . (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكبر (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

العنكبوت، و الإستناد إليه وحده كاف فى الاتصاف بالرسوخ فى الدناءة، و لا يعمل فى «أن قال» بل ما دل عليه لأن ما فى حيز الشرط لا يعمل فيما قبله.

و لما كان هذا المذكور قد أغرق فى الشر فتوقع السامع جزاءه، قال معلما أنه يجعل له من الخزى و الفضائح ما يصير به شهرة بين ٥ الخلائق فى الدنيا و الآخرة: ﴿ سنسمه ﴾ أى نجعل ما يلحق به من العار فى الدارين كالوسم الذى لا ينمحى أثره، تقول العرب: وسمه ميسم سوء.

و لما كان الوسم منكئا، و كان جعله[1] فى موضع لا يستر أنكأ، و كان الوجه اشرف[2] ما فى الإنسان، و كان أظهر ما فيه و أكرمه[3] الانف، و لذلك جعلوه مكان[4] العز و الحمية و اشتقوا منه الأنفة قال: ﴿على الخرطوم﴾ ١٠ أى الأنف الطويل جميعه و ما قاربه من الحنكين[5] وسما مستعليا عليه بوضوح جدا ليكون هتكه[6] بين الناس و فضيحة لقومه[7] و ذلا و عارا، و كذا كان لعمرى له بهذا[8] [الذكر - [9]] الشنيع و الذنب القبيح من الكفر و ما معه، و سيكون له يوم الجمع الأعظم[10] ما هو أشنع من هذا على أنه قد حقق فى الدنيا هذا الخطم حسا بأنه ضرب يوم بدر ضربة

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : جعل (٢) فى ظ و م : اشهر (٣) من ظ و م، و فى الأصل : اكرامه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : موضع (٥) زيد فى الأصل : وسمى هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هتيكه (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : بين قومه (٨) من ظ وم، و فى الأصل : هذا (٩) زيد من ظ وم (١٠) من ظ وم ، وفى الأصل : الاكبر

خطمت أنفه - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[1]، و التعبير[2] عن الأنف بهذا[2] للاستهانة و الاستخفاف.

و لما ذكر [فى -[3]] أول الملك أنه خلق الموت و الحياة للابتلاء فى الأعمال، و ختم هنا بعيب من يغتر[4] بالمال و البنين و هو يعلم أن الموت وزاءه، أعاد ذكر الابتلاء وأكده لأن أعمالهم مع العلم بأنه عرض زائل [أعمال - [3]] من يظن الملك الثابت و التصرف[5] التام، [فقال -[3]]: ﴿ انا بلونهم ﴾ أى عاملنا[6] - على ما لنا من العظمة - الذين نسمهم[7] على الخراطيم من قريش[7] و سائر عبادنا بما و سعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر و الباطن، فغرهم [ذلك -[3]] و ظنوا أنهم أحباب، و من قترنا عليه من أوليائنا أعداء، فاستهانوا بهم، و نسبوهم لأجل تقللهم من الدنيا إلى السفه و الجنون و الضلال و الفتون، فيوشك ان نأخذهم بغتة كما فعلنا بأصحاب الجنة، فكل[8] من رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد ابتلى به، فان[9] آمن كان ممن أحسن عملا، و إلا كان ممن أساء.

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ١١١ (٢ - ٢) من ظ وم، و فى الأصل: بهذا عن الخرطوم (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، و فى الأصل: يعتبر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: النصر (٦) زيد فى الأصل: هؤلاء المكذبين، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، وفى الأصل: من قريش و على الخراطيم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لكل (٩) من ظ و م، وفى الأصل: كان.

و لما لم تعرف عامة اهل مكة نعمة الله عليهم به صلى الله عليه و سلم، أخرجه الله عنهم و أكرمه بأنصار جعله أكرم الكرامات لهم، وكل من سمع بـه و لم يؤمن فهو كذلك، تكون أعماله كهذه الجنة يظنها شيئا[1] فتخونه أحوج ما يكون إليها، أو كان[2] ابتلا[3]ونا لهم بالقحط الذى دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أكلوا الجيف ٥ فما تابوا[3] كما تابوا ﴿ كما بلونا ﴾ أى اختبرنا بأن عاملنا[4] معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر و الباطن، و حاصله أنه استخرج ما فى البواطن[5] ليعلمه العباد فى عالم الشهادة كما يعلمه الخالق فى عالم الغيب، أو أنه كناية عن الجزاء ﴿ اصحٰب الجنة ج ﴾ عرفها لأنها كانت شهيرة عندهم و هى بستان عظيم[6] كان دون صنعاء بفرسخين، يقال له الضروان، يطأه أهل ١٠ الطريق، كان صاحبه ينادى الفقراء وقت الصرام، و يترك لهم ما أخطأ المنجل أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة، فلما مات شح بنوه بذلك فحلفوا على أن يجذوها قبل الشمس حتى لا يأتى الفقراء إلا بعد فراغهم، و ذلك معنى قوله تعالى: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اقسموا ﴾ و دل على تأكيد القسم فقال: ﴿ ليصرمنها ﴾ عبر به ١٥ عن الجذاذ بدلالته على القطع البائن المعزوم عليه المستأصل المانع للفقراء

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اشياء (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يكون. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: فماتوا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: عاملناهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الباطن (٦) زيد فى الأصل: كانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ليكون قطعا من كل وجه، من الصريم - لعود يعرض على[1] فم الجدى لئلا يرضع، و من الصرماء: المفازة لا ماء بها، و الناقة القليلة اللبن ﴿ مصبحين ﴾ أى داخلين فى أول وقت الصباح ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنهم [لا -[2]] ﴿ يستثنون ﴾ أى لا يطلبون و لا يوجدون ثنيا - أى ٥ عودا - إلى ما قبل اليمين بقولهم « إن شاء الله » أو غير ذلك من الألفاظ الموجبة لأن يكون شىء من جنتهم مطلقا غير ممنوع، و سمى ذلك استثناء لأنه إخراج لشىء يكون حكمه غير المذكور أولا، و كان الأصل فيه: إلا أن يشاء الله، و ألحق به إن شاء الله لرجوعه اليه فى اتحاد الحكم ﴿ فطاف ﴾ أى فتسبب عن عملهم هذا الطامح[3] أن طاف ﴿ عليها[4] ﴾ ١٠ أى جنتهم ﴿ طآئف ﴾ أى عذاب مهلك محيط مع أنه امر يسير جدا عند الله و إن كان عظيما بالنسبة إليها لأنه لم يدع منها شيئا، و لا يكون الطائف بهذا [المعنى - [5]] إلا بالليل، كذا قيل، و يرده "إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا".

و لما كان هذا مقتا فى الصورة أخبر بأنه لطف و تربية فى المعنى ١٥ بقوله: ﴿ من ربك ﴾ أى المعروف بالعظمة التى لا تحد و بالإحسان إليك فهو جدير بأن يؤدب قومك ليقبلوا منك كما أدب أصحاب الجنة بما أوجب توبتهم و هو الحقيق بتربية العباد يعقلوا عنك و يكونوا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل: الطامع، و فى ظ: الصالح (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم. (٥) زيد من ظ و م.

خليقين بالتجنب للدنيا و الإقبال على المعالى ﴿ وَهُمْ ﴾ أى و الحال أن أصحاب الجنة المقسمين ﴿ نَآئِمُونَ ﴾ وقت [إرسال - [1]] الطائف ﴿ فَأَصْبَحَتْ ﴾ [أى - [1]] فتسبب عن هذا الطائف الذى أرسله القادر الذى لا يغفل و لا ينام على مآل من لا يزال أسير العجز [و النوم - [1]] فعلا أو[2] قوة أن صارت جنتهم وقت اجتنائهم لها بالغد و سرورهم بها ٥ ﴿ كَالصَّرِيمِ ۙ ﴾ أى كالأشجار التى صرم عنها ثمرها[3] أو كالشىء الذى انقطع ما بينه و بين قاصده فلا وصول إليه بوجه، و قيل: كالليل المظلم الأسود، و قيل: كالرماد الأسود، ليس بها ثمرة، لأن ذلك الطائف أتلفها لم يدع فيها شيئا، لأنهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق بضد ما كان لأبيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله و البركة ١٠ فى جميع أحواله.

و لما كانوا[4] لقوة عزمهم على ما أقسموا[5] عليه كأنهم كانوا على ميعاد، سبب عنه قوله: ﴿ فَتَنَادَوْا ﴾ أى كانوا كأنهم[6] نادى كل منهم الآخر ﴿ مُصْبِحِينَ ۙ ﴾ أى فى حال أول دخولهم فى الإصباح، و فسر التنادى بقوله: ﴿ أَنِ اغْدُوا ﴾ أى بكروا جدا مقبلين و مستولين و قادرين ١٥ ﴿ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾ أى / محل فائدتكم الذى أصلحتموه و تعبتم[7] فيه فلا / ٤٦٣ يستحقه غيركم، فكأنهم استبطأوا قيامهم و غدوهم فكفوا عنه بقولهم:

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ثمرتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: أقسم (٦) فى م: كانه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تبعتم.

﴿ ان كنتم ﴾ أى اليوم كونا هو لكم بغاية الرغبة ﴿ صٰرمين ﴾ اى جاذين جذاذا ليسلم لكم من غير مشاركة أحد لكم كما تواثقتم عليه، أو جازمين بما عزمتم عليه، [و - ١] عبر عن إسراعهم إلى الذهاب بقوله: ﴿ فانطلقوا ﴾ أى بسبب هذا الحث و عقبه كأنهم كانوا
٥ متهيئين ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ يتخافتون ﴾ أى يقولون فى حال انطلاقهم قولا هو فى غاية السر [كأنهم - ١] ذاهبون إلى سرقة من دار هى فى غاية الحراسة، من الخفوت و هو الخمود، ثم فسر ما يتخافتون به بقوله: ﴿ ان لا يدخلنها ﴾ و أكدوه لأنه لا يصدق أن أحدا يصل إلى هذه الوقاحة و صلابة الوجه و أن جذاذا يخلو
١٠ من سائل.

و لما كانت العادة قاضية بأنه لابد أن ينسى الإنسان شيئا أو يقفل بابا أو ثغرة يدخل منه [٢] و بسببه فقير [٢] قالوا: ﴿ اليوم ﴾ أى فى جميع النهار - بما دل عليه نزع الخافض - لتكروا عليه مرارا و تفتشوا فلا تدعوا فيه ثمرة واحدة و لا موضعا يطمع بسببه أحد فى قصدكم ﴿ عليكم ﴾
١٥ أى و أنتم بها ﴿ مسكين ﴾ و هو نهى للمسكين فى اللفظ للمبالغة فى نهى أنفسهم أن لا يدعوه يدخل عليهم، فقال لهم أوسطهم سنا و خيرهم نفسا و أعدلهم طبعا بما دل عليه ما يأتى: لا تقولوا هكذا و اصنعوا من الإحسان ما كان يصنع أبوكم [٣]، و كأنه طواه سبحانه لأنه مع الدلالة

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: سنه و هو - كذا.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: ابويكم.

[1]عليه بما[1] يأتي لم يؤثر شيئا ، و اكد كون انطلاقهم حال الإصباح بقوله :
﴿ و غدوا ﴾ أي ساروا إليها غدوة ﴿على حرد﴾ لا غيره و هو القصد
و شدة الغضب مع الجزم بالأمر و اللجاج فيه و السرعة و النكد بالمنع
و قلة الخير، من حاردت السنة أى لم يكن فيها[2] مطر، و الإبل: منعت درها،
و حرد - إذا أسرع ﴿ قدرين ه ﴾ عند أنفسهم و فى زعمهم بدليل عدم ٥
استثنائهم فان الجزم على الفعل فى المستقبل فضلا عن أن يكون مع
الخلف فعل من لا كفؤ له، و دل على قربها من منزلهم بالفاء فقال:
﴿ فلما رآوها ﴾ أى بعد سير يسير و ليس للزرع و لا للثمر بها أثر
﴿ قالوآ ﴾ لأنها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف بعيدة من حال
ما[3] كانت عليه عند تباعدهم و تغيير نياتهم فأدهشهم منظرها و حيرهم ١٠
خبرها، و أكدوا لأن ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم بها و كثرة
ملابستهم لها و قوة معرفتهم بها فقالوا: ﴿انا لضآلون ﴾ أى عن طريق
جنتنا لأن هذه لا تشبهها بوجه فيما كانت فيه بالأمس من النضارة[4]
و شدة الحمل و حسن الهيئة .

و لما انجلى ما ادهشهم [فى الحال -[5]] قالوا مضربين عن الضلال: ١٥
﴿ بل نحن محرومون ه ﴾ أى ثابت حرماننا مما كان فيها من الخير الذى
لا نغيب عنها إلا سواد الليل لحرمنا الله إياها بما عزمنا عليه من حرمان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بها .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النظارة .
(٥) زيد من ظ و م .

المساكين لآن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

/٤٦٤ و لما كان القرع بالمصائب / مظنة الرقة[1] و التوبة لمن أريد به الخير ، و زيادة الكفر لغيره ، استأنف قوله : ﴿ قال اوسطهم ﴾ [أى - [2]] رأيا و عقلا و سنا [3] و رئاسة [3] و فضلا ، منكرا عليهم : ﴿ الم اقل لكم ﴾

٥ أن ما فعلتموه لا ينبغى ، و أن الله سبحانه و تعالى بالمرصاد لمن غير ما فى نفسه و حاد .

و لما كان منع الخير و لا سيما فى [مثل - [2]] هذا مستلزما لظن النقص[4] فى الله تعالى إما بأنه سبحانه لا يخلف ما حصل التصدق[5] به و إما أنه[6] لا يقدر على إهلاك ما شح الإنسان به ، قال مستأنفا :

١٠ ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ تسبحون ه ﴾ أى توقعون التنزيه لله سبحانه و تعالى عما أوهمه فعلكم ، و أقل التسبيح الاستثناء عند الإقسام[7] شكا فى قدرة الإنسان و إثباتا [8] لقدرة الملك الديان [8] استحضارا لعظمته سبحانه و تعالى ، و دل سياق الكلام على أنهم كانوا متهيئين[9] للتوبة بقوله : ﴿ قالوا ﴾ من غير تلعثم بما عاد عليهم [10] من بركة أبيهم [3] فقال سبحانه [3]

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : الرزق (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النفس (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : التصديق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لانه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الانقصام (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بقدرة الملك . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : متمنين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اليهم

حاكيا [1]عن قولهم[1]: ﴿ سبحن ربنآ ﴾ اى تنزه المحسن إلينـا التنزيه[2] الأعظم عن أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم، و أكدوا قباحة فعلهم هضما لأنفسهم و خضوعا لربهم [و - [3]] تحقيقـا لتوبتهم لأن ما كانوا عليه من الحال[4] يقتضى أن لا يصدق رجوعهم عنه بقولهم: ﴿ انا كنا ﴾ أى بما[5] فى جبلاتنا من الفساد ﴿ ظلمين ﴾ أى راسخين ٥ فى إيقاعنا الأشياء فى غـير مواقعها حيث لم نعزم عزما جازما على ما كان يفعل أبونا من البر، ثم حيث حلفنا على ترك ذلك [ثم حيث لم نرد الأمر إلى الله بالاستثناء حيث حلفنا - [3]] فان الاستثناء تنزيه الله عن أن يجرى فى ملكه ما لا يريد، و أكد توبتهم بقوله مسببا عن اعترافهم بالظلم : ﴿ فاقبل بعضهم ﴾ أى فى حال مبادرتهم[6] إلى الخضوع ١٠ ﴿ على بعض ﴾ و دلت التسوية [بين] فريقيهم فى اللفظ على الاستواء فى التوبة ﴿ يتلاومون ﴾ أى يفعل كل منهم مع الآخر فى اللوم على ما قصده من المنع و ترك ما تركوه من الإعطاء و الدفع ما يفعله الآخر معه، و ينسب النقصان إليه كما [هو - [3]] دأب المغلوبين العجزة.

و لما تشوف السامع إلى معرفة [بعض - [3]] ذلك قال: ﴿ قالوا ﴾ ١٥ منادين لما شغلهم قربه منهم و ملازمته [عن كل شيء - [3]] : ﴿ يا ويلنآ ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) فى ظ : التنزه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : كالحال (٥) زيد فى الأصل : دل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى م : مبادرة .

اى هذا وقت حضورك ايها الويل إيانا و منادتك لنا[1] فانه لا نديم لنا إلا أنت ، و الويل هو[2] الهلاك و الإشراف عليه .

و لما كان أهل الرذالة ينكرون أن يكون من يمنع الفقراء طاغيا ، أكدوا قولهم[3]: ﴿ انا كنا ﴾ اى جبلة و طبعا ﴿ طٰغين ﴾ اى مجاوزين

٥ الحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع الفقراء و على جذها فى الصباح من غير استثناء فعل القادر ، و كان ذلك إن كان لابد لنا منه ممكنا بغير قسم و لا إخفاء من الغير و لا مخافتة[3] حال السير بأن يقال للفقراء : يفتح الله ، و نحو ذلك من الكلام .

و لما قدموا ما هو أنفع لهم من اللوم المقتضى لاجماعهم على التوبة

١٠ فعلم بذلك الندم الذى هو أمارة التوبة ، استأنفوا جوابا لمن سأل : هل اقتصروا على التلاوم ؟ قولهم : ﴿ عسى ﴾ اى يمكن / [ان يكون -[4]] /٤٦٥ و هو جدير ، خليق بأن يكون ﴿ ربنآ ﴾ اى الذى أحسن إلينا بتربية هذه الجنة و باهلاك ثمرها[5] الآن تأديبا لنا ﴿ ان يبدلنا ﴾ اى من جنتنا شيئا ﴿ خيرا منهآ ﴾ يقيم لنا أمر معاشنا فتنقلب أحوالنا هذه التى[6] نحن

١٥ فيها من الهموم و البذاذة[7] بسرور و لذاذة بما أفاده[8] إيقاع الفعل على ضميرهم . و قراءة أبى عمرو و نافع بالتشديد و قراءة الباقين بالتخفيف و هما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ايانا (٢) سقط من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مخافة (٤) زيد من ظ (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : تمرتها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : البلادة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اداه .

متقاربتان

متقاربتان غير أن التشديد يدل على التدريج[1] ، فالتخفيف أبلغ معنى : و إنما تعلق رجاؤنا بسبب توبتنا و علمنا بأن[2] ربنا قادر على ما يريد ، و لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

و لما دل هذا الدعاء على إقبالهم على الله وحده صرحوا و أكدوا لأن حالهم الأول كان حال من ينكر منه مثل ذلك فقالوا معللين : ٥ ﴿ انآ ﴾ و لما كان المقام للتوبة و الرجوع عن الحوبة ، عبروا بأداة الإنتهاء إشارة إلى بعدهم عن الحضرات الربانية تأدبا منهم فقالوا : ﴿ الى ربنا ﴾ أي المحسن إلينا و المربي لنا بالإيجاد ثم الإبقاء خاصة لا إلى غيره سبحانه[3] ﴿ رٰغبون ە ﴾ أي ثابتة رغبتنا و رجاؤنا الخير و الإكرام بعد العفو ، و قد قيل أن الله تعالى جلت قدرته قبل رجوعهم ١٠ و أخلف عليهم فأبدلهم جنة يقال لها[4] الحيوان بحيث كان[4] القطف الواحد [منها -[5]] يحمله وحده من كبره البغل - رواه البغوي[6] عن ابن مسعود ، و لكن لما كان المقام لترهيب[7] من ركن إلى ماله و احتقر الضعفاء من عباد الله و لم يحلهم بجلاله طواه ، و ذكر ما صور هذا الكلام و أنتجه من مساواة حال قريش و حال هؤلاء في الإحسان و طول الحلم ١٥ مع احتقار أوليائه و التقوى عليهم بأفضاله و نعمائه ، فقال مرهبا : ﴿ كذلك ﴾ أي مثل هذا الذي بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كانوا

---

(١) في م : تدريج (٢) من ظ و م ، و في الأصل : أن (٣) سقط من ظ و م . (٤ - ٤) من ظ و م ، و في الأصل : حيث ان (٥) زيد من ظ و م (٦) في المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٢٢ (٧) من ظ و م ، و في الأصل : الترهيب .

عند انفسهم فى غاية القدرة عليه والثقة [1]به مع الاستحسان منهم[1] لفعلهم و الاستصواب و هددنا به أهل مكة فلم يبادروا إلى المتاب: ﴿ العذاب[4] ﴾ الذى تحذرهم [منه - [2]] وتخوفهم به فى الدنيا، فاذا تم الأجل الذى قدرناه له أخذناهم به غير مستعجلين و لا مفرطين لأنه

٥ لا يعجل إلا ناقص يخاف الفوت.

و لما كانوا منكرين لأمور الآخرة أشد من إنكارهم لأمور الدنيا أكد قوله: ﴿ و لعذاب الأخرة ﴾ أى الذى يكون فيها للعصاة و الجبارين ﴿ اكبر م ﴾ أى فى كل ما يتوهمونه.

و لما كان هذا موجبا لمن له[3] أدنى شعور للهروب منه قال:

١٠ ﴿ لوكانوا ﴾ أى الكفار[4] ﴿ يعلمون ع ﴾ أى لو كان لهم علم بشيء من غرائزهم فى وقت من الأوقات لرجعوا [5]عما هم[5] فيه مما عرفوا أنه يغضب الله فيكون سبب العذاب فى الدارين، وهم مع دلك مما يرزئ بهم [6]عند الله و[6] عند الناس من تلك الآثار الخبيثة التى منها[7] الأيمان / الكاذبة، و يدل على [عدم - [2]] شجاعتهم و قلة[8] عقولهم، لكنهم ليس /٤٦٦

١٥ لهم نوع علم الآن، و المختوم بموته على الكفر لا يتجدد له نوع علم، و غيره سيرجع فى الوقت الذى قدره الله له.

(١ - ١) من ظ و م، و فى الاصل: بهم و استحسانهم (٢) زيد من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: به (٤) زيد فى الأصل: جميعهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الاصل: اعمالهم.
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الاصل: عدم.

و لما ذكر ما لأهل الجمود الذين لا يجوزون الممكنات، ذكر أضدادهم فقال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ ان للمتقين ﴾ أى الفريقين فى صفة التقوى خاصة دون غيرهم ممن لا يتق، و التقوى: الاحتراز بالوقاية الحامل عليه الخوف من المؤذى، الحامل عليه تجويز الممكنات، قال الملوى: و أصلها أن الفرس الواقى - و هو الموجوع الحافى - لا يضع حافره حتى يرى[1] هل الموضع لين يناسبه، وكذا المتقى لا يتحرك و لا يسكن إلا على [بصيرة من -][2] رضا الله بذلك، فلا يفعل أحد منهم شيئا من تلك الآثار الخبيثة التى تقدمت للمكذبين، فحازوا الكمال بصلاح القوة العملية الناشىء عن[3] صلاح القوة العلمية، و زاد فى الترغيب إشارة إلى جنة القلب [و بسط الروح بقوله: ﴿ عند ربهم ﴾ أى المحسن إليهم فى موضع عدم أولئك و خيبة آمالهم، فان تقريبهم دل على رضاه سبحانه، و رضا صاحب الدار مطلوب قبل نظر الدار، و لما أشار إلى جنة القلب -][2] أتبعها جنة القالب فقال تعالى: ﴿ جنت ﴾ جمع جنة و هى[4] لغة البستان الجامع، و فى عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور و انتفى منه جميع الشرور[5] ﴿ النعيم ۝ ﴾ و هو الخالص من المكدر و المشوش و المنغص، لا شىء فيها غيره أصلا - بما أفادته الإضافة.

و لما كان عدم إيراث كل من الفريقين الدار التى تقدم وصفها

---

(١) فى م: يبصر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنها.
(٤) من ظ، و فى الأصل و م: هو (٥) زيد فى الأصل: مع انها مواطن، لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

تسوية بين المحسن و المسيء، وكان ذلك لا يليق بحكيم ان يفعله، وجب إنكاره لتحقق أن ما أخبر به سبحانه لا يكون إلا كذلك[1] لاسيما و قد كان الكفار يقولون: إنهم كالمسلمين أو أحسن حالا منهم، و ذلك أنه إن كان لابعث، كما كانوا يظنون، فقد استووا فيما بعده [2]مع ما[2] فضلوهم به فى الدنيا من اتباع الأهواء و الظفر باللذائذ، و إن كان ثم بعث [3]فقد كانوا[3] يقولون لشبهة دعتهم إليها شهوتهم[4]: أما نكون على تقديره أحسن حالا منكم و آثر عند الله فى حسن العيش كما نحن فى هذه الدار لأنه ما بسط لنا فى هذه الدار إلا و نحن عنده أفضل منكم، فقال تعالى منكرا [5]و مكذبا[5] لذلك غاية ا نكار [5]و التكذيب[5] عائبا التحكم بالجهل[6] غاية العيب نافيا للمساواة ليكون انتفاما هو أعلى من باب الأولى مسببا عما تقديره: و لا يكون لغير المتقين ذلك: ﴿ افنجعل المسلمين﴾ أى الذين هم عريقون فى الانقياد لأوامرنا و الصلة لما أمرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم معنا فى نفس و لا غيرها لحسن جبلاتهم ﴿ كالمجرمين ﴾ اى الراسخين[7] فى قطع ما أمرنا به [أن يوصل - [8]] و أنتم لا تقرون مثل ذلك، بل من عاندكم نوع معاندة قاطعتموه و لو وصل الأمر إلى القتل.

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: لذلك (٢-٢) من ظ وفى الأصل: فيما (٣-٣) فى ظ وم: فكانوا (٤) من ظ، و فى الأصل: شهوة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالحمل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كالراسخين (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م.

و لما

و لما كشف هذا الدليل الشبه و رفع الستار، فأوصل إلى أعظم من ضوء النهار، لفت القول [١] إليهم بالخطاب لفت [١] المغضب عند العتاب، فقال معجبا منهم منبها على ما هم فيه من اعوجاج الفطر و فساد الفكر منكرا عليهم غاية الإنكار: ﴿ ما لكم ﴾ أى أىّ شيء يحصل لكم من هذه الأحكام الجائرة البعيدة عن الصواب. ٥

و لما نبههم على أنه [٢] ليس لهم فى مثل هذه الأحكام شيء يمكن أن يكون نافعا، و كان العاقل إذا علم [أن - [٣]] شيئا من الأشياء لانفع فيه بعد منه، أنكر عليهم ثالثا حال أحكامهم هذه لأن نفى أحوالها أشد لنفيها [٤] كما تقدم فى "كيف تكفرون" فى البقرة فقال: ﴿ كيف تحكمون ﴾ أى أىّ عقل دعاكم إلى [٥] هذا الحكم الذى يتضمن [٥] ١٠ التسوية من السيد بين المحسن من عبيده [٦] و المسيء.

و لما كان الحكم لا يمكن وجوده إلا مكيفا بكيفية، و كان سبحانه و تعالى قد نفى حكمهم هذا بانكار جميع كيفياته التى يمكن أن يصح [معها - [٣]]، و كان الحكم الصحيح لابد و أن يكون مستندا إلى عقل أو نقل، زاد بطلان حكمهم وضوحا بنفى الأمرين معا، فقال عاطفا ١٥

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: إلى الخطاب لفتة (٢) من ظ و م، و فى و فى الأصل: انهم (٣) زيد من ظ و م (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥ - ٥) من م، و فى الأصل: هذه الأحكام التى تضمن، وهذه العبارة الى « و المسيء » ساقطة من ظ (٦) من م، و فى الأصل: سيده المطيع.

على ما تقديره : ألكم دليل من العقل [1]إليه تلجأون[1] : ﴿ام لكم كتب﴾ أى سماوى معروف أنه من عند الله خاص بكم[2] ﴿فيه﴾ أى[3] لا [في -[4]] غيره من أساطير الأولين و زبر المحوقين[5] ﴿تدرسون﴾ أى تقرأون قراءة أتقنتم مخالطتها أو أنعمتم فهمه بسببها .

٥ و لما ذكر الدرس ذكر المدروس فقال تعالى : ﴿ان لكم﴾ أى خاصة على وجه التأكيد الذى لا رخصة فى تركه ﴿فيه﴾ أى الكتاب لتكونوا فى غاية الوثوق به ، لا فى غيره مما لا وثوق لكم به ﴿لما تخيرون﴾ أى تبالغون فى انتقائه و اخذ خياره ، وكسر الهمزة و كان حقها الفتح لولا اللام لأن ما بعدها هو المدروس ، و يجوز أن تكون الجملة حكاية[6] ١٠ للمدروس و أن تكون استئنافية .

و لما نفى دليل العقل و النقل مع التعجب منهم و التهكم بهم ، وكان [7]قد بقى[7] أن الإنسان ربما عاهد غيره على شىء فيلزمه [8]الوفاء به و إن[8] كان خارجا عما يدعو إليه العقل و النقل ، نفى ذلك بقوله : ﴿ام لكم ايمان﴾ أى[9] غليظة جدا ﴿علينا﴾ قد حلتمونا إياها[10] ﴿بالغة﴾ أى

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : تلجأون اليه (٢) زيد فى الأصل : فتحكمون بها ، ولم تكن الزيادة وفى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ ، وفى الأصل : للتحرقين ، وفى م : للخرفين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حالية (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لفى (٨-٨) من ظ وم ، وفى الأصل : الوقاية فان (٩) زيد فى الأصل : ايمان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بها .

لأجل عظمها إلى نهاية رتب التأكيد بحيث يكون بلوغ غيرها ما يقصد بالنسبة إلى بلوغها ذلك عدما أى ان بلوغها هو البلوغ لا غيره[1]، أو ثباتها منته ﴿الى يوم القيمة﴾ لا يمكن الخروج عن عهدتها إلا فى ذلك اليوم ليحتاج لأجلها إلى إكرامكم فى الدارين.

و لما ذكر[2] ذلك القسم بالأيمان ذكر المقسم عليه فقال: ﴿ان لكم﴾ ٥ [3] أى خاصة دون المسلمين ﴿لما تحكمون﴾ أى تفعلونه فعل الحاكم الذى يلزم قوله لعلو أمره على وجه التأكيد الذى / لا مندوحة عنه فتحكمون /٤٦٨ لأنفسكم بما تريدون من الخير.

و لما عجب منهم [و - [4]] تهكم بهم؛ ذيل ذلك بتهكم أعلى منه يكشف عوارهم غاية الكشف و ينزل بهم[5] أشد الحتف، فقال مخوفا ١٠ لهم بالإعراض: ﴿سلهم﴾ أى يا أيها الرسول الذى محت دلائله بقوة أنوارها الأنوار.

و لما كان السؤال سببا لحصول العلم علقت، "سل" على[6] مطلوبها الثانى و كان حقه أن يعدى بعن فقال: ﴿ايهم بذالك﴾ أى الأمر العظيم من المعاهدة و الدليل النقلى و العقلى ﴿زعيم﴾ أى كفيل و[7] ضامن ١٥ أو سيد أو رئيس أو متكلم بحق أو باطل لتلزمه فى ادعائه صحة ذلك

(١) من ظ وم، وفى الأصل: غيرها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم. (٣) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: به (٦) فى م: عن (٧) من ظ و م، وفى الأصل: أو.

ما تدعه به ضحكة للعباد، و أعجوبة للحاضر منهم و الباد، فلم يجسر لما تعلمون من حقية هذا القرآن و [ما - [1]] لأقوالهم كلها من العراقة في البطلان أحد منهم على شدة عداوتهم و محبتهم للغالبة و [2] شماختهم أن [2] يبرز لادعاء ذلك، و لما [3] نفى أن يكون لهم منه سبحانه في تسويتهم [4]
٥ بالمسلمين دليل عقلي أو نقلي أو عهد وثيق على هذا [الترتيب - [1]] المحكم و المنهاج الأقوم، أتبعه ما يكون من عند غيره إن كان ثم غير على ما ادعوا فقال: ﴿ام لهم شركآء ج﴾ أي شرعوا لهم [5] من الدين [5] أمرا و وعدوهم بشيء أقاموا عليه من الأدلة ما أقنا لنبينا صلى الله عليه و سلم ﴿ فليأتوا بشركآئهم ﴾ أي باقوالهم و أفعالهم كما أتينا نحن في نصر
١٠ نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من الأمرين معا بما لا شبهة فيه، و سجل عليهم بالكتاب [6] ملهبا مهيجا بما يحرق به أكبادهم و لا يقدرون على دفعه بوجه، فيكون ذلك أعظم دليل على [إبطالهم - [1]]: فقال ﴿ان كانوا﴾ أي جبلة و طبعا ﴿صدقين ه﴾ أي عريقين في هذا الوصف كما يدعونه، و لما نفى جميع شبههم التي يمكن [أن - [1]] يتشبثوا بها مع البيان لقدرته على ما يريد
١٥ من تفتيق الأدلة و تشقيق البراهين الدال على تمام العلم اللازم منه كمال القدرة فأوصلهم من وضوح الأمر إلى حد لم يبق معه إلا العناد، أتبع ذلك تهديدهم بما يثبت ذلك قدرته عليه من يوم الفصل و معاملتهم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: شماخة لا (٣) من ظ و م، و في الأصل: لا (٤) من ظ و م، و في الأصل: تشربتهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و في الأصل: بالأمر (٧) زيد في الأصل: جبلوا و طبعوا عليه، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

فيه

فيه بالعدل فقال : ﴿ يوم ﴾ يجوز ان يكون بيانا ليوم القيامة ، و بنى لإضافته إلى الجملة و أن يكون ظرفا ليأتوا ، أو منصوبا بما أخذ من معنى الكلام من [نحو-[1]] : سيعلمون ما يلقون من غب هذه المعاملات و إن نالوا فى هذه الدار جميع اللذات فى جميع اليوم الذى ﴿ يكشف ﴾ اى يحصل الكشف فيه ، و بنى للفعول لأن المخيف وقوع[2] الكشف الذى هو كناية عن تفاقم الأمور ٥ و خروجها عن حد الطوق ، لا كونه من معين ، مع أن من المعلوم أنه لا فاعل هناك غيره سبحانه ﴿ عن ساق ﴾ أى يشتد فيه الأمر غاية الاشتداد لأن من اشتد / عليه الأمر وجد فى فصله شمر عن ساقه لأجله و شمرت حرمه / ٤٦٩ عن سوقهن غير محتشمات هربا ، فهو كناية عن هذا و لذلك نكره تهويلا [له-[1]] و تعظيما ، نقل هذا التأويل عن ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد ١٠ ابن جبير رضى الله عنه و غيرهما ، و عن انكشاف جميع الحقائق و ظهور الجلائل فيه و الدقائق من الأهوال و غيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه و تركت السامع لها فى مثل ضوء النهار ، و فى الجزء الخامس و الثلاثين من مسند أبى يعلى الموصلى عن أبى بردة عن أبيه رضى الله تعالى عنهم عن النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا قال : عن نور عظيم ١٥ يخرون له سجدا ، و هو لاينافى ما ذكر من التأويلين[3] : الشدة و الكشف. و لما كان هـذا الكشف الذى كشف لهم المعانى فى هذا القرآن إنما هو لأجل العبادة التى هى الخضوع الذى يعبر عنه بالسجود و[4] هو

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و قع (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التأويل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى.

آيتها و [1] أمارة ما اشتمل عليـه الباطن منها و علامتها فيأتونها و هم قادرون عليها ذكرهم يوما يريدونها فيه فلا يتأتى لهم تنديما لهم و زيادة تحسير و إظهار تظليل و تخسير لأن ظهورهم و أعضاءهم تكون طبقا واحدا لا تنثنى ، فكلما أرادوا أن يسجدوا انقلبوا على أقفائهم ، فقال

٥ بانيا للفعول دلالة على إرادتهم للانقياد و رغبتهم فيه من أى داع كان ، و هو دال على أن التكليف لا ينقطع إلا بدخول كل من الفريقين داره و ﴿يدعون﴾ أى من داعى الملك الديان ﴿الى السجود﴾ توبيخا على تركه الآن و تنديما و تعنيفا لا تعبدا و تكليفا فيريدونه ليضروا أنفسهم عما يرون[2] من المخاوف ﴿فلا﴾ أى فيتسبب عن ذلك أنهم [لا -[3]] ﴿يستطيعون﴾

١٠ أى لأنهم غير سالمين لا أعضاء لهم تنقاد به مع شده معالجتهم لأنفسهم على أن تطوع لهم أعضاؤهم بما تفهمه هذه الصيغة من أن الإنسان منهم[4] إذا أراد الفعل و عالجه بقوة فلم يطقه فان ظهورهم تكون على حالة لا تنثنى معها بل كان فيها السفافيد فيكون لهم فى ذلك أشد ندم لتركهم إياه فى الدنيا و هم يقدرون عليه و هو إذ ذاك نافع لهم [و معالجتهم

١٥ فعله أشد معالجة و هم غير قادرين عليه و هو غير نافع لهم -[3]] و إذا عجزوا مع المعالجة كانوا بدونها أعجز ، و ذلك أنه يبعث المرء على ما مات عليه و يحشر على ما بعث عليه إن خيرا فخيرا و إن شرا فشر ، و لما كان ربما ظن ظان أن المانع [لهم -[2]] الكبر كما فى هذه الدنيا ، قال مبينا لنفى الكبر فى

---

(١) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يريدون (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : اذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

مثل هذا اليوم العظيم ﴿خاشعة﴾ أى مخبتة متواضعة ﴿ابصارهم﴾ لأن ما فى القلب يعرف فى العين، و ذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم و وجوههم أضوأ من الشمس، و وجوه الكافرين و المنافقين سود مظلمة.

و لما كان الخاشع لذلك قد يكون خشوعه لخير عنده / حمله على ذلك مع[1] العز قال: ﴿ترهقهم﴾ اى تغشاهم و تقهرهم ﴿ذلة﴾ أى عظيمة لأنهم استعملوا الأعضاء التى أعطاهموها سبحانه و تعالى ليتقربوا بها إليه فى دار العمل فى التمتع بما يبعد منه. ٤٧٠ / ٥

و لما دلت هذه العبارة مطابقة لما ورد فى الحديث الصحيح على أن من كان فى قلبه مرض فى الدنيا يصير ظهره طبقا واحدا[2] فقارة واحدة فيعالج السجود فيصير كلما أراده انقلب لقفاه، عجب منهم فى ملازمة الظلم الذى هو إيقاع الشيء[3] فى غير موقعه فقال: ﴿و قد﴾ أى و الحال انهم ﴿كانوا﴾ أى دائما بالخطاب الثابت ﴿يدعون﴾ فى الدنيا من كل داع يدعو إلينا ﴿الى السجود و هم﴾ أى فيأبونه[4] و الحال أنهم ﴿سلمون﴾ أى[5] [فهم -[6]] مستطيعون، ليس فى أعضائهم ما يمنع من ذلك. و إنما يمنعهم منه الشماخة و الكبر، فالآية من [الاحتباك -[6]]: ذكر عدم الاستطاعه أولا دال على حذف الاستطاعة ثانيا، و ذكر السلامة ثانيا دال على حذف عدم السلامه أولا. ١٠ ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شيء (٤) من م، و فى الأصل: فيأتون إليه، و فى ظ: فيأتونه (٥) سقط من ظ و م (٦) زيد من ظ و م.

و لما علم بهذا [١] أنه سبحانه [١] المتصرف وحده بما يشاء [٢] كيف يشاء من المنع و التمكين، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يجد من تكذيبهم له - مع إتيانه بما لا يحتمل التكذيب بوجه - من المشقة ما لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه و تعالى، و كان علم المغموم [٣] بأن له منقذا يخفف عنه، ٥ و كان علمه باقتداره على ما يراد منه [٤] أقر لعينه سبب عن كمال اقتداره قوله مخففا عنه عليه أفضل الصلاة و السلام، لافتا القول إلى التكلم بالإفراد تنصيصا على المراد زيادة في [٥] تسكين القلب و شرح الصدر [٦]: ﴿ فذرني ﴾ أي اتركني على أي حالة اتفقت ﴿ و من يكذب ﴾ أي يوقع التكذيب لمن يتلو ما جددت إنزاله من كلامي القديم على أي ١٠ حالة كان إيقاعه، و أفرد الضمير نصا [٧] على تهديد كل واحد من المكذبين: ﴿ بهذا الحديث ﴾ أي بسببه [٨] أي خل بيني و بينهم و كل أمرهم إلي و لا تكترث بشيء منه أصلا فاني أكفيكهم لأنه [لا - [٩]] مانع منهم فلا تهتم بهم [١٠] أصلا.

و لما كان كأنه قيل: و ما ذا تعمل فيه [١١] إذا خليت بينك و بينه [١٢]؟

(١-١) من ظ وم، و في الأصل: سبحانه انه (٢) زيد في الأصل: أن من، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من م، و في الأصل وظ: المعلوم. (٤) زيد في الأصل، اوخرب، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم، و في الأصل: على (٦) من ظ وم و في الأصل: الصدور (٧) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٨) من ظ و م، و في الأصل: سبب (٩) زيد من ظ وم (١٠) من ظ وم، و في الأصل: به (١١) من ظ وم، وفي الأصل: فيهم. (١٢) من ظ وم، و في الأصل: بينهم.

أجابه بقوله جامعا الضمير ليكون الواحد مهددا من باب الأولى : ﴿ سنستدرجهم ﴾ أى فأخذهم بعظمتنا [١] عما قليل [١] على غرة بوعد لا خلف فيه [٢] و ندنيهم [٢] إلى الهلاك درجة درجة بواسطة من شئنا من جنودنا و بغير واسطة بما نواتر عليهم من النعم التى توجب [عليهم - [٣]] الشكر فيجعلونها سببا لزيادة الكفر فنوجب [٤] لهم النقم . ٥

و لما كان أخذ الإنسان من مأمنه على حالة غفلة بتوريطه فى أسباب الهلاك حتى لا يحس بالهلاك إلا و هو لا يقدر على التفصى فيها بوجه قال تعالى : ﴿ من حيث ﴾ أى من جهات ﴿ لا يعلمون ﴾ أى لا يتجدد لهم علم ما فى وقت من الأوقات بغوائلها [٥] ، و ذلك انه سبحانه يغرهم بالإمهال و لا يعاجلهم بالعقاب فى وقت [٦] / المخالفة كما يتفق ١٠ / ٤٧١ لمن يراد به الخير فيستيقظ بل يمهلهم و يمدهم بالنعم حتى يزول عنهم خاطر التذكر فيكونوا منعمين فى الظاهر مستدرجين فى الحقيقة فيقولون : قد قلتم : إن القدر فائض عن القضاء و أن الأعمال [قضاء - [٣]] و جزاءها قدر ، و يقولون : إن أفعالنا فى الدنيا قبيحة و نحن لا نرى جزاءها إلا ما يسرنا لولا يعذبنا الله بما نقول [٧] فأنتم كاذبون فى توعدنا فانا كلما ١٥ أحدثنا ما تسمونه معصية تجددت لنا نعمة ، و ذلك كما قادهم إلى تدريجهم

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : قليل بعظمتنا (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل و ظ : فنذيهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فاوجب ذلك. (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بغائنها (٦) العبارة من « فى وقت » إلى هنا تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : حسبهم فهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و هم فى غايـــة الرغبة[1]، قال القشيرى : و الاستدراج أن يريد السئ و يطوى عن صاحبه وجه القصد حتى يأخذه بغتة فيدرج إليه شيئا بعد شىء.

و لما كان الاستدراج يكون بأسباب كثيرة من بسط النعم و غيرها، فأبرزه بالنون[2] المشتركة بين الاستتباع و العظمة، و كان تأخير الأجل ٥ لا يكون إلا لله وحده بغير واسطة شىء قال سبحانه : ﴿ و املى ﴾ أى أوخر أنا وحدى فى آجالهم و [3]أوسع لهم[3] فى جميع تمتعهم[4] ليزدادوا إثما ﴿ لهم[4] ﴾ لأنه لا يقدر على مد الأجل و ترفيه العيش غيرى.

و لما سلاه صلى الله عليه و سلم بهذا غاية التسلية، علل أو استأنف فى جواب من لعله يقول: لم يكون أحدهم على هذا الوجه ؟ مسميا إنعامه ١٠ كيدا : ﴿ ان كيدى ﴾ أى [5]سترى لأسباب[5] الهلاك عمن أريد[6] إهلاكه و إبدائى [7]ذلك له[7] فى ملابس الإحسان و خلع البر و الامتنان ﴿ متين ه ﴾ اى فى غاية القوة حيث كان حاملا للانسان على إهلاك نفسه باختياره و سيعلم [8]عند الأخذ أنى[8] لما [9]أمهلته ما أهملته[9] و إن

---

(١) زيد فى الأصل : انتهى. ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل : من النون (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اومنهم (٤) زيد فى الأصل : أما املى لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ستر اسباب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يريد. (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : له ذلك (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : انى عند الأخذ (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اهملته ما امهلته.

إمهالي إنما كان استدراجا .

و لما كان هذا القرآن اعظم إحسان، ساقه سبحانه و تعالى إليهم، فكان موجبا للشكر عليهم للذى أنزله و لإكرام الآتى به، فكان سببا لمباشرتهم[1] من التكذيب [به - [2]] و الأذى للآتى به إليهم ما يوجب أخذهم، قال دالا [على - [2]] متانة كيده سبحانه و دقة استدراجه ٥ عاطفا على ما تقديره لبيان أنهم يباشرون ما يهلكهم باختيارهم من غير موجب : أكان تكذيبهم بهذا الذكر لشىء فيه يرتابون ؟ قوله منكرا عليهم، مبينا أن تكذيبهم إنما هو لأنـــه طبع و خبث سجية لا شهوة لهم فيه و لا شبهة : ﴿ ام تسئلهم ﴾ أنت يا أعف الخلق و أعلام همما ﴿ اجرا ﴾ عـلى [3] إبلاغك إياهم [3] ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك و تعقب أنهم ١٠ ﴿ من مغرم ﴾ كلفتهم به [4] فهم لشدته [4] ﴿ مثقلون ﴾ أى واقع إثقالهم به حتى أوجب / لهم ذلك الغرم الناقص لأموالهم [5] التقاعد عن / ٤٧٢ التصديق بما [6] جئت به إليهم من [6] عندنا فصاروا يشتهون إقلاعك عنه .

و لما نفى أن يكون تكذيبهم بشهوة [7] دعتهم إلى ذلك نفى أن يكون لهم فى ذلك شبهة من [8] شك فى الذكر [أو حيف فى المذكر - [2]] ١٥

(١) زيد فى الأصل : له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ وم : ابلاغه (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) زيد فى الأصل : الموجب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل : بشبهة (٨) من ظ و م، و فى الأصل : ممن .

و أن يكونوا[1] على ثقة او ظن من[2] سلامة العاقبة فقال: ﴿ام عندهم﴾ اى خاصة ﴿الغيب﴾ اى علمه[3] من اللوح المحفوظ أو غيره ﴿فهم﴾ بسبب ذلك ﴿يكتبون﴾ أى ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا على أن هذا الذكر ليس من عند الله أو على أنهم لا درك
٥ عليهم[4] فى التكذيب به، فقد علم بهذا أنه لا شهوة لهم فى ذلك عادية و لا شبهة، و إنما تكذيبهم بمجرد خبث طباع، و ظلمة نفوس و أمانى فارغة و أطماع.

و لما انتفى جميع ذلك فثبت أنهم على خطار عظيم، و انه سبحانه المختص بعلم الغيب، و قد أخبر باهلاكهم من أجله صلى الله عليه و سلم،
١٠ و أن كفر من كفر و إيمان من آمن بقضائه و تقديره، فكان لابد منهما، كان ذلك سببا حاملا له [على -[5]] الصبر إلى الوقت الذى ضربه سبحانه للفرج، فقال مسببا عما تقديره: لم يكن له شيء مما ذكر، و إنما هو القضاء و القدر: ﴿فاصبر﴾ أى أوفر الصبر و أوجده على كل ما يقولون[6] فيك و على غير ذلك من كل ما يقع منهم و من غيره من
١٥ مر[7] القضاء و القدر ﴿لحكم ربك[8]﴾ أى للقضاء[9] الذى قضاه و قدره[10]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يكون (٢) من م، و فى الأصل و ظ: فى. (٣) فى ظ و م: علموا (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) فى م: يقولونه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: امر (٨) ليس فى الأصل فقط (٩) من ظ وم، و فى الأصل: لقضائه (١٠) زيد فى الأصل: فانه هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

المحسن إليك الذى أكرمك [بما أكرمك به من الرسالة و ألزمك بما ألزمك من البلاغ و خذلهم بالتكذيب - [1]] و مد لهم على ذلك [2] فى الآجال [2] و أوسع عليهم النعم و أخر ما وعدك به من النصر [3] .

و لما كان حاصل قصة يونس - على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام - أنه استثقل الكرامة بالرسالة [4] لما فيها من الأمور الشديدة ٥ من معالجة الخلق فامتحن ، كان سببا لقبوله ذلك ، ثم كان سبب إسلام قومه إدناء العذاب منهم و تقريب غشيانه لهم ، أشار [له - [1]] بقصته إلى أنه يراد إعلاؤه - صلى الله عليه و سلم عليه و على سائر الأنبياء - و إعلاء أمته على [5] سائر الأمم [5] بما يحتاج إلى صبر [على - [1]] ما يستثقل من ضر أو أمر شديد مر فقال : ﴿ و لا تكن ﴾ أى و لا يكن ١٠ حالك فى الضجر و العجلة [6] إلى غير ذلك [6] . و لما كان قد افتتح السورة بالنون الذى من مدلولاته الحوت ، عبر به هنا تحقيقا لإرادته فقال : ﴿ كصاحب ﴾ أى كحال صاحب ﴿ الحوت ﴾ و هو يونس [6] بن متى [6] عليه الصلاة و السلام ﴿ اذ ﴾ أى حين ، و العامل فى هذا الظرف المضاف المحذوف من الحال و نحوها ، أو يكون التقدير : لا يكن حالك ١٥ كحاله يحصل لك [مثل - [1]] ما حصل له حين ﴿ نادى ﴾ أى [7] ربه

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالاجمال .
(٣) زيد فى الأصل : الى يوم الجزاء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : و ارساله (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أمته (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : نادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

المربى له باحسانه فى الظلمات من[١] بطن الحوت و ظلمة ما يحيط به من الجثة و ظلمة [٢]لجج البحار[٢] ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه /عند ندائه ﴿ مكظوم ۚ ﴾ أى مملوء كربا و هما و شدة و غما[٣] محمول على السكوت يبطنه فهو لا ينطق من شدة حزنه، و محبوس عن جميع ما يريد من التصرف إلى أن ألجأه سبحانه بذلك إلى الدعاء و التضرع، من الكظم، و هو السكوت عن امتلاء و تجرع للرارات[٤]، و من هذا كظمت السقاء أى [٥]شددته و ملأته[٥] فكان مكظوما، و المكظوم[٦]: المكروب - كأنه قد أخذ بكظمه و هو مخرج نفسه.

و لما تشوف السامع إلى ما كان من أمره بعد هذا الأمر العجيب قال: ﴿ لو لآ ان ﴾ و عظم الإحسان بالتذكير و صيغة التفاعل فقال: ﴿ تدٰركه ﴾ أى أدركه إدراكا عظيما كأن كلا من النعمة و المنة يريد أن تدرك [الآخر - [٧]] ﴿ نعمة ﴾ أى عظيمة جدا ﴿ من ربه ﴾ أى الذى أرسله و أحسن إليه بارساله و تهذيبه للرسالة و التوبة عليه و الرحمة له ﴿ لنبذ ﴾ أى لولا هذه الحالة السنية التى أنعم الله عليه بها لطرح طرحا هينا جدا ﴿ بالعرآء ﴾ اى الأرض القفر التى [٨] لابناء فيها و لانبات[٨]، البعيدة من الإنس حين طرح فيها كما حكم بذلك من[٩]

(١) من ظ وم، و فى الأصل : فى (٢-٢) فى م : اللجج (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : عليه الصلاة و السلام و على جميع الأنبياء و المرسلين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) فى م : ملأته و شددته (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من ظ وم (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل : لانبات فيها و لا بناء (٩) من ظ و م، و فى الأصل : فى .

الازل ﴿ و هو ﴾ اى و الحال أنه ﴿ مذموم ﴾ أى ملوم على الذنب، و لما كان التقدير: و لكنه تداركه بالنعمة فلم يكن [1] فى نبذه ملوما [1]، سبب عنه قوله: ﴿ فاجتبٰه ﴾ أى اختاره لرسالته ﴿ ربه ﴾ ثم [2] سبب عن اجتبائه قوله: ﴿ فجعله [3] من الصٰلحين ﴾ أى الذين رسخوا [4] فى رتبة الصلاح فصلحوا فى أنفسهم للنبوة و الرسالة و صلح بهم غيرهم، ٥ فنبذ بالعراء و هو محمود، و من صبر أعظم من صبره كان أعظم أجرا من أجره، و أنت كذلك [5] فانت أشرف العاملين و العالمين [5].

و لما نهاه صلى الله عليه و سلم عن طاعة المكذبين و حذره ادهانهم و ضرب لهم الأمثال، و توعدهم إلى أن قال: ذرنى و من يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم [6] - و ختم بقصة يونس عليه السلام للتدريب ١٠ على الصبر و عدم الضعف و لو بالصغو إلى المدهن [7]، فكان التقدير تسبيبا عما فيها من النهى: فانهم إنما يبالغون فى أذاك لتضجر فتترك ما أنت فيه، قال عاطفا على [هذا - [8]] المقدر مخبرا له بما فى صدورهم من الاحن عليه و فى قلوبهم من الضغائن له ليشتد حذره من ادهانهم، مؤكدا لأن من يرى ادهانهم يظن إذعانهم و ينكر لمبالغتهم فيه طغيانهم: ١٥

(١ - ١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اى (٣) زيد فى الأصل: اى ربه سبحانه لى اجتباه من الازل جعله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هم راسخون. (٥) فى ظ و م: شرف العالمين (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المدهنين (٨) زيد من ظ و م.

﴿ و ان ﴾ أى و إنه ﴿ يكاد ﴾ و أظهر بموضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلائل.

و لما كانت [" ان " - [1]] مخففة، أتى باللام التى هى علمها فقال:

٥ ﴿ ليزلقونك ﴾ أي من شدة / عداوتهم وحسدهم وغيظ قلوبهم ﴿ بابصارهم ﴾ أى يوجدون لك التنحية عما أنت فيه و الزلل العظيم الذى صاحبه فى موضع دحض لا مستمسك[2] فيه بالهلاك فما دونه من الأذى حتى يرموك من قامتك إلى الأرض كما يزلق الإنسان فينطرح[3] لما يتراءى فى عيونهم حين تصويب [النظر - [1]] للفطن من الحنق و السخط الدال

١٠ على أن صدورهم تغلى، و هو من قولهم: نظر إلىّ [4]نظرا كاد[4] يصرعنى، [يعنى - [1]] لو أمكنه أن يصرعنى به لصرعنى كما قال تعالى «يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» و قيل: يهلكونك باصابة العين[5]، قال القشيرى: كانوا إذا أرادوا أن يصيبوا شيئا بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام ثم نظروا إلى ذلك الشيء و قالوا: ما أحسنه من شيء، فيسقط

١٥ المنظور إليه فى الوقت، ففعلوا ذلك بالنبى[6] صلى الله عليه و سلم و قالوا: ما أنصحه[7] من رجل، فحفظه الله منهم، و للشيخين[8] عن أبى هريرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ممسك (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فيطرح (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: منظر كان (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: للنبد (٧) زيد فى الأصل إنه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٨) راجع صحيح البخارى: الطب - وصحيح مسلم: السلام.

رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه و سلم قال: العين حق، [و فى رواية عند أحمد[1] و ابن ماجه[2]: يحضر بها الشيطان و حسد ابن آدم، و لأحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه: العين حق - [3]] و لو أن شيئا سابق القدر سبقته العين، و إذا استغسلتم فاغسلوا[4]، و لأبي نعيم فى الحلية من حديث جابر رضى الله عنه رفعه: العين حق تدخل الجمل ٥ القدر و الرجل القبر، و لأبي داود[5] من حديث أسماء بنت يزيد رضى الله عنها: و إنها لتدرك الفارس فتدعثره.

و لما ذكر هذا الإزلاق العظيم، ذكر ظرفه معبرا بالماضى تذكيرا بالحال الماضية فقال: ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ أى القرآن الذى [غلب - [3]] عليه التذكير بأمور يعليها كل احد من نفسه، و من الآفاق حتى كان ١٠ هواياه أول ما سمعوه حسدا على ما أوتيت من الشرف فكان سماعهم له باعثا لما عندهم من البغض و الحسد على أنه لم يزدهم تمادى الزمان إلا حنقا بدلالة[6] ﴿ و يقولون ﴾ أى قولا لا يزالون يجددونه.

و لما كان صلى الله عليه و سلم فى غاية البعد عما يشين، أكدوا قولهم: ﴿ انه لمجنون ﴾ حيرة فى أمرك و تنفيرا عنك لما يعلمون من ١٥ أنه لا يسمعه أحد لا غرض له إلا كذبهم و مال بكليته إليك و كان

---

(١) راجع المسند ٢ / ٤٣٩ (٢) ليس فى السنن فى مظانها (٣) زيد من ظ و م. (٤) زيد فى الأصل وظ : انتهى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) راجع السنن : الطب (٦) زيد فى الأصل : نقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

معك[١] و ارتبط بك و اغتبط بما جئت به ، و عن الحسن أن قراءة هذه الآية دواء[٢] للاصابة بالعين .

و لما كان معنى قولهم هذا أن ما يقوله تخاليط[٣] من يصرع بالجن، أكد بقصر القلب قوله معجبا منهم ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أن هذا القرآن أو الرسول صلى الله عليه و سلم ما ﴿ هو الا ذكر ﴾ أى موعظة و شرف ﴿ للعٰلمين ﴾ أى / كلهم عاليهم و دانيهم ليس منهم أحد إلا و هو يعلم أنه لا شيء يشبهه فى جلالة معانيه و حلاوة ألفاظه و عظمة سبكه[٤] و دقة فهمه[٤] و رقة حواشيه و جزالة نظومه ، و يفهم منه على حسب ماهيأه الله له ليناسب عموم ذكريته عموم الرسالة للرسل بــه ، و كل ما فيه من وعد و وعيد و أحكام و مواعظ شامل لهم كلهم ، فوجبت التفرقة بين مسلمهم و مجرمهم لتصدق أقواله[٥] فيكمل[٦] جلاله و جماله[٦] فقد رجعت خاتمتها - كما ترى - على فاتحتها بالنون و القلم و ما يسطرون من هذا الذكر ، و سلب ما قالوا فيه من الجنون و الإقسام على الخلق العظيم الذى هو هذا الذكر الحكيم ، و نبه كونه ذكرا لجميع الخلق بما فيه من الوعد و الوعيد على أنه لابد من الحاقة و هى القيامة ليظهر فيها تأويله و إجماله و تفصيله ، و يتضح غاية الاتضاح سبيله ،

٤٧٥ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : معه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و ا - مع بسير مم البياض (٣) زيد فى الأصل : كتخاليط ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اقوالهم (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جماله و جلاله .

و تحق فيها حقائقه و تظهر جلائـله و دقائقه بما يقع من الحساب ، و يتبين غاية البيان و يظهر[1] الخطأ من الصواب - [2] و الله الهادي[2].

سورة الحاقة[3]

مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق لإحقاق الحق و إزهاق الباطل بالكشف التام لشمول العلم [4] للكليات و الجزئيات[4]، و كمال القدرة [5] على ٥ العلويات[5] و السفليات ، و إظهار العدل بين سائر المخلوقات ، ليميز المسلم من المجرم بالملذ و المؤلم[6] ، و تسميتها بالحاقة في غاية الوضوح في ذلك و هو أدل ما فيها عليه ﴿ بسم الله ﴾ الذي له الكمال كله نزاهة و حمدا ﴿ الرحمن ﴾ الذي عم جوده[7] بالعدل كبرا و مجدا ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أهل وده بالوقوف عند حدوده لينالوا بطيب جواره[8] علوا وجدا ١٠ [9] و فوزا بالأماني و سعدا[9] .

لما قدم سبحانه في « نون » الإنكار الشديد لأن[10] يسوى المسيء بالمحسن ، و ذكر القيامة و بينها بيوم كشف الساق و زيادة المشاق ، و هدد التهديد العظيم بآية الاستدراج الذي لا يدفع بعلاج ، و ختم بأن القرآن ذكر - أي شرف - و تذكير ، و مواعظ للعالمين في شمولهم كلهم ١٥

---

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) التاسعة و الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آيها اثنتان و خمسون (٤ - ٤) من ظ و م ، و في الأصل : بالجزئيات و الكليات (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : للعلويات (٦) من ظ و م ، و في الأصل : المالم (٧) من ظ و م ، و في الأصل : وجوده (٨) من ظ و م ، و في الأصل : علوه (٩-٩) من ظ و م ، و في الأصل : بالأماني و الفوز (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : لا .

برحمته ، أما من بعد[1] إنزاله فبوعيده و وعده و وعظه و قصه و امره و نهيه ، و أما من قبل إنزاله فبالشهادة [2]لهم و عليهم[2] ، و كان تأويل ذلك و جميع آثاره إنما يظهر ظهورا تاما يوم الجمع الأكبر ، و كان ذلك اليوم أعظم مذكر للعالمين و واعظ[3] لهم و زاجر ، تنبني جميع

٤٧٦ / ٥ الخيرات / على تذكره[4] و تذكر العرض على الملك الديان ، و السر فى إنزال القرآن هو التذكير بذلك اليوم الذى هو نظام الوجود ، قال واصفا للقيامة و اليوم الذى يكشف فيه عن ساق ، واعظا بذكرها و محذرا من أمرها : ﴿ الحآقة ﴾ [أى -[5]] الساعة التى يكذب بها هؤلاء و هى[6] أثبت الأشياء و أجلاها فلا كاذبة لها و لا لشيء عنها ،

١٠ فلا بد من حقوقها فهى ثابتة فى نفسها ، و من إحضار الأمور فيها بحقائقها ، و المجازاة عليها بالحق الذى لا مرية [7]فيه لأحد[7] من الخلق ، فهى فاعلة بمعنى مفعول فيها ، و هى فاعلة أيضا لأنها غالبة لكل خصم ، من حاققته فحققته [8]أحقه أى[8] غالبته فى الحق فغلبته فيه ، فهى تحق الحق و لا بد فتعلو الباطل فتدمغه و تزهقه فتحق العذاب للمجرمين و الثواب للمسلمين ،

١٥ وكل ما فيها دائر على الثبات و البيان ، لأن ذلك مقتضى الحكمة[9] و لا

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بعيدا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بينهم و لهم (٣) من ظ وم ، و فى الأصل : وعظ (٤) فى م : تذكيره (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاحد فيه (٨ - ٨) من ظ و م ، وفى الأصل : إلى احقة (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الحكم .

يرضى لأحـــد من الحكام ترك رعيته بغير إنصاف بينهم على زعمه فكيف بالحكيم العليم، و قصة صاحب الحوت عليه السلام أدل دليل على القدرة عليها .

و لما كان ذلك كله أمرا رائعا للعقول، هازا للقلوب، مزعجا للنفوس، و كان ربما توقف فيه الجلف الجافى، أكد أمره و زاد فى ٥ تهويله، و أطنب فى تفخيمه و تبجيله، إشارة إلى أن هوله يفوت الوصف بقوله، معلما[1] أنه مما يحق له أن يستفهم عنه سائقا[2] له بأداة الاستفهام مرادا بها التعظيم للشأن، و أن الخبر[3] ليس كالعيان: ﴿ ما الحآقة ﴾ فأداة الاستفهام مبتدأ أخبر[4] عنه بالحاقة و هما خبر عن الاولى، و الرابطة تكرير المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد أى ما هو، [و -[5]] أكثر ما يكون ١٠ ذلك إذا أريد معنى التعظيم و التهويل .

و لما كان السياق لترجمة المراد بكشف الساق، عظم التهويل بقوله: ﴿ و مآ ادرىٰك ﴾ أى فى الزمن الماضى، و قصره لتذهب النفس فيه كل مذهب، أى و أى شىء أعلمك بشىء من الأشياء مع تعاطيك للبحث و المداورة[6]، ثم زاد التحذير منها[7] بقوله على النهج الاول مستفهما ١٥ و المراد [8]به التفخيم[8] و مزيد التعظيم: ﴿ ما الحآقة ﴾ أى أنها بحيث

---

(١) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مستأنفا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اخبر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: خر (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المداوة. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: تفخيم او.

لا يعلم كنهها أحد [١]و لا يدركها[١] و لا يبلغها درايته[٢] و كيف ما قدرت [حالها - [٣]] فهى أعظم من ذلك، فلا تعلم حق العلم إلا بالعيان.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما بنيت سورة "ن و القلم" على تقريع[٤] مشركى قريش و سائر العرب و توبيخهم و تنزيه نبى الله صلى الله

٥ عليه و سلم عن شنيع قولهم و قبيح بهتهم، و بين حسدهم[٥] و عداوتهم "و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم" أتبعت بسورة الحاقة وعدا لهم و بيانا أن حالهم فى سوء ذلك المرتكب قد سبق إليه غيرهم "كذبت ثمود و عاد بالقارعة" "فهل ترى لهم من باقية" ["الم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من

١٠ قبلهم - [٥]]، و "كم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا"، فسورة الحاقة جارية / مجرى هذه الآى المعقب بها /٤٧٧ ذكر عناد مشركى العرب ليتعظ بها من رزق التوفيق لنجعلها لكم تذكرة و تعيها أذن واعية.

[٦]و لما ذكر حال من هلك[٦] من الأمم السالفة بسوء تكذيبهم

١٥ و قبيح عنادهم، أتبع ذلك بذكر الوعيد الأخراوى "يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"، ثم عاد الكلام إلى ما بنيت عليه سورة "ن و القلم"

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: درايتها. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: توزيع (٥) زيد فى الأصل: بين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: كان حالين اهلك.

من تنزيهه صلى الله عليه و سلم و تكريمه مقسما على ذلك "انه لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر - و لا بقول كاهن ¹قليلا ما تذكرون¹"
و ²انتهى نفى² ما تقوله منصوصا على نزاهته عن³ كل خلق منها فى السورتين «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» و ما الذى جئت به بقول شاعر و لا بقول كاهن بل هو تنزيل من رب العالمين، و انه لتذكرة للمتقين ٥
و إنه لحق اليقين، فنزه ربك و قدسه عن عظيم ما ارتكبوه - [انتهى - ⁴]
فلما بلغ التهويل حده، و كان سبب الإنكار للساعة ظن عدم القدرة عليها مطلقا⁵ أو لعدم العلم بالجزئيات، [قال دالا على تمام القدرة و العلم - ⁴]
⁶ بالكليات و الجزئيات⁶ محذرا من ⁷ أنكرها بأنه⁷ قادر على تعجيل الانتقام و لكنه لإكرامه لهذه⁸ الأمة أخر عذابها إلى الآخرة إلا لمن ١٠
كان منهم من الخواص فانه يظهرهم فى الدنيا ليتم نعيمهم بعد الموت بادئا بأشد القبائل تكذيبا بالبعث لكون ناقتهم أول دليل على القدرة عليه، و قالوا مع ذلك «أبشر منا واحدا نتبعه» إلى أن قالوا: «بل هو كذاب اشر» و قالوا فى التكذيب [بها - ⁴] «ايعدكم أنكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: انفى - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل، مطلق (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: والكليات. (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: انكارها فانه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: هذه.

هى الاحياتنا [الدنيا] نموت» ـ الآيتين، فأن الأمر فيهم دائر بين عاد و ثمود: ﴿كذبت ثمود﴾ و تقديمهم ايضا من حيث أن بلادهم أقرب إلى قريش، و واعظ[1] القرب أكبر و إهلاكهم بالصيحة و هى أشبه بصيحة النفخ فى الصور المبعثر لما فى القبور ﴿و عاد﴾ و كان الاصل ٥ أن يقال: بها، و لكنه أظهرها بوصف زادها عظما و هولا فقال: ﴿بالقارعة ۝﴾ أى [التى ـ[2]] تقرع، أى تضرب ضربا قويا و تدق دقا عنيفا شديدا للاسماع و جميع العالم بانفطار السماوات[3] و تناثر النيرات[4] و نسف الجبال الراسيات، فلا يثبت لذلك الهول شىء.

و لما جمعهم فى التكذيب، فصلهم فى التعذيب لأجل ذلك التكذيب ١٠ فقال: ﴿فاما ثمود﴾ و هم قوم صالح عليه السلام.

و لما كان الهائل لهم لتقيدهم بالمحسوسات إنما هو العذاب، لا كونه[5] من معين، بنى للجهول قوله: ﴿فاهلكوا﴾ أى بأيسر أمر من أوامرنا ﴿بالطاغية ۝﴾ أى الصيحة التى جاوزت الحد فى الشدة فرجفت منها /الأرض و القلوب. / ٤٧٨

١٥ و لما ذكر المهلكين [بالصيحة لأجل التكذيب بالقارعة تحذيرا لمن يكذب بها، أتبعه المهلكين ـ[6]] بما هو سبب لإنفاذ الصيحة و تقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من العذاب بالاختيار

(١) من ظ وم، وفى الأصل: اوعظ (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل وظ: الأرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ وم، وفى الأصل: النيران (٥) من ظ و م، وفى الأصل: بكونه (٦) زيد من ظ و م.

فقال

فقال تعالى: ﴿ و اما عاد ﴾ و هم قوم هود عليه السلام ﴿ فاهلكوا ﴾ أى[1] بأشق ما يكون عليهم و أيسر ما يكون فى قدرتنا ﴿ بريح صرصر ﴾ أى هى[2] فى غاية ما يكون من شدة البرد و الصوت كأنه كرر فيها البرد حتى صار [يحرق بشدته و الصوت حتى صار ـ[3]] يصم بقوته؛ و قال الملوى: أصله صر و هو البرد الشديد أو الحر الشديد ﴿عاتية ۙ﴾ ٥ أى مجاوزة للحد[4] من شدة عصفها و عظمة قصفها تفعل [أفعال ـ[3]] المستكبر الذى لا يبالى بشىء فلم يستطع خزانها ضبطها، و لم يملك المعذب بها ردها و لا ربطها، بل كانت تنزعهم من [5]مكامنهم التى احتفروها[5] و مصانعهم التى أتقنوها و اختاروها فتهلكهم، قال الملوى: قال على بن أبى طالب و ابن عباس رضى الله عنهما[6]: لم ينزل قط ماء ١٠ ولا ريح إلا بمكيال على يد ملك إلا يوم الطوفان فان الله تعالى أذن للماء فطغى على الخزان و يوم عاد أذن للريح فعتت على خزانها ـ انتهى.

و لما وصفها[7] بالعتو على الخلق و الغلبة لهم بحيث كانت خارقة للعادة لم يأت مثلها قبل ولا بعد، دل على صغارها بالنسبة إلى عظمته، و أنه هو الذى أوجدها لا الطبيعة و لا غيرها، بل إنما كانت بقدرته و اختياره ١٥ قهرا لمن طعن فى ملكه و كذب رسله فيما أخبروا به من أمر الساعة

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى الحد (٥ ـ ٥) من ظ و م، و فى الأصل: مكانهم الذى احتفرو (٦) راجع الدر المنثور ٦/٢٥٩ (٧) زيد فى الأصل: انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

التي هي بموضع الحكمة و إظهار جميع العظمة ،فقال مستأنفا دلالة على ذلك :
﴿ سخرها ﴾ أي قهرها على أن سلطها، و التسخير : استعمال الشيء بالإقتدار ،
و دل على أنه تسخير تعذيب [لا -[1]] رحمة و تأديب بأداة الاستعلاء
فقال : ﴿ عليهم ﴾ و كلفها ذلك و ذللها له فلم يمكنها مع عتوها[2] إلا
٥ أن كانت طوع أمره و صنيعة عظمته و قهره.

و لما كانت هذه السورة لتحقيق الأمور ، و كشف المشكل و إيضاح
الخفي، حقق فيها زمن عذابهم تحقيقا لم يتقدم مثله ، فذكر الايام و الليالي ،
و قدم الليالي لأن المصايب فيها أفظع و أقبح و أشنع لقلة المغيث
و الجهل بالمأخذ و الجفاء في المقاصد و المنافذ، و لأن عددها مذكر في
١٠ اللفظ ، و تذكير اللفظ أدل على قوة المعنى و لذلك جعل المميز جمع
كثرة ، و لأنها سبع ، و السبع مبالغ فيه و هو أجمع العدد كما يأتي
تحقيقه قريبا في حملة العرش و لا يمكن أن يظن بتقديمها أن ابتداء
العذاب كان فيها لأنه يلزم حينئذ أن يكون بعدد الأيام فلذلك قال :
﴿ سبع ليال ﴾ أي لا تفتر فيها الريح لحظة لأنه بولغ[3] في شدتها
١٥ مبالغة لم يكن مثلها قط و لا يكون بعدها[4] أبدا ﴿ و ثمنية ايام لا ﴾
كذلك / حال كونها ﴿ حسوما لا ﴾ جمع حاسم أي نحس مانع من /٤٧٩
التصرف دائم متتابع لافترة له[5]، من حسم الكي - إذا تابع فيه بالمكواة،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ وم ، و في الأصل : علوها (٣) من ظ و م ،
و في الأصل : بلوغ (٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و في الأصل : فيه .

قاطع لكل خير، مستأصل له، فأتت عليهم من غير فترة أصلا في جميع ذلك الوقت فاستأصلتهم لم تبق منهم أحدا حتى أن عجوزا منهم توارت في سرب فانتزعتها منه و أهلكتها، و بها سميت أيام العجوز، أو لأنها[1] عجز الشتاء و هي [ذات -[2]] برد و رياح[3] شديدة و هي من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر و هو[4] ٥ آخر الشهر، و[5]قد لزم[5] من زيادة عدد الأيام أن الابتداء كان [بها-[2]] قطعا و إلا لم تكن الليالي[6] سبعا - فتأمل ذلك.

و لما كان الحاسم[7] المهلك، سبب عنه قوله مصورا لحالهم الماضية: ﴿فترى القوم﴾ أي الذين هم في غاية القدرة على ما يحاولونه: ﴿فيها﴾ أي في[8] تلك المدة من الأيام و الليالي لم يتأخر [أحد -[2]] ١٠ منهم عنها ﴿صرعى[1]لا﴾ أي مجدلين على الأرض موتى معصورين مجهزة على كل منهم من شدة ضغطها باد عليهم [9]الذل و الصغار[9]، جمع صريع ﴿كانهم اعجاز﴾[10] أي أصول ﴿نخل﴾ قد شاخت و هرمت فهي في غاية العجز [11]و الهرم[11] ﴿خاوية ج﴾ أي متآكلة الأجواف ساقطة، من

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: لها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: ريح (٤) من ظ و م، و في الأصل: هي (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل: قدم (٦) من ظ و م، و في الأصل: الليل (٧) زيد في الأصل: السبب، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) سقط من ظ و م (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: و الصرع (١٠) زيد في الأصل: نخل، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

خوى النجم - إذا سقط للغروب، و من خوى المنزل - إذا [خلا - [1]]
من قطانه؛ قالوا: كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من
الحشو من ادبارهم؛ فالوصف بذلك لعظم أجسامهم و تقطيع الريح لهم
و قطعها لرؤسهم و خلوهم من الحياة و تسويدها لهم.

٥ و لما كان هذا امرا رائعا لمن له أدنى معقول، و كان الاستفهام
مما يزيد الروعة، قال مسببا عن استئصالهم ليكون الإخبار به المستلزم
لغاية العلم بالجزئيات كالدعوى بدليلها: ﴿ فهل ترىٰ ﴾ أى أيها المخاطب
الخبير بالناس فى جميع الأقطار [2] ﴿ لهم ﴾ أى خصوصا، و أعرق فى
النفى و عبر بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال: ﴿ من باقيه ۝ ﴾ أى بقاء
١٠ أو نفس موصوفة بالبقاء، و أنجى الله سبحانه و تعالى صالحا عليه السلام
و من آمن به [من بين ثمود - [1]] و لم تضرهم الطاغية و هودا عليه السلام
و من آمن به من بين عاد لم يهلك منهم أحد، فدل [3] ذلك دلالة واضحه
على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له كمال الإحاطة بالكليات
و على قدرته و اختياره و حكمته، فلا يجعل المسلم أصلا كالمجرم و لا
١٥ المسيء كالمحسن.

و لما أخبر تعالى عمن أهلك بالريح و من أهلك بما سببه الريح
تسبيبا قريبا بغير واسطة، و كان ذلك [كله - [1]] - لخروجه عن العادة -
رادا على أهل الطبائع، أخــبر بمن أهلك [4] مما سببته الريح من الماء

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاقطاع (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل اهلك.

بواسطة السحاب، و كانت سبب تطابقه عليهم مع ان كفرهم بالتعطيل
الذى هو أمحض أنواع الكفر للقول / بالطبيعة التى تتضمن الإنكار للبعث، ٤٨٠ /
وكان إغراقهم بما يكذب معتقدهم لخروجه عن العادة، فقال منبها على
قوة كفرهم بالمجيء: ﴿ و جآء ﴾ أى أتى إتيانا عاليا شديدا ﴿فرعون ﴾
أى[1] الذى ملكناه على طائفة من الأرض فعتى و تجبر وادعى الإلهية ٥
ناسيا هيبتنا و قدرتنا بنقمتنا و أنكر الصانع و قال بالطبائع ﴿ ومن قبله ﴾
أى فى جهته و فى حيزه و ما يليه و فى السير بسيرته[2] من العلو فى
الأرض بغير الحق و العتو فى الكفر، و هو ظرف مكان، هكذا على
قراءة البصريين و الكسائى[3] بكسر القاف و فتح الموحدة، فعم ذلك
كل من كان كافرا عاتيا من قبله و من بعده، و هو معنى قراءة الباقين ١٠
بفتح القاف و إسكان الباء الموحدة[4] على أنه ظرف يقابل "بعد" بزيادة.

و لما كان قوم لوط عليه السلام قد جمعوا أنواعا من الفسوق
لم يشاركهم فيها أحـــد، فاشتمل عذابهم على ما لم يكن مثله عذاب،
فكان كل من فعلهم الذى لم يسبقهم به احد من العالمين و عذابهم
الذى ما كان مثله[5] قبل و لا بعد، رادا على أهل الطبائع، نص عليهم ١٥
من بين من دخل فيمن[6] قبله على القراءتين فقال: ﴿ و المؤتفكت ﴾ أى

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى سيرته (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الكشاف = و راجع نثر المرجان ٧/٤٧٤ (٤) سقط من ظ و م: (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قبله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيها.

أهل المدائن المنقلبات بأهلها حتى صار [١]عاليها سافلا [١] لما حصل لأهلها من الانقلاب حتى صاروا إياه [٢] و اتبعت حجارة الكبريت [٣] و خسف بها [٣] و غمرت بما ليس فى الأرض مثله و هى قرى قوم لوط عليه السلام ﴿ بالخاطئة ج ﴾ أى الخطأ أو الأفعال ذات الخطأ التى تتخطى منها إلى نفس

٥ الفعل القبيح من اللواط و الصفع و الضراط مع الشرك و غير ذلك من أنواع الفسق و العناد و الطغيان .

و لما كانت الرسل [٤] كلهم جميعا كالفرد [٤] الواحد لاتفاق مقاصدهم فى [٥] الدعاء إلى الله و الحمل على طاعته ، قال مستأنفا مسببا عن مجيئهم بذلك موحدا فى اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة الجنس: ﴿ فعصوا ﴾ أى

١٠ خالفوا و نابذوا ﴿ رسول ربهم ﴾ أى خالفت كل أمـــة من أرسله المحسن إليها بابداعها من العدم و إيداعها القوى و ترزيقها و بعث رسولها لإرشادها اغترارا باحسانه و لم يجوزوا أن المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع ، لأنه الضار كما أنه النافع فللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز نقل أحد الاسمين عن الآخر ، و سبب عن العصيان قوله : ﴿ فأخذهم ﴾

١٥ أى ربهم أخذ قهر و غضب ﴿ أخذة ﴾ لم يبق من أمة منهم أحدا ممن كذب الرسول فلم يكن كمن / ينصر على عدو من الآدميين لابد أن يفوته كثير منهم و إن اجتهد فى الطلب ، و ما ذاك إلا لتمام علمه

/ ٤٨١

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : علوها سيافلها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : خسفت (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م و فى الأصل : من .

سبحانه و تعالى بالجزئيات و الكليات، و شمول قدرته، و تلك الآخذة -مع كونها [بهذه -[1]] العظمة من أنها أخذتهم كنفس واحدة- جعلها سبحانه ﴿ رابية ﴾ أى عالية عليهم علية القدر فى قوة البطش و شدة الفتك زائدة عن الحد نامية بقدر زيادة أعمالهم فى القبح، و الربا: النمو، و أصـــله الزيادة، فأغرق فرعون و جنوده، و أغرق كل من ٥ كذب نوحا عليه السلام، و هم كل أهل الأرض غير من ركب معه فى السفينة، و حمل[2] مدائن لوط عليه السلام بعد أن نتقها من الأرض على متن الريح بواسطة من أمره بذلك من الملائكة ثم قلبها و أتبعها الحجارة و خسف بها و غمرها بالماء المتن الذى ليس فى الأرض ما يشبهه. ١٠

و لما[3] كان ربما[3] وقع فى وهم التعجب من وجود فرعون و من بعده من الإخبار بأخذ من قبله على قراءة الجماعة مع أن «من» [من-[1]] صيغ[4] العموم، أشار إلى [انـــه أهلك -[1]] جميع المخالفين[5] و انجى جميع[6] الموافقين، قال جوابا لذلك السؤال مؤكدا لأجل من[7] يتعنت و لأن[7] ذلك كان[8] مما يتعجب منه و يتلذذ بذكره: ﴿ انا ﴾ أى على ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اغرق (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: ربما كان (٤) زيد فى الأصل: النور، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المخلوقين (٦) زيد فى الأصل: المؤمنين، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: معا ولاجل (٨) سقط من ظ و م.

[1] قدرتنا و [1] عظمتنا و إحاطتنا ﴿ لما طغا المآء ﴾ اى فزاد عن الحد حتى علا على أعلى جبل فى الأرض بقدر ما يغرق من كان عليه حين [2] أغرقنا قوم نوح عليه السلام [به - [3]] فلم يطيقوا ضبطه و لا قاووه بوجه من الوجوه، و لا وفقوا لركوب السفينة، فكان خروجه
٥ عن العادة رادا على أهل الطبائع.

و لما كان الإيجاد نعمة فكان إنجاء آبائهم من الغرق حتى كان ذلك سببا لوجودهم نقمة عليهم قال تعالى: ﴿ حملنكم ﴾ أى فى ظهور آبائكم بعظمتنا و مشيئتنا و قدرتنا ﴿ فى الجارية ﴾ أى السفينه التى جعلناها بحكمتنا عريقة فى الجريان حتى كأنه لا جارية غيرها على وجه الماء الذى
١٠ جعلنا من شأنه الإغراق، و هو تعبير بالصفه عن الموصوف، و نوح عليه السلام أول من صنع السفينة، و إنما صنعها بوحى الله تعالى و بحفظه له من أن [4] يزل فى صنعتها [4]، قال: اجعلها كهيئة صدر الطائر ليكون ما يجرى فى الماء مقاربا [5] لما يجرى فى الهواء، و أغرقنا سوى من فى السفينة من جميع أهل الأرض من آدمى و غيره.

١٥ و لما بدأ سبحانه و تعالى بثمود الذين هم أقرب المهلكين إلى مكة المشرفة لأن التخويف بالأقرب أقعد، و ختم بقوم نوح عليه السلام لأنهم كانوا جميع أهل الأرض و لم يخف أمرهم على أحد ممن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: حتى.
(٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: يتزل فى صنعها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: مقاد.

بعدهم

/بعدهم، علل اختيار إنجائهم بالسفينة دون غيرها فقال: ﴿لنجعلها﴾ اى هذه الفعلات العظيمة من إنجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بذلك العذاب أحد و إهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم أحد، و كذا السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام و من معه بابقائها[1] آية من آياته و أعجوبة من بدائع [2]بيناته و غريبة في الدهر من أعجوباته ﴿لكم﴾ أي[2] أيها الأناسي ﴿تذكرة﴾ أي سببا عظيما لـتذكر[3] أول إنشائه و الموعظة به لتستدلوا بذلك على كمال قدرته تعالى و تمام علمه و عظمة رحمته و قهره، فيقودكم[4] ذلك إليه و تقبلوا[5] بقلوبكم عليه ﴿و تعيها﴾ اى و لتحفظ قصة السفينة و غيرها مما تقدم، حفظا ثابتا مستقرا كأنه محوى في وعاء.

و لما كان المنتفع بما يسمع الحافظ له قليلا جدا، دل على ذلك بتوحيد الأذن فقال موحدا منكرا [6]مع الدلالة[6] على تعظيمها: ﴿اذن﴾ أي عظيمة[7] النفع ﴿واعية ٥﴾ أي من شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال و الأفعال الإلهية و الأسرار الربانية لنفع عباد الله كما كان نوح عليه السلام و من معه و هم قليل سببا[8] لإدامة النسل و البركة فيه

---

(١) من ظ وم، وفي الأصل: بابقائه (٢) سقط من ظ وم (٣) من ظ وم، و في الأصل: لتذكره (٤) من ظ وم، وفي الأصل: فيقول لكم (٥) زيد في الأصل: كلكم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ وم، وفي الأصل: للدلالة (٧) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ وم فحذفناها.
(٨) من ظ وم، وفي الأصل: مسببا.

حتى امتلأت منـــه الأرض . و الوعى : الحفظ فى النفس ، و الإيعاء : الحفظ فى الوعاء ، و فى ذلك توبيخ للناس بقلة الواعى منهم ، و دلالة على أن الأذن الواحدة إذا غفلت عن الله تعالى فهى السواد الأعظم ، و ما سواها لا يبالى بهم الله بالة - قاله الأصبهانى و الزمخشرى و غيرهما .

٥ و لما ذكر القيامة و هول أمرها بالتعبير بالحاقة و غيرها ، و دل على قدرته عليهـا و على حكمته بقصص من ذكر [على - [1]] الوجه الذى مر إلى أن ختم بالذين كانت قصتهم أشبه تلك [2] القصص بالقيامة من حيث أن أمر الله فيها عم أهل الأرض و فى زمن يسير ، و كان الناجون منها بالنسبة إلى المهلكين كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، ١٠ سبب عن جميع ما مضى قوله شرحا لأمرهـا : ﴿ فاذا نفخ ﴾ و بنى الفعل للجهول دلالة على هوان [3] ذلك [4] عليه و أنه [4] ما تأثر عنه لا يتوقف على نافخ [معين - [1]] بل من أقامه [5] من جنده لذلك [5] تأثر عنه ما يريده و ذكره و إن كان المسند إليه مؤنثا [6] للفصل و لكونه غـــير حقيق [التأنيث - [1]] و للدلالة عـــلى [قوة - [1]] النفخ ١٥ ﴿ فى الصور ﴾ أى القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام كانه عبر [عنه - [1]] به دون القرن مثلا لأنه يتأثر عنه تارة إعدام الصور و تارة إيجادها و ردها إلى أشكالها سعة فمه [7] كما بين السماء و الأرض ،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بتلك (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : هول (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اليوم و ان (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بجسده كذلك (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مويدا .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها .

و أسند الفعل إلى المصدر ليفيده بادئ بدء لا ليؤكده و إن كان التأكيد يفهم منه و هو / غير مقصود بالذات فقال: ﴿ نفخة ﴾ و لما دل بالفعلة / ٤٨٣
على الواحدة، أكده دلالة على عظيم قدرته و حقارة الاشياء عنده بقوله: ﴿واحدة ﴾ اى فهلك الخلائق كلهم، هكذا قالوا إن هذه النفخة هى الأولى، قالوا: و عندها خراب العالم. و ظاهر السياق أنها الثانية التى ٥ بها البعث، و خراب ما ذكر بعد قيامهم أنسب لأنه لهم أهيب، و كونها الثانية إحدى[1] الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما.

و لما ذكر التأثير[2] فى الإحياء[2]، اتبعه التأثير فى الجمادات، و بدأ بالسفليات لملابستها للانسان[3] فتكون عبرته بها أكثر فقال: ﴿ و حملت ﴾ أى بمجرد القـــدرة ﴿ الارض ﴾ [أى -[4]] المنبسطة و رجت رجا ١٠ ﴿ و الجبال ﴾ [أى -[4]] التى بها ثباتها فرفعت[5] من اماكنها، و بستا بسا فكانت هباء منبثا، لم يبق فيها حجر و لا كدية.

و لما اريد قوة الدك و الإبلاغ فى تاثيره، جعل الجبال شيئا واحدا فقال: ﴿ فدكتا ﴾ أى مسحت الجملتان الأرض و[6] أوتادها و بسطتا[6] و دق بعضها ببعض ﴿دكة واحدة ﴾ اى فصارتا كثيبا مهيلا و سويتا ١٥ بايسر أمر فلم يميز شيء منهما من الآخر، بل صارا فى غاية الاستواء، من قولهم: ناقة دكاء، أى لا سنام لها. و ارض دكاء، أى متسعة مستوية،

(١) من ظ وم، و فى الأصل: احد (٢-٢) من ظ وم، و فى الأصل: بالأحياء.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالانسان (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ وم، و فى الأصل: فرفعا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: وا تاد و بسط.

قالوا: و الدك و الدق- أخوان، و الدك ابلغ، قال ابو حيان[1]: و الدك فيه تفرق الأجزاء، و الدق فيه اختلاط[2] الأجزاء.

و لما ذكر نفخ الصور سبب عنه قوله: ﴿ فيومئذ ﴾ أي إذ دكتا و هي بدل من «اذ» كرر لطول الفصل و أفاد تهويلا لها و تعظيما، و نصب ٥ الظرف بقوله: ﴿وقعت الواقعة ﴾ أي التي وقع الوعد و الوعيد بها، فكانت كأنها شيء ثقيل جدا ليس له ممسك[3] فما له من ذاته غير السقوط، و هي القيامة و الحاقة و القارعة، نوع اسماءها تهويلا لها أي قامت القيامة. و كان المراد بها النفخة الثانية.

و لما ذكر تأثير العالم السفلي ذكر العلوي فقال: ﴿و انشقت السمآء﴾ ١٠ أي هذا الجنس لشدة ذلك اليوم، [و لما كان الشيء لا ينشق إلا لخلل فيه، سبب عنه قوله تحقيقا لذلك -[4]]: ﴿ فهي يومئذ ﴾ أي [5]إذ وقعت[5] الواقعة[6] ﴿ واهية ﴾ أي ضعيفة متساقطة خفيفة لا تماسك.

و لما كانت العادة جارية فيما يعرف ان الملك يظهر أنواعا من ١٥ عظمته يوم عرض الجند، قال معرفا لنا بنحو [7]ما ألفناه[7]: ﴿و الملك﴾

---

(١) في البحر المحيط ٧ / ٣٢٣ (٢) زيد في الأصل و م: الاشياء و ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و البحر المحيط فحذفناها (٣) من ظ و م، و في الأصل: فما يشك (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) من ظ و م، و في الاصل: وقعة (٦) زيد في الأصل: فهي، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: الفنا.

أي

أى هذا النوع الذى يصدق على الواحد فما فوقه، و الجمع لا يصدق على ما دون الجمع فهذا أشمل ﴿على ارجائها﴾ أى نواحى السماء و أطرافها و حواشى ما لم يتشقق منها، قال الضحاك[1]: يكونون بها حتى يأمرهم الله فينزلون فيحيطون بالأرض و من عليها - [انتهى - [2]] و قيل: [أرجاء -[2]] الأرض واحدها رجا / ، مقصور، و الاثنان رجوان، ٥ / ٤٨٤ فيحيطون بالجن و الإنس فيحشرونهم حشر الصيد لإرادة أخذه.

[3]و لما كان الملك يظهر يوم العرض سرير ملكه و محل عزه قال: ﴿و يحمل عرش﴾[3] و لما كان هذا أمرا هائلا مقطعا للقلوب، قال مؤنسا للنزل عليه هذا الذكر مؤمنا له[4] من كل ما يحذر: ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بكل ما يريده لا سيما فى ذلك اليوم بما يظهر ١٠ من رفعتك.

[3]و لما كان العرش عاما لجهة الفوق كلها، اسقط الجار[3] فقال: ﴿فوقهم﴾ أى فوق رؤسهم ﴿يومئذ﴾ أى يوم إذ وقعت الواقعة بعدد ما كان تحته من السماوات السبع و الكرسى ﴿ثمنية[5]﴾ أى من الملائكة اشخاص او صفوف يؤيد حملته الأربعة فى الدنيا بأربعة ١٥ اخرى لشدة ذلك [اليوم - [2]] و ثقله، و هو فى حديث أخرجه أبو داود[6] و الترمذى و ابن ماجه[7] و ابو يعلى و البغوى[8] عن العباس

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧/١١٩ (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م. وفى الاصل: عليه (٥) من ظ وم، وفى الاصل: الحمل (٦) راجع السنن- السنة (٧) راجع السنن- المقدمة (٨) راجع المعالم ٧/١٩٢.

ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فظاهره انهم اشخاص و لفظه : ثمانية اوعال
بين ركبهن و أظلافهن كما بين السماء و الأرض و ظاهر ذلك أنهم
فى الدنيا ، وكونهم فى الدنيا أربعة فقط ذكره المفسرون[1] و رواه الطبرانى
من طريق ابن إسحاق ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم
٥ قال : هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين ، و هو
مذكور فى حديث الصور الطويل الذى يرويه أبو يعلى و غيره من
طريق إسماعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن القرظى عن رجل عن
أبى هريرة رضى الله عنه ، و هذا العدد يحتمل أن يراد به أهل السماوات
السبع و الكرسى فتلك ثمانية ، و هم خلق لا يحصيهم إلا الله سبحانه
١٠ و تعالى ، و هو أوفق لإظهار العظمة ، [و يمكن أن يراد بهم ثمانية
أفراد و يكون حملهم له أظهر فى العظمة -[2]] ليعلم كل من يرى ذلك
أن مثلهم لا يقدر على حمل مثله فى عظمته و إحاطته ، و هذا هو أظهر
المعانى من الأحاديث الواردة فيه ، و اختيار هذا العدد أوفق [3]للوجه
الذى[3] قبله لأنه يزيد على العدد الموضوع للمبالغة[4] - و هو السبع -
١٥ [بواحدة -[2]] إشارة إلى أنه أبلغ من عدة المبالغة لأنه إشارة[5] إلى
أنك كلما بالغت[6] زاد الأمر على مبالغتك بما هو أول العدد ، و ذلك
إشارة إلى عدم الانتهاء و الوقوف عند حد ، و إلى ذلك يشير أيضا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اكثر المفسرين (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم ، وفى الأصل : للذى (٤) من ظ و م ، وفى الاصل : مبالغة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بلغت .

أن للثمانية من الكسور النصف و الربع و الثمن، و ذلك سبعة، و السبعة عدد جامع لجميع أنواع العدد الفرد و الزوج و زوج الزوج و زوج الفرد، وكل ذلك إشارة إلى المبالغة فى [إظهار - [1]] العظمة و الكبرياء و العزة و تمثيل لنا بما نعرف من أحوال الملوك و إلا :

فالأمر أعظم من مقالة قائل[2] إن رقق البلغاء أو إن فخموا ٥

إعلاما بعظمة ذلك اليوم ليخشى / العباد فيلزموا أسباب الإسعاد، وهذا الذى قلته من سر السبعة قد ذكره الإمام[3] بدر الدين بن الدماميني قرين شيوخنا فى الكلام على الواو من حاشيته على مغنى ابن هشام عن تفسير العماد الكندي قاضى الإسكندرية المسمى الكفيل بمعانى التنزيل[4] فقال: و نقل الأستاذ عبد الله الكفيف المالقى أنها لغة فصيحة لبعض العرب أن ١٠ [يقول - [1]] : واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة - هكذا لغتهم، و متى جاء فى[5] كلامهم لفظ الثمانية أدخلوا الواو و قد نظم[6] بعض أصحابنا فى [7]كون السبعة[7] منتهى العدد أبياتا [8]و هي[8]:

يا سائلى عن سر كون العدد غايتـــه فى سبعـة لم تزد

ما سره إلا انحصار قسيمه فى واحد فرد و شيء مسند ١٥

/ ٤٨٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : حيث قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الام (٤) من ظ و م ، و فى الأصل :المزيل (٥) زيد فى الأصل : الكلام اغنى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : بعضهم و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كور الثمانية (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال .

و ذلك الشيء الذى تسنده منحصر فى واحد و أزيد
فالفرد و الفرد إذا ما اجتمعا زوج مع الفرد الذى لم يسند
و اثنان و اثنان إذا ما اجتمعت أربعة تضم مع فيء اليد
فتلك سبعة إذا تكاملت أربعة و اثنان مع منفرد[1]
٥ و ما أتى من بعد هذا فهو تكـ ـرار له لا زائد فى العدد
ثلاثة مع مثلها فرد و فر د قد مضى و ما مضى لا يعدد
و هكذا أربعة مع مثلها [2]زوج و[2] زوج قد مضى لا تزد[3]

و قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى مقدمة كتابه الملل و النحل: أكثر أصحاب العدد على أن الواحد لا يدخل فى العدد، ١٠ فالعدد مصدره الأول الاثنان، و هو ينقسم إلى زوج و فرد، فالفرد الأول ثلاثة، و الزوج الاول أربعة، و ما وراء الأربعة مكرر كالخمسة فانها مركبة من فرد و زوج . و يسمى العدد الدائر، و الستة مركبة من فردين ، و يسمى العدد التام ، و السبعة مركبة من فرد و زوج ، و تسمى العدد الكامل ، و الثمانية مركبة من زوجين و هى بداية الأخرى . ١٥ فصدر الحساب فى مقابلة الواحد الذى هو علة العدد و ليس يدخل فيه ، و لذلك هو فرد لا أخ له .

و لما كان العدد مصدره من اثنين[4] صار منهما[5] المحقق محصورا فى قسمين ،

---

(١) من ظ و م، وفى الاصل : مفرد (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل : و زوج .
(٣) من ظ ، وفى الأصل و م : لا يعدد - كذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاثنين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : منها .

و لما كان العدد منقسما إلى فرد و زوج ، صار من ذلك الأصل محصورا فى سبعة ، فان الفرد الأول ثلاثة ، و الزوج الأول أربعة ، و هى النهاية ، و ما عداها مركب منها ، و كان البسائط [1] العامة الكلية [1] فى العدد واحد و اثنان و ثلاثة و أربعة و هى الكمال ، و ما زاد عليها من المركب الكلى فمركبات / كلها و لا حصر لها . و قال أبو الحكم ابن ٥ /٤٨٦ برجان فى تفسير سورة القدر : انتهاء العدد ستة و السابع وترها .

و لما بلغ النهاية فى تحذير العباد من يوم التناد ، و كان لهم حالتان : خاصة و عامة ، فالعامة العرض ، و الخاصة التقسيم إلى محسن و مسيء ، زاده [2] عظما بقوله : ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كان ما تقدم .

و لما كان المهول نفس العرض ، بنى فعله للفعول و لأنه كلام ١٠ القادرين فقال : ﴿ تعرضون ﴾ أى على الله سبحانه و تعالى للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر فى أمرهم ليختار منهم المصلح للاكرام و التقريب و الإثابة ، و المفسد للابعاد و التعذيب و الإصابة ، عبر عن الحساب بالعرض الذى هو جزؤه ، فالمحسن لا يكون له غير ذلك و المسيء يناقش ﴿ لا تخفى منكم ﴾ أى فى ذلك اليوم على أحد [بوجه - [3]] ١٥ من الوجوه ﴿ خافية ﴾ أى لا يقع أصلا على [حال - [3]] من الاحوال شيء [4] من خفاء لشيء كان من حقه الخفاء فى الدنيا لا من الأعمال و لا من

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكلية العامة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : زال (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : شيئا .

الأنفس و إن كان فى[1] غاية الدقة و الغموض لأن ذلك يوم الظهور التام
من القبور و من الصدور ، و غير ذلك من الأمور ، ليكون ذلك أجلى
لسعادة من سعد ، و أقبح لشقاوة من شقى فأبعد ، قال أبو موسى رضى الله
عنه : هى ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال و معاذير ، و أما الثالثة
٥ فعندها تتطاير الصحف فآخذ بيمينه و آخذ بشماله .

و لما كان من المعلوم أنهم قسمان : محسن و مسيء ، و كان التقدير :
فنعطى كلا منكم صحيفة أعماله من أفعاله و أقواله و جميع خلائقه و أحواله ،
فمنكم من تدفع إليه فى يمينه فتظهر له حسناته و تستر عنه سيئاته ،
و منكم من يعطاها فى شماله فتبدو له سيئاته و يمحى ما كان من حسناته ،
١٠ لأنه أوتى ثوابه فى الدنيا بما عجل له من طيباته ، عطف عليه مفصلا له
قوله : ﴿ فاما من اوتى ﴾ بناه للفعول لأن دلالة السعادة الوقوع فى
اليمين لا من معط معين ﴿ كتبه ﴾ أى الذى أثبت فيه أعماله
﴿ بيمينه[2] لا فيقول ﴾ لما رأى من سعادته تبجحا بحاله و إظهارا لنعمة ربه
لأن الإنسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه من خير تكميلا للذته بكبت[3]
١٥ اعدائه و تفريح أوليائه ، قيل : إنه تكتب سيئاته فى باطن صحيفته و حسناته
فى ظاهرها ، فيقرأ الباطن و يقرأ الناس الظاهر ، فاذا أنهاه قيل له : قد
غفرها الله ، اقلب الصحيفة ، فحينئذ يكون قوله : ﴿ هآؤم ﴾ أى خذوا
أيها الحاضرون من الخلائق الملائكة و غيرهم ، فيها صوت يفهم منه معنى :

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) وقع فى الأصل بعد «كتابه» و الترتيب
من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بتكتب .

خذوا ، / و يوصل تارة بالكاف و تارة بالهمزة ، اسم فعل ، و إنما اختارها هنا ليعلم أن خطابها لجميع أهل الموقف[1] من كان منهم باطنا من الملائكة و الجن و غيرهم ، و من كان منهم ظاهرا لأن الألف عند الربانيين غيب و إحاطة كما دل عليها مخرجها ، فهي عبارة عندهم عن القائم الأعلى المحيط ، و روى معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ٥ و الهمزة [2] بدء غيبه [2] و لذا كان مخرجها أقصى الحروف الحلقية دلالة على ذلك ، و بدء غيب الله سبحانه و تعالى أفعاله و هي تشمل الظاهر و الخفي [3] أصلها الكاف [3] فهي عندهم ظهور متكامل ذو استقلال ، و هو من يكون من شأنه الظهور ، و أبناء الجنس أحق بهذا[4] ، و قد دل على ذلك مخرج الكاف الذي بعد القاف من أصل اللسان الأقرب إلى وسطه ، و مفعول ١٠ « ما » محذوف عند البصريين دل عليه « كتابيه »[5] من قوله : ﴿ اقرءوا كتٰبيه ﴾ و هاؤه للسكت ، كأنها إشارة إلى شدة الكرب في ذلك اليوم للدلالة على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت في كل جملة للاستراحة لا يقدر في الكلام على المضي فما الظن بغيره ، و تشير[6] أيضا مع ذلك إلى فراغ الأمر و مجازة الجزم[7] به و الوثوق بأنه لا يغير . ١٥

و لما كانت حقيقة الحساب ذكر الأعمال و المجازاة عليها ، و كان

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الوقف (٢-٢) من ظ و م ، و في الأصل : به عيبه - كذا (٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : لما الكافل (٤) من ظ و م ، و في الأصل : لهذا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : كتابه (٦) من ظ و م ، و في الأصل : فسر (٧) من ظ و م ، و في الأصل : الامر .

الآدمي - لأنه مجبول على النقص - لا يقدر ان يقدر الله حق قدره ، و كلما
كان الإنسان أعلى كان الاستشعار و النقص من نفسه أكثر ، وكان من
نوقش [الحساب -[1]] - كما قال[2] النبي صلى الله عليه و سلم - عذب ، قال
مؤكدا لأن من يرى حاله و كتابه ينكر أن يكون له ذنب أو منه
٥ تقصير : ﴿ انى ظننت ﴾ أي في هذا اليوم خوفا من سوء أعمالي التي
أعرفها من نفسي ﴿ انى ملاق ﴾ أي ثابت لى ثباتا لا ينفك أنى ألقى
[3]بين يدي الديان[3] ﴿ حسابيه ج ﴾ لأنى كنت جامعا كما أمرت بين
الخوف و الرجاء، فأخاف أن يقابل بين حسناتي[4] و بين النعم فلا تقوم
لى أصغر نعمة فأعذب على سيئاتي و أرجو غفرانه ، فحقق سبحانه رجائي
١٠ و امن خوفي، فعلمت الآن أنى لا أناقش الحساب ، و إنما حسابي العرض
و هو الحساب اليسير بأن تعرض أعمالي فلا أجازى على سيئها و اثاب
على حسنها[5] منا و رحمة و فضلا و نعمة ، و يجوز أن يكون الظن
في الدنيا ، عبر به عن اليقين إشارة إلى أنه يكفي العاقل في الخوف
الحامل له على العمل ظن الخطر ، و فيه إشعار بهضم النفس لأن الإنسان
١٥ لا ينفك عن خطرات من الشبه تعرض له و تهجم[6] عليه و إيذان بأن
مثل ذلك لا يقدح[7] في الجزم بالاعتقاد و تنبيه على أنه يكفي في

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : قول (٣-٣) سقط ما بين
الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م . وفي الاصل : مساني (٥) من ظ و م ،
و في الأصل : سيها (٦) من ظ و م . وفي الأصل : تجهم (٧) من ظ و م ،
و في الاصل : لا يقدم .

إيجاب العمل[1] الظن فيكون حينئذ تعليلا لإعطاء الكتاب / باليمين، و فيه تبكيت للكفار و نداء عليهم بأنهم لم يصلوا[2] في هذا الأمر المحقق إلى مرتبة الظن، فكيف بالمحقق من العلم فأهملوا العمل له نخالفوا.

و لما كان تقدير[3] هذا واضحا، سبب عند ما تأثر عن[4] الحساب اليسير من إعطاء الثواب فقال: ﴿ فهو في عيشة ﴾ أي حالة من العيش. ٥

و لما كان الرضى بالشيء لا يكون إلا إذا بلغ نهاية السؤل و غاية المأمول، قال مسندا الرضا إلى العيشة كناية عن رضا صاحبها على الوجه الأبلغ: ﴿ راضية ۙ ﴾ أي ثابت له الرضا و دائم لها[5] لأنها في غاية الحسن و الكمال، و العرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر من العيشة الراضية بمعنى أن أهلها راضون بها، و المعتبر في كمال اللذة الرضى ١٠ [أو - [6]] أنه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها.

و لما شوق سبحانه إلى حال صاحب هذه العيشة، و كانت أمرا إجماليا، فصلها و بينها بالإبدال منها زيادة في التشويق فقال: ﴿ في جنة ﴾ أي بساتين جامعه لجميع ما يراد منها.

و لما كان شرف المسكن العلو قال: ﴿ عالية ۙ ﴾ أي في المكان ١٥ و المكانة و الأبنية و الدرجات و الأشجار و كل اعتبار[7].

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: العامل (٢) من ظ و م، و في الأصل: لم يوصلوا (٣) من ظ و م، و في الأصل: التقدير (٤) من ظ و م، و في الأصل: من (٥) من ظ و م، و في الأصل: لهم (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد في الأصل: كان، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

و لما كان من شأن المعالى عسر الوصول إليه[1] قال: ﴿قطوفها﴾ أي جمع كثرة لقطف - بالكسر و هو ما يجنى من الثمرات المجتمعة فى عرق من عروقه[2] ﴿دانية ه﴾ أى قريبة المأخذ سهلة التناول جدا، لراكب و القائم و القاعد و المضطجع، [كل -[3]] ذلك على حد سواء
٥ دائما من غير انقطاع و لا كلفة على أحد من أهلها فى تناول شيء من ذلك .

و لما كان كون الثمار بهذه الصفة دالا على كثرة الرى، و كثرة الري دالة [على[3]] المشرب[4]، و كانت من مفردات اللفظ عامة المعنى، فكان قد أفرد الضمائر باعتبار لفظها تنصيصا على كل فرد فرد جمع باعتبار
١٠ المعنى إعلاما باشتراك جميع أهلها فى النعم حال الانفراد و الاجتماع فقال: ﴿كلوا و اشربوا﴾ [اى -[3]] مولا لهم ذلك إشاره إلى ان ذلك لا مانع منه و إلى أنهم يؤمرون به صريحا دلالة على رضا صاحب الجنة [لئلا -[3]] يتنغص عليهم عيشهم بنوع من الأنواع الموهمة للخطر، و حذف المفعول إيذانا بالتعميم لئلا يظن أنه يستثنى منها شيء فيكون
١٥ سبب الفتنة كما وقع لآدم صلوات الله و سلامه عليه .

و لما كان المآكل و المشارب فى هذه الدار[6] تورث التخم و الأمراض و فيها ما لا يلذ، و كان ما وقع لأبينا [آدم -[3]] و أمنا حواء عليهما

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اليها (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : فروعه.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المشرور (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الدال .

عليهما الصلاة و السلام على أكلة واحدة من وخامة العاقبة معروفا، قال مؤمنا من ذلك : ﴿ هنيٓئا ﴾ أى أكلا [1] طيبا لذيذا [1] شهيا مع البعد عن كل أذى و سلامة العاقبة بكل / اعتبار و لافضلة هناك [2] من بول و لا غائط و لابصاق و لامخاط و لاقرف [3] و لا قذر [3] و لا وهن و لاصداع و لا ثقل [3] و لا شيء مؤذ [3] .

/٤٨٩

٥

و لما شوق إلى المسببات حلهم على أسبابها و حضهم على المسابقة فى تحصيلها و المثارة [و المداومة - [4]] على الاستكثار منها ؛ فقال زيادة فى لذتهم بأن [5] ذلك على وجه العوض لا امتنان عليهم فى شيء منه لأحد من الخلق، فان أحب ما إلى الإنسان أن يأكل مما [6] أفادته يمينه و حصله بعمله مع ما فى ذلك من الشرف : ﴿ بمآ اسلفتم ﴾ اى أعطيتم من أنفسكم لآخرتكم طوعا من الأعمال الصالحة و بما تركتم من الدنيا مما هو سافل بالنسبة إلى ما عوضتم عنه من أعمال القلب و البدن و المال ﴿فى الايام﴾ و لما كان سبحانه قد ضمن كل ما يشتغل به الإنسان من مصالح دنياه فهو واصل إليــه لا محالة و إن فرغ أوقاتـه كلها لعبادة ربه قال : ﴿ الخالية ۝ ﴾ أى الماضية فى الدنيا [7] التى انقضت [و ذهبت - [4]] و استرحتم من تعبها و التى لاشاغل فيها عن العبادة . إما بترك الاشتغال بالمعاش للواصل إلى درجة التوكل ، و إما بالسعى على وجه الاقتصاد بقصد المساعدة للعباد

١٠

١٥

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : لذيذا طيبا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٧) من ظ و م : و فى الأصل : دنياه .

فى أمور هذه الدار و الإفضال عليهم و ان لا يـكون كلا عليهم من غير اعتماد على السعى بل امتثالا الأمر مع القناعة بالـكفاف .

و لما كانت العادة جارية بأن أهل العرض ينقسمون إلى قسمين: مقبول و مردود ، و ذكر سبحانه و تعالى المقبول بادئا به تشويقا إلى حاله ٥ و تغبيطا بعاقبته[٢] و حسن مآله ، أتبعه المردود تنفيرا عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله فقال: ﴿ و أما من ﴾ و لما كان الدال على المساءة الإيتاء على وجه قبيح ، لا تعيين المؤتى ، قال بانيا للمفعول لذلك و للدلالة على ذل الآخذ و عدم قدرتـه على الامتناع عن شيء يسوءه: ﴿ اوتى كتٰبه ﴾ أى صحيفة أعماله[٣] - أعاذنا الله من ذلك[٣] ﴿ بشماله ۙ فيقول ﴾ أى لما يرى ١٠ من سوء عاقبته التى كشف له عنها الغطاء[٤] حتى لم يشك[٤] فيها لما يرى من قبائحه التى قدمها ، وكل ما[٥] يأتى مما يوهم سكتة فى ذلك[٦] اليوم فمن باب المكابرة و المدافعة بالباطل على ما كان عليه فى الدنيا[٧] ﴿ يٰليتنى ﴾ تمنيا للحال ، و جرى عـلى نسق ما مضى فى البناء للمفعول الدال على ذله و[٧] عدم جبلتـه[٧] فقال : ﴿ لم اوت ﴾ أى من مؤت ما ﴿ كتٰبيه ۚ ﴾ ١٥ اى هذا الذى ذكرنى بخبائث أعمالى و عرفنى جزاءها ﴿ ولم ﴾ أى و [يا-[٨]] ليتنى لم ﴿ ادر ﴾ ولو حاولت الدراية ﴿ ما ﴾ [أى -[٨]] حقيقة ﴿ حسابيه ۚ ﴾

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : محاله (٣ - ٣) فى ظ و م : حسابه (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لامتك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: كان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٧) زيد فى الاصل : بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : على خيبته (٨) زيد من ظ و م .

من ذكر العمل و ذكر جزائه ، بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا . و لما تمنى هذين الشيئين، استأنف مراده بهما فقال لأنه رأى أن ما يستقبله / شر مما كان فيه من البرزخ: ﴿يٰليتها﴾ أى الموتة التى منها ﴿كانت القاضية ﴾ أى الباتة الجازمة[1] الملزمة لدوام[2] الموت الخاتمة عليها حتى لا يكون بعدها بعث و لاشيء غير الموت كما كنت أعتقده في الدنيا ؛ قال الإمام الرازي: و في الحديث « تمنوا الموت » أى إذ ذاك و لم يكن في الدنيا شيء أكره منه عندهم .

/ ٤٩٠

٥

و لما كان التمني مفهما لأنه كان [له -[3]] ضد ما تمناه من البعث على ما كانت تخبره به الرسل [و -[3]] من الحساب الذي هو سر البعث و خالصه ، و قد كان يقول : إنه يتخلص منه ، على تقدير كونه ، بماله و جاهه قال معللا لتمنيه: ﴿مآ اغنى﴾ نافيا[4] تأسفا على فوات ما [كان -[5]] يرجو من نفعه ، و المفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ، او مستفهما استفهام إنكار على نفسه و توبيخ حيث سولت له ما أثمر له كل سوء و كل محال منازعة للفطرة الأولى المؤيدة بما أخبرت به الرسل حتى أوقعه ذلك التسويل في الهلكة ﴿عنى ماليه ﴾ اى الذى منعت منه حق الله و تعظمت به على عباده[6] ، و هذا النفي للاغناء سائغ مفهوم على كل من تقديري النفي و الاستفهام .

١٠

١٥

---

(١) في ظ : الحاتمة ، و في م : الحاتمة (٢) من ظ و م ، و في الأصل : لزوم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) العبارة من هنا إلى « للتعميم أو » ساقطة من ظ .
(٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عباد الله .

و لما كان المال سبب الوصول إلى السلطان، قال نافيا لما اوصله إليه ماله شارحا لعدم إغنائه: ﴿هلك عنى﴾ أى مجاوزا لى حتى كأنى لم أكن [فيه - [1]] ساعة [قط - [1]] ﴿سلطنيه ؏﴾ أى تسلطى على الدعاة إلى الله بالشبه الباطلة التى كان يطلق اللسان بها فأساعده [2] عليها

٥ مع ظهور بطلانها الملك الذى أوصل إليه المال فعاد [لأن - [1]] ذلك الملك الأعظم [3] هلك و المساعد أبعد [4] مباعد.

و لما كان كأنه قيل: هذا ما قال، فما يقال؟ أجيب بأنه يقال للزبانية تعذيبا لروحه بالتوبيخ و الأمر بالتعذيب على رؤس الأشهاد: ﴿خذوه﴾ اى أيها الزبانية الذين [5] كان يستهين [5] بهم عند سماع

١٠ ذكرهم.

و لما كان الآخذ دالا على الإهانة الناشئة عن الغضب، سبب عنه قوله: ﴿فغلوه لا﴾ أى اجمعوا يديه إلى عنقه و رجليه من وراء قفاه إلى ناصيته.

و لما كان الغل لما [6] بعده من العقاب، قال معظما رتبة عقابه فى

١٥ الشدة و الهول بالتعبير بأداة التراخى: ﴿ثم الجحيم﴾ أى النار العظمى التى تجمع على من يريد دفاعا و تحجم عنها من رآها لأنها فى غاية الحمو و التوقد و التغيظ و التشدد ﴿صلوه لا﴾ أى بالغوا فى تصليته إياها

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فاساعده (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اعظم (٤) زيد فى ظ: له (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: كانوا يستهيون (٦) من ظ و م، و فى الأصل: من.

و كرروها لغمسه فى النار كالشاة المصلية مرة بعد اخرى و [لا - [1]] تصلوه فى أول أمره غيرها[2] لأنه كان لا يألو جهدا أن يحرق قلوب النصحاء بأشد ما يقدر [عليه - [1]] من الكلام و غيره، وكان يتعظم على الضعفاء، فناسب أن يصلى أعظم النيران، و عبر أيضا بأداة التراخي لعلو رتبة مدخولها، فقال مؤذنا بعدم الخلاص /: ﴿ ثم فى سلسلة ﴾ ٥ / ٤٩١ اى عظيمة جدا[3] لا ما هو دونها .

و لما قدمها دلالة على الاهتمام بها و على تخصيصها لشدة مخافتها، عرف بعظيم هولها و شدة فظاعتها ليجتمع المفهوم و المنطوق[4] على تهويلها فقال: ﴿ ذرعها ﴾ أى فى أىّ شيء فرضت من طول أو[5] عرض ﴿ سبعون ذراعا ﴾ يحتمل ان يكون [هذا - [6]] العدد حقيقة، ١٠ و أن يكون مبالغة، و الذى يدل على أنها للمبالغة ما رواه الترمذى[7] - و قال: إسناده حسن - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أن رصاصة مثل هذه - و أشار [إلى - [6]] مثل الجمجمة - و أرسلت من السماء إلى الأرض - و هى مسيرة خمسمائة سنة - لبلغت الأرض قبل الليل، و لو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت ١٥ اربعين خريفا الليل و النهار قبل أن تبلغ اصلها و قعرها . و أشار سبحانه

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٣) العبارة من هنا الى « بعدم الأعمال » (ص : ٣٧٠ س : ٦) نسخت من ظ لاجل انطماسها فى الاصل (٤) من م ، و فى ظ : المنظوم (٥) من م ، و فى ظ « و » (٦) زيد من م (٧) راجع صفة النار من الجامع .

إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال: ﴿فاسلكوه ﴾ أي[1] أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك - اى الحبل - الذى يدخل[1] فى ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب إما باحاطتها بعنقه أو بجميع بدنه بأن تلف عليه فيصير فى غاية الضنك و الهوان لا يقدر على حركة ٥ أصلا ، و هذا تعذيب القالب لأنه أفسد القلب بعدم الإيمان و القالب بعدم الأعمال .

و لما ذكر على الإجمال عقابه أتبعه أسبابه ، فقال بادئا باعظمها مؤكدا لأن كل كافر حتى المعطل يقر بالله تعالى نوع إقرار و يدعى الإيمان به نوع ادعاء ، لأنه لا يقدر على غير ذلك لما له سبحانه من غلبة الظهور ١٠ و انتشار الضياء و النور : ﴿ انه كان ﴾ أى جبلة و طبعا [و إن أظهر شيئا -[2]] يلبس به على الضعفاء و يدلس[3] على الأغبياء ﴿ لا يؤمن ﴾ أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى يعلم السر و أخفى .

و لما كانت عظمة الملك موجبة لزيادة النكال لمن يعانده على قدر ١٥ علوها ، و كان الذى أورث هذا الشقى هذا الخزى هو تعظمه[4] على أمر الله و عباده ، اشار إلى أنه لا يستحق[5] العظمة غيره سبحانه فقال : ﴿ العظيم ﴾ اى الكامل العظم[6] .

---

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م . و فى الأصل : تعظيمه (٥) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العظمة .

و لما

و لما بين عناده للملك الاعظم بافساده القوة العلمية [بين ما يوجبه الكفر من احتقاره للضعفاء إفسادا للقوة العملية -[1]] إعلاما بأنه مكلف بفروع الشريعة كما أنه مكلف بأصولها، و بيانا لأن عناده لمن فوقه لرداءة طبعه لا لعلو همته، فقال معظما لهذا الذنب لجعله فى سياق الكفر و بالتعبير بالحض مشيرا به إلى أن فاعل ذلك شديد الاستغراق ٥ فى حب الدنيا لأنه لا يمنعه من حث غيره على الخير إلا ادخاره لنفسه: ﴿و لا يحض﴾ أى يحمل و يحث ﴿على﴾ بذل ﴿طعام﴾ أو إطعام ﴿المسكين ﴿﴾ أى / تسهيله باعانته[2] عليه إن كان موجودا، و السؤال فى /٤٩٢ بذله و ما يقوم مقامه إن كان مفقودا، فكيف بالبذل من عنده، فان ذلك لا يحمل عليه إلا الإيمان لخلوه عن حظ. و التقييد يفهم انه ١٠ يحث على خدمة الأكابر[3] الجبارة و يحب العكوف على أبوابهم، و الإضافة مع التعبير بالطعام دون الإطعام تشعر[4] بأن الفقراء يملكون كفايتهم من أموال[5] الأغنياء، فدل ذلك على أنه مع كفره هو أشنع صفات الباطن فى غاية الشح و القساوة و عدم المروءة الاعراض عن أسباب التمدح و عن التنزه عن سوء القالة و قبيح الذكر، و ذلك أشنع ١٥ الرذائل، فلذلك خصص هذين الأمرين، و كان أبو الدرداء رضى الله عنه يحض على طعامهم و يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع الآخر-

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: و اعانته (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الا وكان (٤) فى ظ و م: للاشعار (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مال.

يعنى بالحث على الإطعام ، و ذمه على الاستهانة بالمساكين يفهم الذم على [1]الاستهانة بمن هم[1] دونهم ممن هو أسوا حالا منهم بطريق الأولى .

و لما وصفه سبحانه و تعالى باقبح العقائد و أشنع الرذائل، سبب عنهما فى مقابلة إفساد القوتين العلمية و العملية قوله : ﴿ فليس له اليوم ﴾

٥ و لما ذكر الزمان المتعقب للبعث ، ذكر المكان[2] الكائن فيه و هو الدار الآخرة [فقال -[3]] : ﴿ ههنا ﴾ أى فى مجمع القيامة كله ﴿حميم ۙ﴾ أى صديق خالص يحترق[4] له و يحميه من العذاب لأنهم كلهم له اعداء كما أنه هو [كان -[3]] لا يرق على الضعفاء فيما هم فيه من الإقلال من حطام الأموال .

١٠ و لما نفى عنه الجاه لانسلاخه من حزب الملك الولى الودود، و تحيزه إلى حزب الشيطان العدو الجحود ، أتبعه المقصود بالمال الذى تنشأ عنه جميع الاستمتاعات و يقصد عنده الاجتماع [5]و الأنس بالأصحاب لإخلاده[5] إلى ماله و إعراضه عن عيال الملك لأجل ضعفهم الذى وهبه المال و أمره بمواساتهم[6] فيه فقال : ﴿ و لا طعام ﴾ و لما كان

١٥ الاستثناء معيارا للعموم قال : ﴿ الا من غسلين ۙ ﴾ اى غسالة أهل النار من قيحهم و صديدهم ، فعلين من الغسل ، و يلزم من هذا الطعام أن

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : استهانة عن ما هو (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الزمان (٣) زيد من ظ و م (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الأنق الأصحاب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بمساواتهم

يكون تحت [غيره - ١] ليسيل ماء غسالته إليه .

و لما حصر طعامهم فيما لا يقربه أحد باختياره، حصر من يتناوله معبرا عنهم بالوصف الذى أوجب لهم أكله فقال: ﴿ لا يأكلهٓ ﴾ و فرغ الاستثناء تنبيها على [أن - ١] المستثنى هو المقصود حتى كأنه لامستثنى منه فقال: ﴿ الا الخاطؤن ۝ ﴾ أى يأكله المتعمدون للخطايا ٥ لا غيرهم، و هو من خطأ الرجل بوزن فرح مهموزا - إذا تعمد الذنب، و أما المخطىء فهو من قصد الخير فلم يصبه بغير تعمد "فليس عليكم جناح فيما / اخطاتم به" أى أردتم الصواب فلم تصيبوه[٢]، و هذا الطعام يغسل /٤٩٣ ما فى بطونهم من الأعيان و المعانى التى بها قوام صاحبها، و هو[٣] بمنزلة ماكانوا يشحون به من أموالهم التى أبطنوها[٤] و ادخروها فى خزائنهم ١٠ و استأثروا بها على الضعفاء.

و لما ذكر سبحانه و تعالى الحاقة التى جعلها دار الحساب للمحسن و المسيء اللذين قسمتها القدرة و اقتضتها الحكمة، و صوب إليهما القرآن الذى هو ذكر للعالمين بالوعد و الوعيد و البشارة و التهديد، و من المعلوم ببديهة العقل أنه لا يصح أصلا فى حكمة أحد أن يترك من تحت ١٥ يده هملا لا سيما إن كان تقدم إليهم بالأمر و النهى، و أقام الدليل على قدرته عليها بتعذيب من استأصلهم لاجل تكذيب رسله ليكون

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فلم تصيبوا (٣) فى م: هى (٤) زيد فى الأصل وظ: باطنا، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

عذابهم و تنجية المحسنين[١] منهم [مثلا -[٢]] محسوسا تشهد فيه الحاقة، لأن من قدر على ذلك كانت له القدرة [التامة -[٣]] على كل ممكن، و ذكر ما دلت الحكمة عليه من تنعيم الطائع و تعذيب العاصى بما هو أنسب الأشياء لعمل كل منهما فى هـذه الأساليب المعجزة مفردات
٥ و تراكيب و معانى، فدل ذلك على آخر سورة «ن» عاد إلى تقريره[٣] بوجه آخر، و هو انه لتمام علمه و كمال قدرته لا يقرر من كذب عليه على كذبه فضلا عن أن يؤيده، فقال مسببا عن ذلك حين بلغ الأمر فى الوضوح إلى النهاية، ذاكرا ما هو أبلغ من القسم لأن بعض أهل الجدل إذا حجه[٤] خصمه يقول: إنما غلبتنى بأنك أتقن منى فى الجدل
١٠ لا بالحق، فان الحق معى، فيحلف[٥] له صاحبه أنه ما غالطه و لا تعمد فى جدله الا الحق: ﴿فلآ اقسم﴾ أى لا يقع منى إقسام ﴿بما﴾ أى بمجموع ما ﴿تبصرون ۙ﴾ أى لكم اهلية إبصاره من كل ما دخل فى عالم الشهادة ﴿و ما لا تبصرون ۙ﴾ أى ما ليس لكم فى هذه الدار [أهليـة -[٢]] إبصاره، و ذلك جميع الموجودات واجبها و جائزها
١٥ معقولها و محسوسها، لأن الأمر اوضح من أن يحتاج إلى إقسام و إن كنت[٦] أقسم فى[٦] غير هذا الموضع[٧] بما شئت من أفراد هذا المجموع.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المسلمين (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تقرير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حاجه (٥) من ظ و م، وفى الأصل: تخالف (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: اقسمت فى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الخلق.

و لما

و لما اكد [1] غاية التأكيذ [1] بما قال من [ان - [2]] الأمر وصل في [3] الوضوح إلى حد لا يحتمل التأكيد ، فكان ذلك تأكيدا بعدم التأكيذ ، استأنف الخبرعما اخبر انه لا يحتاج إلى إقسام باثبات أداة التأكيد لأجل إنكارهم ليكون الكلام جامعا بين التأكيد بالنفى و بين التاكيد بالإثبات فقال : ﴿ انه ﴾ أى هذا الذى ختمت به سورة "ن" [4] ٥ و دل على الساعة بما أتى به من هذه الأساليب التى هى مع كونها حكيمة [4] معجزة / ﴿ لقول ﴾ أى تلاوة ﴿ رسول ﴾ أى أنا أرسلته و عنى أخذه ، ‎/ ٤٩٤ و ليس فيه شيء من تلقاء نفسه إنما هو كله رسالة واضحة جدا ، أنا شاهد [5] بها بما له من الإعجاز [6] الذى يشهد أنه كلامى .

و لما كان من شأن الرسول ان لا يبلغ إلا ما [7] أرسله به مرسله ، ١٠ و كان بعض الرسل ربما زاد أو نقص تعمدا أو سهوا ، أخبر أن له صلى الله عليه و سلم من الوصف ما يحفظه فقال : ﴿ كريم ﴾ أى هو فى غاية الكرم الذى [8] هو البعد عن مساوئ [8] الأخلاق باظهار معاليها لشرف النفس و شرف الآباء فهو لا يزيد و لا ينقص ، و كرم الشيء اجتماع الكمالات اللائقة به فيه . ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا التكذيب (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : إلى هذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حكية .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اشاهد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الأعمال .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : بما (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

و لما أثبت انه قوله سبحانه و تعالى لأنه [1]قول رسوله[1] صلى الله عليه و سلم لنا[2] و هولا ينطق عن الهوى، نفى عنه ما يتقولونه عليه، فبدأ بالشعر و هو ما يقوله الإنسان من تلقاء نفسه على و زن مقصود صدقا كان او كذبا، و لابد فيه للتقيد بالوزن و القافية من التكلف الذى
٥ القرآن بعيد عنه، و هو [مــــع - ٣] مشاركته للسجع فى التكلف الناقص للعنى أعلى منه بالوزن الذى يكسبه الرونق و الحلاوة فقال: ﴿ و ما هو ﴾ أى [هذا - [3]] الذكر فى باطن أمره و لا ظاهره، و اكد النفى فقال: ﴿ بقول [4] شاعر [4] ﴾ أى يأتى بكلام مقفى موزون بقصد الوزن، و إنما قيل أنه ليس بقول من هو كذلك لأنه، لا يوافق
١٠ الوزن [فيه - [3]] إلا أماكن نادرة بالنسبة إلى مجموع القرآن، و من المقطوع به أن ذلك لا يرضى به شاعر و هو انه ينصب نفسه منصب النظم و الارتهان بعهدة الوزن، ثم يأتى بكلام أكثره غير موزون، فعلم قطعا أن الذى وافق الوزن فيه غير مقصود فليس بشعر.

و لما كانت مخالفة القرآن للشعر خفية من حيث أنه لا يعرف ذلك
١٥ إلا الشعراء وهم قليل فى الناس، و الأغلب لا يعرفون ذلك، ختم الآية بالإيمان الذى هو التصديق بالغيب فقال تعالى: ﴿ قليلا ما تؤمنون ﴾ أى ما توجدون التصديق الذى هو الإيمان إلا إيجادا أو زمانا قليلا، و ذاك لأنى [قد - [3]] أخبرتكم بذلك فى غير موضع فلم تصدقوا و فيكم شعراء كثير يعرفون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من الأصل.

معرفة تامة أنه مخالف للشعر، و قد أخبركم بعضهم بذلك كالوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة و غيرهما[١] ثم [لا -[٢]] تتبعون ذلك ثمرته، و هو الإيمان بالله و رسوله، و إيمانهم القليل إقرار من أقر من شعرائهم أنه ليس بشعر، و إخلاصهم بالوإحدنية / عند الاضطرار و[إ]فرادهم الخالق بالخلق و الربوبية، و هو إيمان لغوى [لا شرعى -[٢]]، و لما كان من يعرف الشعر يعرف النثر فهو أعلى فقدمه، أتبعه النثر فقال: ﴿ و لا بقول كاهن ﴾ و هو المنجم الذى يخبر عن أشياء يوهمها لرئى يخبره بذلك، و أغلبها ليس لها صحة، و عبارته عن ذلك بالسجع المتكلف [المقصود -[٢]] كونه سجعا الذى يكون المعنى فيه[٣] تابعا للفظ للتحلية بمشاكلة المقاطع.

و لما كانت مباينة القرآن للسجع خفية جدا لما فيه من الفواصل فى الأغلب و تركها فى البعض فارق لأن الساجعين لا يرضون أن يأتوا بقرينة لا أخت لها و يعدون ذلك وعيّا عيبا رديئا، و كذا تطويل السجعة عن قرينتها و تضعيفها على عديلتها لا يرضى به ساجع و لو أنه هاجع، و مباينة النبى صلى الله عليه و سلم للكهنة[٤] ظاهرة جدا، فان الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع و الإخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة و يكذب كثيرا، و يأخذ الجعل على ذلك، و يقتصر على من يسأله، فعبر لذلك بـ « كاهن » دون « ساجع » أدار أمره على التفكر

(١) من ظ و م، و فى الأصل: غيرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لكهنة.

فقال: ﴿ قليلا ما ﴾ وأكد أمر القلة و الخفاء بادغام تاء التفعل فقال تعالى: ﴿ تذكرون ﴾ فلذلك يلتبس عليكم الأمر أو على من تلبسون عليه بذلك، فعلم أن الذي يفرق بينهما موجود فيهم لأنه يرى أن الكتاب تابع للمعنى الصحيح الثابت، فان صح غاية الصحة مع وجود القرائن المتوافقة
٥ في الروى كان و إلا انتقل عن ذلك إلى قرائن غير متوافقة في روى و لا ما يقاربه، [أو - [1]] قرينة مفردة مع إمكان جعلها كما قبلها لكن مع نقصان [2] المقصود و طول الكلام و نحو ذلك، و أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يدّع يوما من الأيام علم الغيب و لا نصب نفسه الشريفة لشيء مما الكهان فيه و لا نقل في ساعة من الدهر عن [الجن - [1]]
١٠ خبرا ذكر أنه استفاده [3] منهم و لا مدحهم لذلك كما تفعل الكهان. بل ذم الفاسقين منهم غاية الذم و قال: إن أكثر ما يأتون به الكذب، و لا سأل جعلا عما يدعو إليه و لا اقتصر على من يأتيه [4] للسؤال، بل هو صلى الله عليه و سلم يتبع الناس في مجامعهم [5] يدعوهم إلى الله بانقاذهم من الضلال فمباينته [6] للكهان لا تحتاج [6] إلى غير تذكر قليل - كما أشار
١٥ إليه إدغام تاء التفعل [7] - فثبت أن القول ليس بكهانة [8]، و قائله و المؤدى له ليس بكاهن. و نسبة القول إلى المبلغ لكونه مبلغا واضحة الصحة.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: امكان (٣) من ظ و م، و في الأصل: استفاد (٤) من ظ و م، و في الأصل: يأتوه (٥) من ظ و م. و في الأصل: مجامعتهم (٦ - ٦) من ظ و م، و في الأصل: للكفار لا تدعوه محتاج (٧) من ظ و م، و في الأصل: الانفعال (٨) من م، و في الأصل و ظ: بالكهانة.

و لما أثبت انه قول الرسول الذى لا ينطق عن الهوى ، و نفى عنه ما قد يلبس من الشعر و الكهانة ،/ و لم يذكر ما كانوا يرمونه به من السحر و الأضغاث لأنه عناد محض لا يرتاب أحد فيه ، وكانت السورة مقصودا فيها إثبات الحقائق التى قد تخفى ، وصفه بما يحقق ما أريد من نسبته إلى الرسول صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ تنزيل ﴾ [أى - [1]] [1] على وجه التنجيم ، و أشار إلى إرساله إلى جميع الخلق من أهل السماوات و الأرض بقوله : ﴿ من رب العلمين ه ﴾ أى موجدهم و مدبرهم بالإحسان إليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذى رباهم به ، و رتب سبحانه نظمه على وجه سهله على كل منهم شيئا يكفى فى هدايته البيانية بخلاف الشعر و الكهانة فانه لا يفهمها إلاقليل من الناس لا جميع العالمين ، بل كثير من أكابر العلماء و حذاقهم ربما قرىء على [2] احد منهم [2] الآن القصيدة من قصائد العرب فلا يفهم المراد منها و لا يتضح له بوجه .

/ ٤٩٦

و لما كان قد بقى من الأقسام التى كانوا يتقولونها عليه الافتراء فى الرسالة بمعنى أنه عثر على بعض كتب الله تعالى التى نزلت على من قبله [3] من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام [3] فانتحلها من غير أن يوحى إليه ، وكان الدليل على ان ذلك ليس كذلك أن العادة تحيل أن يطلع شخص من الناس على شىء لم يطلع أحد منهم [و - [4]] لا سيما إن كان ذلك الشخص [5] قليل المخالطة [5] للعلماء فكيف إذا كان أميا لا يكتب و لا يقرأ كما كان

(١) زيد من م (٢-٢) فى م : احدهم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم.
(٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ وم ، و فى الأصل : غير مخالط .

صلى الله عليه و سلم، قال عاطفا على ما تقديره : فلو لم يكن تنزيل رب العالمين عليه لم يعجزوا عنه : ﴿ ولو تقوّل ﴾ أى كلف نفسه أن يقول مرة من الدهر كذبا ﴿ علينا ﴾ على ما لنا من [1]صفات العظمة و الجلال و البهاء و الكمال و الكبرياء[1] ﴿ بعض الاقاويل ﴾ [2]التى لم

٥ نقلها أو قلناها و لم نأذن له فيها . و هو جمع أفعولة من القول كالأضاحيك جمع أضحوكة ، لا جمع أقوال ، ليكون جمع الجمع ، لأنه يلزم عليه أن لا يعاقب بما دون ثلاثة [أقوال - [3]] ﴿ لاخذنا ﴾ أى بعظمتنا أخذ قوة و غضب و قهر و إهلاك ، و أكده للاعلام بشدة الغضب من الكذب و شدة قبحه .

١٠ و لما كان أخذه [4] أخذا يتلاشى عنده كل أخذ لأن من افترى على الملوك لا يفعل به إلا ذلك[5] قال : ﴿ منه ﴾ أى خاصة ﴿ باليمين ﴾ أى التى هى [6]العضو الأقوى[6] منه فيها يكون بطشه فنذهب بشدة بطشنا ، أو اليمين منا ، فيكون كناية عن أخذنا له بغاية القوة ، فان قوة كل شيء فى ميامنه ، و قيل : إذا أراد الملك إهانة شخص قال : خذه

١٥ يا فلان ، فيأخذه / بيمينه ، فهو كناية عن الإذلال ، و قيل : هذا تصوير لقتل الصبر بأشنع صورة ، فان الملك إذا أراد التخفيف على من يقتله أمر السياف فأخذ يساره بيساره ، وضرب بالسيف من ورائه لأن العنق

(١-١) فى ظ وم : العظمة (٢) زيد فى م : اى (٣) زيد من ظ وم (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : لذلك (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٧-٧) من ظ وم ، و فى الأصل : عنده من المثنوية .

من خلف أوسع فيكون أسرع قطعا و لا يرى المقتول لمع السيف، [و إن أراد التعذيب و المبالغة فى الإهانة أخذ يده اليمنى بيده اليسرى و ضربه و هو مستقبل له يرى لمع السيف -[1]]، و ربما وقعت الضربة لضيق المجال من قدام فى حنكه فيحتاج إلى ثانية و ثالثة فهو أفحش.

و لما صور مبدأ الإهلاك بأفظع صورة، أتمه مشيرا إلى شدة بشاعته ٥ بحرف التراخى فقال: ﴿ ثم لقطعنا ﴾ حتما بلا مثنوية بما لنا [2] من العظمة [2] قطعا يتلاشى عنده كل قطع ﴿ منه الوتين ﴾ أى العرق الأعظم فى العنق الثابت الدائم المتين الذى يسمى الوريد، و هو بين العلباء و الحلقوم، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه [3] نياط القلب، و فى القاموس: عرق فى القلب إذا [4] انقطع مات صاحبه - انتهى. و اختير التعبير به ١٠ لأن مادته بهذا الترتيب تدور على المتانة و الدوام، فلذا كان يفوت صاحبه بفواته، و قال ابن برجان: عرق متصل بنياط القلب مستبطن للصلب يملأ الجسد كله تسقيه الكبد و هى [5] بيت الدم و هو يجرى منها الدم فى البدن [6] يأخذ منه [7] ستون عرقا هى أنهار الدم فى الجسد كله، من هذه الأنهار تأخذ عروق الجسد ثمانية عشر تسق الصدر، و سبعة ١٥ تسق العين، و أربعة تسق الدماغ، و الوتين من مجمع الوركين إلى مجمع

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنده من المثنوية (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٤) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: هو (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الجسد (٧) من ظ و م، و فى الأصل: منها.

الصدر بين الترقوتين، ثم ينقسم عنه سائر العروق إلى سائر الجسد، و لا يمكن فى العادة الحياة بعد قطعه، و فى المائدة عند قوله[1] "و الله يعصمك من الناس" ما ينفع هنا[2].

و لما أتم تصوير ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه من أن يأخذ ٥ السيئات أو أعوانه بيمينه و يكبحه كالسيف فيضرب به عنقه، سبب عنه قوله إتماما لعظمته بقوله: ﴿فما منكم﴾ أى أيها الناس، و أعرق فى النفى فقال: ﴿من أحد عنه﴾ أى القتل أو [المقتول ـ[3]] المنقول، و لما كان «احد» عاما حقق عمومه واصفا له، و[4] أخبر عن «ما» على لغة الحجاز بقوله: ﴿حجزين﴾ أى يكون حاجزا جزما كثيفا مانعا من الوصول إليه ١٠ فلا غرض يتعلق من عاقل أن ينصح لأحد بنصيحة تعود إلى المنصوح وحده بالنفع و لاحظ للقائل [فيها ـ[4]] بكذب يكلف نفسه تقوله على ملك لايقدر ذلك المنصوح أن يحميه عن عقوبته / على ذلك الكذب، ٤٩٨ / و اختار الإخبار بالجمع لأنه يدل على عدم حجز الفرد من باب الأولى و «منكم» حال لتقدمه، و هذا كله كناية على أبلغ الوجوه عن ان هذا الذكر ١٥ كلام الله لا شبهة فيه بوجه، مضموما ذلك إلى وجوه إعجازه، فان «لو» لامتناع الثانى لأجل امتناع الأول. فالتقدير كما يقال فى القياس الاستثنائى: لكننا لم نأخذه هذا الأخذ فثبت أنه ما تقول علينا شيئا، فثبت [ان ـ[5]] ما قال كلامنا ثبوتا تاما بالبرهان على وجه لا يرام نقضه.

---

(١) سقط من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: هذا (٣) زيد من م (٤) من ظ وم، وفى الأصل: او (٥) زيد من ظ وم.

و لما

و لما كان هذا كناية عن هذا من غير نظر إلى حقائق مفرداته و لا معنى شيء منها على انفراده، فكان كأنه قيل: تنزيل من رب العالمين غير متخيل فيه الكذب بوجه، عطف على ذلك قوله: ﴿و انه﴾ أى القرآن بعد أن كان ذكرا لجميع العالمين ﴿ لتذكرة ﴾ أى مذكر عظيم جدا ﴿ للمتقين ﴾ أى من العالمين لأنهم المتفعون به لإقبالهم عليه ٥ إقبال مستفيد.

و لما علم من هذا أنه سبحانه عالم بقسمى المسيء و المحسن ظواهرهم و بواطنهم، صرح بالقسم الآخر، فقال مؤكدا لأجل إنكار الضلال: ﴿ و انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ لنعلم ﴾ أى علما عظيما [محيطا ـ [1]] ﴿ ان منكم ﴾ أيها الأرضيون السفليون الذين ليس لهم أهلية العلو إلى ١٠ تجريد الأرواح عن[2] علائق الجسد الكثيفة ﴿ مكذبين ﴾ أى عريقين[3] فى التكذيب فأنزلنا الكتب و أرسلنا الرسل ليظهر منكم إلى عالم[4] الشهادة منها ما كنا نعمله[5] فى الأزل غيبا من تكذيب و إيمان فتستحقون بذلك العقاب أو الثواب، فلذلك وجب فى الحكمة التى لا يكذب بها أحد و لا يشك فى أنها خاصة الملك المظهرة للكمال[6] أن يعيد الخلق ١٥ إلى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازى كلا

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عريقون (٤) زيد فى الأصل: الغيب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: نفعله (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لكمال.

بما يليق به إظهارا للعدل .

و لما كان سبب التكذيب ستر ما تجليه مرائى العقول من الدلائل ، و كان التقدير : فانه بشرى للمؤمنين ، و لكنه طواه لأن السياق للتهديد بالحاقـة ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب به ،
٥ ﴿ و انه ﴾ اى القرآن العظيم ﴿ لحسرة ﴾ أى بما يرى من تأويله فى الدنيا و الآخرة ﴿ على الكٰفرين ﴾ أى العريقين فى الكفر لكونهم كذبوا به لما يظهر لهم من جزائهم و جزاء المؤمنين .

و لما كان كل من الفريقين يذوق جزاءه فى الآخرة، و كان كل أحد سمع القرآن ذاق أنه لا يقدر على الإتيان بشىء يماثله و لا يدانيه ،
١٠ قال مؤكدا تنزيلا لهم فى عداد الجاهلين : ﴿ و انه ﴾ اى القرآن أو الجزاء فى يوم الجزاء ﴿ لحق اليقين ﴾ / أى الأمر الثابت الذى[٢] /٤٩٩ يذاق فيصير [لا - [٣]] يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق ، من إضافة الصفة إلى الموصوف، [و - [٣]] هو فوق علم اليقين، و فى ذلك إشارة إلى أن العبد ينبغى له أن يتحقق لذلك معرفة الحق فيكون مشاهدا
١٥ للغيوب كمشاهدة المرئيات لما يشاهد من أمثالها ، فأمر البعث يشاهد كل يوم فى الليل و النهار و فى العام فى النبات و غير ذلك .

و لما كان البعث لهـذا المقصد من أعظم الكمال ، و كان عدمه موجبا للنقص ، سبب عن كلا الأمرين إشارة و عبارة قوله آمرا بعد

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : للخبر كما (٣) زيد من ظ و م .

الإخبار فى أول المسبحات : ﴿ فسبح ﴾ اى أوقع التنزيه الكامل عن[1] كل شائبة نقص ﴿ باسم ﴾ أى بسبب علمك بصفات ﴿ ربك ﴾ أى الموجد و المربى لك و المحسن إليك بأنواع الإحسان ﴿ العظيم ع ﴾ الذى ملأت الأقطار كلها عظمته ، و زادت على ذلك بما شاءه سبحانه مما لا تسعه العقول لاسيما عن قولهم : لن يعيدنا ، فانه سبحانه و تعالى قادر على ٥ ذلك لا يعجزه شيء ، و قد وعد بذلك و هو صادق الوعد ، و عدم البعث مخل بالحكمة لظلم أكثر الناس ، و فيه إشارة إلى المتاركة ، و تعجيب من حالهم فى تصميمهم على الكذب و العناد ، و الجلد على الجدل و الفساد ، فقد رجع آخر السورة على أولها باحقاق الحاقة لنفى ما وقع الخبط فيه فى دار الاحتجاب بالأسباب من مواقع النقص و مظنات ١٠ اللبس ، فيثبت الحق و ينفى الباطل فيفرق بين المحسن و المسيء و السعيد و الشقى ، فيحق السلام لحزب الرحمن ، و يثبت[2] الهلاك لأصحاب الشيطان ، و يظهر اسمه الظاهر لكل مؤمن و كافر ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب [3] و الله الهادى [3] .

* * *

سورة سأل و تسمى المعارج[4]

مقصودها إثبات القيامة و إنذار من كفر بها و تصوير عظمتها بعظمة

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يحق .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) السبعون من سور القرآن الكريم مكية ، و هى ٤٤ آية .

ملـكها و طول يومها و تسلية المنذر بها بما لمن كذبه بما له من الصغار و الذل و التبار[1]، و دل على وجوب وقوعها سابقا بما [2]ختمه بتسميتها[2] فى السورة الماضية بالحاقة تنبيها على أنـه لابد منها و لا محيد عنها، و دل على ذلك بالقدرة فى أولها و العلم فى أثنـائها و[3] التنزه عما فى ٥ إهمالها من النقص فى آخرها / و لا خفاء بما أخبر من أنه أرسل جميع /٥٠٠ رسله بالتحذير منها فأرسل نوحا عليه السلام فى الزمان الأقدم كما ذكر فى سورته عند ما اختلف الناس بعد ما كانوا عليه فى زمان ابيهم آدم عليه الصلاة و السلام من الاتفاق[4] على الدين الحق فافترقوا إلى مصدق و مكـذب، فعلم منه أن من بعده أولى بذلك لقربهم منها، و أتبع ذلك ١٠ الإعلام أنه دعا إلى ذلك الجن الذين كان سبيلهم فيها سبيل الآدميين، و أتبع ذلك - [5]] - بعد إرسال أول الرسل بهـا زمانا - آخرهم زمانا و أولهم نبوة حين كان نبيا و آدم بين الروح و الجسد، فبدأ فى سورة المزمل بنبوته[6] و مزيد تزكيته و تقديسه و رفعته و الإخبار عن رسالته و التحذير من مخالفته، و أتبع ذلك الإنذار[7] بها بالصدع بالرسالة بمحو كل ١٥ ضلالة، فلما تقررت نبوته و ثبتت رسالته على أجمل الوجوه و أجلاها

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التبادر (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: ختم به من تسميتها (٣) زيد فى الأصل: التنزل و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاتفاق (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فى نبوته (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالانذار.

و أبينها و أعلاها و اشرفها و اولاها ، جعل سبحانه سورة القيامة كلها لها إعلاما بأن الأمر [عظيم - ١] جدا يجب الاعتناء به و التأهب له و الاجتهاد بغاية القوة و إفراغ الجهد ، ثم أتبع ذلك الإنسان دلالة على أنه المقصود بالذات من الأكوان ، فلا يسوغ فى الحكمة أن يجعله سبحانه سدى ، و بين كثيرا من أحوالها ثم أقسم فى المرسلات أن ٥ أمرها حق لابد منه و لا مندوحة عنه ، ثم عجب فى « عم » [منهم - ٢] فى تساؤلهم عنها و تعجيبهم منها ثم أقسم على وقوعها فى النازعات و صور من أمرها و هزاهزها ما أراد ، ثم أولى ذلك الدلالة فى سورة عبس على أن من الناس من طبع على قلبه فلا حيلة فى تصديقه بها مع ما يتبين بالسورة الماضية و غيرها من أمرها ، ثم صورها فى « كورت » ١٠ تصويرا صارت من رأى عين لو كشف الغطاء ما ازداد الموقنون بها يقينا ، ثم بين فى الانفطار أن الأمور فيها ليست على منهاج الأمور هنا ، بل الأسباب كلها منقطعة و الأنساب مرتفعة ، و الكل خاضعون مخبتون خاشعون ، أعظمهم فى الدنيا تجبرا أشدهم٣ هنالك صغارا و تحسرا ، ثم أتبع ذلك من يستحق هنالك النكال و السلاسل و الأغلال ، ثم أولاه ١٥ رفعة أهل الإيمان الذين طبعهم على الإقرار بها و العرفان ، و استمر [على - ٢] هذا إلى أخر القرآن قل أن تأتى سورة إلا و هى معرفة بها غاية المعرفة إلى أن ختم بالدين إشارة بذلك إلى أن معرفتها هى [الدين - ١]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اشد .

و أشار فى «تبت» إليها و أتبعها الإخلاص إشارة إلى أنه لا يسلم فيها
إلا الموحدون المأذون من الفتن الظاهرة و الباطنة ، المتصفون بالمحامد
المتعاظمة المتكاثرة ، فآذن ذلك أن أكثر غاية القرآن فى أمرها العظيم
الشأن لأنه / [1] لا كتاب بعد هذا الكتاب [1] ينتظر و لا أمة اشرف من هذه /٥٠١
٥ [2] تخص ببيان [2] أعظم من بيانها و هو [3] أحد الأوجه التى فاق بها القرآن
على الكتب الماضية و الصحف الكائنة فى القرون الخالية ، و آذن ذلك
بأن الأمر قد قرب و الهول قد دهم و الخوف قد قدح ، ليشمر أهل
الاختصاص فى النجاة من عذابها و الخلاص ، حين لا مفر و لا ملجأ
ولات حين مناص ، نسأل الله العافية فى يومها و العيشة الراضية ، و على
١٠ هذا المقصد دل اسمها « سأل » و كذا المعارج و هما أنسب ما فيها للدلالة
على ذلك ، وقانا الله سبحانه و تعالى من آفاتها و المهالك آمين ﴿ بسم الله ﴾
الملك الأعظم الذى تنقطع [4] الأعناق و الآمال [4] دون عليائه ﴿ الرحمن ﴾
الذى أوضح نعمة البيان و عم بها و شهرها حتى صارت فى الوضوح
إلى حد لا مطمع [لأحد - [5]] فى [ادعاء - [5]] خفائه ﴿ الرحيم ه ﴾
١٥ الذى [اصطفى - [5]] من عباده [6] من وفقه [للفهم - [5]] عنه و الطاعة
له ، فكان من أوليائه .

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الأمه تحقق بلسان (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : هى (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الامال و الاعناق (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : علاه .

لما ختم أمر الطامة الكبرى فى الحاقة حتى[1] ثبت أمره، و تساوى سره و جهره، [2]و دل عليها[2] حتى لم يبق هناك نوع لبس فى وجوب التفرقة فى الحكمة بين [3]المحسن و المسيء[3]، و ختم بأن ترك ذلك مناف للكمال فيما تعارقه[4] من أمور العمال[5] بعد أن أخبر أنه يعلم أن منهم مكذبين، وكان السائل عن شيء يدل على [أن -[6]] السائل ما فهمه ٥ حق فهمه، و لا اتصف بحقيقه علمه، عجب فى أول هذه ممن سأل عنها فقال: ﴿ سأل ﴾ و دل على أنه لو لم يسأل عنها إلا واحد من العباد لكان جديرا بالتعجب منه و الإنكار عليه بالإفراد فى قوله: ﴿ سآئل ﴾ و هو من السؤال فى قراءتى من خفف بابدال الهمزة ألفا و من همز.

و لما كان سؤالهم من وقت مجيء الساعة و العذاب و طلبهم ١٠ تعجيل ذلك إنما هو استهزاء، ضمن « سأل » استهزاء ثم حذفه و دل عليه بحال انتزعها منه و حذفها و دل عليها بما تعدى به فقال، أو أنه حذف مفعول السؤال المتعدى " بعن" ليعم[7] كل مسؤل عنه إشارة إلى أن [من -[6]] تأمل الفطرة الأولى و ما تدعو إليه من الكمال فأطاعها فكان مسلما فاضت عليه العلوم، و برقت له متجليه أشعة الفهوم، فبين ١٥ المراد من دلالة النص بقوله: ﴿ بعذاب ﴾ أى عن يوم القيامة بسبب

---

(١) فى ظ و م: حتما (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: كل فيها (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: المسيء و المحسن (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مفارقة. (٥) من ظ و م؛ و فى الأصل: الثمانى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ليتم.

عذاب أو مستهزئا بعذاب عظيم جدا ﴿ واقع ﴾ و عبر باللام تهكما منهم مثل "فبشرهم بعذاب" فقال: ﴿للكفرين﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف بمعنى: إن كان [لهم -١] فى الآخرة شيء فهو العذاب، و قراءة نافع و ابن عامر بتخفيف الهمزة [أكثر - ٢] تعجيبا أى اندفع
٥ [فه بالكلام - ١] و تحركت / به شفتاه لأنه مع كونه يقال: سال يسال /٥٠٢ مثل خاف يخاف لغة فى المهموز يحتمل أن يكون من سأل يسأل، قال البغوى[٣]: و ذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه و سلم بالعذاب قالوا: من أهل هذا العذاب و لمن [هو - ١] ؟ سلوا عنه، فأنزلت.

١٠ و لما أخبر بتحتم وقوعه علله بقوله: ﴿ ليس له ﴾ أى بوجه من الوجوه و لا حيلة من الحيل ﴿ دافع ﴾ مبتدئ ﴿ من الله ﴾ اى الملك الأعلى الذى لا كفوء له فلا أمر لأحد معه، و إذا لم يكن له دافع [منه لم يكن دافع -١] من غيره و قد تقدم الوعد به، و دلت الحكمة عليه فتحتم وقوعه و امتنع رجوعه.

١٥ و لما كان القادر يوصف بالعلو، و العاجز يوصف بالسفول و الدنو، وكان ما يصعد فيه إلى العالى يسمى درجا، و ما يهبط فيه إلى السافل [يسمى دركا - ١]، و كانت الأماكن كلها بالنسبة إليه سبحانه على حد سواء، اختير التعبير بما يدل على العلو الذى يكنى به عن القدرة والعظمة، فقال واصفا بما يصلح كونه مشيرا إلى التعليل: ﴿ذى المعارج﴾

(١) زيد من ظ وم (٢) زيد من م (٣) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١٢٣/٧.

أى

اى الدرج التى[1] لا انتهاء لها اصلا - بما دلت عليه صيغة منتهى الجموع و هى[2] كناية عن العلو، و سميت بذلك لأن الصاعد[3] فى الدرج يشبه مشية الأعرج، و روى عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما أنها السماوات، و دل على ما دلت عليه الكثرة مع الدلالة على عجيب القدرة فى تخفيفها على الملائكة بقوله: ﴿ تعرج الملئكة ﴾ أى و هم أشد الخلق ٥ و أقدره[5] على اختراق الطباق، و الإسراع فى النفوذ حتى يكونوا أعظم من لمح البرق[6] الخفاق ﴿ و الروح ﴾ أى جبريل عليه السلام، [خصه -[7]] تعظيما له، أو هو خلق هو أعظم [من -[7]] الملائكة، و قيل: روح العبد المؤمن إذا قبض ﴿ اليه ﴾ اى محل مناجاته و منتهى ما يمكن من العلو لمخلوقاته، و علق بالعروج[8] أو بواقع قوله: ﴿ فى يوم ﴾ اى من ١٠ أيامكم، و بين عظمته بقوله: ﴿ كان ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ مقداره ﴾ أى لو كان الصاعد فيه آدميا ﴿ خمسين الف ﴾ و بين المشقة فى صعوده أو الكون فيه إن أريد القيامة بأن قال: ﴿ سنة ج ﴾ و لم يقل: عاما - مثلا، و يجوز أن يكون هذا اليوم ظرفا للعذاب فيكون المراد به يوم القيامة، و أن يكون طوله على الكافر باعتبار ١٥ ما يلحقه من الغم لشدة المخاوف عليه لأنه[9] ورد أنه يخفف على المؤمن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: هو. (٣) من ظ وم، و فى الأصل: القاعد (٤) راجع معالم التنزيل ١٣٤/٧ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اقدرهم (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العروج. (٩) فى ظ وم: فانه.

حتى يكون بمقدار صلاة واحدة - انتهى .

و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما[١] ان المعنى [أنه - [٢]] لو ولى الحساب غير الله لم يفرغ منه إلا فى هذا المقدار ، و يفرغ منه هو سبحانه فى نصف يوم من أيام الدنيا ، و قال مجاهد و الحكم و عكرمة : هو / عمر الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة لا يدرى أحد كم ٥ / ٥٠٣
مضى وكم بقى إلا الله ، و قد مضى فى سورة "الم السجدة" ما ينفع ههنا .

و لما كان هذا كله تسلية[٣] للنبى صلى الله عليه و سلم عن استعجالهم إياه بالعذاب استهزاء و تكذيبا سواء أريد تصوير العظمة أو العذاب ، سبب عنه قوله : ﴿ فاصبر ﴾ أى على أذاهم و لا ينفك ذلك عن
١٠ تبليغهم فانك شارفت [وقت - [٢]] الانتقام منهم أيها الفاتح الخاتم الذى لم أبين[٤] لأحد ما بينت على لسانه ، والصبر : حبس النفس على المكروه من الإقدام أو الإحجام ، و جماله بسكون الظاهر[٥] بالتثبت و الباطن[٦] بالعرفان[٧] ﴿ صبرا جميلا ہ ﴾ أى لا يشوبه شىء من اضطراب و [لا - [٢]] استثقال ، ولا شكوى ولا استعجال ، فان عذابهم[٨] و نصرك
١٥ عليهم لعظمة من أرسلك ، فلا بد من وقوعه لأن القدح فيه و التكذيب به قدح[٩] فيها ، و هذا قبل الأمر بالقتال .

(١) راجع المعالم ٧/١٢٤ (٢) زيد من ظ وم (٣) فى م : مسليا (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : لم تبين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الظواهر (٦) من ظ و فى الأصل : البواطن (٧) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : عذابك لهم (٩) من ظ و فى الأصل : قدحا .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما انطوت سورة الحاقة على أشد [وعيد - [1]] و أعظمه أتبعت بجواب من استبطأ ذلك و استبعده إذ هو مما يلجأ إليه المعاند الممتحن ، فقال تعالى « سال سائل بعذاب واقع[2] » إلى قوله " انهم يرونه بعيدا و نراه قريبا " ثم ذكر حالهم إذ ذاك « يوم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه » الآية ، ثم أتبع بأن ذلك لا يغنى ٥ عنه [و لا يفيده " انها لظى " ثم ختمت السورة بتأكيد الوعيد - [1]] و أشد التهديد « فذرهم يخوضوا و يلعبوا » إلى قوله " ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون " ذلك يوم الحاقة و[3] يوم القارعة - انتهى .

و لما كان كونه تعالى ، بما تقدم من العظمة ، أمرا معلوما بما له من الآثار من هذا الكون [و ما - [1]] فيه ، و كان استبعادهم لما أخبر به ١٠ أمرا واهيا ضعيفا سفسافا لا يكاد يصدق أن أحدا يحاول أن يرد به هذه الامور التى هى فى وضوحها كالشمس لا خفاء بها أصلا و لا لبس قال مؤكدا : ﴿ انهم ﴾ اى الكفار [4] المكذبين المستعجلين[4] ﴿ يرونه ﴾ أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه ﴿ بعيدا ۙ ﴾ أى زمن وقوعه ، لأنهم يرونه غير ممكن أو يفعلون أفعال من يستبعده ﴿ و نرٰه ﴾ لما لنا من ١٥ العظمة التى قضت بوجوده و هو علينا هين[5] ﴿ قريبا ۗ ﴾ سواء أريد بذلك قرب الزمان أو قرب المكان ، فهو هين [على قدرتنا - [1]] و هو آت

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : للكافرين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .

لا محالة، و كل آت قريب و [١] البعيد و القريب [١] عندنا على حد سواء.

و لما ذكر عن هذا اليوم ما يبعث على [٢] السؤال عنه، استأنف بيانه مبينا عظمته فقال: ﴿يوم﴾ أي يقع حين ﴿تكون السمآء﴾ [أي - [٣]] التي هي أوثق ما تراه/ و أصلبه من عظم [٤] ما يقع فيه من الاهوال /٥٠٤

٥ ﴿كالمهل ۝﴾ أي الشيء [٥] المذاب من المعادن في مهل أو دردي الزيت ﴿و تكون الجبال﴾ التي هي أشد الارض و أثقل ما فيها ﴿كالعهن ۝﴾ أي الصوف المصبوغ ألوانا المنقوش، تطيره الريح كالهباء، و ذلك لأن الجبال في أصلها متلونة كما قال تعالى «و من الجبال جدد و بيض و حمر» الآية، قال البغوي [٦]: و لا يقال عهن إلا للمصبوغ، قال: و أول ما تتغير

١٠ الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا [ثم هباء - [٧]] منثورا - انتهى. ﴿و لا يسئل﴾ من شدة الاهوال ﴿حميم حميما ۝﴾ أي قريب في غاية القرب و الصداقة قريبا مثله [٨] عن شيء من الاشياء لفرط الشواغل و لأنه قد كشف لهم أنه لا تغني نفس عن نفس شيئا، و أنه قد تقطعت الأسباب و تلاشت الأنساب لما كشف الابتلاء عن أنه لا عز إلا

١٥ بالتقوى - هذا على قراءة الجماعة بفتح الياء و [على - [٣]] قراءة ابن كثير بالبناء للمفعول المعنى أنه لا يطالب أحد بأحد كما بعض الحكام في الدنيا

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: القريب و البعيد (٢) من ظ و م، و في الأصل: عن (٣) زيد من ظ و م (٤) في ظ و م: عظمت (٥) من ظ و م، و في الأصل: السديد (٦) راجع المعالم ٧/ ١٢٥ (٧) زيد من ظ و م و المعالم (٨) من ظ و م، و في الأصل: منه.

من

من انه يلزم اقارب من قربــه لانه لا حاجة له بذلك، لان القدرة محيطة بالكل على حد سواء.

و لما كان عدم السؤال قد يكون لعدم رؤية بعضهم بعضا لكثرة الجمع و شدة الزحام و تفرق النـاس فيه على حسب مراتب أعمالهم، استأنف الجواب لمن كأنه يقول: لعل ذلك يترك لعدم رؤيتهم لهم؟ ٥ فقال دالا بالمجهول و التفعيل على عظمة ذلك التبصير[١] و خروجه عن العادة جامعا لأن المقصود من الحـــميم الجنس و الجمع أدل على عموم التبصير[١]، قال البغوى[٢]: و ليس فى القيامة مخلوق إلا و هو نصب عين[٣] صاحبه من الجن و الإنس - إنتهى، و كان حكمة ذلك أنه أدل على تقطع الأسباب فلا [يسأل - [٤]] أحد منهم الآخر عن شىء من أمره ١٠ لاشتغال كل[٥] بنفسه، فعدم السؤال لا للخفاء بل للاشتغال[٦] و هم كل إنسان بما عنده[٦]: ﴿ يبصرونهم ﴾ أى يبصرهم[٧] مبصر فلا يخفى أحد على أحد و إن بعد مكانه و يفر كل من الآخر لشغله بنفسه. و لما تناهى الإخبار بعظمة ذلك اليوم إلى حد لا تحتمله القلوب، ذكر نتيجة ذلك فقال مستأنفا: ﴿ يود ﴾ [٦] أى يتمنى و يشتهى[٦] ﴿ المجرم ﴾ أى هذا النوع سواء ١٥ كان كافرا أو مسلما عاصيا علم أنه يعذب بعصيانه، و قيد به لأن المسلم الطائع

---

(١) من ظ م، و فى الأصل: التبصر (٢) فى المعالم ٧ / ١٢٥ (٣) من ظ و م والمعالم، وفى الأصل: على (٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ و م، وفى الأصل: لكل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: فيهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

يشفع فيمن أذن له فيه و لا يهمه شيء من ذلك، و دل على [أن -[1]] هذه الودادة مجرد تمن بقوله: ﴿لو يفتدى﴾ أى[2] نفسه ﴿من عذاب يومئذ﴾ /أى يوم إذ كانت [هذه -[1]] المخاوف بأعلق الناس بقلبه و اقربهم منه فضلا عن أن يسأل عن احواله.

/٥٠٥

٥ و لما كان السياق للافتداء، بدأ بأعزهم في ذلك بخلاف ما يأتي في عبس فقال: ﴿ببنيه ۙ﴾ لشدة ما يرى.

و لما ذكر ألصق الناس بالفؤاد و أعز من يلزمه لنصره و الذب عنه، أتبعه ما يليه في الرتبة و المودة و ما الافتداء به لا سيما عند العرب[3] من أقبح العار فقال: ﴿و صاحبته﴾ أى زوجته التي يلزمه الذب

١٠ عنها و الكون دائما معها لكونها عديلة روحه[4] في الدنيا[4].

و لما ذكر الصاحبة لما لها من تمام الوصلة، أتبعها الشقيق الذي لا يلزم من الذب عنه ما[5] يلزم من الذب عن الحريم و ربما كان مباينا، فقال: ﴿و اخيه ۙ﴾.

و لما كان من بقي من الأقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر

١٥ أقربهم فقال: ﴿و فصيلته﴾ أى عشيرته الذين هم أقرب من فصل عنه ﴿التي تؤويه ۙ﴾ أى تضمه إليها عند الشدائد و تحميه، لأنه أقرب

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من م، و في الأصل و ظ: القرب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و في الأصل: من.

الناس إليها و أعزهم عليها فهم أعظم الناس [1] حقا عليه [1] و أعزهم لديه .

و لما كانت هذه الآية فى الفدية ، قدم الأبعد عن ذلك فالأبعد من جهة النفع و المعرة . و لما كانت آية عبس فى الفرار و النفرة ، قدم الألصق فالألصق ، و الأعلق فى الانس فالأعلق .

و لما خص هنا عم فقال : ﴿ و من فى الارض ﴾ أى من الثقلين ٥ و غيرهم سواء كان فيهم صديق لا صبر عنه و لابـــد فى كل حال منه أو لا . و لما كان ربما خص ذلك بغيره ، قال محققا لإرادة الحقيقة فى معنى « من » : ﴿ جميعا لا ﴾ .

و لما كان الإنسان تكشف له الامور هناك أى كشف ، و تظهر له أتم ظهور ، قال تعالى " فبصرك اليوم [حديد -[2]] " فيعلم أنه لا ينجيه ١٠ من الخطايا المحيطة المحبطة[3] شيء ، دل على الاستبعاد بأداة البعد فقال عاطفا على "يفتدى" : ﴿ثم ينجيه لا ﴾ أى ثم يود لو يكون له بذلك نجاة تتجدد له فى وقت من الاوقات .

و لما كان هذا [مما -[2]] قد يطمع فى النجاة ، فان بعض الناس يطبع على قلبه فيستغويه[4] الأطماع حتى يعد المحال ممكنا ، قال معبرا ١٥ بمجمع الروادع و الزواجر[5] الصوادع : ﴿ كلا ﴾ أى ليكن للجرم ردع

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المحيطة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حتى يستهويه . (٥) زيدت الواو فى الأصل و م و لم تكن فى م فحذفناها .

أيّ ردع عن وداده[1] هذا و ترتب أثره عليه ، فان ذلك لا يكون أبدا بوجه من الوجوه .

و لما كان الإضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر فى المهيع الذى هو فيه ، لأن ذلك إشارة إلى أنه مستحضر فى[2] الذهن لا يغيب أصلا ٥ لما للقام عليه من عظيم الدلالة ، قال بعد هذا الردع العظيم عن النجاة بل[3] عن ودادة تمنيها : ﴿ انها ﴾ أى النار / التى هى سوط[4] الملك المعد لمن[5] عصاه ، ٥٠٦ / المهدد فى هذا السياق بعذابها ، المستولية عليه لتكون سجنه : ﴿ لظى ۙ ﴾ أى ذات اللهب الخالص المتناهى فى الحر[6] يتلظى أى يتوقد فيأكل بسببه بعضها بعضا إن لم تجد ما تأكله و تأكل ما وجدته كائنا ما كان ١٠ ﴿ نزاعة للشوى ۚ ﴾ أى هى شديدة النزع[6] لجلود الرؤس بليغته[7] فما الظن بغيره من الجلد . و قال فى القاموس : الشوى : اليدان و الرجلان و الأطراف و قحف الراس و ما كان غير مقتل - انتهى ، و قيل : و الجلد كله و اللحم تنزع ذلك ثم يعود كما كان فى الحال ليروا التعب الذى

(١) زيد فى الأصل : بعد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل : عظيم . و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : بعد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : سول (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الحرب (٧) من ظ و م ، و فى الاصل : النزاع (٨) زيد فى الأصل : اى شديدة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كانوا

كانوا ينكرونه فى انفسهم [١] فى كل [١] لحظه .

و لما كان الخلاص غير ممكن من الداعى القادر على [٢] الاحضار كنى عن إحضارها إياهم و جذبها لهم بقوله: ﴿ تدعوا ﴾ و يجوز أن يكون ذلك حقيقة فتقول فى الدعاء فى [٢] نفسها: إلىّ يا مشرك إلىّ يا منافق، و نحو ذلك [٣] ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب ﴿ من ﴾ أى كل شخص [٤] ﴿ ادبر ﴾ ٥ أى [٤] من الجن و الإنس [أى [٤] من وقع منه إدبارها من حقه الإقبال عليه سواء كان ذلك الإدبار عنها أو عن الأعمال التى من شانها التنجية [منها - [٥]]، و لما كان الإدبار قد يكون عن طبع غالب فيكون صاحبه فى عداد من يعذر، بين أن الأمر ليس كذلك فقال: ﴿ و تولّى لا ﴾ أى كلف فطرته الأول المستقيمة الإعراض عن أسباب النجاة . ١٠

و لما كانت الدنيا و الآخرة ضرتين، فكان الإقبال على إحداهما دالا على الإعراض عن الأخرى، قال دالا على إدباره بقلبه: ﴿ وجمع ﴾ أى كل ما كان منسوبا إلى الدنيا .

و لما كانت العادة جارية بأن من كانت الدنيا أكبر همه كان همه بجمعه الاكتناز لا الإنفاق، سبب عن جمعه قوله: ﴿ فاوعى ۝ ﴾ أى ١٥ جعل ما جمعه فى وعاء و كنزه حرصا و طول أمل و لم يعط حق الله فيه، فكان [٦] همه الإيعاء لا إعطاء [٦] ما وجب من الحق إقبالا على الدنيا

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الى .
(٣) فى م : هذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد من ظ و م .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حقه الاعطاء لا الايعاء .

و إعراضا عن الآخرة .

و لما كان من أعجب العجب أن يقبل على الدنيا أحد يسمع هذا التهديد بالعرض بين يدى الله و العقاب لمن لم يقبل على عبادته سبحانه، بين ان ذلك لما جبله عليه سبحانه و أن الإنسان مقهور مع جبلته إلا من ٥ حفظه الله، و ذلك [دال -[1]] من كلا الطرفين على عظيم قدرته سبحانه، قال مؤكدا لاقتضاء المقام للتأكيد لأن الإنسان لو خوف بالعرض على بعض الأمراء ما[2] لابس ما يغضبه فكيف بالعزيز الحكيم القدير العليم: ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا / الجنس، عبر به لما له من الأنس بنفسه ٥٠٧ / و الرؤية لمحاسنها و النسيان لربه و لذنبه .

١٠ و لما دعا الحال إلى بيان الجبلة الداعية إلى ما يقتضيه باختيار صاحبها على[3] وجه كأنه إلجاء بيانا لسهولة الأمور عليه سبحانه بنى للمفعول قوله: ﴿ خلق هلوعا ﴾ اى جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع و هو أفحش الجزع مع شدة الحرص و قلة الصبر و الشح[4] على المال و الرغبة فيما لا ينبغى، و عن ابن عباس رضى الله[5] عنهما أنه الحريص ١٥ على ما لا يحل له[6]، و روى عنه أن تفسيره ما[7] بعده .

و لما كان الهلع شدة الحرص و قلة الصبر، نشر معناه فقال مقدما

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: لما (٣) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التشح. (٥) راجع المعالم ٧/١٢٥ (٦) زيد فى الأصل و ظ: انتهى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فيما .

المعمول الذي هو الظرف على العامل بيانا لإسراعه في ذلك : ﴿ اذا مسه ﴾ [أي - [١]] أدنى مس ﴿ الشر ﴾ أي هذا الجنس وهو ما تطاير شرره[٢] من الضر ﴿ جزوعا ﴾ أي عظيم الجزع ، و هو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين و يتفتت ﴿ و اذا مسه ﴾ أي كذلك ﴿ الخير ﴾ أي هذا الجنس و هو ما يلائمه فيعينه من السعة في المال و غيره من أنواع ٥ الرزق ﴿ منوعا ﴾ أي مبالغا في الإمساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك في حب العاجل و قصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود و البلادة ، و هذا الوصف ضد الإيمان ، لأنه [نصفان - [١]] : صبر وشكر.

و لما كان التقدير : فهو يسارع في آثار ما جبل عليه مما يترتب[٣] على الجزع مما لا يجوز في الشرع و مما يترتب على المنع من ذلك أيضا ١٠ فيكون من أهل النار ، و كان من القدرة البالغة أن يحفظ سبحانه من أراد من الخزى مع جبلته و يحمله على كسر نفسه مرة بعد أخرى حتى يتلاشى ما عنده من جبلة الشر و تبقى الروح على حالها[٤] عند الفطرة الأولى ، فلا تزال تحثه على المبادرة إلى طاعته سبحانه و تعالى و حفظ حدوده ، فكان لا كرامة أعظم من حفظ المكلف لحدود الشرع ١٥ مع المنافاة لطبعه ، فيكون جامعا للايمان بنصفيه : الصبر و الشكر ، لما جمع من هذه الأوصاف الثمان المعادة لأبواب الجنة الثمان ، فكانت أسبابا لها ، استثنى [من - [١]] هذا النوع الهلوع و لذلك جمع فقال :

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : شره (٣) من ظ و م ، و في الأصل : لا يترتب (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ما بها .

﴿ الا المصلين لا ﴾ أى المحافظين على الصلاة التى هى مواطن الافتقار، العريقين فى هذا الوصف، فانه لا يشتد هلعهم فلا يشتد جزعهم و لا منعهم، فيكونوا فى أحسن تقويم معتدلين مسارعين فيما يرضى الرب، لأنه سبحانه قرن بما جبلهم عليه من الهلع من طهارة الجسد لطهارة ٥ طينته و زكاء[1] روحه ما هيأه به لتهذيب نفسه مما يسره له من أصدقاء[2] الخير و أولياء المعروف و سماع المواعظ الحسان و الإبعاد عن معادن الدنس من البقاع و الاقران و الكلام و الأفعال و غير ذلك / من سائر ٥٠٨ / الأحوال، و الملابسة بكل ما يحمل على المعالى من صالح الخلال[3] حتى كانوا من أهل الكمال، و لذلك وصفهم بما يبين عراقتهم فى الوصف ١٠ بها فقال: ﴿ الذين هم ﴾ أى بكلية ضمائرهم و ظواهرهم ﴿ على صلاتهم ﴾ أى التى هى معظم دينهم و هى النافعة لهم لا لغيرهم - بما أفادته الإضافة، و المراد الجنس الشامل لجميع الأنواع إلا أن معظم المقصود الفرض، [و -[4]] لذلك عبر بالاسم [5] الدال على الثبات[5] فى قوله: ﴿ دآئمون ص لا ﴾ أى لا فتور لهم عنها[6] و لا انفكاك لهم منها بل يلازمونها[7] ملازمة ١٥ يحكم بسببها أنها فى حال الفراغ منها نصب أعينهم بدوام الذكر لها و التهيئ لأدائها لأنها صلتهم بمعبودهم[8] الذى لا خير عندهم إلا منه، فلم

(١) من ظ وم، و فى الأصل: زكاة (٢) من ظ وم، وفى الأصل: اصداق. (٣) من ظ وم، و فى الأصل: ومعه (٤) زيد من ظ وم (٥-٥) من ظ وم، وفى الأصل: الدابت (٦) من ظ وم، وفى الأصل: عليها (٧) من ظ وم، وفى الأصل: يلازمون (٨) من ظ وم، وفى الأصل: ومعبودهم.

يكونوا

يكونوا ناسين لمساوئهم و لا آسين بمحاسنهم ، و كفى بالصلاة بركة فى دلالتها على النجاة من هذا الوصف الموجب لأسباب النار ، و هى عبادة ذات شروط و أركان و أبعاض و هيئات [و سنن - [1]] و آداب مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، و هى منقسمة إلى ذات ركوع و سجود ، و إلى ذات سجود بلا ركوع كسجدة الشكر و التلاوة ، و إلى ما [2] لا ركوع ٥ فيها و لا سجود كصلاة الجنازة .

و لما ذكر زكاة الروح ، أتبعه زكاة عديلها المال ، فقال مبينا للرسوخ [3] فى الوصف بالعطف بالواو : ﴿و الذين فى أموالهم﴾ أى التى من سبحانه بها [4] عليهم ﴿ حق ﴾ و لما كان السياق هنا لأعم من المحسنين الذين تقدموا فى الذاريات اقتصر على الفرض فقال : ﴿ معلوم صلے ﴾ أى من ١٠ الزكوات و جميع النفقات [الواجبة - [1]] .

و لما كان فى السؤال من بذل [4] الوجه و كسر النفس [4] ما يوجب الرقة مع وقاية النفس مع المذمة ، قدم قوله : ﴿ للسآئل ﴾ [5] أى المتكلف لسؤال الإنفاق المتكفف [5] . و لما كان فى [6] الناس من شرفت همته و علت [7] رتبته على مهاوى الابتذال بذل السؤال من الاقلال [8] بذب المقبل على الله ١٥ للتفطن و التوسم لأولئك [فقال - [1]] : ﴿ و المحروم صلے ﴾ أى المتعفف [9]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من ظ و م و فى الأصل : للروح (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النفس و كسر الوجه . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : غلبت (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الأول . (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : المتكلف .

الذى لا يسأل فيظن غنيا و لا مال له يغنيه[1] فهو يتلظى بناره فى ليله و نهاره، و لا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته و إسراره إلا إلى إفاضة مدامعه بذله و انكساره، و هذا من الله تعالى حث على تفقد أرباب الضرورات ممن لا كسب له و من افتقر بعد الغنا، و قد كان[2] للسلف

٥ الصالح فى هذا[2] و أشباهه قصب السبق، حكى عن زين العابدين[3] أنه لما مات وجد فى ظهره آثار سود عند غسله كأنها السيور، فعجبوا منها، [4] فلما كان بعد أيام قال[4] نسوة أرامل /: كان شخص يأتى إلينا ليلا بقرب الماء و أجربة الدقيق على ظهره ففقدناه [و احتجنا - [5]]، فعلموا أنه هو و أن تلك السيور من ذلك، و حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله

١٠ عنه أن شخصا رآه ماشيا فى زمن خلافته [6] فى الليل[6] فتبعه [7] حتى يعلم إلى أين يقصد، فلم يزل رضى الله عنه حتى جاء[7] إلى بيت [نسوة - [5]] أرامل فقال: أعندكن[8] ماء و إلا أملأ لكن، فأعطينه جرة فأخذها و ذهب فملأها على كتفه و أتى بها إليهن، و الحكايات [9] عنهم فى[9] هذا الباب كثيرة شهيرة جدا.

١٥ و لما كان المال قد يصرف لإصلاح الدنيا، بين أن النافع

/ ٥١٠

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يغنمه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازين العابد (٤ - ٤) فى ظ و م: فقال بعد موته (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: ليلا (٧-٧) فى ظ و م: فجاء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: عند كم (٩ - ٩) من ظ و م، وفى الأصل: عن.

منه إنما هو المصدق للايمان فقال: ﴿ و الذين يصدقون ﴾ أى يوقعون التصديق لمن يخبرهم و يجددونه كل وقت ﴿ بيوم ﴾ و لما كان المقصود الحث على العمل لأجل العرض على الملك الأعلى عبر بقوله: ﴿الدين ﴾ أى الجزاء الذى ما مثله وهو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه والدينونة على النقير و القطمير و التصديق به حق التصديق الاستعداد له بالأعمال ٥ الصالحة، فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال، و أما المصدقون بمجرد الأقوال فلهم الوبال و إن انفقوا أمثال الجبال.

و لما كان [1] الدين معناه الجزاء من الثواب و العقاب، وكان ربما صرفه صارف إلى الثواب فقط للعلم بعموم رحمته سبحانه، و أن رحمته غلبت غضبه، صرح بالعقاب فقال: ﴿ و الذين هم ﴾ أى بجميع ضمائرهم ١٠ ﴿ من عذاب ربهم ﴾ أى المحسن إليهم، لا من عذاب غيره، فان المحسن أولى [2] بأن يخشى [2] و لو من قطع إحسانه، و إذا خيف مع تجليه فى مقام الاحسان كان الخوف أولى عند اعتلائه فى نعوت الجلال من [3] الكبر و القهر و الانتقام [4] ﴿ مشفقون ﴾ أى خائفون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من أن يعذبهم فى الآخرة أو الدنيا أو فيهما، فهم ١٥ لذلك [5] لا يغفلون و [5] لا يفعلون إلا ما يرضيه سبحانه.

---

(١) زيد فى الأصل: يوم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فيحسن (٣) من ظ وم، وفى الأصل: مع (٤) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ وم.

و لما كان المقام للترهيب، و لذلك عبر عن الرجاء [على - [1]]
فعل الطاعات بالدين، فصار العذاب مذكورا مرتين تلويحا و تصريحا،
زاده تأكيدا بقوله اعتراضا مؤكدا لما لهم من إنكاره: ﴿ان عذاب ربهم﴾
أى الذى [2] رباهم و [2] هم مغمورون باحسانه و هم عارفون بأنه قادر على
٥ الانتقام و لو بقطع الإحسان ﴿غير مامون ه﴾ أى لاينبغى لأحد أن
يأمنه، بل يجوز أن يحل به و إن بالغ فى الطاعة لأن الملك مالك و هو
تام الملك، له أن يفعل ما يشاء ـ و من جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته
غاية الإبعاد و لم يزل مترجحا بين الخوف و الرجاء.

و لما ذكر / التحلى بتطهير النفس بالصلاة و تزكية المال [3] بالصدقة، /٥١٠
١٠ ندب إلى التخلى عن امر جامع بين تدنيس المال [3] و النفس و هو الزنا الحامل
عليه شهوة الفرج التى هى أعظم الشهوات حملا للنفس على المهلكات،
فقال بعد ذكر التخويف بالعذاب إعلاما بأنه أسرع إلى صاحب هذه
القادورة وقوعا من الذباب فى احلى الشراب [4] فقال: ﴿ و الذين هم ﴾
أى ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم ﴿ لفروجهم ﴾ أى سواء كانوا ذكورا
١٥ أو إناثا ﴿ حفظون لا ﴾ أى حفظا ثابتا دائما عن كل ما نهى الله عنه.

و لما ذكر هذا الحفظ على هذا الوجه، ذكر ما أذن فيه فى
أسلوب الاستثناء إشعارا بأنه كأنه لم يذكر فيخرج إلا بعد تقرير عموم

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الاصل: الاموال (٤) من ظ و م و فى الأصل: اتراب.

الحفظ [1] لا أنه [1] مقصود ابتداء بقصد الصفة فقال: ﴿ الا علىٓ ازواجهم ﴾ اى بعقد النكاح .

و لما قدمهن لشرفهن و شرف الولد [2] بهن أتبعه قوله: ﴿ أو ما ﴾ عبر [3] بما هو الأغلب لغير العقلاء ندبا إلى إيساع البطان فى احتمالهن ﴿ ملكت ايمانهم ﴾ أى من السرارى اللآتى هن [4] محل الحرث و النسل ٥ اللاتى هن أقل عقلا [5] من الرجال .

و لما كان الناكح عبادة نادرا جدا ، وكان الأصل فى العبادة الخروج عن العادة ، و إن لم يتجرد للعبادة كان ملوما ، اكتفى فى مدحه بنفى اللوم عنه ، و أكده لأن الأصل كان استحقاقه للملام لإقباله على تحصيل ما له من المرام فقال مسببا عن المستثنى: ﴿ فانهم ﴾ أى بسبب ١٠ إقبالهم بالفروج عليهن و إزالة الحجاب من أجل ذلك ﴿ غير ملومين ﴾ أى فى الاستمتاع بهن من لائم ما - كما نبه عليه بالبناء للمفعول - فهم يصحبونهن قصدا للتعفف و صون النفس و ابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله .

و لما أفهم ذلك تحريم غير المستثنى و وجوب الحفظ للفروج عنه ، ١٥ صرح به على وجه يشمل المقدمات فقال مسببا عنه : ﴿ فمن ابتغى [1] ﴾ أى طلب ، و عبر بصيغة الافتعال لأن ذلك لا يقع الا عن إقبال عظيم من

(١-١) من ظ وم ، وفى الأصل : لأنه (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : الوالد.
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : أى (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : هى .
(٥) من ظ وم وفى الأصل : العقلاء .

النفس و اجتهاد فى الطلب ﴿ ورآء ذلك ﴾ أى شيئا من هذا خارجا عن هذا الأمر الذى أحله الله تعالى، و الذى هو [أعلى - ١] المراتب فى أمر النكاح وقضاء اللذة ٢ أحسنها و أجملها ٢ . و لما كان الوصول إلى ذلك لا يكون إلا بتسبب من الفاعل ربط بالفاء قوله : ﴿ فاولٓئك ﴾

٥ [أى - ١] الذين هم فى الحضيض من الدناءة و غاية البعد عن مواطن الرحمة ﴿ هم ﴾ أى بضمائرهم و ظواهرهم ﴿ العدون ج ﴾ أى المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه .

و لما ذكر العادى أتبعه الواقف عند الحدود ٣ فقال : ﴿ و الذين هم ﴾ أى ببذل الجهد من توجيه ٤ الضمائر ﴿ لامنتهم ﴾ أى [كل - ١] ما

١٠ ائتمنهم الله عليه من حقه و حق غيره .

/٥١١ و لما كان ذلك قد يكون من غير عهد، قال مخصصا / : ﴿ وعهدهم ﴾ أى ما كان [من - ١] الأمانات ربط بالكلام و توثيق ﴿ رٰعون لا ﴾ اى حافظون لها معترفون [بها - ١] على وجه نافع غير ضار.

و لما كان أجل العهود و الأمانات ما كان باشهاد قال مبينا ٥ لفضل

١٥ الشهادة : ﴿ و الذين هم ﴾ أى بغاية ما يكون من توجيه القلوب ﴿ بشهٰدتهم ﴾ التى شهدوا بها أو يستشهدون بها لطلب او غيره، و تقديم المعمول ٦ إشارة إلى أنهم فى فرط قيامهم بها و مراعاتهم لها كأنهم

---

(١) زيد من ظ وم (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اجملها و احسنها . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الخروج (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : توجيهه (٥) فى الأصل و ظ : بيانا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المعلول .

لا شاغل لهم سواها[1] ﴿دآئمون ﴾ أى يتحملونها و يؤدونها على غاية التمام و الحسن أداء من هو متهيئ لها واقف في انتظارها.

و لما كانت أضداد هذه المذكورات نقائص مهلكات، و كانت الأنفس - لما لها من النقص - نزاعة إلى النقائص ميالة إلى الدسائس، ذكر سبحانه بالدواء المبرئ من كل داء، فقال مشيرا إلى حفظ أحوال الصلاة[2] ٥ و أوصافها بعـــد [ذكر -[3]] الحفظ لذواتها و أعيانها تنبيها على شدة الاهتمام بها: ﴿ و الذين هم ﴾ و لما وسط الضمير إشارة إلى الإقبال بجميع القلب قدم الصلة كما فعل بما[4] قيل تأكيدا و إبلاغا فى المراد إلى أقصى ما يمكن كما لا يخفى على ذى ذوق فقال: ﴿على صلاتهم﴾ من الفرض و النفل ﴿ يحافظون ﴾ أى يبالغون فى حفظها و يجددونه حتى كأنهم ١٠ يبادرونها الحفظ و يسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم[5] أو يسابقون غيرهم فى حفظها لأوقاتها و شروطها و أركانها و متمماتها فى ظواهرها و بواطنها من الخضوع[6] و المراقبة، و غير ذلك من خلال الإحسان التى إذا فعلوها كانت و لابد ناهية لفاعلها " أن الصلاة" الكاملة "تنهى عن الفحشاء و المنكر" فتحمل على جميع هذه الأوامر و تبعد عن [أضدادها - [3]]، و لكون ١٥ السياق هذا للتخلى عن الأوصاف الجارة إلى الكفر وحد الصلاة إشارة

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: سواه (٢) زيد فى الأصل: واحوالها، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، و فى الأصل: كما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لحفظهم (٦) فى م: الخشوع.

إلى أنه يكفى [1] فى ذلك [1] الفرائض و إن كان الجاس يشمل، و فى المومنؤن السياق لأهل الرسوخ فى المحاسن، فلذلك جمع بين النوعين: الإفراد فى الأول لينصب بادئ بدئ إلى الفرائض، و الجمع فى بعض القراءات ليفهم مع ذلك النوافل بأنواعها، و فى فتح الأوصاف بالصلاة
٥ و ختمها بها من بيان جلالتها و عظمتها أمر باهر .

و لما ذكر حلاهم أتبعه ما أعطاهم فقال مستأنفا و مستنتجا من غير فاء إشارة إلى [أن - [2]] رحمته [3] هى التى [3] أوصلتهم إلى ذلك من غير سبب منهم فى الحقيقة: ﴿ اولٓئك ﴾ أى الذين هم فى غاية العلو لما لهم من هذه الأوصاف العالية، وعبر بما يدل على أنه عجل جزاءهم سبحانه فقال:
١٠ ﴿ فى جنٰت ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة، أما فى الآخرة فواضح، و أما فى الدنيا فلأنهم [لما - [4]] جاهدوا فيه باتعاب أنفسهم فى هذه الأوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بمباشرتها /لذاذات من انس القرب و حلاوة المناجاة لا يساويها شيء أصلا، و الجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات و المستلذات [و السرور - [2]]، و انتفى عنه [جميع - [2]] المكروهات و الشرور، و ضدها
١٥ النار، و زادهم على ذلك بقوله: ﴿ مكرمون ﴾ معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الإكرام من الخالق و الخلق الناطق و غيره لأنه سبحانه قضى بأن يعلو مقدارهم حتى يكونوا أعظم مشخص [5] لهم فى الغيب مبالغا فى إكرامهم عند المواجهة ليكون لهم نصيب من خلق نبيهم صلى الله

/٥١٢

(١ - ١) من ظ وم، وفى الأصل: ذلك فى (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل التى هى (٤) من ظ وم، وفى الأصل: ان جعلتهم (٥) من ظ وم وفى الأصل: مبقص .

عليه

عليه و سلم، لقيه يوم بنى قريظة على رضى الله عنه و كان قد سبقه إليهم فقال: يا رسول الله، ما عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث[1]؟ فقال: و لم، لعلك سمعت بى منهم أذى، لو قد دنوت منهم لم يقولوا من ذلك شيئا، ثم دنا منهم فقال: هل أخزاكم الله يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: مه يا أبا القاسم ما كنت جهولا، و كلموه بأحسن ما يمكنهم، وكذا كانت معه قريش قبل الهجرة فى أكثر أحوالهم، هذا فى الدنيا و أما فى الآخرة فيتلقاهم الملائكة بالبشرى حين الموت و فى قبورهم و من حين قيامهم من قبورهم الى حين[2] دخولهم الى قصورهم.

و لما تحرر بهذا الكلام الإلهى الذى يشك عاقل فى أن مخلوقا لا يقدر عليه، و أنه لا يقدر عليه الا الله الواحد الذى لا شريك له، العالم بكل شىء، القادر على كل شىء، أنه لا يتفصى عن نقائص الإنسان حتى يتخلص من ظلمات النقصان إلى نور الإحسان إلا من لازم هذه الأوصاف و زكى نفسه [بها - [3]] ليصير [كاملا - [3]] مع العلم القطعى عند المسلم و الكافر أن الكمال سبب السعادة، وأن الإنسان مطبوع على [ما - [3]] صدر به سبحانه من النقائص، علم أن المتصفين بهذه الأوصاف هم المختصون بالسعادة الأخروية، وكان الكفار يأتون النبى صلى الله عليه و سلم و يجلسون حوله بالقرب منه ليسمعوا كلامه و يكذبوه و يهزؤا به، وكان العاقل لا ينبغى له أن يأتى شيئا[4] لا سيما ان كان اتيانه اليه على

(١) من ظ و م و فى الأصل: الخبابث (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اشيا.

هيئة الإسراع إلا لتحصيل السعادة، سبب عن ذلك قوله معبرا عن عظمة القرآن بما حاصله أنهم حين يسمعونه يصيرون لشدة ما يفزعهم أمره[1] لا يتمالكون فيفعلون أفعال من لاوعى له: ﴿فمال الذين كفروا﴾ اى أى شيء من السعادة للذين ستروا مرائي عقولهم عن الإقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو أوضح من الشمس، حال كونهم ﴿قبلك﴾ أى نحوك أيها الرسول الكريم و فيما أقبل عليك ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين مع [مد - [٢]] الأعناق و إدامة النظر إليك فى غاية العجب من مقالك هيئة من يسعى إلى أمر لا حياة له بدونه.

و لما / كان الذى يتطير فيراعى[٣] الأيامن و الأشائم على ما تقدم فى الصافات، لا يترك ذلك إلا فى امر أدهش عقله و أطار لبه، فلم يدعه يتأمل[٣]، قال مشيرا إلى[٤] شدة اعتنائهم بهذا الإهطاع مع عدم التحفظ [٥]من شيء[٥]: ﴿عن﴾ أى متجاوزين إليك كل[٦] مكان كان [عن جهة - [٢]] ﴿اليمين﴾ أى منك حيث يتمنون به ﴿وعن الشمال﴾ أى منك و إن كانوا يتشاءمون بـــه ﴿عزين﴾ أى حال كونهم جماعات جماعات و خلقا خلقا متفرقين فرقا شتى أفواجا يتمهلون ليأتوا جميعا جمع عزة، و أصلها عزوة لأن كل فرقة تعتزى إلى غير ما تعتزى

٥١٣ /

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ، امرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بشيء (٦) من ظ و م، وفى الأصل: بكل.

إليه الأخرى ، جمع [جمع - [1]] سلامة شذوذا ،

و لما كان هذا الإسراع على هذا الوجه لا ينبغى أن يكون [إلا - [1]] فيما يتحقق أنه مسعد، و مع تحقق أنه مسعد لا ينبغى [2] أن يكون إلا [2] فيما تحصل به السعادة الأبدية ؛ قال منبها على ذلك منكرا أن يكون لهم ما كان ينبغى ألا يكون فعلهم ذلك إلا له [3] مع ٥ أنه [3] كان من جملة استهزائهم إذا تحلقوا لسماع ما يقرأ أن يقولوا : إن كان [4] ما يقول حقا [4] من أمر البعث [5] و الجنة [6] لنكونن أسعد بها منهم [كما أنا أسعد منهم - [1]] فى هذه الدار كما قال تعالى حاكيا [7] عنهم فى قوله "و لئن رجعت إلى ربى ان لى عنده للحسنى" و ذلك أنه كثيرا ما يأتى الغلط من [أن - [1]] الإنسان يكون فى خير فى ١٠ الدنيا فيظن أن ذلك مانع له من النار لأنه [8] خير فى نفس الأمر، او يظن أن إمهاله و هو على الباطل رضى به، و لا يدرى [أنه - [1]] لا يضجر و يقلق و يعجل إلا من يخاف الفوت، أو يكون شيء بغير إرادته: ﴿ ايطمع ﴾ أى بهذا الإتيان، و عبر بالطمع إشارة إلى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الا ان يكون .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لانه (٤-٤) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : حق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : والنار، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

أنهم بلغوا الغاية فى السفه لكونهم [طلبوا - ١] أعز الأشياء من غير سبب تعاطوه له .

و لما كان إتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة ٢ قال: ﴿ كل امرئ منهم ﴾ أى على انفراده ٣ ، و لما كان المحبوب دخول

٥ الجنة ٤ لا كونه ٤ من مدخل معين، قال بانيا للفعول : ﴿ ان يدخل ﴾ أى بالإهطاع و هو كافر من غير إيمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوى المسىء و المحسن ﴿ جنة نعيم ﴾ أى لا شىء فيها غير النعيم فى كل ما فيها على تقدير ضبطه .

و لما [كان - ١] معنى الاستفهام الإنكارى المفيد للنفى : لا يدخل ،

١٠ أكد ذلك مع إفهام الضجر و الاستصغار بالإتيان بأم الزواجر و الروادع فقال : ﴿ كلا ﴾ اى لا يكون ما طمعوا فيه أصلا لأن ذلك تمن فارغ لا سبب له - بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء .

و لما كان الإنسان إذا أكثر من شىء و جعله ديدنه فساغ عندهم أن يقال : فلان خلق من كذا ، علل ذلك بقوله مؤكدا ، عدّا لهم

١٥ / منكرين لأنهم مع علمهم بنقصانهم يدعون الكمال : ﴿ انا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ خلقنٰهم ﴾ بالعظمة التى لا يقدر أحد أن يقاويها فيصرف شيئا ٥ من إرادته عن تلك الوجهة ٦ التى وجهته إليها إلى غيرها

٥١٤ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الجماعة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : انفرادهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لكونه . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : شىء (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المواجهة .

﴿ مما يعلمون ﴾ أى مما يستحى من ذكره ذاتا و معنى ، أما [1] الذات فهو [1] نطفة مذرة أخرجت من مخرج البول و غذيناها بدم الحيض، فهى يتحلب منها البول و العذرة ، و أما المعنى فالهلع و الجزع و المنع اللاتى هم موافقون على عدها نقائص ، فلا يصلحون لدار الكمال إلا بتزكية أنفسهم بما تقدم من هذه [2] الخلال التى حض عليها الملك المتعال ، روى ٥ البغوى [3] بسنده عن بشر بن جحاش [4] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم - و بصق يوما فى كفه و وضع عليها أصبعه فقال : يقول الله عز و جل : ابن آدم ! أنّى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك و عدلتك مشيت بين بردين و الأرض منك و ئيد و جمعت و منعت حتى إذا بلغت [5] التراقى قلت : أتصدق ، و أنّى ١٠ أوان الصدقة - انتهى [6] .

و لما كان فى [ذكر - [7]] هذا الخلق مع ما تقدم إشارة عظيمة إلى ما كانوا يقولون : إنه إن كان الأمر كما يقولون من الحشر و الجنة لنكونن آثر عند الله منكم و لندخلنها كما نحن الآن آثر منكم [عنده - [7]] بما لنا من الأموال ، و البسطة [8] فى الدنيا و الوجاهة و الإقبال ، و تنبيه ١٥ على [أن - [7]] الكل متساوون فى أنهم من نطفة فما فضلهم فى هذه

(١-١) من ظ وم ، وفى الأصل : ذات نهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : هذا (٣) فى معالم التنزيل ٧ / ١٢٧ (٤) من ظ و م و المعالم ، وفى الأصل : حجاج (٥) من ظ والمعالم ، وفى الأصل وم : التقت (٦) سقط من ظ وم . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : البطشة .

الدنيا بهذه النعم الظاهرة إلا هو سبحانه ، و قد فضل المؤمنين بالنعم
الباطنة التي زادتهم في التمكن فيها التزكية بهذه الأوصاف العملية الناشئة
عن الصفة العلية ، و هو قادر على أن يطم إلى النعم الباطنة النعم الظاهرة ،
و لذلك سبب عنه قوله ، و أكد بنفي القسم المشير إلى عدم الحاجة إليه
٥ لكثرة الأدلة المغنية عنه لما لذلك المقسم عليه من الغرابة في ذلك الوقت
لكثرة الكفار و قوة شوكتهم : ﴿ فلآ ﴾ أي فتسبب عن خلقنا لهم
من ذلك المنبه على أنا نقدر على كل شيء نريده و أنه[1] لا يعجزنا شيء
أي لا ﴿ اقسم ﴾ فلفت القول إلى أفراد الضمير معرى عن مظهر
العظمة لئلا يتعنت متعنت في أمر الوحدانية ﴿ برب ﴾ أي[2] مربي
١٠ و سيد و مبدع و مدبر[2] ﴿ المشرق ﴾ التي تشرق الشمس و القمر
و الكواكب السيارة كل يوم في موضع منها على المنهاج الذي دبره ،
و القانون القويم الذي أتقنه و سخره ، ستة أشهر صاعدة و ستة أشهر
هابطة ﴿ و المغرب ﴾ كذلك[3] على هذا الترتيب المحكم الذي لا يعتريه
اختلال[3] ، / وهي التي ينشأ عنها الليل و النهار و الفصول الأربعة ، فكان /٥١٥
١٥ [بها - [4]] صلاح العالم بمعرفة الحساب و إصلاح المآكل و المشارب
و غير ذلك من المآرب ، فيوجد كل من الملوين بعد أن لم يكن
و النبات من النجم و الشجر كذلك عادة مستمرة دالة على أنه قادر

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : أي (٢-٢) في الأصل : المربي والسيد والمبدع
و المدبر ، و في ظ : سيد و مربي و مدبر ، و في م : سيد و مبدع و مدبر.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من ظ .

على الإيجاد و الإعدام لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما .

و لما كان المعنى: لا أقسم بذلك و إن كان عظيما[1] لإن الأمر فى وضوحه لا يحتاج إلى قسم، كما لو قال خصم لخصمه: احلف، فيقول له: الأمر غنى عن حلفى إذ[2] يحتاج إلى اليمين من لا بينه له، ثم يأتى من البينات بما[3] لا يكون معه[4] شبهة، و كانوا فى تفضيل أنفسهم - مع ٥ الاعتراف لله[5] بالقدرة - كالمنكرين للقدرة على قلب الأمر، أكد قوله عائدا إلى مظهر العظمة [بعد دفع اللبس بما هو فى وضوحه أجلى من الشمس: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿لقدرون﴾ بأنواع التأكيد بالأداة و الاسمية و الالتفات إلى مظهر العظمة -[6]] فى كل من الاسم و الخبر، فكان فى إخباره بعد الإقسام مع التأكيد إشارة ١٠ إلى أعلى مراتب التأكيد ﴿ على ان نبدل ﴾ [أى -[6]] تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم ﴿ خيرا منهم ﴾ أى بالخلق أو[7] تحويل الوصف فيكونوا أشد بسطة فى الدنيا و أكثر أموالا و أولادا و أعلى قدرا و أكثر حشما و[8]وجاهة و حزما[8] و خدما، فيكونوا[9] عندك خلقا على قلب واحد فى سماع قولك و توقيرك و تعظيمك و السعى فى كل ١٥

---

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) فى الأصل: ان، و فى ظ و م: او.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) من ظ و م، و فى الأصل: له.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالله و (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٨-٨) فى ظ و م: جاها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: فيكون.

ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء و التصفيق و الصفير
و كل ما يضيق به صدرك ، و قد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين و الأنصار
و التابعين لهم باحسان بالسعة فى الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى
و قيصر ، و التمكن[1] فى الأرض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما
٥ يوجب لهم [ملك - [2]] الآخرة ، فرجوا الكرب عن رسول الله
صلى الله عليه و سلم و بذلوا فى مرضاته الأنفس و الأموال .

و لما كان [الإنسان - [2]] قد يفعل شيئا ثم ينقض عليه، أخبر
أنه سبحانه على غير ذلك فقال : ﴿ و ما ﴾ و أكد الأمر بالاسمية
الكائنة فى مظهر العظمة فقال : ﴿ نحن ﴾ و أعرق فى النفى فقال :
١٠ ﴿ بمسبوقين ﴾ أى من سابق ما يغلب على شىء لم نرده بوجه من الوجوه ،
[3] و لذلك [3] أتى باسم المفعول .

و لما ثبت أن له سبحانه العظمة البالغة الباهرة من شمول العلم و تمام
القدرة ، فأنتج اعتماد أهل حزبه عليه و إعراضهم عن كل ما سواه ،
سبب عن ذلك قوله تهديدا للمخالفين و تسلية للمؤالفين : ﴿ فذرهم ﴾ أى
١٥ اتركهم [و لو - [2]] على أسوأ أحوالهم ﴿ يخوضوا ﴾ أى يفعلوا فى
مقالهم و فعالهم الذى لا شىء منه على إتقان بل هو كفعل[4] الخائض
فى الماء الذى لا يضع رجله [5] فى موضع يعلم أنه يرضيه ، فهو بصدد أن

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الثمن (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فكذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فعل (٥) زيد فى الأصل : فى الماء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

يقع أو يغرق ﴿و يلعبوا﴾ أى يفعل فعل اللاعب الذى لا فائدة لفعله[1] إلا ضياع الزمان و التعطل عما يهم من عظيم الشأن .

و لما كان ما توعد الله من أحوال[2] الآخرة لابد/ من وقوعه كان كأنه قادم على الإنسان و الإنسان ساع[3] بجهده إليه ، فلذلك عبر بالمفاعلة فقال : ﴿حتى يلقوا﴾ و لما كان ما يقع للكفار منه أعظم ، كان ذلك اليوم كأنه خاص بهم فقال : ﴿يومهم الذى﴾ و لما كان الوعيد - و هو ما كان من الخبر تخويفا للمتوعد - صادعا للقلوب إذا كان من القادر من غير حاجة إلى ذكر المتوعد ، بنى للمفعول قوله : ﴿يوعدون﴾ و هو يوم كشف الغطاء الذى أول تجليته عند الغرغرة و نهايته النفخة الثانية إلى دخول كل من الفريقين فى داره و محل استقراره ، و الآية منسوخة بآية السيف .

/٥١٦

و لما كان ما بعد النفخة الثانية [4]أعظمه و أهوله[4] ، أبدل منه [قوله - [5]] : ﴿يوم يخرجون﴾ أى هؤلاء الذين يسألون عنه [6]سؤال استهزاء[6] و يستبعدونه ، و قراءة أبى بكر عن[7] عاصم بالبناء للمفعول على طريقة كلام القادرين تدل على أنه مما هو فى غاية السهولة ﴿من الاجداث﴾ أى القبور التى صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : فى فعله (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : اعمال .
(٣) زيد فى الأصل : فى - مع يسير من البياض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ وم ، وفى الأصل : اعظم واهول (٥) زيد من ظ وم .
(٦-٦) من ظ وم ، وفى الأصل : سوا استهزؤا - كذا (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : « و » .

الحافر[1] و الخف ، فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل[2] بهم [3] بل هم [3] كلحم في فم ماضغ ، فان الجدث القبر و الجدثة صوت الحافر و الخف و مضغ اللحم ﴿ سراعا ﴾ أي نحو صوت الداعي .

و لما كانت عادة الإنسان الإسراع إلى ما يقصده من الإعلام ٥ المنصوبة ، و عادتهم - هم بالخصوص - المبادرة إلى الأنصاب التي يعبدونها ما هي[4] عليه من الخساسة خفة منهم [5]في العلوم[5] و طيشا في الحلوم قال : ﴿ كأنهم الى نصب ﴾ أي علم منصوب مصدر بمعنى المفعول كما تقول : هذا نصب عيني و ضرب الأمير - هذا على قراءة الجماعة بالفتح ، و على قراءة ابن عامر [6] و حفص بالضم[6] : إلى علم أو شيء يعبدونه من ١٠ دون الله على ما فيه من الداء[7] القاتل و البلاء ، أو حجر يذبحون عليه ، قال في الجمع بين العباب و المحكم : النَّصْب و النُّصْب و النُّصُب : الداء و البلاء ، و النُّصُب كل ما نصب فجعل علما ، و النَّصْب و النَّصَب : العلم المنصوب ، و النُّصْب و النُّصُب : كل ما عبد من دون الله ، و الجمع أنصاب ، و الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل[8] عليها و يذبح ١٥ لغير[9] الله ، و انصاب الحرم : حدوده ، و قال أبوحيان[10] : و النصب ما نصب

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الحواص (٢) من ظ و م ، و في الأصل : فيفعل (٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : ما هم (٤) من ظ و م ، و في الأصل : هم (٥-٥) من ظ و م ، و في الأصل : بالعلوم (٦-٦) من ظ و م ، و في الأصل : بالفتح بضم - كذا (٧) من ظ و م ، و في الأصل : الدعاء (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فهل (٩) من ظ و م ، و في الأصل : من دون (١٠) في البحر المحيط ٨ / ٣٣٦ .

للانسان[1] فهو يقصده مسرعا إليه من علم أو بناء او صنم، و غلب فى الاصنام حتى قيل: الأنصاب . ﴿يوفضون﴾ أى يعجلون عجلة من هو ذاهب إلى ما يسره حتى كأنه / يطرد إليه كما كانوا يسرعون إلى أنصابهم . /٥١٧

و لما كان إيفاضهم إلى الأنصاب على[2] حال السرور، أخبر أن ٥ هذا على خلاف ذلك، و أن ذكر النصب و تصوير حالة الإتيان إليه ما كان إلا تهكما بهم فقال: ﴿ خاشعة ﴾ أى منكسرة متواضعة لما حل بها من الذل[3] و الصغار[3]، و ألحقها علامة التأنيث زيادة فى هذا المعنى و مبالغة فيه بقوله: ﴿ ابصارهم ﴾ .

و لما كان خشوعها دائما فعبر[4] بالاسم، و كان ذلهم يتزايد فى ١٠ كل لحظة، عبر بالفعل المضارع المفيد للتجدد و الاستمرار فقال: ﴿ ترهقهم ﴾ أى تغشاهم فتعمهم، و تحمل عليهم فتكلفهم كل[5] عسر و ضيق[5] على وجه الإسراع إليهم ﴿ذلة﴾ ضد ما كانوا عليه فى الدنيا لأن من تعزز فى الدنيا على الحق ذل[6] فى الآخرة، و من ذل للحق فى الدنيا عز فى الآخرة . ١٥

(١) من ظ و م و البحر، و فى الأصل: من دون الانسان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عبر (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: العسر و الضيق .
(٦) زيد فى الأصل: للحق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما صوره بهذه الصورة[1] أشار إلى أن هذا ما تدركه العقول من وصفه و أنه[2] أعظم من ذلك فقال: ﴿ ذٰلك ﴾ أى الأمر الذى هو فى غاية ما يكون من علو الرتبة فى العظمة ﴿ اليوم الذى كانوا ﴾ أى فى حال الدنيا على غاية ما يكون من المكنة فى الوعيد ٠

٥ و لما كان الوعيـد لا يتحقق إلا إذا كان من القادر ، و إذا كان كذلك[3] كان مخيفا موجعا[4] من غير ذكر من صدر عنـه ، بنى للفعول قوله: ﴿ يوعدون ع ﴾ أى يجدد لهم الإيعـاد به فى الدنيا فى كل وقت لعلهم يتعظون فترق قلوبهم فيرجعون [5]عما هم[5] فيه من الجبروت ، و هذا هو زمان العذاب [6] الذى سألوا عنه[6] أول السورة، فقد رجع كما ترى ١٠ آخرها على أولها[7] أى رجوع ، و انضم مفصلها إلى موصلها انضمام المفرد إلى المجموع ـ و الله الهادى إلى الصواب ٠

سورة نوح عليه السلام[8]

مقصودها الدلالة على تمام[9] القدرة[10] على ما أنذر بـــه آخر « سأل »

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل: الصور (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : ان هذا ٠ (٣) فى ظ وم: لذلك (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فيأهم (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٧) زيد فى الأصل : و رجع ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) الحادية و السبعون من سور القرآن الكريم ، مكيه ، وهى (٢٨) آية (٩) سقط من ظ و م ٠ (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : القدم ٠

من

من إهلاك المنذرين و تبديل خير منهم، [١]و من [١] القدرة على إيجاد يوم القيامة الذى طال إنذارهم به و هم عنه معرضون و به مكذبون [٢]و به لاهون[٢]، و تسميتها بنوح عليه السلام أدل ما فيها على ذلك، فان أمره فى إهلاك قومه بسبب [٣]تكذيبهم له[٣] فى ذلك مشهور و مقصوص فى غير ما موضع و مذكور، و تقرير أمر البعث فى قصته ٥ فى هذه [السورة - [٤]] مقرر و مسطور ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله من الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بما أفاضه من ظاهر الإنعام ﴿الرحيم﴾ الذى خص أولياءه بلزوم الطاعة [فى الابتداء - [٤]] / و إتمام النعمة فى الختام . /٥١٨

لما ختمت « سأل » بالإنذار للكفار، و كانوا عباد أوثان ، بعذاب ١٠ الدنيا و الآخرة ، أتبعها أعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام، و كان قومه عباد أوثان ، وكانوا يستهزؤن به وكانوا أشد تمردا من قريش و أجلف و أقوى و أكثر، فلم ينفعهم شيء من ذلك عند نزول البلاء و بروك النقمة عليهم و إتيان العذاب إليهم، و ابتدأها بالإنذار تخويفا من عواقب التكذيب به، فقال مؤكدا لأجل ١٥ إنكارهم أن يكون الرسول بشرا أو لتنزيلهم منزلة المنكرين [٥] من حيث أقروا برسالته و طعنوا فى رسالة غيره مع المساواة فى البشرية:

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م : تكذيبه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المتكبرين .

﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة الباهرة[1] البالغة ﴿ ارسلنا نوحا ﴾ وهو أول رسول أتى بعد اختلاف أولاد آدم عليه السلام فى دين أبيهم الأقوم ﴿ الى قومهٓ ﴾ اى الذين كانوا فى غاية القوة على القيام بما يحاولونه و هم بصدد أن يجيبوه[2] إلى ما دعاهم إليه[2] و يكرموه لما[3]

٥ بينهم من القرب[4] بالنسب و اللسان[4]، وكانوا جميع اهل الارض من الآدميين .

و لما بان بما مضى المرسِل و الرسول و المرسَل إليهم، و كان الإرسال متضمنا معنى القول ، أخذ فى تفسيره بيانا للرسل به فقال : ﴿ ان انذر ﴾ أى حذر تحذيرا بليغا[1] عظيما ﴿ قومك ﴾ من الاستمرار

١٠ على الكفر .

و لما كان المقصود[5] إعلامهم بذلك[5] فى بعض الأوقات لأن الإنسان لا بد له من أوقات شغل بنفسه من نوم و أكل وغيره، أتى بالجار تخفيفا عليه و رفقا به عليه السلام فقال: ﴿من[6] قبل ان ياتيهم﴾ أى على ما هم عليه من الأعمال الخبيثة ﴿ عذاب اليم ﴾ .

١٥ [و -[7]] قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم بالصبر[2] على قومه[2] [8]فى قوله[8] "فاصبر صبرا جميلا"

---

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اللسان و النسب (٥ - ٥) من ظ وم ، وفى الأصل : بذلك اعلامهم . (٦) ليس فى الأصل (٧) زيد من ظ وم (٨-٨) من ظ وم ،وفى الأصل : قال.

و جليل الإغضاء فى قوله "فذرهم يخوضوا و يلعبوا" أتبع ذلك بقصة
نوح عليه السلام و تكرر دعائه[1] قومه إلى الإيمان، و خص من خبره
حاله فى طول مدة التذكار و الدعاء لانه المقصود فى الموضع تسلية
لنبيه[2] صلى الله عليه و سلم، و ليتأسى بـه فى الصبر و الرفق و الدعاء
كما قيل له صلى الله عليه و سلم فى غير هذا الموضع "فاصبر [3] كما صبر ٥
اولوا العزم[3] من الرسل و لا تستعجل لهم" "فلا تذهب نفسك عليهم[4]
حسرات" فقد دام دعاء نوح عليه السلام مع قومه أدوم من مدتك،
و مع ذلك فلم يزدهم إلا فرارا ["قال رب انى دعوت قومى ليلا و نهارا
فلم يزدهم دعائى إلا فرارا - [5]] و انى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا
اصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم و اصروا و استكبروا استكبارا" ١٠
ثم مضت آى السورة على هذا / المنهج من تجديد الإخبار بطول / ٥١٩
مكابدته عليه السلام و تكرير[6] دعائه، فلم يزدهم ذلك إلا بعدا و تصميما
على كفرهم حتى أخذهم الله، و أجاب فيهم دعاء نبيه [نوح - [5]] عليه
السلام "رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا" و ذلك ليأسه[7]
من فلاحهم، و انجر فى هذا حض نبينا صلى الله عليه و سلم على الصبر

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: دعا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: له.
(٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) تكرر فى الأصل فقط.
(٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ و م: تكرار (٧) من ظ و م، و فى الأصل:
لياسهم - كذا.

على قومه و التحمل منهم[1] كما صرح به فى قوله تعالى[2] "خذ العفو و أمر بالمعروف و اعرض عن الجاهلين" و كما قيل له [قبل - [3]] "فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت" "و كلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"- [انتهى -[3]] .

٥ و لما أخبر عن رسالته و مضمونها بما أعلم من ان[4] الفساد كان غالبا عليهم، استأنف قوله بيانا لامتثاله : ﴿ قال ﴾ أى نوح عليه السلام : ﴿ يٰقوم ﴾ فاستعطفهم بتذكيرهم أنه أحدهم يهمه ما يهمهم .

و لما كان من طبع البشر إنكار[5] ما لم يعلم إلا من عصم الله فجعله منقادا للايمان بالغيب ، أكد قوله : ﴿ انى لكم نذير ﴾ أى مبالغ

١٠ فى النذارة ﴿ مبين[6] لا ﴾ أى أمرى[7] بين فى نفسه بحيث أنه صار من شدة وضوحه كأنه مظهر[8] لما يتضمنه ، مناد بذلك للقريب و البعيد و الفطن و الغبى .

و لما كان ترك ما أنذرهم بسببه من الكفر لا يغنيهم إلا أن آمنوا، و كان الإيمان مخلصا عن عواقب الإنذار لأنه لا يصح إلا مع ترك جميع

١٥ أنواع الكفر، فسر الإنذار بقوله : ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ اى الملك

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٢) زيدت فى الأصل آية "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها" و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : انكر . (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : امر (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : منذر .

الأعظم

الأعظم الذى له جميع الكمال، و ذلك بأن تخاصوا التوجه إليه فان غناه يمنع من أن يقبل عبادة فيها شرك و هذا هو الإيمان ﴿ و اتقوه ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه، فلا تتحركوا حركة و لا تسكنوا سكنة إلا فى طاعته، و هذا هو العمل الواقى من كل سوء. ٥

و لما كان لا سبيل إلى معرفة ما يرضى الملك ليلزم و ما يسخطه ليترك إلا منه، و لا وصول إلى ذلك إلا من خاصته، و لا خاصة مثل رسوله الذى ائتمنه على سره قال: ﴿ و اطيعون ﴾ أى لأعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم و دينكم و دنيا كم [و معادكم -[1]]، و أدلكم على اجتلاب آداب تهديكم، و اجتناب شبهة ترديكم، فـفى ١٠ طاعتى، فلا حكم يرضى الملك عنكم، و هذا هو الإسلام[2]، فقد جمع هذا الدعاء [3]الإيمان و الإسلام[3] و العمل، و هى الأثافى التى تدور عليها أسباب الفلاح.

و لما كان الإنسان محل النقصان، فلا ينفك عن ذنب فلا [4] ينفعه إلا فناء الكرم، أشار إلى ذلك مرغبا مستعطفا لهم لئلا ييأسوا فيهلكوا ١٥ بقوله جوابا للأمر: ﴿ يغفر لكم ﴾ أى كرما منه [5] و إحسانا و لطفا[5].

و لما كان من الذنوب ما لا يتحتم غفرانه و هو ما بعد الإسلام

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناه (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاسلام و الايمان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

[قال - [1]] : ﴿ من ذنوبكم ﴾ أي ما تقدم الإيمان من الشرك و العصيان و ما تأخر / عن الإيمان من الصغائر التي تفضل الله بالوعد بتكفيرها باجتناب الكبائر - هذا مما [2] أوجبه سبحانه على نفسه المقدس بالوعد الذي لا يبدل ، و أما غيره مما عدا الشرك فالى مشيئته سبحانه .

٥٢٠ /

٥ و لما كان الإنسان ، لما يغلب عليه من النسيان ، و الاشتغال بالآمال ، يعرض عن الموت إعراض الشاك فيه بل المكذب [به - [1]] ذكرهم ترهيبا لهم لطفا بهم ليستحضروا أنهم فى القبضة فينزعوا عما يغضبه سبحانه ، فقال مشيرا إلى أن طول العمر فى المعصية - و إن كان مع رغد العيش - عدم ، مهددا [3] بأنه قادر على الإهلاك فى كل حين : ﴿ و يؤخركم ﴾ أى ١٠ تأخيرا ينفعكم ، و أعلم أن الأمور كلها قد قدرت [4] و فرغ من ضبطها لإحاطة العلم و القدرة فلا يزاد فيها و لا ينقص ، ليعلم أن الإرسال إنما هو مظهر لما فى الكيان [5] و لا يظن أنه قالب للاعيان بتغيير ما سبق به القضاء من الطاعة أو [6] العصيان فقال : ﴿ الى اجل مسمى ﴾ أى قد سماه [7] الله [و علمه - [1]] قبل إيجادكم فلا يزاد فيه و لا ينقص ١٥ منه ، فيكون موتكم على العادة [8] متفرقا و إلا أخذكم جميعا بعذاب الاستئصال ، فهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف [كان - [1]]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مهدد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدرت (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العيان (٦) من م ، و فى الأصل و ظ « و » (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سمى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عادة .

يكون، [و - ١] ذلك أنه علم انهم إن اطاعوا نوحا عليه السلام كان موتهم على العادة و إلا هلكوا هلاك نفس واحدة، وعلم أنهم لا يطيعونه، و أن موتهم إنما يكون بعذاب ٢ الاستئصال .

و لما كان الإنسان مجبولا على الأطماع الفارغة، فكان ربما قال المتعنت أو غيره: لم لا يخلدنا؟ قال فطما عن ذلك مؤكدا لا قتضاء المقام ٥ له: ﴿ ان اجل الله ﴾ [أى - ١] الذى له الكمال كله فلا راد لأمره ﴿ اذا جآء لا يؤخر ﴾ و أما قبل مجيئه فربما يقع الدعاء و ٣ الطاعات و البر فى البركة فيه بمنع الشواغل و إطابة الحياة، فبادروا مجىء ٤ الأجل بالإيمان لأنه إذا جاء لم يمكنكم التدارك، و لا ينفعكم بعد العيان الإيمان .

و لما كان من يعلم هذا يقينا، و يعلم أنه [إذا - ١] كشف ١٠ له عند الغرغرة أحب أن يؤخر ليتوب حين لا تأخير، أحسن العمل خوفا من فوات وقته و تحتم مقته، نبه على ذلك بقوله: ﴿ لو كنتم تعلمون ﴾ أى لو كان العلم أو تجدده وقتا ما فى غرائزكم لعلمتم تنبيه رسولكم صلى الله عليه و سلم أن الله يفعل ما يشاء، و أن الأجل [آت - ١] لا محالة فعملتم للنجاة، و لكنكم تعملون ٥ فى الانهماك فى الشهوات عمل ١٥ الشاك فى الموت .

و لما كان صلى الله عليه و سلم أطول الأنبياء عمرا، و [كان - ١]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بعد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٤) من ظ وم، و فى الأصل: محل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تعلمون .

قد طال نصحه لهم[1] و بلاؤه بهم، نبه على ذلك بقوله مستأنفا :
﴿ قال ﴾ مناديا لمن أرسله لأنه تحقق أن لا قريب منه غيره، و أسقط
/٥٢١ أداة النداء كما هي عادة أهل القرب فقال :/﴿ رب ﴾ و لما كانت العادة
جارية بأن التكرار لابد أن يؤثر و لو قليلا، فكانت مخالفتهم لذلك مما
٥ هو أهل لأن يشك فيه، قال مؤكدا إظهارا لتحسره و حرقته عليه
الصلاة و السلام منهم في تماديهم في إصرارهم على التكذيب شكاية
لحاله إلى الله تعالى و استنصارا[2] به و استمطارا للتنبيه على ما يفعل
بعد بذله الجهد و تنبيها لمن يقص به[3] عليهم هذا و إن كان المخاطب
سبحانه عالما بالسر و أخفى : ﴿ انى دعوت ﴾ أى أوقعت الدعاء إلى الله
١٠ سبحانه و تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة ﴿ قومى ﴾ أى الذين هم
جديرون باجابتى لمعرفتهم بى و قربهم منى و فيهم قوة المحاولة
لما يريدون[4] .

و لما كان قد عم جميع الأوقات بالدعاء قال : ﴿ليلا و نهارا ۙ﴾
فعبر بهذا عن المداومة .

١٥ و لما تسبب عن ذلك ضد المراد قال : ﴿فلم يزدهم دعآءى ﴾ أى
شيئا من أحوالهم التى كانوا عليها ﴿ إلا فرارا ﴾ أى بعدا عنك و نفورا
[5] و بغضا [5] و إعراضا حتى كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، و أسند

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : لقومه (٢) من ظ و م، و فى الأصل : استنصار (٣) سقط من م (٤) زيد فى الأصل : انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

الزيادة

الزيادة إلى[1] الدعاء لأنه سببها .

و لما كان الفرار مجازا عن رد كلامه ، عطف عليه ما يبينه ، فقال مؤكدا لأن إعراضهم مع هـــذا الدعاء الطويل مما لا يكاد يصدق : ﴿ و انى كلما ﴾ على تكرار الأوقات و تعاقب الساعات ﴿ دعوتهم ﴾ أى إلى الإقبال عليك بالإيمان [بك - [2]] و الإخلاص لك . ٥

و لما كان إعراضهم عما ينفعهم أقبح ، ذكر ما يتسبب[3] عن الإجابة بالإيمان فقال : ﴿ لتغفرلهم ﴾ أى ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه [فى - [1]] حقك فأفرطوا لأجله فى التجاوز فى الحدود محوا بالغا فلا [يبق - [2]] لشيء من ذلك عينا[4] و لا أثرا حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم ﴿ جعلوآ ﴾ أى[5] فى كل دعاء ، و دل على مبالغتهم فى التصامم ١٠ بالتعبير بالكل عن البعض فقال : ﴿ اصابعهم ﴾ كراهة له و احتقارا للداعى ﴿ فى آذانهم ﴾ حقيقة لئلا يسمعوا الدعاء إشارة إلى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك ، فان أبيت إلا الدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعنا ، و دلوا عـــلى الإفراط فى كراهة الدعـاء[6] بمـا ترجم عنه قوله : ﴿ و استغشوا ثيـابهم ﴾ أى أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم إيجاد[7] ١٥ من هو طالب لذلك شديد الرغبة فيه حتى يجمعوا بين ما يمنع السماع

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تسبب (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : عين (٥) سقط من ظ وم . (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : اتخاذ .

لكلامه و النظر إليه اظهارا لكراهته وكراهة كلامه[١]، و هكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائما ﴿ و اصروا ﴾ أى داموا على سوء أعمالهم دواما هم[٢] فى غاية الإقبال[٣] عليه، من أصر الحمار على العانة - إذا صر أذنيه و أقبل عليها[٤] يطردها و يكدمها، استعير للاقبال على المعاصى و ملازمتها لأنه يكون بغاية[٥] الرغبة كأن فاعله حمار وحش ٥ قد ثارت شهوته ﴿ و استكبروا ﴾ اى أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه، و أكد ذلك بقوله: ﴿استكبارا ﴾ تنبيها / على ان فعلهم منابذ ٥٢٢ / الحكمة، فكان مما [٦]ينبغى أن لا يفعلوه[٦] فهو مما[٧] لا يكاد يصدق لذلك، و قد نادت هذه الآيات بالتصريح فى غير موضع بأنهم عصوا نوحا ١٠ عليه الصلاة و السلام و خالفوه مخالفة لا[٨] أقبح منها ظاهرا بتعطيل الأسماع و الأبصار، و باطنا بالإصرار[٩] و الاستكبار و لم يوافقوه بقول و لا فعل، فلعنة الله عليهم و على من يقول: إنهم وافقوه بالفعل[١٠]، لأنه دعاهم للمغفرة و قد [١١]غطوا وجوههم[١١]، و التغطية هى الغفر

---

(١) من ظ وم، و فى الأصل: لكلامه (٢) زيد فى الأصل: فيه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى غاية (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا ينبغى ان يفعلوه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٨) زيد فى الأصل: مخالفة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: والفجور، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (١٠) من ظ وم، و فى الأصل: فى الفعل (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل: عطوهم.

و نحو ذلك من الخرافات التي [١]لو سمعها أسخف[١] عباد الحجارة الذين لا أسخف منهم لهزأوا بقائلها ، و ما قال هذا القائل ذلك إلا تحريفا لكتاب الله بنحو تحريف الباطنية الذين أجمعت الأمة على تكفيرهم لذلك التحريف ، و لعنة الله على من يشك في كفر من يحرف هذا التحريف أو يتوقف في لعنه ، و هم الاتحادية الذين مرقوا من الدين في آخر ٥ الزمان ، و من أكابرهم الحلاج و ابن عربي و ابن الفارض و تبعهم على مثل هذا الهذيان أسخف الناس عقولا " ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا " و لقد أخبرني الإمام العلامة برهان الدين [إبراهيم - [٢]] ابن أبي شريف القدسي الشافعي الثبت النحرير عن بعض من يتعصب[٣] لهم في هذا الزمان ، و هو من أعيان المدرسين بالقاهرة ، أنه قال ١٠ [له - [٤]] : ما حملني على انتقادي لابن الفارض إلا أني رأيت كلام التائية له متناقضا ، فتارة يفهم منها الحلول و تارة الاتحاد ، و هو عندي يحاشى عن ذلك ، فعلمت أن لهؤلاء القوم اصطلاحا نسبتنا منه[٥] نسبة التباين إذا سمعوا النحوي يقول: الفاعل مرفوع ، فانهم يضحكون منه ، و لو فهمنا اصطلاحهم لم نعترض - [٦]هذا معنى[٦] ما نقل عنه و هو ١٥ ما لا يرضاه ذو مسكة ، و هو شبيه بما نقل المسعودي في أوائل مروج الذهب عن بعض من اتهم بعقل و علم من النصارى في زمن أحمد بن

(١-١) من ظ و م ، وفي الأصل : لم يسمعها استخفا (٢) زيد من ظ و معجم المؤلفين ١ / ٣٨ (٣) من ظ و م ، و في الأصل : تعصب (٤) زيد من ظ و م. (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : اليه (٦-٦) من ظ و م ، وفي الأصل : لهذا المعنى.

طولون، فاختبره فوجده فى[1] العلم كما وصف، فسأله عن سبب ثباته على النصرانية مع علمه فقال[2]: السبب تناقضها مع أنه دان بها ملوك متكبرون و علماء متبحرون و رهبان عن الدنيا معرضون [و - [3]] مدبرون، فعلمت أنــه ما جمع هؤلاء الأصناف على الدينونة بها مع
٥ تناقضها إلا أمر عظيم اضطرهم لذلك، فدنت بهـا، فقال له: اذهب فى لعنة الله فلقـد ضيعت كل عقل وصفت، و لقد و الله صدق فى الأمر العظيم الذى حملهم على ذلك، و هو القضاء و القدر الذى [حمل - [3]] كل أحد منهم على إلقاء نفسه فى نار جهنم باختياره بل برغبته فى ذلك و مقاتلة من يصده عن ذلك، و ذلك أدل دليل على تمام علم الله
١٠ و قدرته و أنه واحد لا شريك له و لا معقب لحكمه، و فى هذا تصديق قول النبى صلى الله عليه و سلم «لتتبعن / سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع» و هم أهل[4] الكتاب، و قد أشبعت القول [5] فى هذا [5] فى كتابى "القارض[6] فى تكفير ابن الفارض" الذى بينت فيه عوارهم، و أظهرت[7] عارهم، و كذا كتابى "صواب الجواب للسائل [المرتاب - [8]]"
١٥ و "تدمير المعارض فى تكفير ابن الفارض" و لم أبق على شىء من ذلك

/ ٥٢٣

(١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٦) من م، و فى الأصل وظ: الفرائض (٧) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

شيئا

شيئا من لبس - [١] و لله الحمد [١] .

و لما ذكر دعاءه في جميع الأوقات مع إعراضهم، و كان هذا مؤيسا و موجبا للاقلاع عن الدعاء، و إن وجد الدعاء بعده فهو في غاية البعد منه على إيجاده مع الاستغراق به لجميع [٢] الحالات كما استغرق جميع الأوقات، فعبر بأداة التراخي للدلالة على تباعد الأحوال فقال: ٥
﴿ ثم ﴾ و أكد لنحو ما مضى من أن تجرد إقبالهم على دعائهم بعد ذلك لا يكاد يصدق فضلا عن الإكثار منه فقال: ﴿ اني دعوتهم ﴾ [أي - [٣]] إلى الإيمان و منابذة الشيطان .

و لما كان الجهر أحد نوعي الدعاء، نصبه [به - [٣]] نصب المصدر فقال: ﴿ جهارا ﴾ أي مكاشفة مع فخامة الصوت و التعميم لجماعتهم ١٠ جليلهم و حقيرهم و الإخلاص [٤] في ذلك [٤] و المداومة [له - [٣]] حتى كاد بصري يكل من شدة التحديق إليهم و الإقبال عليهم من غير احتجاب عنهم و لا ارتقاب منهم بل مباغتة، و كررت ذلك عليهم حتى أخرجت [ما عندهم - [٣]] من الجواب، و لم أكف عند سد آذانهم و استغشائهم ثيابهم [٥] . ١٥

و لما كان الجهر قد لا يشيع و لا ينشر في جماعاتهم، قال مشيرا إلى أنه أذاع ذلك، و أكد للاشارة إلى ما فيه من الشدة فقال: ﴿ ثم اني اعلنت ﴾ اى أظهرت و أشمت و شهرت ليعلموا أنه الحق

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: الحمد لله (٢) من ظ و م، و في الأصل: بجميع .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ م، و في الأصل: له (٥) من ظ و م، و في الأصل: بثيابهم .

من ربهم لكونى[1] لست مستحيا منه و لا مستهجنا له ﴿ لهم ﴾ اى [2] خصصتهم بذلك، لم يكن لى فيه حظ نفس بوجه فانى[2] كررت ذلك عليهم بعد أن سقط الوجوب عنى، و لما قدم الجهر لأنه أقرب إلى عدم الاتهام، و كان السر أجدر بمعرفة الضمار و أقرب إلى الاستمالة،
٥ أتبعه به فقال: ﴿ و اسررت لهم ﴾ أى دعوت كل واحد منهم على انفراده ليكون أدعى له و أجدر بقبوله[3] النصيحة، و أدل على الإخلاص، وكل ذلك ما فعلته إلا لأجل نصيحتهم، لاحظ لى أنا[4] فى ذلك[4]، و لما كان تحين الإنسان [ليكون - [5]] وحده ليس عنده أحد و لا [هو - [5]] مشتغل بصارف مما يعسر جدا فلا يكاد يصدق أكده فقال:
١٠ ﴿ اسرارا ﴾ و ليدل بتأكيده على تأكيد ما قبله من الأفعال، و الظاهر من حاله[6] و من هذا الترتيب مما صرح[7] به من الاجتهاد أنه سار فيه على مقتضى الحكمة، فدعا أولا أقرب الناس إليه و أشدهم به إلفا، ثم انتقل إلى من بعدهم حتى عمهم الدعاء، و كانت هذه الدعوة سرا كل[8] واحد منهم على حدته ليعلموا نصحه و لا يحمل احد منهم ذلك على
١٥ تبكيت و لا تقريع، فلا يكون فى دعائه ما يكون سببا لأنفة أحد منهم، فلما أطبقوا على الإعراض جهر[9] ليعلموا أنه ملجأ من الله

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لكونه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: بقبول (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيه.
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧) من ظ، وفى الأصل وم: يصرح (٨) من ظ و م، وفى الأصل: فى.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: جهرا.

إلى ذلك، و انها عزمة إن قصروا / فيها عن الإجابة عوقبوا، فلما اصروا / ٥٢٤
جمع بين السر و العلن، فلما تمادوا و طال الأذى شكى، و على هذا
"ثم لبعد الرتب"[1] لا للترتيب فى الزمان، و يمكن كونها للترتيب لأن
الجهر أبعد عن[2] الاتهام ثم الإعلان بعده أزيد بعدا.

و لما أخبر بأنه بالغ فى الدعوة إلى حد لا مزيد عليه، فلم يدع ٥
من الأوقات و لا من الأحوال شيئا، سبب عنه بيان ما قال فى دعوته
و هو التسبب[3] فى السعادة كلها بدفـــع المضار و جلب المسار، فقال
مقدما لطلب الغفران بالتوبة عن الكفر ليظهروا فيكونوا قابلين للتحلية
بالمحاسن الدينية بعد التخلية عن الأخلاق الدنية: ﴿ فقلت ﴾ أى فى
دعائى لهم: ﴿ استغفروا ربكم[4] ﴾ أى اطلبوا من المحسن إليكم، المبدع ١٠
لكم، المدبر لأموركم، أن يمحو ذنوبكم أعيانها و آثارها، بالرجوع عن
عبادة غيره إلى الإخلاص فى عبادته.

و لما ذكر أنه استعطفهم أولا ببيان أن رجوعهم ممكن، لئلا
يقولوا: إنا قد بالغنا فى المعاصى فلا نقبل، و أعلمهم أن الاستغفار
باب الدخول إلى طاعة الجبار، أكد ذلك الاستعطاف بقوله معللا ١٥
للأمر و لجوابه بنحو: يغفر لكم، مؤكدا لأجل توقفهم: ﴿ انه كان ﴾
[أى - [4]] ازلا و أبدا و دائما سرمدا ﴿ غفارا ۚ ﴾ أى متصفا بصفة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لبعد الترتيب (٢) فى م: من (٣) من ظ و م، و فى الاصل: السبب (٤) زيد من ظ و م.

الستر على من رجع إليـــه على أبلغ الوجوه و أعلاها ، و إذا وقع الغفران دفع المضار كلها .

و لما قرر أمر التوبة و بين قبولها و قدمه اهتماما به لأنه أصل ما يبتنى عليـــه ، و لأن التخلى قبل التحلى ، و درء[1] المفاسد قبل جلب
٥ المصالح و الفوائد ، رغب فيها بما يكون عنها من الزيادة فى الإحسان على أصل القبول ، و ينشأ عن الاستغفار من الآثار الكبار من الأفضال بجلب المسار بما هو مثال للجنة التى كان سبب الإخراج منها النسيان لأنهم أحب شيء فى الأرباح الحاضرة و الفوائد العاجلة لاسيما بما يبهج النفوس و يشرح الصدور لإذهابه[2] البؤس ، فقال مجيبا لفعل الأمر :
١٠ ﴿ يرسل السمآء ﴾ اى المظلة الخضراء أو السحاب أو المطر ﴿ عليكم ﴾ أى بالمطر و أنواع[3] البركات ﴿ مدرارا لا ﴾ أى حال كونها كثيرة الدرور متكررته ، و هذا البناء يستوى فيه المذكر و المؤنث ﴿ ويمددكم ﴾ [أظهر-[4]] لأن الموضع لإرادة المبالغة و البسط و السعة ﴿ باموال و بنين ﴾ و ذلك يفهم أن من أكثر الاستغفار حباه الله ما يسره ، و حماه
١٥ ما يضره ﴿ و يجعل لكم ﴾ أى فى الدارين ﴿ جنت ﴾ أى بساتين عظيمة ، و أعاد العامل للتأكيـــد و البسط لأن المقام له فقال : ﴿ و يجعل لكم انهرا ۝ ﴾ يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك ، فان من

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : رد (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : لاذهاب .
(٣) زيد فى الأصل : المطر ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) زيد من ظ .

لزم

لزم الاستغفار جعل / الله له من كل هم فرجا، و من كل ضيق مخرجا، / ٥٢٥
روى[1] أن عمر رضى الله عنه استسقى فلم يزد على الاستغفار فلما نزل
قيل: يا امير المؤمنين! ما رأيناك[2] استسقيت؟ فقال: لقد طلبت الغيث
بمجاديح السماء التى بها يستنزل القطر، ثم قرأ هذه الآية، و قال القشيرى:
من وقعت له إلى الله حاجة فلن يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار، ٥
و قال: إن عمل قوم نوح كان بضد ذلك، كلما ازداد نوح فى الضمان
و وجوه الخير و الإحسان ازدادوا فى الكفر و النسيان.

و لما كان من رجا ملكا عمل بما يرضيه، و من خافه تجنب
ما يسخطه، نبههم على ذلك بالإشارة إلى الجلال الموجب للتوقير و الجمال
بالإحسان إلى الخلق، مصرحا لهم بالترغيب ملوحا إلى الترهيب، فقال ١٠
مستأنفا فى جواب من يقول منهم: هل بقى شىء من قولك؟: ﴿ما﴾
أى أىّ شىء يحصل ﴿لكم﴾ حال كونكم ﴿لا ترجون﴾ أى تكونون
فى وقت من الأوقات على حال تؤملون بها، و بين فاعل الوقار
و مبدعه بتقديمه، فانه لو أخره لكان ل «وقارا» فقال: ﴿لله﴾ أى
الملك الذى له الأمر كله ﴿وقاراۚ﴾ أى ثوابا يوقركم فيه و لو قل، ١٥
فان قليله أكثر من كثير غيره، و لا تخافون له إهانة بالعقاب بأن تعلموا
أنه لابد من أن يحاسبكم بعد البعث فيثيب الطائع و يعاقب العاصى،

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/١/٢٣١ (٢) جاءت العبارة هنا مطموسة فى
فاتسخناها من ظ.

كما هي عادة كل أحد مع من تحت يده، فتوقروا رسله بتصديقهم فتؤمنوا و تعملوا، فان من أراد من أحد أنـه يوقره وقره و عظمه ليجازيه على ذلك، فان الجزاء من جنس العمل، و ذلك إنما يكون بمعرفة الله بما له من الجلال و الجمال. و الخلق إنما تفاضلوا بالمعرفة بالله، ٥ لا بالأعمال، إنما سبق أبو بكر رضي الله عنه الناس بشيء وقر في صدره، فان بالمعرفة تزكو الأعمال و تصلح الاقوال، و إنما يصح تعظيمه سبحانه بأن لا ترى لك عليـه حقا، و لا تنازع له اختيارا، و تعظم أمره و نهيه، بعدم المعارضه بترخيص جاف او تشديد غال أو حمل على توهم[1] الانقياد، و تعظم حكمه[2] بأن لا تبغي[3] له عوجا و لا تدافعه بعلم، و لا ١٠ ينبغي له غرض[4] و علة، و لأجل أن المطلوب تحصيل الأعمال[5] التي هي أسباب ظاهرية، عـبر بالرجاء ليسرهم بأن أعمالهم مؤثره، و عبر بالطمع في غير هذه الآية [تنبيها -[6]] على انه لا سبب في الحقيقة إلا رحمة الله لحال دعا إلى ذلك.

و لما كان هذا إشارة إلى الاستدلال على البعث بما يعلمونه من ١٥ أنفسهم صرح بعد ما لوح، فقال آتيا بحرف التوقع لأنه مقامه: ﴿وقد﴾ أي و الحال أنه قد أحسن إليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره، فدل ذلك على تمام قدرته، ثم لم يقطع إحسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا

---

(١) من م، و في ظ: توهن (٢) من م، و في ظ: لحكمه (٣) من م، و في ظ: لا تنفي (٤) من م، و في ظ: عوضا (٥) من م، و في ظ: اعمال.
(٦) زيد من م.

به لأنه "هل جزاء الاحسان إلا الاحسان" و رجاء لدوام إحسانه و خوفا من قطعه لأنه ﴿ خلقكم ﴾ أى أوجدكم من العدم مقدرين ﴿ اطواراه ﴾ أى تارات عناصر أولا ثم مركبات تغذى الحيوان ثم أخلاطا ثم نطفا [1] ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما و لحوما و أعصابا و دماء، ثم خلقا آخر [2] تاما ناطقا ذكرانا [2] إناثا طوالا و قصارا بيضا و سودا ٥ و بين ذلك - [3] إلى غير ذلك [3] من الأمور الدالة على قدرته على كل مقدور، [و - [4]] من قدر على هذا الابتداء كان على الإعادة أعظم قدرة، و قد ثبتت حكمته و أنه لم يخلق الخلق سدى بما بان من هذا التطوير على هذه [5] الهيئات العجيبة التى لا قدرة لغيره عليها بوجه، و هم يتهارجون فى هذه الدار تهارج الحمر [6]، و يموت المظلوم على حاله، و الظالم يبلغ آماله، ١٠ فلابد أن يعيدهم ليفصل بينهم فيظهر حكمته و عدله و إكرامه و فضله، و لو ترك ذلك لكان نقصا فى ملكه، و من قدر على ذلك كان قادرا على الجزاء بالثواب و العقاب. فهو أهل لأن يخشى و يرجى.

و لما كان هذا [واضحا - [4]] و لكنهم قوم لد، لا يردهم إلا الشمس المنيرة فى وقت الظهيرة، ذكرهم - بعد التذكير [7] بما فى أنفسهم - بما هو ١٥ أكبر من ذلك من آيات الآفاق و قسمها إلى علوى و سفلى، و بدأ

---

(١) و من هنا نستأنف نسخة الأصل (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: نامر ذاكرا ناطقا - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ وم.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الهجر.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: التفكير.

بالأنفس لأنها مع شرفها أقرب منظور إليه لهم، و ثنى بالعلوى لأنه يليها فى الشرف و وضوح الآيات، فقال: [دالا - [1]] على القدرة على البعث و الجزاء بالثواب و العقاب: ﴿ الم تروا ﴾ أى أيها القوم.

و لما كان تأمل الكيفيات [يحتاج - [1]] إلى دقة و توقف على[2] ٥ عجائب و لطائف تؤذن قطعا بأن[3] فاعلها لا يعجزه شيء، قال منكرا عليهم عدم التأمل: ﴿ كيف خلق الله ﴾ أى الذى له العلم التام و القدرة البالغة و العظمة الكاملة ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ هى فى غاية العلو و السعة و الإحكام و الزينة، يعرف كونها [سبعا - [1]] بما فيها من الزينة.

و لما كانت المطابقة بين المتقابلات[4] فى غاية الصعوبة لا يكاد ١٠ يقدر عليها من جميع الوجوه أحد، قال: ﴿ طباقاً ﴾ أى متطابقة بعضها فوق بعض و كل واحدة فى التى تليها محيطة بها «ما لها من فروج» لا يكون تمام المطابقة إلا كذلك بالإحاطة من كل جانب.

و لما كان المحيط لا يتوصل إلى داخله إلا محيط[5] العلم و القدرة، قال دالا على كمال[6] قدرته و[6] تصرفه معبرا بالجعل الذى يكون عن ١٥ تصيير و تسبيب: ﴿ و جعل القمر ﴾ أى الذى ترونه و هو فى السماء الدنيا، و بدأ به لقربه و سرعة حركته و قطعه جميع البروج فى كل شهر مرة و غيبته فى ليالى السرار ثم ظهوره، و ذلك أعجب فى القدرة.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فان (٤) من م، و فى الأصل و ظ: المقابلات (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بمحيط (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و لما كانت السماء شفافات قال: ﴿ فيهن ﴾ اى السماوات بجميعهن ﴿ نورا ﴾ أي لا معا منتشرا كاشفا[1] للرئيات، أحد وجهيه يضيء لأهل الأرض و الثاني لأهل السماوات، و لما كان نوره مستفادا[2] من نور الشمس قال: ﴿ و جعل ﴾ معظما لها باعادة العامل ﴿ الشمس ﴾ أي في السماء الرابعة ﴿ سراجا ﴾ / أي نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الأرض ٥ / ٥٢٧ و هي في السماء الرابعة، و روى ابن مردويه و عبد الرزاق و الطبري[3] عن ابن عباس و عبد الله بن عمرو[4] رضي الله عنهم: ان الشمس و القمر وجوههما مما يلي السماء، وأقفيتهما إلى الارض؛ و روى الحاكم[5] منه ذكر القمر. و جعلهما سبحانه آية على رؤية عباده المحسنين له في الجنة فانه يرى كل أحد [كلا -[6]] من مكانه مخليا به[7]، و كذلك يرونه سبحانه ١٠ عيانا جهارا كما رأوه في الدنيا بالإيمان نظرا و اعتبارا، و لما[8] دل على كمال علمه و تمام قدرته بخلق الإنسان ثم بخلق ما هو أكبر منه أعاد الدلالة بخلق الإنسان لأنه أعظم المحدثات و أدلها على الله سبحانه و تعالى على وجه آخر مبين لبعض ما أشار إليه [الأول -[6]] من التفصيل[9]

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: كاشفات (٢) من ظ و م، و في الأصل: مستمدا (٣) راجع تفسيره ٢٩ / ٥٢ (٤) من ظ و م وتفسير الطبري، و في الأصل: عمر (٥) راجع المستدرك ٢ / ٥٠٢ (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: له (٨) زيد في الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٩) من م، و في الأصل و ظ: التفعيل.

مصرحا بالبعث فقال مستعيرا الإنبات للانشاء[1]: ﴿ و الله ﴾ اى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ﴿ انبتكم ﴾ أى بخلق أبيكم [آدم - [2]] عليه الصلاة و السلام ﴿ من الارض ﴾ أى كما ينبت الزرع ، و عبر بذلك تذكيرا لنا لما كان من خلق أبينا آدم عليه الصلاة و السلام لأنه

٥ أدل على الحدوث و التكون من الأرض ، و اشار[3] إلى أنه جعل غذاءنا من الأرض التى خلقنا منها ، و بذلك الغذاء نمونا .

و لما كان إنكارهم للبعث كأنه إنكار[4] للابتداء اكده بالمصدر و أجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة ، إشارة إلى هوانه عليه سبحانه و تعالى و سهولته مع أنه إبداع و ابتداء و اختراع فقال : ﴿نباتاۙ﴾

١٠ و مع ذلك فالآية صالحة للاحتباك : ذكر «أنبت» أولا دال على حذف مصدره ثانيا ، و ذكر "النبات" ثانيا دال على حذف فعله أولا ، ليكون التقدير : أنبتكم إنباتا فنبتم نباتا .

و لما كان فى الموت أيضا[5] دليل على تمام العلم و القدرة غير أنه ليس كدلالة الابتداء بالابتداع[6] ، و كان مسلما ليس فيه نزاع ، ذكره

١٥ من غير تأكيد بالمصدر فقال دالا على البعث و النشور : ﴿ ثم يعيدكم ﴾ على التدريج ﴿ فيها ﴾ أى الأرض بالموت و الإقبار و إن طالت[7]

---

(١) من ظ وم ، والأصل: للانشقاق (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: به ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : انكارا . (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : اولا (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : بالابتداء . (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : طال .

الآجال ﴿ و يخرجكم ﴾ أى فيها بالإعادة، و أكد بالمصدر الجارى على الفعل إشارة إلى شدة العناية به و تحتيم وقوعه لإنكارهم له [1] فقال: ﴿ اخراجا ﴾ أى غريبا ليس هو كما تعلمون بل تكونون [2] به فى غاية ما يكون [3] من الحياة الباقية، تلابس أرواحكم بها أجسامكم ملابسة لا انفكاك بعدها لأحدهما عن الآخر. ٥

و لما كان الثابت من الشيء لا يتصرف فى ذلك الشيء، دل على كمال قدرته بخرق تلك العادة لهم على أوجه الإنعام عليهم، فقال مظهرا للاسم الشريف مرة بعد أخرى تعظيما للأدلة و لئلا تقيد [4] القدرة بما يقترن بـه الاسم دالا بالعالم السفلى بعد الإرشاد بالعلوى و أخر السفلى لأن آياته على ظهورها خفيت بكثرة الإلف لها: ﴿ و الله ﴾ ١٠ أى المستجمع لجميع الجلال و الإكرام ﴿ جعل / لكم ﴾ أى نعمة عليكم اهتماما بأمركم ﴿ الارض بساطا ﴾ أى [سهل - [5]] عليكم [6] التصرف فيها و التقلب عليها سهولة التصرف فى البساط، ثم علل ذلك فقال: ﴿ لتسلكوا ﴾ أى متجددين ﴿ منها ﴾ أى [7] الأرض [مجددين لذلك - [8]] ﴿ سبلا ﴾ أى طرقا [9] واضحة مسلوكة بكثرة ﴿ فجاجا ﴾ أى ذوات اتساع ١٥

/ ٥٢٨

(١) من ظ وم، وفى الأصل: به (٢) من ظ م، وفى الأصل وظ: يكونون.
(٣) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: خضعت (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ وم، وفى الأصل: عليه (٧) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من م (٩) من ظ وم، و فى الأصل: طريقا.

لتوصلوا إلى البلاد الشاسعة برا و بحرا، فيعم الانتفاع بجميع البقاع، فالذى قدر على إحداثكم[1] و أقدركم على التصرف [فى أصلكم مع ضعفكم قادر على إخراجكم من أجداثكم -[2]] التى لم تزل طوع أمره و محل عظمته و قهره.

٥ و لما كانوا قد جادلوه عليه الصلاة و السلام بعد هذا البيان الذى لا يشك فى دلالته على المراد من تحقق لصفاء الإيقان، فأكثروا الجدال و نسبوه إلى الضلال و عصوه أقبح العصيان و قابلوه بأشنع[3] الأقوال و الأفعال[3]، طوى ذلك مشيرا إليه بقوله مستأنفا: ﴿ قال نوح ﴾ أى بعد رفقه بهم و لينه لهم شاكيا منهم[4]: ﴿ رب ﴾ أى ايها المحسن إلىّ

١٠ المدبر لى[5] المتولى لجميع أمورى.

و لما كان الضعفاء أكثر الناس بحيث إذا اجتمعوا دل[6] الرؤس الأقوياء بالأموال و الأولاد و كانوا كأنهم الكل، فقال مؤكدا لأن عصيانهم له بعد ذلك مما يبعد وقوعه: ﴿ انهم ﴾ أى قومى الذين دعوتهم إليك مع صبرى عليهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴿ عصونى ﴾

١٥ أى فيما أمرتهم به و دعوتهم إليه فأبوا أن يجيبوا دعوتى و شردوا عنى أشد شراد و خالفونى أقبح مخالفة ﴿ و اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم نظرا

---

(١) زيد فى الأصل: و اوجدكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

(٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأفعال و الأقوال.

(٤) زيد فى الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اول.

إلى

إلى المظنون العاجل بعد[1] ترك المحقق عاجلا و آجلا ﴿ من ﴾ أى [من - [2]] رؤسائهم البطرين بأموالهم المغترين[3] بولدانهم، و فسرهم[4] بقوله: ﴿ لم[5] يزده ﴾ أى شيئاً من الأشياء.

و لما كان المال يكون [للانسان - [6]] قبل الولد، و كان ينبغى أن يشكر الله الذى آتاه إياه ليكون له خيرا فى الدارين و كذا الولد ٥ قال: ﴿ ماله ﴾ أى بكثرته ﴿ و ولده ﴾ كذلك، و هو الجنس فى قراءة التحريك - و كذا فى قراءة ابن كثير و البصريين و حمزة و الكسائى بالضم و السكون على أنه لغة فى المفرد كالحزن و الحزن و الرشد و الرشد، او يكون على هذه جمعا كالأسد و الأسد، و يكون اختيار أبى عمرو[7] لهذه القراءة فى هذا الحرف وحده للاشارة بجمع[8] الكثرة ١٠ المبنى على الضمة التى هى أشد الحركات إلى أنهم - و إن زادت كثرتهم و عظمت قوتهم - لا يزيدونهم شيئا ﴿ الاخسارا ﴾ بالبعد عن[9] الله و العمى عن محجة الطريق، فان البسط لهم فى الدنيا بذلك كان سببا لطغيانهم و بطرهم و اتباعهم لأهوائهم حتى كفروا و استغووا[10] غيرهم

---

(١) زيد فى الأصل: تحقيق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: باموالهم و أولادهم المغترين، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فسره (٥) وقع فى الأصل: قبل «أى من رؤسائهم» و الترتيب من ظ وم (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: أبى عمر (٨) من م، وفى الأصل و ظ: لجمع.
(٩) فى ظ و م: من (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: استغفروا

فغلبوا عليهم فكانوا سببا فى شقائهم [1] و خسارتهم بخسارتهم [2]، و كان عندهم أنها زادتهم رفعة، و فى السياق دليل على أنهم ما حصلت لهم الوجاهة إلا بها .

و لما كانت / كثرة الرؤساء قوة أخرى إلى قوتهم بمتاع الدنيا، ٥٢٩ /

٥ و كان التقدير: فأمرتهم بالإيمان فأبوا و أمروهم [3] بالكفر فانقادوا لهم [4]، عطف عليه [5] مبينا لكثرتهم بضمير الجمع العائد على "من" عاطفا على [6] "لم يزده" المفردة الضمير للفظ جامعا له للمعنى لتجمع العبارة الحكم على المفرد و الجمع، فيكون أدل شيء على المراد منها فقال: ﴿و مكروا﴾ أى هؤلاء الرؤساء فى تنفير الناس عنى [7] - و أكد الفعل بالمصدر دلالة على

١٠ قوته [8] فقال: ﴿ مكرا ﴾ و زاده تأكيدا بصيغة هى النهاية فى المبالغة فقال: ﴿ كبارا ﴾ فانه أبلغ من كبار المخفف الأبلغ من كبير، فلم يدعوا أحدا منهم بذلك [المكر - [9]] يتبعنى ﴿و قالوا﴾ أى لهم فى أدانى [10] المكر [11] الذى حصل منهم [11] .

و لما كان دعاء الرسل عليهم الصلاة و السلام جديرا [12] بالقبول

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بخسارهم. (٣) زيد فى الأصل : رؤسا وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل : اليهم (٥) زيد فى الأصل : ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : من (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : على عليه الصلاة و السلام (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : قوله (٩) زيد من ظ و م . (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ادنى (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جديره

لما لهم من الجلالة و الحلاوة و البيـان و الرونق و الظهور فى الفلاح، أكدوا قولهم: ﴿ لا تذرن الهتكم ﴾ أى لا تتركنها[1] على[2] حالة من الحالات لا قبيحة و لا حسنة، و أضافوها إليهم تحسبا فيها، ثم خصوا بالتسمية زيـادة فى الحث و تصريحا بالمقصود فقالوا مكررين النهى و العامل تأكيدا: ﴿ و لا تذرن ﴾ و لعلهم كانوا يوافقون العرب فى ٥ أن الود هو الحب الكثير، فناسب المقام بذاتهم بقولهم: ﴿ ودا ﴾ و أعادوا النافى[3] تأكيدا فقالوا[4]: ﴿ و لا سواعا ۙ ﴾ و أكدوا هـذا التأكيد و ابلغوا[5] فيه فقالوا: ﴿ و لا يغوث ﴾ و لما بلغ التأكيد نهاية و علم أن المقصود[6] النهى عن كل فرد فرد لا عن المجموع بقيد الجمع أعروا فقالوا: ﴿ و يعوق و نسرا ۚ ﴾ معرى عن[7] التأكيد للعلم بارادته، ١٠ و كان هؤلاء ناسا صالحين، فلما ماتوا حزن عليهم الناس ثم زين لهم إبليس تصورهم تشويقا إلى العمل بطرائقهم الحسنة[8] فصوروهم، فلما تمادى الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم ثم نسى القوم الصالحون، و جعلوا أصناما آلهـة من دون الله، و كانت عبادة هؤلاء أول عبادة الأوثان[9] فأرسل الله سبحانه و تعالى نوحا عليه ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا تتركوها (٢) زيد فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بقولهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالغوا (٦) فى ظ و م: القصد (٧) فى م: من (٨) زيد فى الأصل: قال، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٩) من ظ و م، وفى الأصل: الأوقات.

الصلاة و السلام للنهى عن ذلك إلى ان كان من امره و امر قومه[1] ما هو معلوم، ثم أخرج إبليس هذه الأصنام بعد الطوفان فوصل شرها إلى العرب، [2]فكان ود[2] لكلب بدومة الجندل و سواع لهذيل و يغوث لمذحج و يعوق لمراد و نسر لحمير لآل ذى الكلاع، و قيل غير ذلك
٥ - [3]و الله أعلم[3] قال البغوى[4]: سواع لهذيل و يغوث لمراد، ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ و يعوق لهمذان[5]. قال أبو حيان[6]: قال أبو عثمان النهدى[7]: رأيت يغوث و كان من رصاص يحمل على جمل [8]أجرد، يسيرون معه لا يهيجونه[8] حتى يكون هو الذى يبرك، فاذا برك نزلوا / و قالوا: قد رضى لكم المنزل، فينزلون حوله و يضربون /٥٣٠
١٠ عليه بناء[9]، و روى عن ابن عباس[10] رضى الله عنهما فى سبب وصول شر تلك الأوثان إلى العرب أنها دفنها الطوفان ثم أخرجها الشيطان لمشركى العرب، و كانت للعرب أصنام أخر فاللات لثقيف، و العزى[11]

---

(١) زيد فى الأصل: ما كان و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: فكان - مع يسير من البياض، و راجع المعالم ٧ / ١٢٩ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) فى المعالم ٧ / ١٢٩.
(٥) زيد فى الأصل: و الله اعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٦) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٤١، و زيد فى الأصل: قالوا، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و البحر فحذفناها (٧) من ظ و م و البحر، و فى الأصل: الهندى.
(٨-٨) من البحر، و فى الأصول: احمر و لا يهيجونه و يسيرون معه (٩) زيد فى الأصل: و الله اعلم بالصواب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) راجع روح المعانى ٩ / ١٨١ (١١) من ظ و م، و فى الأصل: اللات.

لسليم

لسليم و غطفان و جشيم، و منات بقديد لهذيل، و اساف و نايلة و هبل لأهل مكة، و كان أساف حيال الحجر الأسود، و نايلة حيال الركن اليماني، و كان هبل في جوف الكعبة - انتهى[1]، و قال الواقدي: ود على صورة رجل، و سواع على صورة امرأة، [و -[2]] يغوث على صورة أسد، و يعوق على صورة فرس، و نسر على صورة نسر - انتهى . ٥
و لا يعارض [هذا -[2]] أنهم صور[3] لناس صالحين لأن تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم، فكأن ودا كان أكملهم في الرجولية، و كانت سواع امرأة كاملة في العبادة، و كان يغوث شجاعا، و يعوق كان سابقا قويا، و كان نسر عظيما طويل[4] العمر - و الله تعالى أعلم . ١٠

و لما ذكر مكرهم و ما أظهروا من قولهم، عطف عليه ما توقع السامع من أمرهم [فقال -[2]]: ﴿ و قد اضلوا ﴾ أي الأصنام و عابدوها بهذه العبادة ﴿ كثيرا ۚ ﴾ من [عبادك -[2]] الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من أهل زمانهم و ممن أتى بعدهم فانهم أول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة[5] . ١٥
و لما كان التقدير: فلا تزد الظالمين إلا خسارا، عطف عليه قوله مظهرا في موضع الإضمار تعميما[6] و تعليقا [7] للحكم بالوصف[7]:

---

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: صورة .
(٤) من ظ و م، و في الأصل: طويلا (٥) من ظ و م، و في الأصل: القيام .
(٦) من م، و في الأصل و ظ: تعظيما (٧ - ٧) من ظ و م، و في الأصل: بالحكم للوصف فقال .

﴿ و لا تزد الظلمين ﴾ اي الراسخين فى الوصف الموجب لأن تكون آثار المتصف به كآثار الماشى فى الظلام [فى -[1]] وقوعها مختلة، شيئا من الأشياء التى هى فيهم ﴿ الا ضللا ﴾ اى طبعا على [2]عقولهم و[2] قلوبهم حتى يعموا عن الحق و عن جميع مقاصدهم [2]الفاسدة الضالة

٥ الراسخة فى الضلال[2] فلا يكون منها شيء على وجه يكون فيه شيء[3] من سداد، وكان هذا بعد أن أعلمه الله سبحانه و تعالى انه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، و الكلام عليه على كل حال كالكلام على دعاء موسى و هارون عليهما [2]وعلى محمد أفضل الصلاة و[2] السلام فى الشد على [قلوب -[1]] فرعون و ملائه لئلا يؤمنوا فى حال ينفعهم فيه كما مضى

١٠ فى سورة يونس عليه السلام، و قد بالغ ابن عربى فى المروق من الدين فقال فى فصوصه: إن هذا الدعاء حسن فى حقهم، و قال: إن الضلال أهدى من الهدى، و أن الضال أحسن حالا من المهتدى، لأن الضال لا يزال قريبا من القطب المقصود دائرا حوله، و المهتدى صاحب طريقة مستطيلة، فهو يبعد عن المقصود، فأبان أن الله تعالى[4] لم يخلق خلقا أسفه

١٥ منه إلا من اتبعه عليه و على من ينحو / نحوه من الضلال الذى لا يرضاه /٥٣١ عاقل من عباد الأصنام الذين لا أسفه منهم و لا غيره، فعليهم أشد الخزى و اللعنة.

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٣) من ظ وم، وفى الأصل: شيئا (٤) يبتدئ من هنا بياض فى ظ يستمر الى « فى غاية السهولة » على ص ٤٥٣ س ١٤ .

و لما فرغ من أمرهم فى ضلالهم، ودعا رسولهم صلى الله عليه و سلم عليهم، فلم يبق إلا إهلاكهم، و كان من مفهومات الضلال المحق و إذهاب العين كما يضل الماء فى اللبن، قال مبينا إجابته لدعائه ذاكرا الجهة[1] التى أهلكوا بسببها: و أكد بـ"ما" النافية فى الصورة لضد مضمون الكلام لاعتقاد الكفار أن [2] الإنجاء و الإهلاك[2] عادة الدهر: ﴿مما﴾ . ٥

و لما كان الكافر قد أخطأ ثلاث مرات: بكفره فى الإيمان بالطاغوت، و تكذيب ربه، و تكذيب رسوله صلى الله عليه و سلم، وكان ذلك كافيا فى [3]استحقاقه للأخذ[3] قال: ﴿خطيئتهم[4]﴾ جامعا له جمع السلامة - فى قراءة الجماعة، و أفهمت قراءة أبى عمرو[5] بجمع التكسير أن لهم مع هذه الأمهات الكافية فى الأخذ من الذنوب ١٠ ما يفوت الحصر يوجب تغليظ ذلك الأخذ، فهى مشيرة إلى أنه ينبغى الاحتراز من [كل -[6]] الذنب .

و لما كان الموجع[7] إغراقهم لا كونه من معين، قال مخبرا عما فعل بهم فى الدنيا: ﴿ اغرقوا ﴾ أى بالطوفان بانيا له للمفعول لذلك و للاعلام بأنه فى غاية السهولة على الفاعل المختار الواحد القهار، فطاف ١٥ الماء عليهم جميع الأرض السهل و الجبل، فلم يبق منهم أحدا[8]، وكذا الكلام فيما تسبب عنه و تعقبه من قوله: ﴿ فادخلوا ﴾ أى بقهر القهار

(١) من م، و فى الأصل: الجنة (٢-٢) من م، وفى الأصل: الاهلاك ولا نجاء. (٣-٣) من م، و فى الأصل: الاستحقاق فى الأخذ (٤) من م، و فى الأصل: خطاياهم (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٥٢٤ (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل: الموجب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: احد .

فى الآخرة التى أولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة و عشيا
﴿ نارا ﴾ أى عظيمة جدا أخفها[1] ما يكون من مبادئها فى البرزخ،
قال الشيخ ولى الدين الملوى : فعذبوا فى الدنيا بالغرق، و فى الآخرة
بالحرق، و الإياس من الرحمة، و أى عذاب أشد من ذلك، [و - [2]]
٥ قال الضحاك[3] : فى حالة واحدة كانوا يغرقون [4] فى الماء[4] من جانب
و يحترقون فى الماء من جانب آخر بقدرة الله سبحانه و تعالى، و فيها
دلالة على قول غيره على عذاب القبر .

و لما كانوا قد استندوا إلى آلهتهم لتنصرهم من أخذ الله تعالى،
قال مسببا عن هذا الإغراق و الإدخال مؤيسا[5] من الرحمة ليكون ذلك
١٠ [أشد - [2]] فى العذاب، فان الإنسان - كما قال الملوى : - إذا كان فى
العذاب و يرجو الخلاص يهون عليه الأمر بخلاف ما إذا يئس من الخلاص،
معلما بأن[6] آلهتهم عاجزة فانها لم تغن عنهم شيئا، توبيخا لمن يعبد مثلها :
﴿ فلم يجدوا ﴾ و حقق الأمر فيهم بقوله : ﴿ لهم ﴾ أى عند ما أناخ
الله بهم سطوته و أحل بهم نقمته[7] .

١٥ و لما كانت الرتب كلها دون رتبته تعالى، و كان ليس لأحد
أن يستغرق جميع ما تحت / رتبته سبحانه من المراتب، قال مثبتا الجار: /٥٣٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل : اخفاها (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ : ١٣٠ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل : نوس (٦) من ظ و م، و فى الأصل : ان (٧) زيد فى الأصل : و ايسهم رحمته، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

من

﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى تتضاءل المراتب تحت رتبة عظمته و تـذل لعزه و جليل[1] سطوتـه ﴿ انصـارا ه ﴾[2] ينصرونهم على من أراد بهم ذلك ليمنعوه مما فعل بهم أو يقتصوا منه لهم بما شهد به شاهد الوجود الذى هو أعدل الشهود من أنه تم ما أراده سبحانه و تعالى من إغراقهم من غير أن يتخلف منهم احد على كثرتهم و قوتهم ٥ لـكونهم أعداءه و إنجاء نبيه نوح[3] عليه الصلاة و السلام و من معه رضوان الله و سلامه عليهم أجمعين على ضعفهم و قلتهم لم يقعد منهم أحد لـكونهم أولياءه، فكما[4] لم يهلك ممن[5] أراد إنجاءه أحد فـكذلك لم يسلم منهم، فمن قال[6] عن عوج[6] ما يقوله القصاص فهو أيضا[7] ضال أشد ضلال، فلعنة الله على من يقول: إن الله تعالى كان غير[7] ناصرهم، ١٠ مع هـذه الدلالات الـتى هى نص فى أنه عدوهم، و أن نصرهم إنما[8] يكون على نبيه نوح عليه الصلاة و السلام، و[9] اعتقاد ذلك أو شيء منه كفر ظاهر لا محيد عنه بوجه، و قائل ذلك هو[10] ابن عربى صاحب[11]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : جميـع (٢) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : فما (٥) من ظ و م، و فى الأصل : من (٦-٦) و قع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « القصاص » و الترتيب من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل : على. (٨) زيد فى الأصل : كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى الأصل : ان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) زيد فى الأصل : قايله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من ظ و م، و فى الأصل : فى.

الفصوص الذى لم يرد بتصنيفه إلا هدم الشريعة المطهرة، و نظمه أيضا[1] ابن الفارض[2] فى تائيته [3]التى سماها بنظم السلوك[3]، فلعنة الله عليه و على من تبعه أو شك فى كفره أو توقف فى لعنه بعد ما نصب من الضلال الذى سحر به البلاد، و أردى كثيرا من العباد.

٥ و لما أتم الخبر عن إغراقهم، و قدمه للاهتمام بتعظيم الرسول صلى الله عليه و سلم فى إجابة دعوته تحذيرا للعرب أن يخرجوا رسولهم صلى الله عليه و سلم [فيخرجوه -[4]] إلى مثل ذلك، عطف[5] على قول نوح عليه السلام من أوله قوله عند ما أخبره تعالى أنهم مغرقون و أنه لا يؤمن منهم إلا من قد آمن بعد ما[6] طال بلاؤه بهم حتى إن كان ١٠ الرجل ليأتى بابنه إليه فيقول له: احذر هذا أن يضلك، و إن ابى حذربه، و كانت صيغة العموم ليست[7] بنص فى أفرادها أبدا[8]، استنجازا لوعده و تصريحا بمراده: ﴿و قال نوح﴾ و أسقط الأداة كما هى عادة أهل الحضرة فقال: ﴿رب[9] لا تذر﴾ أى تترك بوجه [3]من الوجوه[3] أصلا و لو على أدنى الوجوه ﴿على الارض﴾ أى ١٥ كلها [3]من مشرقها إلى مغربها و سهلها وجبلها و وهدها[3] ﴿من الكٰفرين﴾

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، والأصل ف: لعربى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الاصل: عليه اى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) فى ظ و م: ان (٧) من ظ وم، وفى الأصل: ليس (٨) سقط من ظ و م (٩) وقع فى الأصل بعد «قال نوح» والترتيب من ظ وم.

اى الراسخين فى[1] الكفر [2]الذى هو كان لهم جبلة و طبعا[2] ﴿ دياراء ﴾ أى أحدا يدور فيها ، و هو من ألفاظ العموم التى تستعمل فى النفى العام فيقال من الدور أو الدار لا فعّال ، و إلا لكان دوارا ، و يجوز -وهو أقرب[3]- أن يكون هذا الدعاء عند ركوبه السفينة و ابتداء الإغراق فيهم ، يريد[4] به / العموم كراهية[5] أن يبقى أحد منهم على ذروة جبل ٥ / ٥٣٣ أو نحوه ، لا أصل الإغراق ، و أن يكون معنى ما قبله الحكم باغراقهم و تحتم القضاء به أو الشروع فيه[6] .

و لما كان الرسل عليهم الصلاة و السلام لا يقولون و لا يفعلون إلا ما فيه مصلحة الدين ، علل دعاءه بقوله و أكده إظهارا لجزمه باعتقاد ما أنزل عليه من مضمون قوله تعالى "انه لن يؤمن [من -[7]] ١٠ قومك الا من قد أمن" و إن كان ذلك خارجا عن العادة : ﴿ انك ﴾ أى يا رب ﴿ ان تذرهم ﴾ أى تتركهم على أى حالة كانت فى إبقائهم سالمين على وجه الأرض [2]على ما هم عليه من الكفر و الضلال و الإضلال[2] و لو[8] كانت[9] حالة دنية ﴿ يضلوا عبادك ﴾ أى الذين آمنوا بى و الذين يولدون على الفطرة السليمة .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحرب (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يريدون (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : الكراهية (٦) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : لى (٩) زيد فى الأصل : على، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما كان ربما كان الإنسان ضارا و وجد[1] له ولد نافع، نفى ذلك بقوله: ﴿ و لا يلدوآ ﴾ أى إن قدرت بقاءهم [2]فى الدنيا[2] ﴿ الا فاجرا ﴾ أى مارقا من كل ما ينبغى الاعتصام به، و اكتفى فيـــه بأصل الفاعل إشارة إلى أن من جاوز الحد أو شرع فى شىء بعده من التمادى فى الغى

٥ صار ذلك له ديدنا فبالغ، [3]فلذلك قال[3]: ﴿ كفارا ه ﴾ أى بليغ الستر لما يجب إظهاره من آيات الله لأن قولك يا رب لا يتخلف أصلا، و الظاهر أن هذا الكلام لا يقوله إلا عن وحى كما فى سورة هود عليه السلام من قوله تعالى "انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن" فيكون [3]على هذا حتى[3] [4]صغارهم معذبين[4] بما يعلم الله منهم لو بلغوا لا بما عملوه

١٠ [كما - [5]] قال صلى الله عليه و سلم فى أولاد الكفار «الله اعلم بما كانوا عاملين» .

و لما [2]دل هذا كله على[2] أنه دعا على أعداء الله . دعا أيضا[6] لأوليائه و بدأ بنفسه لأنه[7] رأس تلك الأمة ، فقال مسقطا على عادة أهل الخصوص: ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ باتباع من اتبعنى و تجنب[8] من تجنبنى،

١٥ فان من[6] كانت طبيعته طبعت[6] على شىء لا تحول عنه .

و لما كان المقام الأعلى أجل من أن يقدره أحد حق قدره قال: ﴿ اغفر لى ﴾ اى فانه لا يسعنى و إن كنت معصوما إلا حلمك و عفوك

---

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : وله (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم . (٣-٣) من ظ وم ، وفى الأصل : فى ذلك فقال (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : معذبون (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) فى ظ و م : طبيعته (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : لأن (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : تجنيب .

و رحمتك

و رحمتك . و لما اظهر بتواضعه عظمة الله سبحانه و تعالى رتب المدعو لهم [على -[1]] الأحق فالأحق [فقال -[1]] : ﴿ و لوالدىّ ﴾ وكانا مؤمنين و هما لمك بن متوشلخ و شمخاء بنت أنوش، قال ابوحيان[2] : و قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يكفر لنوح عليه السلام أب فيما بينه و بين آدم عليهم الصلاة والسلام . و أعاد الجار [إظهارا -[1]] للاهتمام[3] ٥ فقال : ﴿ و لمن دخل بيتى ﴾ لأن المتحرم بالإنسان له حق اكيد لاسيما إن كان مخلصا فى حبه ، و لذا[4] قال : ﴿ مؤمنا ﴾ و لما خص عم و أعاد الجار أيضا اهتماما فقال : ﴿ و للمؤمنين و المؤمنٰت[5] ﴾ أى العريقين فى / هذا الوصف فى [كل -[1]] أمة إلى آخر الدهر [و -[1]] لا تزدهم / ٥٣٤ فى حال من الأحوال شيئا من الأشياء إلا مفازا . ١٠

و لما كان التقدير بما أرشد إليه[5] الاحتباك : و لا تكرم المارقين ، عطف عليه قوله : ﴿ و لا تزد الظٰلمين ﴾ أى العريقين فى الظلم فى حال من الأحوال ﴿ الا تبارا ع ﴾ أى إلا [6]هلاكا مدمرا[6] مفتتا لصورهم قاطعا لأعقابهم [7]مخربا لديارهم[7] وكما استجاب الله سبحانه و تعالى له فى أهل الإيمان و الكفران [8]من أهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب له ١٥ فى أهل الإيمان و أهل الخسران[8] بالسعادة و التبار فى جميع الأعصار

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى البحر المحيط ٨/٣٤٣ (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : اهتماما (٤) من م ، وفى الأصل وظ : لذلك (٥) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها (٦ - ٦) من ظ وم ، وفى الأصل : اهلا كا مضمرا . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٨-٨) من ظ وم ، وفى الأصل : واهلها .

إلى أن يقفوا بين يدى العزيز الجبار، و الآية من الاحتباك : إثبات
الدعاء المقتضى لأصل إكرام المؤمنين أولا مرشد إلى حذف الدعاء
المفهم لأصل إهانة الكافرين ثانيا، و إثبات الدعاء بزيادة التبار [ثانيا
مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولا ، و هذا الآخر المفصح
٥ بالتبار -[1]] هو ما أرشد إليه الابتداء بالإنذار، فقد انطبق الآخر على
الأول [2]على أصرح وجه و أكمل، و أحسن حال و أجمل [2]منال، و لا
حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم و الحمد لله تعالى على كل حال[3].

[3]سوره الجن و تسمى "قل[4] اوحى[5]"

مقصودها إظهار [2]الشرف لهذا[2] النبى الكريم الفاتح الخاتم صلى الله
١٠ عليه و على آله و أصحابه و ذريته و أهل بيته حيث لين له قلوب
الإنس و الجن و غيرهما[6]، فصار مالكا لقلوب المجانس و غيره. و ذلك
لعظمة هذا القرآن و لطف ما له من غريب[7] الشأن ، هذا و الزمان
فى آخره و زمان لبثه فى قومه دون ربع العشر من زمن[8] نوح عليه
السلام أول نبى بعثه الله تعالى إلى المخالفين و ما[9] آمن[10] معه من قومه

---

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٣) زيد قبله فى الأصل: هذه ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم لحذفناها ، وهى الثانية و السبعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٨ (٤) من ظ وم وفى الأصل : بقل . (٥) زيد فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٦) فى م : غيرهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : زمان (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : من (١٠) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها .

إلا قليل ، و على ذلك دلت تسميتها بالجن [و -[1]] بقل أوحى ، و بتأمل الآية المشتملة على ذلك و ما فيها من لطيف المسالك ، [2] أعاذنا الله بمنه و كرمه من الوقوع فى المهالك[2] . ﴿ بسم الله ﴾ أى[3] المحيـط بالكمال أرسل رسوله [الخاتم - [1]] بالهدى ليظهره على الدين كله بما له من الجلال و الجمال ﴿الرحمن﴾ الذى بعموم رحمته عم[4] بهذا الإرسال ليعم ٥ بالبيان ما يلزم الخلق من المقـال و الفعال ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص من بين أهل الدعوة من شاء بمحاسن الأعمال لما سبق لهم من الفوز فى أزل الآزال[5] .

لما كان نوح عليه الصلاة و السلام أول رسول أرسله الله تعالى إلى المخالفين من أهل الأرض ، و كان قومه عباد أوثان ، و عصوه أشد ١٠ العصيان مع أنه كان[6] منهم نسبا و لسانا ، و ختمت سورته بدعائه عليهم ، و كان نبينا صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين ، فهو آخر رسول بعثه / الله تعالى إلى أهل الأرض و غيرهم من جميع الخلق ، و كان قومه العرب /٥٣٥ قد وافقوا قوم نوح عليه السلام فى أكثر أحوالهم عبادة الأوثان حتى تلك الأوثان إما بأساميها أو بأعيانهـا على ما ورد فى الأخبار ، و فى ١٥ عصيان رسولهم و استضعاف أتباعه و استهزائهم ابتدئت ، هذه بما كان من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس فضلا

---

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) سقط من م .
(٤) وقع فى الأصل قبل « بعموم » والترتيب من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الازل انتهى (٦) سقط من ظ و م .

عن الموافقين فى الجنس مع قصر الزمان و ضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن، فقال منبها له بالأمر على ما فى هـذا من عظيم القدر، مع الإشارة إلى تبكيت العرب على التباطئ عن الإجابة إلى ما يعرفون من رشده[1] بمعناه و نظمه، لكونه بلسانهم و كونهم من نوع الداعى و قبيله و أقرب الناس إليه ﴿ قل ﴾ أى يا محمد لقومك .

و لما كان المقصود تعظيم الموحى به، و أما الموحى إلى كل من الرسولين فواحد، بنى للمفعول قوله مبينا لسيرة الجن فى تلقيهم لهـذا القرآن بالأخذ إرثا من أشرف النبيين و إلقائهم له بالإبلاغ إلى غيرهم من وارث العلم منهم ليكون لهم الشرفان : شرف العلم لكمال أنفسهم، و التعليم لتكميل غيرهم، فيكون لهم مثل أجر من عمل بما ألقوه إليه و أملوه عليه : ﴿اوحى الىّ ﴾ أى أخبرت على وجه الخفاء ممن لا يعلم الغيب غيره فى هـذا القرآن الذى اقتضى إعجازه أن أكون أكثر الأنبياء تابعا على لسان جبريل عليه السلام الذى هو أمينه و الواسطة بينه و بين أنبيائه، ثم وضع موضع المفعول الذى لم يسم فاعله قوله : ﴿ انه ﴾ اى الشأن العظيم ﴿ استمع ﴾ أى بغاية[2] الإصغاء و الإقبال و التقبل و الالف استماعا هو الاستماع فى الحقيقة لأنـه لقراءتى هذا القرآن ﴿ نفر ﴾ هم فى غاية النفرة جبلة و طبعا ﴿ من الجن ﴾ الذين هم فى غاية الاستتار، و هم أجسام حية عاقلة خفيفة تغلب عليها النارية او الهوائية كما [3]تغلب على[3] أجسام الإنس الترابية، و النفر ما بين

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل : نهاية (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل : نقلت عن .

الثلاثة و العشرة، قال البغوى[1] : و كانوا تسعة من جن نصيبين، و قيل: كانوا سبعة ، و فى هذه العبارة دليل على أنه صلى الله عليه و سلم ما رآهم و لا قرأ عليهم، و إنما اتفق حضورهم عند قراءته ، و هل هذا الاستماع هو المذكور فى الأحقاف أو غيره قال أبو حيان[2] : المشهور أنه هو، و قيل : هو غيره ، و الجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين ، و الذين أتوه ٥ بنخلة جن نينوى، و السورة [التى - [3]] استمعوها قال عكرمة : العلق، و قيل: الرحمن ، و لم يذكر هنا و لا فى الأحقاف أنه رآهم ، و يظهر من الحديث[4] تعدد الواقعة ، فمنها ما كان فى المبدأ و لم يكن معه أحد من الصحابة رضى الله عنهم كما فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى فى الصحيح أنهم فقدوه صلى الله عليه و سلم ليلة / [5]من الليالى[5] ١٠ / ٥٣٦ فالتمسوه فى الأودية و الشعاب ، فلما أصبح إذا[6] جاء من قبل حراء فقال : أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن ، فانطلق بنا فأرانا آثارهم و آثار نيرانهم ، و منها ما كان معه عبد الله رضى الله عنه فذهب معه إلى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا ، و قال: لا تجاوزه، فانحدر عليه أمثال الحجل يجرون الحجارة بأقدامهم حتى غشوه فلا أراه ، ١٥ و أومأ إلىّ بيده أن اجلس ، فتلى القرآن ، فلم يزل صوته يرتفع و اختفوا بالأرض حتى ما أراهم[7]، قال الأصبهانى : و قيل : كانوا من بنى الشيصبان[8]

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ١٣١ (٢) راجع البحر المحيط ٣٤٦/٨ (٣) زيد من البحر (٤) من م و البحر، و فى الأصل و ظ : حديث (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ما راهم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : الشعيبان .

وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس، وقال القشيري: لما [1]رجمت الشياطين[1] بالشهب فرق إبليس جنوده لعلم ذلك فأتى سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا ثم أتوا قومهم فقالوا: [2] يا قومنا [2] إنا [3] سمعنا قرآنا عجبا، يعني ولم يرجعوا إلى إبليس لما علموه من كذبه وسفاهته، وجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومهم فأسلموا، فذلك[4] قوله تعالى "وإذ صرفنا اليك [2]نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه[2]" الآيات ﴿فقالوا﴾ أي فتسبب عن استماعهم أن قال من سمع منهم لمن لم يسمع، أو لمن كان يواخيهم من الإنس امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرءا سمع منا مقالة فوعاها فأداها كما سمعها»، وكان قولهم سكونا إلى هذا القرآن وأنسا به، مؤكدين لبعد حالهم عن سماع الوحي وعلمهم بما زاد به من الإعجاز: ﴿انا﴾ بالكسر لأنه مبتدأ محكي [5]بعد القول[5] ﴿سمعنا﴾ حين[6] تعمدنا الإصغاء وألقينا إليه افهامنا ﴿قرانا﴾ أي كلاما هو في غاية الانتظام [في نفسه - [7]] والجمع لجميع ما نحتاج إليه، ثم وصفوه بالمصدر مبالغة في أمره فقالوا: ﴿عجبا ۙ﴾ أي بديعا [خارجا - [7]] عن عادة أمثاله من [جميع - [7]] الكتب الإلهية فضلا عن كلام الناس

(١-١) في ظ وم: رجم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٣) زيد في الأصل: سمعنا كتابا انزل من بعد موسى او قبل، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٤) من ظ وم، وفي الأصل: وذلك (٥-٥) من ظ وم، وفي الأصل: بالقول (٦) من ظ وم، وفي الأصل: حتى (٧) زيد من ظ وم.

فى جلالة النظم و إعجاز التركيب و الوضع مع الموافقة لها فى الدعوة[1]
إلى الله تعالى و البيان للحاسن و المساوئ و الدعاء إلى كل فلاح حتى صار
نفس العجب، و العجب ما خرج عن حد اشكاله و نظائره تخفى سببه،
و هذا يدل على قوتهم العلمية فى فصاحتهم و كمالهم فى علم الرسوم،
و صوغ الكلام على أبلغ جهات النظوم. ٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم ذكر حال كفار قريش
فى تعاميهم عن النظر و جريهم فى اللدد و العناد حسبما انطوت عليه سورة
ن و القلم، ثم أتبعت بوعيدهم فى الحاقة ثم بتحقيقه و قرب وقوعه فى
المعارج ثم بتسليته عليه الصلاة و السلام و تأنيسه بقصة نوح عليه
الصلاة و السلام مع قومه، أعقب ذلك / بما يتعظ به الموفق و يعلم ١٠ / ٥٣٧
أن القلوب بيد الله: فقد كانت استجابة معاندى قريش و العرب[2] أقرب
فى ظاهر الأمر لنبى من جنسهم و [من - [3]] أنفسهم فقد تقدمت لهم[4]
معرفة صدقه و أمانته، ثم جاءهم بكتاب بلسانهم الذى به يتحاورون
و لغتهم التى بها يتكلمون، فقد بهرت العقول آياته، و وضحت لكل ذى
قلب سليم براهينه و معجزاته، و قد علموا أنهم لا يقدرون على معارضته ١٥
إلى ما شاهدوه من عظيم البراهين، و مع ذلك عموا و صموا - غضب الله[5]
عليهم و لعنهم - و سبق الى الإيمان من ليس [من - [3]] جنسهم و لا سبقت

---

(١) من و م، و فى الأصل و ظ: الدعوى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: القرب (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: له (٥) زيدت الواو قبله فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

له مزية تكريمهم، و هم الجن ممن سبقت لهم من [الله-[1]] الحسنى فآمنوا و صدقوا، و أمر صلى الله عليه و سلم بالإخبار بذلك، فأنزل الله تعالى [عليه-[1]] "قل اوحى الىّ انه استمع نفر من الجن" الآيات إلى قوله إخبارا عن تعريف الجن سائر إخوانهم[2] بما شاهدوه من عناد كفار ٥ العرب "و أنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا" ثم استمرت الآى[3] ملتحمة المعانى معتضدة المبانى إلى آخر السورة - انتهى .

و لما بينوا فضله من جهة الإعجاز و غيره[4]، بينوا المقصود بالذات الدال على غوصهم على المعانى بعد علمهم بحسن المبانى فقالوا: ﴿يهدىٓ﴾ اى يبين[5] غاية البيان مع الدعاء فى لطف و هدى ﴿الى الرشد﴾ أى ١٠ الحق و الصوب الذى يكاد يشرد لثقله على النفوس الداعية إلى الهوى و خفة ضده الغى و السفه الملائم لنقائص النفوس . و لما وصفوه بهذه الكمالات سببوا عن ذلك قولهم إعمالا للقوة العملية فى المبادرة الى الصواب من غير تخلف أصلا: ﴿فامنا﴾ أى كل من استمع منا لم يتخلف منا أحد و لا توقف بعد الاستماع ﴿به[6]﴾ أى أوقعنا الأمان لمبلغ ١٥ القرآن أن نكذبه[6] أو نخالفه أدنى مخالفة بسبب هذا القرآن .

و لما أخبروا عن الماضى، وكان الإيمان[7] لا يفيد إلا مع الاستمرار،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اخوانهن (٣) من ظ ، و فى الأصل : الآيات ، و سقط من م (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) فى ظ و م : بين (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكذيبه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : القرآن .

قالوا عاطفين على ما تقديره: فوجدنا[1] الله فى الحال لأن ذلك نتيجة الإيمان بالقرآن و خلعنا الأنداد: ﴿ و لن ﴾ أى و الحال أنا مع إيقاع الإيمان فى الحال لن ﴿ نشرك ﴾ بعد ذلك اصلا[2]، اكدوا لأنه أمر لا يكاد يصدق ﴿ بربنآ ﴾ اى الذى لا احسان قائم بنـا من الإيجاد و ما بعده إلا منه ﴿ احداۙ ﴾ أى من الخلق لأنه لم يشركه فى شىء من أمرنا أحد، و قد ٥ وضحت الدلائل على التوحيد فيما سمعنا من هذا القرآن .

و لما أظهروا القوتين[3] العلمية بفهمهم القرآن، و العملية بما حصل لهم من الإذعان، أعملوا ما لهم فى الدعاء إلى الله تعالى من قوة البيان، فبعد أن نزهوه سبحانه عن الشرك عموما خصوا مؤكدين فى قراءة ابن كثير و البصريين و أبى جعفر بالكسر لما تقدم من أن مثل هذه السهولة ١٠ لا تكاد / تصدق، فقالوا عطفا على "انا سمعنا": ﴿ و انه ﴾ أى الشأن /٥٣٨ العظيم[4] قال الجن: ﴿ تعلى ﴾ أى انتهى فى العلو [5]و الارتفاع[5] إلى حد[6] لا يستطاع ﴿ جد ﴾ أى عظمة و سلطان وكمال غنا ﴿ ربنا ﴾ أى الموجد لنا و المحسن إلينا، و إذا كان هـذا التعالى لجده فما بالك به، و كذا حكمت هذه القراءة بقول الجن ما بعد هذا إلا "و أن ١٥ لو استقاموا" و"أن المساجد لله[7]" و"أنه لما قام"، فانه مفتوح فيها عطفا على

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فوجد (٢) زيد فى الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القوانين (٤) زيد فى الأصل: الذى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الحد الذل (٧) سقط من ظ و م .

الموحى به فهو فى محل رفع إلا عند ابى جعفر فانه فتح " و انه تعالى"
[1]و "أنه كان يقول"[1] " و أنه كان رجال" و وافقهم نافع و أبو بكر
عن عاصم فى غير "و انه لما قام" فانهما كسراها و فتح الباقون و هم
ابن عامر و حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم الكل إلا ما صدر
٥ بالفاء[2] على انه معطوف على محل الجار فى "به" أى صدقناه و صدقنا
أنه - لا على لفظه[3] و إلا لزم اعادة الجار عند نحاة البصرة ، و قيل : عطف
على لفظ الضمير فى "به" على المذهب الكوفى الذى نصره ابو حيان
و غير واحد من أهل اللسان .

و لما وصفوه بهذا التعالى الأعظم المستلزم للغنى المطلق و التنزه
١٠ عن كل شائبة نقص، ينوه بنفى ما ينافيه[4] بقولهم إبطالا للباطل :
﴿ ما اتخذ ﴾ عبر بصيغة الافتعال بيانا لموضع النقص لا تقييدا ﴿صاحبة﴾
أى زوجة ﴿و لا ولدا [5]﴾ لأن العادة جارية بأنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة
و تسبيب ، و مثل ذلك لا يكون إلا لمحتاج إلى بضاع أو غيره ، و الحاجة
لا تكون إلا من ضعف و عجز ، و ذلك [ينافى - [6]] الجد ، فالمحتاج
١٥ لا يصح أصلا أن يكون إلها و إن كان بغير تسبيب و مهلة ، فهو عبث
لأن مطلق الاختراع مغن عنه ، فلم يبق إلا العبث الذى ينزه الإله عنه

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل :
تأكيد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لطفه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل :
يبنا فيه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بمعاجلة (٦) زيد من ظ و م .

و الصاحبة لا بد و[1] أن تكون من نوع صاحبها، و من له نوع[2] فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة و صفة مميزة، و الولد لابد و أن يكون جزءا منفصلا عن والده، و من له أجزاء فهو مركب تركيبا حسيا، و من المقطوع به أن ذلك لا يكون إلا لمحتاج، و أن الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسى أو عقلى. ٥

و لما تبين لهم ما هو عليه سبحانه من النزاهة عن كل شائبة نقص، وصفوا من قال بضده صيانة لدينهم و عرضهم بالترفع عن الخسائس و الرذائل بعدم التمادى فى الباطل مقتا للخلق فى ذات الاخلاق مؤكدين لما[3] للسامع فى الغالب من تصديق ما يسمع و المحاجة عنه فقالوا: ﴿ وإنه ﴾ أى و قالوا إن الشأن - هذا على قرءاة الكسر، و آمنا بأنه[4] - على قراءة الفتح ١٠ ﴿ كان يقول ﴾ أى قولا هو فى عراقته[5] فى الكذب بمنزلة الجبلة [6]و الطبع[6] ﴿ سفيهنا ﴾ و هو الجنس فيتناول إبليس رأس الجنس تناولا أوليا، و كل من تبعه ممن لم يعرف[7] الله لأن ثمرة العقل العلم، و ثمرة العلم معرفة الله، فمن لم يعرفه فهو الذى يلازم الطيش / و الغى / ٥٣٩ لأنه لا علم عنده أصلا يحمله على الرزانة[8]، كاذبا متقولا ﴿ على الله ﴾ ١٥

(١) ليست الواو فى ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: انواع (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٤) من ظ وم، و فى الأصل: به (٥) من م، و فى الأصل: غاية العراقة، و فى ظ: مراقبته - كذا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من ظ وم، و فى الأصل: لا يعرف (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الزياه.

أى الذى له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه فى الولد ﴿ شططا ﴾ أى قولا هو فى بعده عن الصواب نفس البعد و مجاوزة الحد .

و لما ذكروا ما هدوا إليه من الحق فى الله و فيمن كان يحملهم على الباطل ، ذكروا عذرهم فى اتباعهم للسفيه و فى وقوعهم [فى - ١]
٥ مواقع التهم ، فقالوا مؤكدين لأن ما كانوا عليه من الكفر جدير بأن يظن انه لا يخفى على أحد لشدة[٢] وضوح بطلانه : ﴿ و انا ﴾ اى معشر المسلمين من الجن ﴿ ظننآ ﴾ أى بما لنا من سلامة الفطر المقتضية لتحسين الظن بشهادة حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عند أحمد[٣] " المؤمن غر كريم و الفاجر خب لئيم " ﴿ ان ﴾ أى أنه ، و زادوا فى
١٠ التأكيد لما مضى فقالوا : ﴿ لن تقول ﴾ و بدأوا بأفضل الجنسين فقالوا : ﴿ الانس ﴾ و أتبعوهم قرناءهم فقالوا : ﴿ و الجن ﴾ أى متخرصين ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى بيده النفع و الضر ﴿ كذبا ﴾ أى قولا هو لعراقته فى مخالفة الواقع نفس الكذب ، و هو فى قراءة [أبى - ١] جعفر بفتح القاف و الواو المشددة المفتوحة مصدر من
١٥ غير اللفظ ، و إنما ظننا ذلك لما[٤] طبع عليه المجبول على الشهوات من تصديق الأشكال لا سيما إذا كان قولهم جازما و عظيما لا يقال مثله إلا بعد تثبت[٥] لا سيما إذا كان على ملك الملوك لا سيما إذا كان القائل كثيرا لا سيما إذا تأيدوا بجنس آخر ، فصاروا لا يحصون

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شدة (٣) راجع المسند ٢/٣٩٤ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تلبث .

نثرة

كثرة، و لا تطيق المقول مخالفة جمع بهذه الصفة إلا بتأييد إلٰهى بقاطع نقلى، و الآية على قراءة أبى جعفر من الاحتباك: فعل التقول أولا دليل على فعل الكذب ثانيا، و مصدر الكذب ثانيا دليل على مصدر التقول أولا، و سره [أن - [1]] التقول دال على التعمد[2] فهو الأخش [3]معنى و الكذب الأخش[3] لفظا، و هذا مرشد إلى أنه لا ينبغى التقليد ٥ فى شيء لأن الثقة بكل أحد عجز، و إنما ينكشف ذلك بالتجربة، و التقليد قد يجر إلى الكفر المهلك[4] هلاكا أبديا، و إليه أرشد النبي صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان[5] عن النعمان بن بشير رضى الله عنه بأن من اتقى الشبهات استبرأ لدينه و عرضه، و [فى - [1]] ذلك غاية الحث على أن الإنسان لا يقدم و لا يحجم فى أصول الدين ١٠ إلا بقاطع.

و لما علم من قولهم أن مستند الضلال ظنون و شبه متى حكت على محك النظر بان فسادها، و أظهر[6] زيفها نقادها، أتبعه شبهة أخرى زادت الفريقين ضلالا بعضهم ببعض للتقيد بالمحسوسات، و الوقوف مع الخيالات الموهومات، فقال حاكيا عنهم تنبيها على عدم الاغترار ١٥ بالمدح و الإطراء / الموجبين للغلط فى النفس و على أنه يجب[7] التثبت /٥٤٠

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: النعمة (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيهلك (٥) صحيح البخارى - كتاب الإيمان و صحيح مسلم - كتاب المساقاة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ظهر (٧) من ظ و م، و الأصل: يجيب.

حتى لا يقع الغلط فى الأسباب المسخرة فيظن أنها مؤثرة فيتجاوز بها الحد عن رتبة الممكنات إلى رتبة الواجب ، مؤكدين لأنه لا يكاد يصدق أن الجن يخاطبهم الإنس فيكارمونهم : ﴿ و انـــه ﴾ أى الشأن ﴿ كان رجال ﴾ أى ذوو قوة و بـأس ﴿ من الانس ﴾ أى النوع
٥ الظاهر فى عالم الجنس[1] ﴿ يعوذون ﴾ أى يلجأون و يعتصمون ـ خوفا على أنفسهم و ما معهم ـ إذا نزلوا واديا ﴿ برجال من الجن ﴾ أى القبيل المستتر عن الأبصار فانـــه كان القوم منهم إذا نزلوا واديا أو غيره من القفر تعبث بهم[2] الجن فى بعض الأحيان لأنه لا مانع لهم[3] منهم من ذكر الله تعالى و لا دين صحيح ، و لا كتاب من الله صريح ، فحملهم
١٠ ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم[4] فكان الرجل يقول عند خوفه : إنى أعوذ بعظيم هذا الوادى من[5] شر سفهاء قومه أو[6] نحو هذا فلا يرى إلا خيرا[7] ، و ربما هدوه إلى الطريق و ردوا عليه ضالته ، فكان[8] ذلك فتنة للانس باعتقادهم فى الجن غير ما هم عليه ، فتبعوهم فى الضلال ، و فتنة الجن بأن يغتروا بأنفسهم و يقولوا سدنا : الجن و الإنس ، فيضلوا
١٥ و يضلوا ، و لذلك سبب عنه قوله : ﴿ فزادوهم ﴾ اى الإنس[9] الجن

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الحس (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منهم (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : له (٤) من ظ ، وفى الأصل وم : بعظائمهم. (٥) زيد فى الأصل : عظيم هذا الوادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٧) زيد فى الأصل : دائما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : وكان (٩) زيدت الواو فى ظ و م.

باستعاذتهم هذه المرتب عليها إعاذتهم، و الجن [1] الإنس بترئيس الإنس لهم و خوفهم منهم ﴿رهقا﴾ أى ضيقا و شدة و غشيانا لما هم فيه من أحوال الضلال التى يلزم منها الضيق و الشدة، و أصل الرهق غشيان بقوة و شدة و قهر، و قال البغوى [2]: و الرهق فى كلام العرب الإثم و غشيان المحارم. كما يتفق لمن يسلك من أهل التصوف على غير أصل ٥ فيرى فى أثناء السير أنوارا و أشياء تعجبه شيطانية فيظنها رحمانية، فيقف عندها و يأنس بها لفساد فى أصل جبلته [3] نشأ عنه [4]، سوء مقصده، فربما كان ذلك سببا لكفره فيزداد هو و أمثاله من الإنس [5] ضلالا و يزداد [5] من أضله من الجن ضلالا [و إضلالا - [6]] و عتوا، و يزداد الفريقان [7] بعدا عن اللجأ إلى الله وحده، و لقد أغنانا [8] الله سبحانه و تعالى بالقرآن ١٠ و الذكر المأخوذ عن خير خلقه بشرطه فى أوقاته عن كل شيء كما أخبر [9] صلى الله عليه و سلم أن من قال عند إتيانه الخلاء «بسم الله اللهم إنى أعوذ بك من الخبث و الخبائث» ستر عن الجن، و أن من قال إذا أتى امرأته «اللهم جنبنى الشيطان و جنب الشيطان ما رزقتنى» فأتاه ولد لم يقدر الشيطان أن يضره، و من أذن أمن تغول الغيلان، و روى ١٥

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) فى المعالم ٧ / ١٣٣ (٣) من م، و فى الأصل وظ: جبلتها (٤) من ظ وم، وفى الأصل: عنها (٥ - ٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) زيد من ظ (٧) من ظ وم، و فى الأصل: الفريقين (٨) من ظ وم، وفى الأصل: اعاذنا (٩) زيد فى الأصل: الله تعالى - مع يسير من البياض، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.

الترمذي[١] و احمد[٢] - قال المنذري : و رواته [رواة - [٣]] الصحيح - عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ما من مسلم يأخذ مضجعه / فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله تعالى به ملكا فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هب . و للطبراني

٥ في الكبير - قال المنذري : و رواته رواة الصحيح إلا المسيب بن واضح ، قال الهيثمي[٤] : و هو ضعيف و قد وثق - عن عبد الله بن بسر[٥] رضي الله عنه قال : خرجت من حمص فآواني الليل إلى البقيعة[٦] لحضرني من أهل الأرض فقرات هذه الآية من الأعراف " ان ربكم الله الذي خلق السماوات و الارض [٧]في ستة ايام ثم استوى على العرش[٧] " إلى

١٠ آخر الآية ، فقال بعضهم [لبعض - [٨]] : احرسوه الآن حتى يصبح ، فلما أصبحت ركبت دابتي . و الأحاديث في هذا كثيرة في آية[٩] الكرسي و غيرها ، و كذا حكايات من اعترضه بعض الجن فلما قرأ ذهب عنه .

و لما كان التقدير : فضل[١٠] كل من الفريقين بالآخر ضلالا بعيدا حتى أبعدوا عن الشرائع النبوية ، و اعتقدوا ما لا يجوز اعتقاده من

١٥ التعطيل و اعتقاد الطبيعة ، فلا يزال الأمر هكذا أرحام تدفع و أرض تبلع و لا رسول يهديهم و لا بعث للارض على بارئهم ، عطف عليه[١١]

---

(١) راجع الجامع ٢ / ١٧٧ (٢) راجع المسند ٤ / ١٢٥ (٣) زيد من ظ و م .
(٤) في مجمع الزوائد ٧/٢٤ (٥) من م و المجمع ، و في الأصل : بشير ، وفي ظ : بشر (٦) من ظ و م و المجمع ، و في الأصل : النفعة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) زيد من المجمع (٩) من ظ و م ، و في الأصل : آخر سورة (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : فقيل (١١) من ظ و م ، و في الأصل : عليهم .

قولهم مؤكدين فى قراءة الكسر إشارة إلى [ظهور -[1]] دلائل البعث، و أنه لا يكاد يصدق أن أحدا يكذب به منبها على أن الأهواء و الأغاليط قد يتطابق[2] عليها الجم الغفير. حثا للمهتدى على أن لا يستوحش فى طريق الهدى لقلة السالكين، و لا يغتر بطرق[3] الردى لكثرة الهالكين: ﴿ و انهم ﴾ اى الإنس إن كانوا يخاطبون[4] الجن، و الجن إن كانوا ٥ يخاطبون الإنس ﴿ ظنوا ﴾ أى الجن أو[5] الإنس ظنا ليسوا فيه على ثلج و الظن قد يصيب، و قد يخطىء و هو أكثر ﴿ كما ظننتم ﴾ أى أيها الجن أو[5] الإنس، و المعنى فى قراءة الفتح: و أوحى إلىّ أن الإنس أو الجن ظنوا، و سدوا[6] عن مفعولى "ظن" بقولهم: ﴿ ان ﴾ أى أن الشأن العظيم ﴿ لن ﴾ أكد للدلالة على شدة إنكارهم لذلك ﴿ يبعث ﴾ و أشاروا ١٠ إلى[7] خطأ هذا الظن بالتعبير بالجلالة فقالوا: ﴿ الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة علما و قدرة ﴿ احدا لا ﴾ أى بعد موته لما لبس [به -[1]] عليهم إبليس حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن، أو أحدا من الرسل[8] يزيل [به -[1]] عماية الجهل و ما عليه الإنس [9]من استغواء[9] الجن لهم و غير ذلك من الضلال، و قد ظهر بالقران ان هذا الظن كاذب و أنه لابد من

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تطابقت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بطريق (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يخاطون (٥) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٦) فى ظ و م: سد (٧) زيد فى الأصل: شدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: لمن سبقوا

البعث فى الأمرين لأنه حكمة الملك و خاصة الملك .

و لما كان عدم البعث من خلل فى القدرة، شرعوا فى إثبات تمام القدرة على وجه[1] دال على صحة القرآن و حراسته من الجان، لئلا يظن أنـــه من نحو ما للكهان، فقالوا مؤكدين فى قراءة الكسر لاستبعاد

٥ الوصول إلى السماء حثا على طلب المهمات و إن بعد مكانها: ﴿ و انا ﴾ و لما كان يعبر عن الإمعان فى التفتيش بالالتماس، و كان تجريد الفعل أعظم فى ذلك للدلالة على / الخفة و عدم الكلفة قال: ﴿ لمسنا السمآء ﴾ /٥٤٢ أى الدنيا التمسنا أخبارها على ما كان من عادتنا لاستماع ما يغوى به الإنسان التماسا هو كالحس باللس باليـــد ﴿ فوجدنها ﴾ من جميع

١٠ نواحيها و هو من الوجدان ﴿ ملئت ﴾ أى ملأ هو فى غاية السهولة و الخفة على فاعله ﴿ حرسا ﴾ أى حراسا اسم جمع، فهو مفرد اللفظ، و لذلك وصف بقوله: ﴿ شديدا ﴾ أى بالملائكة ﴿ و شهبا لا ﴾ جمع شهاب و هو المتوقد من النار. فعلت هممهم حتى طلبوا المهمات الدنيوية و الشهوات النفسانية من مسيرة[2] خمسمائة سنة صعودا، فأف لمن يكسل

١٥ عن[3] مهمات الدين المحققة من مسيرة ساعة أو دونها، و أن يقعد فى مجالس العلم ساعة أو دونها، و التعبير بالملأ يدل عـــلى أنها كانت [قبل ذلك -[4]] تحرس لكن لا على [هذا -[4]] الوجه فقيل: إنها

---

(١) زيد فى الأصل: بات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مسير (٣) زيد فى ظ: طلب (٤) زيد من ظ و م.

حرست لنزول التوراة ثم اشتد الحرس للانجيل ثم ملئت لنزول القرآن فنعوا من الاستماع أصلا إلا ما يصدق القرآن إرهاصا للنبوة العظمى الخاتمة لئلا يحصل بهم[1] نوع لبس .

و لما أخبروا عن حالها إذ ذاك لأنه الأهم عندهم ، أخبروا عن حالها قبل ، فقالوا مؤكدين لما للانس [من التكذيب -[2]] بوصول ٥ أحد إلى السماء : ﴿ و انا كنا ﴾ اى فيما مضى ﴿ نقعد منها ﴾ أى السماء ﴿ مقاعد ﴾ أى كثيرة قد علمناها لا حرس فيها فهى صالحة ﴿ للسمع ﴾ أى لأن نسمع[3] منها بعض ما تتكلم به الملائكة بما أمروا بتدبيره ، و قد جاء فى الخبر أن صفة قعودهم هى أن يكون الواحد منهم فوق الآخر حتى يصلوا إلى السماء ، قال أبو حيان[4] : فتى احترق الأعلى كان ١٠ الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون[5] الكلمة فيلقونها إلى الكهان فيزيدون معها الكذب .

و لما كان التقدير : فنستمع منها [فنسمع -[2]] ما يقدر لنا من غير مانع ، عطف عليه قوله : ﴿ فمن يستمع ﴾ اى يجتهد فى الوصول إلى السمع ﴿ الآن ﴾ أى فى هذا الوقت فيما يستقبل كأنهم قسموا الزمان ١٥ إلى [ما] كان من إطلاق الاستماع لهم و إلى ما صار إليه الحال من الحراسة ، و أطلقوا « الآن » على الثانى كله ، لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يسمع (٤) فى البحر المحيط ٨ / ٣٤٩ (٥) من ظ و م و البحر ، و فى الأصل : يستمعون .

أو ارادوه لأنهم لا يعلمون ما بعده فيجوزون[1] ان يكون الحال فيه على غير ذلك ﴿ يجد له ﴾ أى لأجله ﴿ شهابا ﴾ أى شعلة من نار[2] ساطعة محرقة .

و لما كان الشهاب فى معنى الجمع لأن المراد أن كل موضع منها[3]
٥ كذلك ، وصفه باسم الجمع فقال : ﴿ رصدا ﴾ أى يرصده الرامون به من غير غفلة ، و يجوز أن يكون مصدرا على المبالغة كرجل عدل ، و الرصد الترقب لأنه لما كان لا تأخر[4] عن رميه[4] عند الدنو من السماء كان كأنه هو الراصد[5] له ، المراقب[6] لأمره ، الملاحظ الذى لا فتور عنده / [و - [7]] لا غفلة بوجه بل هو الرصد و هو المعنى بنفسه ، فتى /٥٤٣
١٠ تسنم للاستماع رمى به فيمنعه[8] من الاستماع و إن أدركه أحرقه[9] ، و أما السمع فقد امتنع[10] لقوله تعالى « و انهم عن السمع لمعزولون » .

و لما أخبروا عن إيمانهم أنه كان عقب سماعهم من غير توقف ، ثم ذكروا منعهم من الاستراق ، ذكروا أنه اشتبه عليهم المنع فلم يعلموا سره دلالة على أن جهل بعض المسائل [الفرعية - [7]] لا يقدح[11] ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : فيجوز (٢) من ظ و م وفى الأصل : النار .
(٣) من ظ وم ، و فى الأصل : فيها (٤-٤) من ظ وم ، وفى الأصل : الرمية .
(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : الرصد (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : المترقب .
(٧) زيد من ظ وم (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : فمنعه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : احقه (١٠) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم (١١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و ندبا

وندبا إلى رفع الهمة عن الخوض فى شىء بغير علم، و حثا على التفويض إلى علام الغيوب، فبينوا الذى حملهم عـلى ضرب مشارق الأرض و مغاربها حتى وجدوا النبى صلى الله عليه و سلم يقرأ القرآن، فقالوا مؤكدين لأن العرب كانوا ينسبونهم إلى علم المغيبات و[1] حل المشكلات: ﴿ و انا لا ندرى ﴾ أى بوجه من الوجوه و إن دافعنا و اجتهدنا ٥ ﴿ اشر[2] ﴾ و لما كان المحذور نفس الإرادة الماضية [لا كونها من معروف مع أن الفاعل معروف، و هو الفاعل المختار الذى له الإرادة الماضية - [3]] النافذة، بنوا للفعول قولهم: ﴿ اريد ﴾ معلمين للأدب فى أن الشر يتحاشى من إسناده إليه سبحانه حيث لا إشكال فى معرفة أنه لا يكون شىء إلا به ﴿ بمن فى الارض ﴾ أى بهذه الحراسة فينشأ ١٠ عنها الغى ﴿ام اراد بهم ربهم﴾ أى المحسن إليهم المدبر لهم، بنوه للفاعل فى جانب الخير إعلاما مع تعليم الآدب بأن رحمته سبقت غضبه، و إشارة إلى أنه قد يكون أراد بهذا المنع الخير ﴿ رشدا ﴾ أى سدادا[4] فينشأ عنه الخير[5]، فالآية من الاحتباك: ذكر الشر اولا دليلا على الخير ثانيا، و الرشد ثانيا دليلا على الغى أولا. ١٥

و لما أخبر سبحانه [بسهولة - [3]] إيمانهم، فكان ربما ظن أن ذلك ما كان إلا لأن شأنهم اللين، أتبعه ما يعلم أن ذلك خارقة لأجله

---

(١) زيد فى الأصل: علم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) وقع فى الأصل قبل «أريد» و الترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: سداد (٥) زيد فى الاصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

صلى الله عليه و سلم كانت ، [و - [1]] لإعظامه و إكرامه [2] وجدت ، فقال حكاية عنهم مؤكدين لأن الكلام السابق ظاهر فى سلامة طباع الكل: ﴿ و انا منا ﴾ أى أيها الجن ﴿ الصّٰلحون ﴾ أى العريقون فى صفة الصلاح التى هى مهيئة لقبول كل خير .

٥ و لما كان غير الصالح [3] قد يكون فاسدا بأن يكون مباشرا للفساد قاصدا له و قد يكون غير مباشر له ، قالوا متفطنين [4] لمراتب العلوم و الأعمال المقربة و المبعدة : ﴿ و منا ﴾ و بنى الظرف المبتدأ به لإضافته إلى مبنى فقيل: ﴿ دون ﴾ أى قوم فى أدنى رتبة [من - [1]] ﴿ ذلكَ ﴾ أى هذا الوصف الشريف العالى .

١٠ و لما كان من دون الصالح ذا أنواع [5] كثيرة بحسب قابليته للفساد أو الصلاح و تهيؤه له أو بعده عنه ، حسن بيان ذلك بقولهم [6] : ﴿ كنا ﴾ اى كونا هو كالجبلة ﴿ طرآئق ﴾ أى ذوى طرق [7] أى مذاهب و وجوه كثيرة ، و أطلقوا الطرق على أصحابها إشارة إلى شدة تلبسهم بها .

١٥ و لما كان الانفصال قد يكون بأدنى شىء ، بين أنه على اعلى /544/ الوجوه فأطلق عليهم نفس المنقطع و وصفهم به فقال : ﴿ قددا ۙ ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لاكرامه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الصلاح (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : متفنطين (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الآنواع (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : قولهم (٧) زيد فى الأصل : متعددة و طريق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها

فرقا متفرقة أهواؤها، جمع قدة و هي الفرقة من الناس هواها على غير هواهم[1]، من القد [و - [2]] هو القطع الموجب للتفرق العظيم مثل السيور التي تقطع من الجلد و تقد منه بحيث تصير [كل فرقة - [2]] على حدتها، قال الحسن و السدي[3]: كافرين و مسلمين و رافضة و معتزلة [و - [2]] مرجية و غير ذلك مثل فرق الإنس. ٥

و لما دلوا على قهرهم عما كانوا يقدرون عليه من [أمر - [2]] السماء بما ذكروا، و على قهر مفسديهم بهذا القرآن عن كثير مما كانوا يفعلونه بأهل الأرض، فقهروا بهذا القرآن [4] العظيم الشأن[4] في الحقيقة عن الخافقين فنعا منهم و حفظا بــه، و دلوا على أنهم موضع القهر بالتفرق، كان ذلك موجبا للعلم بشمول قدرته تعالى حتى لا يدركه ١٠ طالب، و لا ينجو منه هارب، لما أبدى لهم من شؤن عظمته و قهره في الحراسة و غيرها، فذكر سبحانه ما أثر ذلك عندهم من الاعتراف و الإذعان للواحد القهار، فقال حاكيا عنهم ذلك ندبا إلى الاقتداء بهم في معرفه النفس بالعز و الذل و الضعف بالتفرق[5] و الانقسام، و معرفة الرب سبحانه بالقدرة الكاملة و السلطان و العظمة بالتفرد[6] التام الذى ١٥ لا يقبل المماثلة و لا القسمة: ﴿ و انا ﴾ أكدوا لظن الإنس في قوتهم غير ما هو لها ﴿ ظننآ ﴾ أطلقوا الظن على العلم إشارة إلى أن العاقل ينبغى له أن يجتنب ما يخيله ضارا و لو بأدنى أنواع الحيل فكيف[7] إذا تيقن

(١) من ظ و م، و في الأصل: هواها (٢) زيد من ظ م (٣) راجع معالم التنزيل ٧/١٣٣ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) في ظ و م: بالتفرقة (٦) من ظ و م، و في الأصل: و التفرد (٧) من ظ و م، و في الأصل: و كذا.

﴿ ان ﴾ أى أن الشأن العظيم ، و زادوا فى التاكيد لما تقدم فقالوا : ﴿ لن نعجز الله ﴾ أى أن[1] نقاومه إن أراد بنا سوءا لما له من الإحاطة بكل شيء علما و قدرة لأنه واحد لا مثل له ، و دلوا على وجه [الضعف - [2]] بقولهم : ﴿ فى الارض ﴾ أى كائنين فيها مقيمين و هى
٥ جهة السفل الملزومة للقهر ، و ذلك أقصى جهدنا فأين نحن من سعة ملكه الذى هو فى قبضته ﴿ و لن نعجزه ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ هربا ﴾ أى ذوى هرب او من جهة الهرب ، أى هربنا من الأرض إلى غيرها فان السماء منعت منا و ليس لنا مضطرب إلا فى قبضته، فأين[3] أم إلى أين المهرب ، و قد منعوا بذلك وجهى النجاة باللقاء و النصر[4] و الهرب عند القهر .
١٠ و لما كان الظان قد يبادر إلى العمل[5] بموجب ظنه وقد لا ، بينوا[6] أن مرادهم به العلم ، و أنهم بادروا إلى العمل بما دعا إليه ، فقالوا مؤكدين لما للجن من الإباء و العسر : ﴿ و انا لما سمعنا ﴾ أى من النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ الهدى ﴾ أى القرآن الذى له[7] من العراقة التامة[8] فى صفة البيان و الدعاء إلى الخير ما سوغ أن يطلق عليه نفس الهدى :
١٥ ﴿ اٰمنا به ﴾ أى من غير وقفة أصلا / عملا بما له من هذا الوصف العظيم . /٥٤٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لن (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : المفر ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الضرب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العلم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يثبتوا (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : هو (٨) من ظ وم، وفى الاصل : الثابتة .

و لما

و لما كان التقدير: فآمنا بسبب إيماننا الذى قادنا إليه حفظ السماء
من الإيقاع بنا لتمام قدرته علينا الذى هدانا إليـــه منعنا من الاستماع
بالحراسة، سببوا عن ذلك قولهم معترفين بالعجز عن مقاومة التهديد[١]
من الملك طالبين التحصن بتحصينه و الاعتصام بحبله: ﴿فمن يؤمن﴾
أى يوجد حقيقة الإيمان و يستمر على تجديدها كل لحظة. و لما فهموا ٥
أن دعاءه إليه و بيانه للطريق مع قدرته التامة إنما هو من عموم لطفه
و رحمته، ذكروا وصف الإحسان[٢] لزيادة الترغيب فقالوا: ﴿بربه﴾
أى المحسن إليه منا و من غيرنا.

و لما كان المؤمن هو المختص من بين[٣] الخلق بالنجاة، أدخل الفاء
على الجواب و رفعه على تقدير مبتدأ دلالة على ذلك و على أن نجاتهم ١٠
ما لابد منه فقال: ﴿فلا﴾ أى فهو خاصة [لا -[٤]] ﴿يخاف﴾
أصلا ﴿بخسا﴾ أى نقصا و قلة و خبثا و نكدا فى الثواب و الإكرام
بوجه من الوجوه ﴿ولا رهقا ۝﴾ أى مكروها يلحقه[٥] فيقهره لأنه لم يفعل
مع أحد شيئا من ذلك ليجازى عليه، فهذا حث للمؤمن على اجتناب
ذلك لئلا يجازى به، و قد[٦] هدى السياق إلى تقدير:[٧]و من[٧] يشرك به ١٥
فلا، يأمن محقا و لا صعقا[٨].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التقدير (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بيان (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: فيقره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) وقع فى الأصل فقط بياض قدر ثلاث كلمات (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: فمن (٨) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما كان هذا ظاهرا فى انهم أسلموا كلهم ، قالوا نافين لهذا الظاهر مؤكدين لأن إسلامهم [مع - [1]] [2]شديد نفرتهم [2] لا يكاد يصدق : ﴿ و انا منا ﴾ اى أيها الجن ﴿ المسلمون ﴾ أى المخلصون فى صفة الإسلام للهادى فأسلموه قيادهم فهم عريقون فى ذلك مقسطون

٥ مستقيمون، فلا يفارقون الدليل فهم على الصراط السوى العدل الرضى، و منا الجافون الكافرون ﴿ و منا [3] القسطون [4] ﴾ و هم الجائرون عن المنهج [4] الأقوم الساقطون فى المهامه [5] المجاهل التى ليس بها [6] معلم ، فهم بربهم كافرون، و منا المقسطون [7] ، يقال: قسط - إذا جار جورا ، أسقطه عن رتبة الإنسان إلى [8] رتبة أدنى [8] الحيوان ، و أقسط - إذا أزال

١٠ الجور فعدل ، فالآية [9] من الاحتباك : " المسلمون " يدل على الكافرين ، و " القاسطون " يدل على المقسطين .

و لما كانوا قد علموا مما [10] سمعوا من القرآن أنه لابد من البعث للجزاء ، سببوا عن هذه القسمة قولهم : ﴿ فمن اسلم ﴾ اى أوقع الإسلام كله بأن أسلم ظاهره و باطنه للدليل من الجن و [من - [1]] غيرهم .

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : تشديد مضرتهم . (٣) زيد فى الأصل : ايضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المنتهج (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المهامة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : القاسطون (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ادنى رتبة (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : والآية (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ما .

و لما كان فى مقام الترغيب فى الحق، ربط بفعلهم ذلك [1]تسبيبا عنه[1] قوله مدحا لهم: ﴿ فاولـٓئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿ تحروا ﴾ أى توخوا[2] و قصدوا مجتهدين ﴿ رشداه﴾ أى صوابا عظيما و سدادا، [3]كان - لما[3] عندهم من النقائص - شاردا عنهم[4] فعالجوا أنفسهم حتى ملكوه لجعلوه لهم منزلا، من قولهم: الحرا - بالقصر /: أخوص القطاة يأوى ٥ / ٥٤٦ إليه الظبى، و الناحية و الموضع، و ما أحراه بكذا: ما أوجبه له، وبالحرا أن يكون كذا أى خليق كونه، و فلان حرى بكذا أى خليق، و قد يجئ بالحر - من غير ياء، يراد به بالجهد، و تحريت الشيء: قصدت ناحيته. فكان لهم ذلك إلى الجنة سببا، و من قسط فأولئك ضلوا [فنالوا - [5]] غيا و شططا[6].

١

و لما عرفوا بالأمن الاعتصام بطاعة الله، نبهوا على خطر التعرض لبطشه فقالوا: ﴿و اما القسطون﴾ أى العريقون [7]فى صفة[7] الجور عن الصواب من الجن و غيرهم فأولئك أهملوا أنفسهم فلم يتحروا لها فضلوا فأبعدوا[8] عن المنهج فوقعوا فى المهالك التى لا منجى منها: ﴿فكانوا﴾ بجبلاتهم ﴿ لجهنم﴾ اى النار البعيدة القعر التى تلقاهم بالتجهم و الكراهة ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: تسبيباعنهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تواخوا (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ولما كان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عندهم (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: بصفة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: و ابعدوا.

و العبوسة ﴿ حطباً ﴾ توقد بهم النار فهى فى اتقاد ما داموا أحياء، و هم أحياء ما دامت تتقد لا يموتون فيستريحون و لا يحيون فينتعشون[1]، فالآية من الاحتباك، و هو منطوق لما أوجبه من السياق لا مفهوم: ذَكر التحرى أولا دليلا على تركه ثانيا، وذكر جهنم ثانيا دليلا على حذف الجنة
٥ أولا، و سر ذلك أنهم فى مقام الترهيب فذكروا ما يحذر، و طووا ما يحب العلم به لأن الله تعالى لا يضيع لأحد أجرا بل لا يقتصر[2] على ما يقابل الحسنة فى العرف بل لابد أن يزيد عليها تسعة اضعافها و عنده المزيد[3] و لا حول و لا قوة لنا إلا به سبحانه و تعالى[3].

و لما رغب و رهب سبحانه على ألسنة الجن بما هداهم له و نور
١٠ قلوبهم به، و كانت الآية السالفة آخر ما حكى عنهم، و كان التقدير: أوحى إلىّ أن القاسطين من قومى و غيرهم لو آمنوا فعل بهم من الخير[4] ما فعل بمؤمنى الجن حين آمنوا، فأغناهم الله فى الدنيا بحلاله عن حرامه من غير كلفة فكسا لهم كل عظم لقوه لحما أوفر ما كان، و أعاد لهم كل روث[5] رأوه أحسن ما كان ببركة هذا النبى الكريم عليه أفضل
١٥ الصلاة و أتم[6] التسليم ﴿ و ان ﴾ أى و أوحى إلىّ أن[7] الشأن العظيم

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فينشتعون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يقتص (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ورث. (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

﴿ لوا ستقاموا ﴾ اى[1] طلب القاسطون من الخلق كلهم الجن و الإنس القوم و اوجدوه ، كائنين ﴿ على الطريقة ﴾ [أى - [2]] التى لا طريقة غيرها [3]و هى[3] التى فهمها الجن من القرآن من [4]الإسلام و الإقساط[4] المؤدية إلى الفلاح فى الدارين .

و لما كان [الماء - [5]] أصل كل خير كما قال تعالى فى قصة ٥ نوح عليه الصلاة و السلام « يرسل السماء عليكم مدرارا » وكان منه كل شيء حيّ و كان عزيزا عند العرب ، قال معظما له بالالتفات[6] إلى مظهر العظمة : ﴿ لاسقينٰهم ﴾ أى جعلنا لهم بما عندنا من العظمة ﴿ ماء غدقا ﴾ اى كثيرا عظيما عظيم النفع [7]نكثر به[7] الرزق و نزين به الأرض و نرغد به العيش . ١٠

و لما كانت نعمه فضلا منه و ليست مستحقة عليه بعبادة و لا غيرها ، قال تعالى معرفا / أن غايتها استحقاق الثواب أو العقاب على /٥٤٧ ما كتبه على نفسه سبحانه و لا[8] يبدل القول لديه[9] و أن جميع ما يعامل به عباده سبحانه و تعالى من نفع و ضر إنما هو فتنة لهم يستخرج ما جبلوا عليه من حسن أو قبيح : ﴿ لنفتنهم ﴾ أى نعاملهم معاملة المختبر ١٥

---

(١) زيد فى الأصل : لو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ وم (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فهى (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاقساط والاسلام (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالالتفاء (٧ - ٧) من ظ وم ، و فى الأصل ، بكثرته (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : ما (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لدى .

بما لنا من العظمة ﴿ فيه ﴾ أى فى ذلك الماء الذى تكون عنه انواع النعم لينكشف حال الشاكر و الكافر[1]، قال الرازى : و هـذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين[2] - انتهى . و قال غيره : قال عمر رضى الله تعالى عنه : أينما كان الماء كان المال، و أينما كان المال كانت الفتنة .

٥ و قال الحسن و غيره : كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى و قيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه - يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه . و يجوز أن يكون مستعارا للعلم وأنواع المعارف الناشئة عن العبادات التى هى للنفوس كالنفوس للابدان و[3] تكون الفتنة بمعنى التخليص[4] من الهموم[4] الرذائل فى الدنيا و النقم فى الآخرة ، من فتنت

١٠ الذهب[5] - إذا خلصته[6] من غشه[7] .

و لما كان التقدير : فمن يقبل على ذكر ربه ننعمه[8] فى دار السلام[9] أبدا ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يعرض ﴾ أى إعراضا مستمرا إلى الموت ﴿ عن ذكر ربه ﴾ أى مجاوزا عن عبادة المحسن إليه المربى له الذى لا إحسان عنده من غيره ﴿ نسلكه[10] ﴾ أى ندخله ﴿ عذابا ﴾

١٥ يكون مطرفا[11] له كالخيط يكون[12] فى ثقب الخرزة فى غاية الضيق

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) راجع أيضا قول مقاتل فى المعالم ٧/١٣٤ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعموم (٥) فى ظ : فتنة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : خلصت (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عيشة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لنعمة (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسلام (١٠) و قراءة حفص عن عاصم بالياء (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : طرفا (١٢) سقط من ظ و م .

﴿صعداً﴾ اى شاقا شديدا يعلوه و يغلبه و يصعد عليه، و يكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء وفاقا، فان الإعراض كلما تمادى زمانه كان أقوى مما كان.

و لما كان التقدير: لأنه أوحى إلىّ ان الأمر على ما تتعارفونه بينكم من أن من خدم غير سيده عذبه أبدا، عطف عليه قوله مبينا ٥ لسيرة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و ما يجب لهم من الكمال الذى يكون بقوتى[1] العلم و العمل، و التكميل الذى يكون بهما مع قوة البيان، و من لم يكن كاملا لم يتصور منه تكميل ليكون له ولد قلب كما أن من لم [يكن -[2]] بالغا لم يتحقق منه ولد صلب، و مبينا لما يجوز عليهم و ما يستحيل منهم و ما لله تعالى من العناية بشأنهم: ﴿و ان﴾ ١٠ أى و أوحى إلىّ أن ﴿المسجد﴾ أى مواضع[3] السجود من العالم الآفاق من الأرض و من العالم النفسى من الجسد - كما قاله سعيد بن جبير و طلق بن حبيب ﴿لله﴾ اى مختصة[4] بالملك الأعظم ﴿فلا تدعوا﴾ أى بسبب ذلك أيها المخلوقون على وجه العادة ﴿مع الله﴾ [أى -[2]] الذى له جميع العظمة ﴿احداً﴾[5] لأن من تعبد لغير سيده فى ملك ١٥ سيده الذى [هو -[2]] العالم الآفاق و بآلة سيده الذى هو العالم النفسى كان أشد الناس لوما و عقوبة فكيف يليق بكم أن يخلق لكم وجها

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بقوة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: موضع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مخصصة (٥) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

٥٤٨/ و يدين/ و رجلين و أرضا تنتفعون بها و سماء تتم نفعها فتسجدون بالأعضاء التى أوجدها لكم فى الأرض التى أمكنكم من الانتفاع بها تحت السماء التى أتم منافعها بها لغيره فتكونون قد صرفتم نعمة السيد التى يجب شكره عليها لغيره أيفعل هذا عاقل؟ قال البغوى[1]: فان ٥ جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها بكسر الجيم، و إن جعلتها الأعضاء فواحدها بفتح الجيم.

و لما كان من يدعو سيده و ينقطع إليه عاملا للواجب عليه اللائق بأمثاله لا ينكر عليه و لا يعجب منه[2]، إنما يعجب ممن دعا غير سيده أو مال إليه ادنى ميل فيسأل عن سببه. قال معجبا من القاسطين من ١٠ الجن و الإنس: ﴿ وَ انه ﴾ أى و أوحى إلىّ او قال الجن لمن أطاعهم من قومهم حاكين ما رأوا من صلاته صلى الله عليه و سلم و ازدحام أصحابه عليه متعجبين من ذلك أن الشأن او[3] القصة العظيمة العجيبة ﴿ لما ﴾ قمت كادوا يكونون علىّ - هكذا كان الأصل، لكنه عبر بالعبد كما تقدم من أن من دعا [4]سيده و لو كان ذلك السيد أحقر الموجودات ١٥ لا يفعل به ذلك، فكيف إذا كان[4] سيده مالك الملك[5] و ملك الملوك ﴿ قام عبد الله ﴾ اى عبد الملك الأعلى الذى له الجلال كله و الجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود من فائض فضله ﴿ يدعوه ﴾ أى

---

(١) فى المعالم ٧/ ١٣٤ (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من ظ، وفى الأصل وم «و». (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المالك.

يدعو[1] سيده دعاء عبادة من [حيث -[2]] كونـه عبده و من حيث كون[3] سيده يسمع من دعاه و يجيبه .

و لما كان القاسطون أكثر الناس [بـل الناس -[2]] كلهم فى ذلك الزمان جنا و إنسا ، قال مبينا لأنه[4] يجوز على الأنبياء أن يؤذوا و ينتقصوا رفعا لدرجاتهم و تسلية لوراثهم و إن كانت رتبتهم تأبى ٥ ذلك : ﴿ كادوا ﴾ أى قرب القاسطون من الفريقين الجن و الإنس ﴿ يكونون عليه ﴾ أى على عبد الله ﴿لبدا﴾ أى متراكمين بعضهم على بعض من شدة ازدحامهم حتى كان ذلك جبلة لهم تعجبا مما رأوا منه من عبادته و إرادة لرده عن ذلك ، و ذلك أمر لا يعجب منه ، و إنما العجب ما [5]فعلوا هم[5] من عبادتهم لغيره سبحانه و تعالى و من تعجبهم ١٠ من عبادة عبده له و إخلاصه فى دعائه ، و هو جمع لبد - بكسر اللام . و قرئ بضم اللام جمع لبدة بضمها ، و هى [ما -[2]] تلبد بعضه[6] على بعض .

و لما استشرفت[7] - على قراءة الكسر - نفس السامع إلى قوله صلى الله عليه و سلم لمن تراكموا عليه من ذلك ، استأنف[8] الجواب بقوله مبينا لما يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة و السلام من دعاء ١٥ غير الله و من ترك الدعاء إليـه و من مخالفـة شىء من أمره قال ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : سيدعو (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كونه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فعلوه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بعضها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : استرقت (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : استانفوا .

أو[1] لما تاقت نفسه صلى الله عليه و سلم على قراءة الفتح إلى ما يدفع به ما رأى منهم، قال تعالى مرشدا له إلى ذلك: ﴿ قل ﴾ أى لمن ازدحم /عليك عادا لهم عداد الجاهلين بما تصنع لأنهم عملوا عمل الجاهل: ﴿ انمآ ادعو ﴾ أى دعاء العبادة ﴿ ربى ﴾ أى الذى أوجدنى و ربانى ٥ و لا نعمة عندى إلا منه وحده، لا أدعو غيره حتى تعجبوا منى فتزدحموا علىّ، و الظاهر المتبادر إلى الفهم أن المعنى: و أوحى إلىّ [أى - [2]] لما قمت [فى الصلاة - [2]] أعبد الله فى بطن نخلة و رآنى الجن الذين وجههم إبليس نحو تهامة [و- [3]] سمعوا القرآن ازدحموا علىّ حتى كادوا يغشوننى و يكون بعضهم على بعض فسمعوا توحيدى لله و تمجيدى له ١٠ و إفراده [4] بالقدرة و العلم [4] و جميع صفات الكمال آمنوا، و قيل: هو حكاية الجن لقومهم [5] عن صلاة النبى صلى الله عليه و سلم و فعل أصحابه وراءه [6] فى تراصهم فى صلاتهم و حفوفهم به و وعظه و تعليمه لهم، و يحكى هذا القول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما و سعيد ابن جبير [7] فان ذلك هيئة غريبة، يحكى ان ملك الفرس ارسل من دخل ١٥ فى [8] المسلمين لما قصدوا بلاده فكان مما حكى له عنهم أن قال: إذا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م. (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالعلم و القدرة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لقولهم (٦) من ظ و م، وفى الأصل: وراهم (٧) زيد فى الأصل: أيضا رضى الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الى.

صلوا[١] صفوا انفسهم[٢] صفوفا و يقدمهم رجل يقومون بقيامه و يسجدون بسجوده و يقعدون بقعوده و يفعلون كفعله، لا تخالف بينهم، فلما سمع الملك ذلك راعه و قال: ما لى و لهؤلاء، ما لى و لعمر، و نقل أبو حيان[٣] عن مكحول أنه بلغ من تابع النبى صلى الله عليه و سلم ليلة الجن سبعين ألفا و فرغوا عند[٤] انشقاق الفجر. ٥

و لما كان الداعى لولى نعمته يمكن أن يكون اشرك غيره فى دعائه و لو بأدنى وجوه الإشراك، و يكون الحصر باعتبار الأغلب فاستحق الإنكار [عليه -[٥]] و الازدحام، نفى ذلك بقوله تأكيدا لمعنى الحصر و تحقيقا له: ﴿ و لآ اشرك بهٓ ﴾ اى الآن و لا [فى -[٥]] مستقبل الزمان بوجه من الوجوه ﴿ احدًا ﴾ من ود ١٠ و سواع و يغوث و غيرها من الصامت و الناطق.

و لما كان السامع ربما قال: ما له هو[٦] لا يهلكهم او[٧] يدعو ربه فى دفع المتلبدين عليه عنه بالإهلاك أو[٧] التوبة و المتابعة، امره بما يبين عظمة ربه و أنه لا يفعل إلا ما يريد بقوله مبينا أنه يستحيل عليه[٨] صلى الله عليه و سلم ما[٩] يستحيل على جميع الممكنات من أن يؤثر فى ١٥ شىء بنفسه أو يخالف ربه: ﴿ قل ﴾ اى لهؤلاء الذين خالفوك، و ا لد

---

(١) من ظ وم وفى الأصل: صليتم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: نفسكم (٣) راجع البحر المحيط: الأحقاف (٤) من ظ وم والبحر. و فى الاصل: عن (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم، وفى الأصل: مولا (٧) من ظ وم، وفى الأصل: «و» (٨) من ظ وم، و فى الأصل: فى حقه (٩) من ظ وم، وفى الأصل: بما.

فطا لمن ربما اعتقد - لكثرة ما يرى من الكرامات - انه مهما اراده فعله الله [له -[1]]: ﴿انى لآ املك﴾ أى الآن ولا بعد ﴿لكم﴾ بنفسى من غير إقدار[2] الله لى لأنه لا مؤثر [2] فى شيء[3] من الأشياء إلا الله سبحانه و تعالى .

و لما كان المقام لدفع شرهم عنه، قال: ﴿ ضرا ﴾ فأفهم ذلك

٥ « و لا نفعا و لا غيا » ﴿ و لا رشدا ﴾ أى صوابا و سدادا . فالآية من الاحتباك و هو ظاهر على هذا التقدير ، قال ابو حيان[4] : لحذف من كل ما يدل[5] مقابله عليه - انتهى . و يجوز أن يكون تقديره: لا أملك ضرا لأنى لاأملك لكم إضلالا و لا أملك لكم[6] رشدا فلا املك لكم نفعا، فانه لا نفع فى غير الرشاد، و لا ضر فى غير الضلال، فقبح الله

١٠ ابن عربى الطائى الذى يقول فى فصوصه : إن الضلال أهدى من الهدى ، فلا أسخف[7] عقلا منه إلا من تبعه - عليهم [8] لعنة الله و خزيه[8]، فان قالوا: إنه أراد غير ما يفهم من ظاهر اللفظ فقل: كذبتم فقد بين مراده إطباقكم على الفسق و الفجور لا يكاد يجد منكم من يتهم بمذهبه و هو يتقيد[9] بشرع، و لم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك، فان

١٥ ذكر الضر أولا دل على حذف النفع ثانيا ، و ذكر الرشد ثانيا دل على حذف الضلال أولا .

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : انذار(٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : لشيء (٤) راجع البحر ٨/٣٥٣ (٥) زيد فى الأصل: على ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم والبحر فحذفناها (٦) سقط من م (٧) من ظ وم، وفى الأصل: استخف (٨-٨) فى ظ : رحمة الله ومغفرته (٩) من ظ وم ، وفى الأصل :يتقلد.

و لما اجاب من تشوف [1] إلى علة صبره عن دفعهم [2] عنه بما حاصله أنه لا شيء بيده، لأن إلهه من العظمة فى إحاطة [العلم - [3]] و القدرة و أنه لا يخرج شيء عن مراده فلا يعجل فى شيء بحيث لا يفعل إلا ما يريد سواء سئل أو لا، فكان ذلك ربما اوجب أن أن يظن منه صلى الله عليه و سلم موافقته لهم لئلا يضروه لأنهم يستعجلون ٥ فى أذى من خالفهم، أجاب بما حاصله أنه بين ضررين أحدهما منهم إن خالفهم، و الآخر منه سبحانه و تعالى إن أعرض عنه و هو سبحانه و تعالى يرد أذاهم إن أراد، و هم لا يقدرون على رد أذاه بوجه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن يدعوك إلى موافقتهم، و اكد لما فى ظن كثير من الناس من أن الأسباب لا تتخلف فقال: ﴿ انى ﴾ و زاد فى التاكيد ١٠ لأن ذلك فى غاية الاستقرار فى النفوس فقال: ﴿ لن يجيرنى ﴾ أى فيدفع عنى ما يدفع الجار عن جاره ﴿ من الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا امر لأحد معه [4] ﴿ احدٌ ﴾ أى كائنا من كان إن أرادنى سبحانه بسوء. و لما كان من هو بهذه المثابة ربما [5] هرب منه المطلوب قال مؤكدا: ﴿ و لن اجد ﴾ أى أصلا. و لما كانت كل رتبة [6] دون ١٥ رتبته [6]، و كانت الرتب التى دون رتبته كثيرة جدا لما له من العلو المطلق

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: يتشوف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: دفعيهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و لغيره [من - [١]] مراتب السفول التى لا تحد ، قال مشيرا لذلك بالجارة: ﴿ من دونه ﴾ أى الله تعالى ﴿ ملتحدا ﴾ [أى - [١]] معدلا و موضع ميل و ركون و مدخلا و ملتجأ و حيلة ، و إن اجتهدت كل الجهد لأن اللحد أصله [٢] الميل و لا يقال إلا فى ميل من حق إلى باطل .

٥ و ألحد : جادل و مارى و ركن .

و لما كان من المعلوم ان هذا شيء لامثنوية فيه ، و كانت الرتب التى دون شريف رتبته سبحانه كثيرة جدا [٣] لما له من العلو المطلق [٣] و كان ما يليها له حكم شرفها و حقيقها [٤] ، و كان اول ذلك البلاغ منه سبحانه بلا واسطة [ثم البلاغ بواسطة - [١]] ملائكته الكرام منه ،

١٠ استثنى من " ملتحدا " على طريق [لا - [١]] ملجأ و لا منجى منك إلا إليك ففروا إلى الله [فقال - [٥]] : ﴿ الا بلغا ﴾ اى يبلغنى كائنا ﴿ من الله ﴾ اى الذى أحاط بكل شيء قدرة و علما . و لكنه لسعة رحمته يجرى الأمور على ما يتعارفونه فى انه لا يأخذ أحدا [٦] الا بحجة يعترفون بأنها حجة . و لما بين الرتبة الأولى [٧] التى هى أعلى ، اتبعها التى تليها فقال:

١٥ ﴿ و رسلته ﴾ التى اوحى الى [بها - [١]] بواسطة الملك فانى اتلقى ذلك حق تلقيه بحفظه و العمل به فيكون ، ذلك عاصما من كل سوء فى الدنيا و الآخرة .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقتها (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ و م : احد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الأول .

و لما كان التقدير لبيان أن الله شرف الرسل بان أعطاهم عظمة من عظمته فجعل عصيانهم عصيانه، فيكون[1] جزاء من عصاهم هو جزاء من عصاه سبحانه و تعالى لأنهم إنما يتكلمون بأمره، فمن يطع الله و رسوله فان له جنة نعيم يكونون فيها مدى الدهر سعداء، عطف عليه قوله: ﴿و من يعص الله﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿و رسوله﴾ الذى ختم به النبوة و الرسالة ٥ فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه فى التوحيد أو[2] غيره على سبيل الجحد ﴿فان له﴾ أى خاصة ﴿نار جهنم﴾ أى التى تلقاه بالعبوسة و الغيظ، و لما عبر بالإفراد[3] نظرا إلى لفظ "من" لأنه أصرح في كل فرد، عبر بالجمع حملا على معناها[4] لأنه أدل على عموم الذل فقال: ﴿خلدين فيهآ﴾ و أكد المعنى و حققه لقول من يدعى[5] الانقطاع فقال: ﴿ابدا ط﴾ و أما من ١٠ يدعى أنها لا تحرق و أن [عذابها -[6]] عذوبة فليس[7] أحد أجنّ منه إلا من يتابعه على ضلاله و غيه و محاله، و ليس لهم دواء إلا السيف فى الدنيا و العذاب فى الآخرة بما سموه عذوبه و هم صائرون إليـــه و موقوفون [عليه -[6]].

و لما ذكر تلبدهم عليه و قدم ما هو الأهم من أمره من كشف ١٥ غمومهم[8] باعلامهم أن ذلك الذى أنكروه عليه هو الذى يحق له،

---

(١) فى ظ و م: حتى يكون (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالافراط (٤) من ظ و م، و فى الأصل: معناه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يدع (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فلا (٨) فى ظ: غمهم.

و من[1] أنه [مع - [2]] ضعفه عن مقاواتهم هو [عن - [2]] الإعراض
عن الله أضعف لأن الله أقوى من كل شيء وأنه لا يسعه إلا امتثال
أمره . و أشار إلى أنهم عاجزون [عن - [2]] سطواته سبحانه بعدم[3] القدرة
على الإجارة عليه ، صرح بذلك مهددا لهم ، فقال مغيبا[4] لتلبدهم عليه :
٥ ﴿ حتّى اذا راوا ﴾ أى بأبصارهم فيه ﴿ ما ﴾ أى الشيء الذى . و لما
كان المنكى من الوعيد بروكه على كل من كان لأجله الوعيد[5] لا كونه[6]
من معين قال : ﴿ يوعدون ﴾ اى ما حصل الإيعاد به فى الدنيا أو فى
الآخرة[7] أما فى الآخرة[7] فواضح ، و أما فى الدنيا فمثل إخراج النبى صلى الله
عليه و سلم مع اجتماع[8] المشركين على المكر به لقتله و اجتهادهم فى
١٠ ذلك ثم سراياه و غزواته مثل غزوة بدر و غيرها من أيام الله التى
ملأت الأرض نورا و أهل الحق سرورا و حبورا ، و أهل الباطل خسرا
و بورا و رعبا و هلاكا و تبورا ﴿ فسيعلمون ﴾ أى من ذلك اليوم
الذى يكون[9] فيه تأويله بوعد لاخلاف فيه و لا طول لأمده
﴿ من اضعف ناصرا ﴾ اى من جهة[10] الناصر انا و إن كنت / فى هذا الوقت /٥٥٢
١٥ وحيدا مستضعفا أو هم[11] ﴿ و اقل عددا ء ﴾ و إن كانوا الآن بحيث

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : معنا (٥) زيد فى م : من . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لكونه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اجماع (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يكون . (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : حجة (١١) من ظ ، و فى الأصل : هما .

لا

لا يحصيهم عددا الا الله سبحانه. فيا لله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون[1] أنفسهم من حيث هي، و يذكرون قوتهم من[2] جهة مولاهم الذي بيده الملك و له[3] جنود السماوات و الأرض بخلاف أهل الإلحاد فانه لا كلام لهم إلا في تعظيم أنفسهم و ازدراء من سواهم، و إذا حاققت احدا من أتباع أحد منهم قال هذا على لسان النبوة - و نحو هذا من ٥ مخادعاتهم[4].

و لما كان من المعلوم انهم إذا سمعوا هذا الوعيد قالوا استهزاء و عمى عن طريق الصواب و استعلاء: متى يكون عجل به، استأنف قوله جوابا لهم جواب من لا يستخفه عجلة و لا ضجر[5] لأنه لا يخاف الفوت و لا يلحقه ضرر ببقاء العدو واجتهادهم في أذى أوليائه مبينا ما يجوز على الرسل ١٠ من أنه يخفى عليهم ما على البشر و يطلعهم الله تعالى على ما يخفى على غيرهم: ﴿ قل ﴾ أي في جوابهم إن كذبوا باتيانهم العذاب و سألوا استهزاء منه عن وقت وقوعه اما كونه فلابد منه لأنه قد برز[7] الوعيد [به ممن لا يخلف الميعاد، و أما تعيين وقته فقد اخفاه سبحانه لأنه -[6]] أقعد في التهديد و هو[7] معنى قوله: ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ ادرى ﴾ بوجه من الوجوه ١٥ و إن عالجت ذلك و تسببت فيه، و زاد في تقرير خفائه و أنه لا يزال في حيز ما يسأل عنه بصيغة الاستفهام فقال مقدما ما يخفيهم: ﴿ اقريب ما توعدون ﴾ أي يكون الآن أو قريبا من هذا الأوان بحيث يتوقع عن

---

(١) من ظ وم، و في الاصل: يضعفون (٢) من ظ و م، و في الأصل: لمن (٣) من م، وفي الأصل وظ: قه (٤) من ظ وم، وفي الاصل: مخادعتهم.
(٥) من ظ وم، و في الأصل: ضر (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و في الأصل و ظ: هي.

قرب[1] ﴿ام﴾ بعيد ﴿ يجعل له ﴾ اى لهذا الوعيد . ولما كان [التأخير - [2]] ربما أفهم تهاونا بالولى ، قال دافعا[3] لذلك : ﴿ ربىّ ﴾ أى المحسن إلىّ إن قدمه او أخره ﴿ امدا ه﴾ أى اجلا مضروبا عظيما بكل اعتبار حتى فى البعد لا يتأتى مع ذلك ان يكون الآن و لا ان يتوقع دون ذلك الأمد ،

٥ فهو فى كل حال متوقع فكونوا[4] على غاية الحذر لأنه لابد من وقوعه [فوقوعه - [5]] لا كلام فيه ، وانما الكلام فى تعيين وقته .

و لما نفى صلى الله عليه و سلم علمه عن نفسه الشريفة ، نفى ذلك عن غيره على وجه عام لجميع الغيب جالٍ من عظمة مرسله ما تنقطع دونه الأعناق فقال واصفا[6] له : ﴿ علـم الغيب ﴾ أى كله وهو ما

١٠ لم يبرز إلى عالم الشهادة فهو مختص سبحانه بعلمه ، [فلذلك - [2]] سبب عنه قوله : ﴿ فلا يظهر ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت من الاوقات ﴿على غيبه ﴾ [أى - [1]] الذى غيبه عن غيره فهو مختص به ﴿ احدا ﴾ لعزة علم الغيب و لأنه خاصة الملك . و لما كان لا يعلم الغيب إلا ببروزه إلى عالم الشهادة ، و كان لأول من يطلع عليه شرف ينبغى أن يعرف

١٥ له قال : ﴿ الا من ارتضى[1] ﴾ أى عمل الله تعالى فى كونه[7] رضى عمل من يتعمد ذلك و يجتهد فيه ، و بين « من » بقوله : ﴿من رسول ﴾ أى من الملائكة و[8] من الناس فانه يظهر عليه ذلك المرتضى الموصوف

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : قريب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : رافعا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : يكونوا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : وصفا (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل . او .

لا كل مرتضى بأن يظهره على ما شاء منه لأن الغيب جنس لا تحقق له إلا فى ضمن أفراده، فاذا ظهر فرد منه فقد ظهر فيه الجنس لظهور حصة منه، و تارة يكون[1] ذلك الرسول ملكا، و تارة يكون بشرا يكلمه الله بغير واسطة كموسى عليه الصلاة و السلام فى أيام المناجاة، و محمد صلى الله عليه و سلم ليلة المعراج فى العالم الأعلى فى حضرة قاب قوسين أو ادنى، و إذا ظهر ٥ عليه الرسول خرج عن كونه غيبا، و أوصله الرسول إلى من أذن له فى إيصاله[2] له تارة بالوحى للأنبياء و تارة بالنفث و الإلهام للاولياء، و ذلك عند تهيىء نفوسهم بسكون قواها عن منازعة العقل بالشهوات و الحظوظ كما يكون للنفوس عامة حين سكون القوى[3] عن المنازعة بالنوم فتكون متهيئة للنفث فيها، [فمن-[4]] أعرض عن جانب الحس و أقبل على جانب[5] ١٠ القدس فقد هيأ نفسه لنفث[6] الملك فى ورعه بعلم ما لم يكن يعلم[7] وليس أحد من الناس إلا و قد علم من نفسه أنه إذا أقبل على شيء بكليته حدث له فيه أمور حدسية إلهامية بغتة من غير سابقة فكر و طلب، و[8] على قدر التهيئة[9] يكون النفث من قبل الله سبحانه و تعالى، و ربما كان النفث شيطانيا بما تلقته الشياطين من الاستراقات[10] من الملائكة إما من ١٥

(١) من ظ وم، وفى الأصل: ليكون (٢) من م، وفى الأصل وظ: ارساله.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: النفوس (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: جانب (٦) من ظ وم، و فى الأصل: للنفث (٧) زيد فى الأصل و ظ: مالم يعلم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) فى ظ: التهيا (١٠) من ظ وم، و فى الأصل: الاسترقات.

الأرض بعد نزولهم او من السماء بالاستراق فيها - و الله أعلم ، و يجوز
أن يكون للأولياء مشافهة [من الملك -[١]] كما كان لمريم عليها السلام
من الملائكة ، و قال جبريل عليه الصلاة و السلام عن بعضهم أنه
و سلم رد عليه ، و لما دل هذا السياق على عزة علم الغيب [و]
٥ كانت عزته سببا لحراسة من يطلع عليه ليؤديه إلى من أمر به [كما أمر
به -[٢]] ، أعلم سبحانه و تعالى بذلك بقوله مؤكدا[٣] تمييزا له من علم
الكهان[٤] الذى أصله من الجان[٥] دالا على إجلال الرسل و إعظامهم
و تبجيلهم و إكرامهم : ﴿ فانه ﴾ أى الله سبحانه و تعالى يظهر ذلك الرسول
على ما يريد من الغيب ، و ذلك أنه [إذا - [٢]] أراد إظهاره عليه
١٠ ﴿ يسلك ﴾ أى يدخل إدخال السلك فى الجوهرة فى تقومه و نفوذه
من غير أدنى تعريج إلى غير المراد ، و لما كان الغرض يحصل بمن يقيمة
سبحانه من جنوده للحراسة و لو أنه واحد من كل جهة بل و بغير ذلك ،
و إنما جعل هذا الإخراج للأمر على ما يتعارفه العباد ، عبر بالجار دليلا
على عدم استغراق الرصد[٦] للجهات إلى منقطع الارض مثلا فقال :
١٥ ﴿ من بين يديه ﴾ أى الجهة التى يعلمها ذلك الرسول ﴿ و من خلفه ﴾
أى الجهة التى تغيب عن علمه ، فصار ذلك كفاية عن كل جهة ، و يمكن

---

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الكهانة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الجنان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الوصل .

ان

أن يكون ذكر الجهتين دلالة[1] على الكل و خصهما لأن العدو متى اعريت واحدة منهما [2]أتى منها[2]، و متى حفظت لم يأت من غيرهما / ، لأنه يصير بين الأولين و الآخرين ﴿رصداً﴾ اى حرسا من جنوده يحرسونه و يحفظونه بحفظ ما معه من الغيب من اختطاف الشياطين أو غيرهم لئلا يسترقوا شيئا من خبره - قاله ابن عباس رضى الله عنهما، و قال مقاتل[3] و غيره رضى الله عنهما: يخبرونه[4] بمن أنكره بأن يحذروه منه إن كان شيطانا أو يأمروه بالسماع منه إن كان ملكا، و ذلك أن إبليس [كان - [5]] يأتى الأنبياء [فى صورة جبريل عليه السلام - [6]] [7]و لكن الله عصمهم منه[7] .

و لما كان هذا الدأب من الحفظ فى [كل - [6]] رسول بين الغاية جامعا[8] تعيينا لما اقتضاه الجنس، و بيانا لأن الأفراد أولا مراد به الجمع، و أنه ما عبر به إلا لتشمل الحراسة كل فرد[9] منهم فقال: ﴿ ليعلم ﴾ أى الله علما كائنا واقعا على هذه الصفة التى تعلق[10] بها [علمه - [6]] فى الأزل قبل وجودها بما لا يعلمه إلا هو سبحانه أنها ستكون ﴿ ان ﴾ أى إن الرسل عليهم الصلاة و السلام ﴿ قد ابلغوا ﴾ اى إلى من أرسلوا إليه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (٢ - ٢) من م، و فى الأصل: أتى منها، وسقط ما بين الرقمين من ظ (٣) راجع معالم التنزيل ٧/١٣٦ (٤) من ظ وم، وفى الأصل: يخبره (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ وم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٨) من ظ وم، وفى الأصل: جامعة (٩) زيد فى م: فرد (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: يتعلق .

﴿ رسَلٰت ربهم ﴾ أى الذى أوجدهم و دبر جميع أمورهم و اختارهم لرسالاته[1] على ما [2] هى عليه[2] لم يشبها شائبة و لا لحقها غير . و لما كان هذا ربما اوهم أنه محتاج فى الحفظ [إلى الرصد-[3]] أزال ذلك [بقوله-[3]] : ﴿ و احاط ﴾ أى فعل ذلك و الحال أنه قد أحاط ﴿ بما لديهم ﴾ أى الرسل ٥ و المرسل إليهم من الملائكة و البشر على أدق الوجوه و أعظمها و أغربها بما أشار إليه التعبير بلدى . و لما كان هذا كافيا فى المقصود ، لكنه قاصر على محل الحاجة عم تعريفا بالأمر على ما هو عليه ، فقال حاملا على شدة الوثوق بما تقوله الرسل عن ربهم و أنه لا لبس فيه و لا غائلة بوجه، مبينا غاية البيان كذب حديث الغرانيق الذى ذكره بعض المفسرين ١٠ و غيرهم فى سورة و النجم: ﴿ و احصٰى ﴾ أى الله سبحانه و تعالى ﴿ كل شىء ﴾ أى على العموم من غير استثناء اصلا ﴿ عددا ؏ ﴾ اى من جهة العدد لكل[4] ما يمكن عده و لو على أقل مقادير[5] الذر فيما لم يزل و فيما لا يزال ، فهو دليل قاطع على علمه تعالى بالجزئيات كعلمه بالكليات ، و قد التقى أول السورة و آخرها و باطنها الغيبى و ظاهرها ، فدل آخرها ١٥ على الأول المجمل ، و أولها على الآخر المفصل ، و ذلك ان أول السورة بين عظمة الوحى بسبب الجن ، ثم بين فى أثنائها حفظه من مسترق السمع ، و ختم بتأكيد حفظه و [6] حفظ جميع[6] كلماته و استمر فى تأكيد أمره

(١) من م ، و فى الأصل وظ : رسالته (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : من كل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدير تقادير (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : جمع ، و فى م : حفظ .

حتى بانت عظمة هذا القرآن، [و ظهرت عزة هذا الفرقان -[١]] ، على كل كتاب ، بكل اعتبار و حساب ، فافتتح المزمل بمثل ذلك و ختمها بالأمر بقراءة ما تيسر منه ، و ذكر فى المدثر طعن الطاعن فيه و ما ناله بسبب ذلك الطعن من الخزى و العذاب فى الدنيا و الآخرة مع ضمان الحفظ منه ، ثم نهى نبيه صلى الله عليه و سلم / فى سورة القيامة عن العجلة فى أمره لئلا ٥ /٥٥٥ يختل حفظه ، أو يزيغ أدنى زيغ لفظه ، [و -[٢]] تشريعا لأمته فى ترك الاستعجال، فانه ليس من دأب الرجال ، ثم أكد أمر تنزيله فى الإنسان ، و بين أن علة الإعراض عنه حب العاجلة التى هى عين النقصان ، و ختم المرسلات بنهاية ما تخيلت الأوهام و الظنون ، فقال « فبأى حديث بعده يؤمنون » فسبحان[٣] من نظمه هذا[٤] النظام ، و جعله أقصى المراد و غاية المرام ، ١٠ [٥]و صلى الله على من لا نبي بعده على الدوام [٥].



(١) زيد من م (٢) زيد من ظ م (٣) زيد فى الأصل : اله ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : على (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ وم .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء العشرين من تفسير " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٢٩ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٣ ﻫ = ١١ / يوليو سنة ١٩٨٣ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد - قاضي المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الحادي و العشرون باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة المزمل .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه اجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية